

بِتَحْقِيقِ وَسْرَعِ
عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ

مكتبة الجاهليين
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الثاني

النبيا والنبين

الجزء الثالث

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصوري

مكتبة الخالجي

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب . ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة السابعة

١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م

البيئات والنبوءات

تأليف

أبي عثمان عمرو بن يحيى بن الجاحظ

الجزء الثالث

بمحققين

عبد السلام محمد هارون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب العصا (١)

- هذا أبقاك الله الجزء الثالث ، من القول في البيان والتبيين (٢) ،
وما شابة (٣) ذلك من غرر الأحاديث ، وشاكله من عُيون الحُطْب ، ومن الفَقْرِ
المستحسنَة ، والنُتْف المستخرجة ، والمُقَطَّعات المتخيرة ، وبعض ما يجوز في ذلك
من أشعار المذاكرة ، والجوابات المتخبة .
ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوية (٤) ومن يتحلَّى باسم التَّسْوِيَة (٥)

- (١) ما عدل : « هذا كتاب العصا » . وبعد العنوان : « الحمد لله ولا قوة إلا بالله وصلّى الله تعالى على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة » .
١٠ (٢) ل ، هـ : « والتبين » .
(٣) ل ، هـ والتيمورية : « وما شاب » .
(٤) الشعوية : نسبة غير قياسية إلى « الشعوب » ، وهم فريق من الناس لا يرون للعرب فضلاً على غيرهم ، بل يبالغون في ذلك فيذهبون إلى تنقصهم والخط من قدرهم ، حتى ألقوا في ذلك الكتب . وسماوا بذلك لانتصارهم للشعوب ، التي هي معايرة للقبائل ؛ فقد قال جمع من المفسرين في قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل) : إن القبائل العرب ، والشعوب العجم . ويقولون : إن زياد بن أبيه حين استلحقه معاوية بأبيه وخشى ألا تقر العرب له بذلك ، صنع كتاب « المثالب » وعدد نقائص العرب . كما أن النضر بن شميل الحميري وخالد ابن سلمة الخزومي وضعوا كتابا في مثالب العرب ومناقبها ، بأمر هشام بن عبد الملك . وكان الهيثم بن عدى دعيا في نسبه ، فصنع كتابا طعن فيه على أشراف العرب . وأما أبو عبيدة ، وقد كان أبوه يهوديا وكان يعبر بذلك ، فصنع كتابا في مثالب العرب امتاز بالسعة والاستقصاء . وجاء من بعدهم علان بن الحسن الشعوي الوراق الرنديق ، فألف لظاهر ابن الحسين كتابا في مثالب العرب ، بدأه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ، ولم يعأ في ذلك بالخروج عن أدب الدين ، وقد أجازوه طاهر عليه ثلاثين ألف درهم . وصنع ابن غرسية رسالة في تفضيل العجم على العرب . وقد رد عليه علماء الأندلس بعدة رسائل . انظر نوادر المخطوطات ١ : ٢٢٩ - ٣٣٠ ، وشرح البكري لأمالى القالى ص ٨٠٨ والخزانة (٢ : ٥١٩) وبلوغ الأرب (١ : ١٥٩ - ١٨٤) . وقد أورد الأخير نموذجا لرد ابن قتيبة على الشعوية . ولابن الكلبي كتاب في المثالب ، منه نسخة عتيقة بدار الكتب المصرية .
٢٥ (٥) أى التَّسْوِيَة بين العرب والعجم . ويتحلَّى ، أى يتصف .

- ومطاعينهم على خطباء العرب : بأخذ المِخَصَّرَةِ عند مناقلة الكلام (١) ،
 ومساجلة الخصوم بالموزون والمُقَفَّى ، والمنثور الذي لم يُقَفَّف ، وبالأرجاز عند
 المتح (٢) ، وعند مُجَانَاةِ الحِصْنِ (٣) ، وساعة المشاورة (٤) ، وفي نفس المجادلة
 والمحاوره . وكذلك الأسجاعُ عند المنافرة والمفاخرة (٥) ، واستعمال المنثور في
 حُطْبِ الحَمَالَةِ (٦) ، وفي مقامات الصُّلْحِ وسَلِّ السَّخِيمَةِ (٧) ، والقولُ عند
 المعاقدة والمعاهدة (٨) ، وترك اللفظ يجرى على سجيته وعلى سلامته ، حتى يخرج
 على غير صنعة ولا اجتلاب تأليف (٩) ، ولا التماس قافية ، ولا تكليف لوزن . مع
 الذي عابوا من الإشارة بالعصى ، والاتكاء على أطراف القسي ، وخذ وجه الأرض
 بها ، واعتمادها عليها إذا اسخفرت في كلامها (١٠) ، وافتتت يوم الحفل في
 مذهبها ، ولزومهم العمام في أيام الجموع ، وأخذ المخاصر في كل حال ،
 وجلوسها في خطب التكااح ، وقيامها في خطب الصُّلْحِ وكل ما دخل في

٨٩

١٠

- (١) المخصرة : ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه ، من عصا أو مقرعة أو عكازة أو قضيب ، أو ما
 أشبه ذلك . والمناقلة : مراجعة الكلام في صخب .
 (٢) المتح : الاستقاء من أعلى البحر . والميح : الاستقاء من أسفلها .
 (٣) المجاناة : الجلوس على الركبتين للخصومة .
 (٤) المشاورة : أن يتناول بعضهم بعضا عند القتال بالرماح .
 (٥) المنافرة : المفاخرة بكوة عذد القوم وعزتهم . والمفاخرة أعم .
 (٦) الحماله ، كسحابية : الدية يحملها قوم عن قوم .
 (٧) سل السخيمة : انتزاعها . والسخائم : الأحقاد والأضغان .
 (٨) المعاقدة : المعاهدة والميثاق ، بذلك فسر ابن عباس قوله تعالى : (والذين عاهدت أيمانكم) .
 وهذه قراءة جمهور الفراء في الآية ٣٣ من سورة النساء . وقرأها بغير ألف عاصم وحمره والكسائي ، وكذا
 خلف ، ووافقهم الأعمش . إتحاف فضلاء البشر . ما عدل : « والمعاقرة » بالراء ، ومعناها التفاجر بعقر
 الإبل ، يتبارى الرجلان ليرى أيهما أعقر لها ، وأسلوب الجاحظ في المزوجة بأباها .
 (٩) ما عدل : « اختلاف تأليف » ، محرف .
 (١٠) اسخفر الرجل في منطقته : مضى فيه ولم يتمكن .

١٥

٢٠

٢٥

باب الحَمَالَة ، وأكَّد شأنَ المخالفةِ ، وحقَّق حُرْمَةَ المجاورةِ ، وخطَّبهم على رواحلهم في المواسمِ العظامِ ، والجامعِ الكِبَارِ . والتماسُجُ بالأكْفِ (١) ، والتَّحالِفُ على النارِ ، والتعاقدُ على المِلحِ (٢) ، وأخذَ العهدَ المؤكَّدَ واليمينَ العُمُوسِ (٣) مثل قولهم : ما سَرَى نَجْمٌ وهبَتْ رِيحٌ ، وبلَّ بَحْرٌ صَوْفَةً (٤) ، وخالفت جِرَّةٌ دِرَّةً (٥) .
ولذلك قال الحارث بن جِلْزَةَ اليشكريّ :

واذكروا حِلْفَ ذِي المِجَازِ وما قَدَّ لَدَمَ فِيهِ : العهودُ والكُفْلَاءُ (٦)
حَدَرَ الحَوْنُ والتعدَّى وهل تَنَدَّ قَصُ ما فِي المَهَارِقِ الأَهْواءُ (٧)
الحَوْنُ : الخيَانةُ . ويروى : « الجور » .

وقال أوس بن حَجَرٍ :

١٠ . إذا استقبلته الشَّمْسُ صَدَّ بوجهِهِ كما صَدَّ عن نارِ المَهْولِ حَالِفُ (٨)

(١) في أساس البلاغة : « وما سحته : صافحته . والتقوا فتماسحوا : تفصافحوا . وتماسحوا على كذا : تصافقوا وتخالفوا » .

(٢) في الحيوان (٤ : ٤٧٢) : « والملح شيخان : أحدهما المرقعة ، والأخرى اللبن » وفي القاموس أن « الملح » الحرمة . وفي اللسان عن ابن الأنباري ، والخزانة (٤ : ١٦٤) عن المفضل بن سلمة ، أن « الملح » : البركة . أما النجومي في أيمان العرب ٣١ فيفسر الملح بشيئين : أحدهما ملح الإدام التي يتملح بها ، والأخر اللبن .

(٣) اليمين العُمُوس : التي لا استثناء فيها . وفي اللسان (غمس) : « وكان عادتهم أن يحضروا في جفنة طيبا ، أو دما ، أو رمادا ، فيدخلون فيه أيديهم عند التحالف ، ليتم عقدهم عليه باشتراكهم في شيء واحد » .
(٤) في اللسان (صوف) : « وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني ، واحدته صوفة . ومن الأهدبات قولهم : لا آتيك ما بل بحر صوفة » . وانظر الحيوان (٤ : ٤٧٠) .
(٥) الجرَّة : بالكسر : ما يجتره الحيوان من جوفه . والدرَّة : بالكسر : كثرة اللبن وسيلانه . واختلافهما أن الدرَّة تسفل والجرَّة تعلو .

(٦) البيتان من معلقته . ذو المِجَازِ : موضع ، كان عمرو بن هند أصلح فيه بين بني بكر وتغلب ، فأخذ عليهم الموائيق والرهائن ، من كل حى ثمانين .

(٧) المهارق : جمع مهرق ، بضم الميم وفتح الراء ، وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسي معرب .
(٨) ديوان أوس ١٦ وأيمان العرب ٣١ . والمهول : الذي كان يتولى تحليف القوم . وكانوا إذا أرادوا أن يتحلفوا الرجل أوقدوا ناراً وألقوا فيها ملحاً من حيث لا يشعر الخالف ، فيفتقع الملح ، يهولون عليه بذلك .

وقال الكُمَيْت :

كَهْوَلَةٌ ما أوقدَ الْمُحْلِفُونَ لدى الحالفينَ وما هَوَّلُوا (١)
وقال الأَوَّلُ (٢) :

حَلَفْتُ بِالْمِلْحِ وَالرَّمَادِ وبالكِ نَارِ وباللهِ نَسِئُ الحَلَقَةَ (٣)
حَتَّى يَظُلَّ الجَوَادُ مَنعِراً وَيَحْضِبُ النَّبْلُ غُرَّةَ الدَّرَقَةِ (٤)
وقال الأَوَّلُ :

حَلَفْتُ لَهُم بِالْمِلْحِ وَالجَمْعُ شَهْدٌ وبالنارِ واللاتِ التى أعظُمُ
وقال الحُطَيْبَةُ فى إِضْجَاعِ القِيسَى :

أَم من لَحْصِمِ مُضْجَعِينَ قِيسِيَهُمْ صَعِرِ تُخْدُودُهُم عِظَامِ المَفْخِرِ (٥)
وقال لبيدٌ فى تَحَدُّ وَجهِ الأَرْضِ بالعِصَى والقِيسَى :

نَشِيئُ صِحَاحِ البِيدِ كُلِّ عَشِيَّةٍ بَعُوجِ السَّرَاءِ عِنْدَ بابِ مُحَجِّبِ (٦)
ومثله :

إذا اقسَمَ الناسَ فَضَلَ الفِخارِ أَطَلْنَا على الأَرْضِ مِيلَ العِصَا (٧)

(١) الهولة ، بالضم : ما يهولك . وفى الحيوان (٤ : ٤٧١) : « يهولون على من يخاف عليه الغدر بحقوقها ومنافعها ، والتخويف من حرمان منفعتها » . وأنشد البيت . وانظر الخزانة (٣ : ٢١٤) وأيمان العرب للنجدي ٣١ حيث نجد تفصيلاً .

(٢) البيتان أنشدتهما فى اللسان (حلق) شاهداً على فتح لام « الحلقه » .

(٣) الحلقه : حلقة القوم ، جماعتهم . وفى حواشى هـ : « يعنى السلاح » .

(٤) انعفر : ظل ملقى فى العفر مترباً . والنبل : السهام . والدركة : واحدة الدرق ، وهو ضرب من الترسه يتخذ من الجلود . وغرة كل شيء : أوله ووجهه . وفى اللسان : « عروة الدركة » . هـ : « وتحضب » .

(٥) البيت فى ديوانه ٦٢ من قصيدة له يربى بها علقمة بن هودة . وفى الديوان : « ميل خدودهم » . قال السكرى : « وذلك أن القوم إذا جلسوا يتفاحرون خطوا بأظفار قسبهم فى الأرض ، يقولون : لنا يوم كذا ، يعدون أيامهم ومآثرهم » . وظفر القوس : ما بين معقد وترها إلى طرفها . وقد سبق البيت فى (١ : ٣٧١) .

(٦) سبق الكلام على البيت وتخرجه فى (١ : ٣٧١) .

(٧) سبق أيضاً فى (١ : ٣٧٢) .

ومثله :

حَكَمَتْ لَنَا فِي الْأَرْضِ يَوْمَ مُحَرَّرٍ أَيَامُنَا فِي النَّاسِ حُكْمًا فَيَصِلَا (١)
 وقال لبيد بن ربيعة في ذكر القسي :
 مَا إِنَّ أَهَابُ إِذَا السُّرَادِقِ غَمَّهُ قَرَعُ الْقَيْسِيِّ وَأُرْعِشَ الرَّغْدِيدُ (٢)
 وقال كثير في الإسلام :

إِذَا فَرَعُوا الْمَنَابِرَ ثُمَّ حَطُّوا بِأَطْرَافِ الْمَخَاصِرِ كَالْبَغِضَابِ (٣)
 وقال أبو عبيدة : سأل معاوية شيخاً من بقايا العرب : أى العرب رأيت
 أضخم شأنًا ؟ قال : حصن بن حذيفة (٤) ، رأيت متوكلًا على قوسه يقسم في
 الخليفين أسدً وغطفان .

وقال لبيد بن ربيعة في الإشارة :
 ١٠ غُلِبَ تَشْتَدُّ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ الْبَيْدِ رَوَاسِيَا أَقْدَامُهَا (٥)
 وقال معن بن أوس المرزبي (٦) :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي رَسُولًا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذْ عَجَلَ الرَّسَالَا (٧)
 تُعَاقِلُ دُونَنَا أَبْنَاءَ ثَوْرٍ وَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصَى وَمَالَا (٨)

١٥ (١) في (١ : ٣٧٣) : « كتبت لنا ... يوماً فيصلا » .

(٢) مضى الكلام عليه في (١ : ٣٧٢) .

(٣) سبق تفسير المحصورة في ص ٦-٦ فرعوا المناير : علوها .

(٤) هو حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، كان قائد ذبيان يوم شعب جبلة . وهو والد عينة بن

حصن . وللنابغة الذبياني مرثية في حصن بن حذيفة فيها :

٢٠ يقولون حصن ثم تأتى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
 (٥) البيت من معلقته . وهو في صفة رجال الحرب . وقيله :

وكثيرة غرباؤها مجهولة ترجى نوافلها ويخشى ذامها

الغلب : الغلاظ الأعناق ، جمع أغلب . والتشدر : رفع اليد ووضعها . والذحول : جمع ذحل ، وهو الحقد
 والثأر . والبدى : البادية ، أو هو موضع . وانظر ماسبق في (١ : ٣٧١) .

٢٥ (٦) سبق ترجمته في (١ : ٣٧٢) حيث سبقت الأبيات وتفسيرها . وهي في ديوان معن بن أوس برواية

القالى ص ٢٥ ليسلك ١٩٠٣ .

(٧) وذكر القالى أن « عبید الله » رجل من قومه . أما الرسال فأراها مصدرًا مثل المراسلة .

(٨) ضبط في هـ والديوان : « تعاقل دوننا أبناء » .

إذا اجتمع القبائل جئت ردفا وراء الماسحين لك السبلا (١)
فلا تُعطى عصا الخطباء يوماً وقد تُكفى المقادة والمقالا (٢)

فذكر عصا الخطباء كما ترى . وقال آخر في حمل القناة :

إلى امرئ لا تُخطاه الرفاق ، ولا جَدْبُ الخِوانِ إذا ما استثنىء المرق (٣)
صَلْبُ الحيازيم لا هَذُرُ الكلامِ إذا هَزَّ القناة ولا مُستعجِلُ زَعِقُ (٤)

وقال جرير بن الحطفي في حمل القناة :

مَنْ للقناة إذا ماعى قائلها أو للأعنة ياعمرؤ بنَ عَمَارِ (٥)

قالوا : وهذا مثل قول أبي المجيب الربعي (٦) ، حيث يقول : « لا تزال (٧)

تحفظ أذاك حتى يأخذ القناة ، فعند ذلك يَفْصَحُك أو يمدحك » . يقول : إذا قام يخطب فقد قام المَقَامُ الذي لا بد من أن يخرج منه مذموماً أو محموداً .

وقال عبد الله بن رؤبة (٨) : سأل رجلٌ رؤبةً عن أخطب بنى تميم ، فقال :

خداش بن لبيد بن بيبه بن خالد (٩) ، يعنى البعيث الشاعر . وإنما قيل له البعيث لقوله :

(١) في جميع النسخ : « أمام الماسحين » صوابه من الديوان وما سبق .

(٢) في الديوان : « عصا الخطباء فيهم » ، وقد سبقت هذه الرواية . القائل : « عصا الخطباء ، يعنى المخصرة ، أى لا يسمعون لك قولاً ولا يقدمونك في أمر » .

(٣) سبق البيتان في (١ : ٣٧٣) .

(٤) الزعق : النشيط الذي يفرع من كل شيء . ما عدل : « زهق » . وقد مضت هذه الرواية .

(٥) سبق البيت وتخرجه في (١ : ٢٧٣) . وأشير في حواشئ ل إلى رواية : « إذا ما عى حاملها » .

و « عمرو بن عمار » تحريف ، إذ أن الشعر في رثاء عقبة بن عمار ، كما أسلفت في التحقيق . والرواية الصحيحة الثابتة في ديوان جرير ٢٣٧ :

أَمْ للقناة إذا ما عى قائلها أم للأعنة يا عقب بن عمار

(٦) مضت ترجمته في (١ : ١٧٣) حيث سبق الخبر .

(٧) ل : « ما تزال » .

(٨) المعروف أن « عبد الله بن رؤبة » هو اسم « العجاج » والد رؤبة . أما رؤبة فلم يعرف له ولد

يدعى « عبد الله » .

(٩) في المؤلف ٥٦ : « خدش بن بشر بن خالد بن بيبه » .

- تَبِعَتْ مِنِّي مَا تَبِعَتْ بَعْدَ مَا أَمَرْتُ حِبَالِي كُلَّ مِرَّتَيْهَا شُرْزَرًا (١)
- قال أبو اليقظان (٢) : كانوا يقولون : أخطب بنى تميم البعيثُ إذا أخذ القناة فهزها ثم اعتمد بها على الأرض ، ثم رَفَعَهَا .
- وقال يونس : لعمري لئن كان مُغَلَّبًا في الشعر لقد كان غُلَّبَ في الحُطْبِ . وإذا قالوا غُلَّبَ فهو الغالب ، وإذا قالوا مغلَّبٌ فهو المغلوب (٣) .
- وفي حديث النبي ﷺ أنه جاء إلى البقيع (٤) ، ومعه مَحْصَرَةٌ ، فجلس ونكَّتَ بها الأرض ، ثم رفع رأسه فقال : « ما مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَكَائِهَا مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ (٥) . وهو من حديث أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ (٦) .
- ومِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى اسْتِحْسَانِهِمْ شَأْنَ الْمَخْصَرَةِ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ ذِي الْمَخْصَرَةِ (٧) ، وهو صاحب لَيْلَةِ الْجُهَنِيِّ (٨) . وكان النبي عليه السلام

- (١) سبق في (١ : ٣٧٤) .
- (٢) هو سحيم بن حفص ، وقد سبق الكلام بإيجاز في (١ : ٣٧٤) .
- (٣) انظر ما مضى في (٢ : ٣١٢) .
- (٤) هو بقيع الغرقد . وأصل البقيع في اللغة : الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى .
- والغرقد : كبار العوسج . وهذا البقيع بداخل المدينة ، وهو مقبرتها .
- (٥) منفوسة ، أى مولودة ، يقال نفست أمه به ، أى ولدته ، فهى نفساء .
- (٦) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة (بالتصغير) السلمى الكوفى القارىء . كان لأبيه صحبة ، وكان هو ثقة يكثر الحديث ، قرأ القرآن في المسجد أربعين سنة ، وشهد مع علي صفين ، ثم صار عثمانياً ، توفى سنة ٧٢ وهو ابن تسعين سنة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣٠) ونكت الهيمان ١٧٨ .
- (٧) هو عبد الله بن أنيس (بالتصغير) الجهنى المدنى ، حليف بنى سلمة من الأنصار ، شهد العقبة وما بعدها ، ودخل مصر وخرج إلى إفريقية . وتوفى بالشام سنة ٥٤ . الإصابة ٤٥٤١ وتهذيب التهذيب والمعارف ١٢١ .
- (٨) قال ابن قتيبة في ترجمته في المعارف ١٢١ : « وهو الذى يقال فيه ليلة الأعرابي وليلة الجهنى . وكان رسول الله ﷺ أمره أن ينزل من باديته إلى مسجده فيصلى فيه ليلة ثلاث وعشرين ، فكان يدخل المسجد مساء ليلة ثلاث وعشرين إذا صلى العصر ، ثم لا يخرج عنه إلا لحاجة حتى يصلى الصبح ثم يخرج إلى أهله ، فقيل : ليلة الجهنى . وهو الذى روى عن رسول الله ﷺ في ليلة القدر أنه قال : اتمسوها الليلة . وكانت ليلة ثلاث وعشرين » .

أعطاه مِخْصَرَةً وقال : « ثَلَقَانِي بِهَا فِي الْجَنَّةِ (١) » . وهو مهاجِرٌ عَقَبِيٌّ
أنصاريٌّ ، وهو ذو المِخْصَرَةِ فِي الْجَنَّةِ .

* * *

قالت الشَّعْوَبيَّةُ وَمَنْ يَتَعَصَّبُ لِلْعَجميَّةِ . القضيْبُ للإيقاع (٢) ، والقنَاةُ
لِلْبَقَارِ (٣) ، والعِصَا لِلْقِتَالِ ، والقوسُ لِلرَّمِي . وليس بين الكلام وبين العِصَا سَبَبٌ ،
ولا بينه وبين القوسِ نَسَبٌ ، وهما إلى أن يَشْغُلَا العِقلَ وَيَصْرِفَا الخواطرَ ، ويعترضُا على
الدَّهْنِ أَشْبَهُهُ ؛ وليس في حَمَلِهِمَا ما يشحذُ الدَّهْنَ ، ولا في الإِشارةِ بهما ما يجلبُ
اللَّفْظَ . وقد زعم أصحابُ الْغِنَاءِ أن المَعْنَى إذا ضُرِبَ على غِنَائِهِ ، قَصَرَ عن المَعْنَى
الَّذِي لَا يُضِرُّبَ على غِنَائِهِ . وَحَمَلَ العِصَا بِأَحْلاقِ الْفَدَّادِينِ (٤) أَشْبَهُهُ ، وهو بِجَفَاءِ
العربِ (٥) وَعُنْجُومِيَّةِ أَهلِ البَدْوِ ، ومِزْوَلةِ إقامَةِ الإِبِلِ على الطَّرِيقِ (٦) أَشْكَلُ ، وبِهِ أَشْبَهُهُ .
قالوا : والحِطَابَةُ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ ، وبِكُلِّ الأَجْمالِ إِلَيْهِ أعْظَمُ الحَاجَةِ (٧) ،
حَتَّى إِنْ الرُّبُحُ مع العَنَابَةِ (٨) ، ومع فِرطِ العَبَاوَةِ ، ومع كلالِ الحَدِّ وَغِلَظِ الحَسِّ

(١) تفصيل ذلك ، أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان أرسله إلى خالد بن سفيان المهذلي
ليقتله ، فلما قتله وقدم على رسول الله أدخله بيته وأعطاه عصا وقال : « أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله
بن أنيس ، قال عبد الله : فخرجت بها على الناس فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله ،
وأمرني أن أمسكها عندي . قالوا : أفلا ترجع إليه فتسأله لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله فقلت : لم
أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آية بيني وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المتخصرون يومئذ . قال ابن
إسحاق : فقرئها عبد الله بن أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت في كفته ثم دفنا
جميعاً . السيرة ٩٨١ - ٩٨٢ جوتنجن والمعارف ١٢١ .

(٢) الإيقاع : إيقاع الحان الغناء ، وهو أن يوقع الألحان ويبينها . وسمى الخليل كتاباً من كتبه في ذلك
المعنى : كتاب الإيقاع . (٣) في الأصول : « اللقار » .

(٤) في الحيوان (٥ : ٥٠٧ - ٥٠٨) : « الفداد : الجاق الصوت والكلام » . وقد ساق في ذلك
خبراً وحديثاً . وانظر ما سبق في (١ : ١٣) .

(٥) ما عدل ، هي « بحفاة العرب » .

(٦) إقامتها على الطريق ، أي توجيهها جهة مستقيمة .

(٧) الجليل : الصنف من الناس ، كالعرب والروم والترك .

(٨) العنابة : أراد بها الحق والجهل . وهذه الكلمة مما لم يرد في المعاجم . وذكروا « الأغر » وهو

الأحق الجاهل .

وفساد المزاج ، تُطِيلُ الحُطْبَ ، وتفوق في ذلك جميعَ العجم ، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ ، وألفاظها أخطَلُ وأجهل ^(١) . وقد علمنا أن أخطبَ النَّاسِ الفرس وأخطبَ الفرس أهل فارس ، وأعذبهم كلاماً وأسهلهم مخرجاً وأحسنهم دلاً ^(٢) وأشدَّهم فيه تحكما ^(٣) ، أهلُ مرو ، وأفصحهم بالفارسية الدَّريَّة ^(٤) ، وباللغة الفَهْلَوِيَّة ^(٥) ، أهلُ قصبَةِ الأهواز . فأما نَعْمَةُ الهَرَابِذَةِ ^(٦) ، ولغةُ المَوَابِذَةِ ^(٧) ، فلصاحب تفسير الرُّمَزَةِ ^(٨) .

(١) الخطل : الخطأ . ما عدل : « أخطأ وأجهل » .

(٢) ما عدل ل : « ولاء » تحريف . والدل : الهدى والسمت .

(٣) ما عدل ، هـ : « تحنكا » .

- (٤) الدرية ، وهى بالفارسية « دَرِي » : إحدى اللغات الفارسية القديمة . ولفظها نسبة إلى « دَرُ » بمعنى الباب ، والمراد باب الملك ، أو ما يسمونه بالبلاط . وهى إحدى لغات ثلاث بقيت من سبع لغات قديمة . ويؤمنون أن هذه اللغة - وهى لغة القصر - هى اللغة التى يتكلم بها فى الجنة . انظر استينجاس ٥١٦ . وذكر ابن النديم فى الفهرست ١٩ قول عبد الله ابن المقفع : « لغات الفارسية : الفهلوية ، والدرية ، والفارسية ، والخرزوية ، والسريانية . فأما (الفهلوية) فمنسوبة إلى فهلة : اسم يقع على خمسة بلدان ، وهى أصفهان ، والرى ، وهمدان ، وماه نهاوند ، وأذربيجان . وأما (الدرية) فلفظة مدن المدائن ومها كان يتكلم من بباب الملك ، وهى منسوبة إلى حاضرة الباب ، والغالب عليها من لغة أهل خراسان والمشرق لغة أهل بلخ . وأما (الفارسية) فيتكلم بها الموابذة والعلماء وأشباههم ، وهى لغة أهل فارس . وأما (الخوزية) فيها كان يتكلم الملوك والأشراف فى الخلوة ومواضع اللعب واللذة مع الحاشية . وأما (السريانية) فكان يتكلم بها أهل السواد » . ومثل هذا الكلام مروى عن حمزة الإصفهاني فى معجم البلدان (٦ : ٤٠٦ - ٤٠٧) .
- (٥) سبق الكلام عليها فى الحاشية السابقة . ونسبتها إلى « يَهْلُو » التى تعرب إلى « فهله » .
- (٦) الهرابذة : جمع هربذ ، واحدة هرابذة المحجوس ، وهم قَوْمَةُ بيوت النار التى للهند ، فارسى معرب . وتقبيد بيوت النار بالهندية هو المذكور فى المعاجم العربية . وهى مكونة من كلمتين : « هير » بمعنى النار ، و « بد » بمعنى الحافظ والقيم .
- (٧) الموابذة : جمع مويذ ، وهو قاضى المحجوس ، فارسى معرب . ما عدل ل : « ونغمة المويذان » .
- (٨) الرمزة : صوت لا يستعملون فيه اللسان ولا الشفة ، وإنما يدبرونه فى حلقهم فيفهم بعضهم عن بعض ، وإنما يستعمله المحجوس عند تناول الطعام ، أو حين الاعتسال . اللسان (زيم) ومعجم استينجاس ٦٢١ .

قالوا : وَمَنْ أَحَبُّ أَنْ يَبْلُغَ فِي صِنَاعَةِ الْبَلَاغَةِ ، وَيَعْرِفَ الْغَرِيبَ ،
 وَيَتَبَحَّرَ ^(١) فِي اللُّغَةِ ، فليقرأ كتاب كارووند ^(٢) . وَمَنْ احتاج إلى العقل والأدب ،
 والعلم بالمراتب والعبّر والمثَلات ^(٣) ، والألفاظ الكريمة ، والمعاني الشريفة ، فليَنظُرْ
 ٩٣ في سير الملوك . فهذه الفرسُ ورسائلُها وخطبها ، وألفاظُها ومعانيها . وهذه يُونان
 ورسائلُها وخطبُها ، وعِللُها وحِكْمُها ؛ وهذه كُتُبُها في المنطق التي قد جعلتها
 الحكماءُ بها تعرف السَّقم من الصَّحَّة ، والخطأ من الصَّواب ؛ وهذه كُتُبُ الهنْد
 في حِكْمِها وأسرارها ، وسيِّرها وعللها . فمن قرأ هذه الكتب ، وعرف غورَ تلك
 العقول ، وغرائب تلك الحِكَم ، عرف أين البيانُ والبلاغة ، وأين تكاملت تلك
 الصَّناعة . فكيف سَقَطَ على جميع الأمم من المعروفين بتدقيق المعاني ، وتخيُّر
 الألفاظ ، وتمييز الأمور ، أن يسيروا بالقنا والعصى ، والقضبان والقسي . كلاً ،
 ولكنكم كنتم رعاةً بين الإبل والغنم ^(٤) ، فحملتم القنا في الحضْر بفضل عادتكم
 لحملها في السَّقر ، وحملتُموها في المدر بفضل عادتكم لحملها في الوبر ،
 وحملتُموها في السِّلْم بفضل عادتكم لحملها في الحرب . ولطُول اعتيادكم لمخاطبة
 الإبل ، جفا كلامكم ، وغلظت مخارجُ أصواتكم ، حتَّى كأنكم إذا كلمتم
 ١٥ الجلساء إنما تخاطبون الصَّمان ^(٥) . وإنما كان جُلُّ قتالكم بالعصى . ولذلك فخر
 الأعشى على سائر العرب فقال :

(١) ل : « ويتحر » تحريف .

(٢) كاروند ، مكون من كلمتين فارسيتين : « كار » ومعناها الصناعة ، ولا تزال هذه الكلمة
 مستعملة إلى وقتنا هذا في العامية المصرية . و « وند » بمعنى المدح والثناء .

(٣) المثلة ، بفتح الميم وضم الثاء : العقوبة والتنكيل .

(٤) ل : « رعاة الإبل والغنم » .

(٥) ما عدل : « كأنكم إنما تخاطبون الصمان إذا كلمتم الجلساء » . والصمان : جمع أصم . قال

الجليح :

• يدعو بها القوم دعاء الصمان •

لسنا نُقاتِل بالعَصِ
سِيٌّ ولا تُرامِي بالحجارة (١)
إلاَّ عُلالةٌ أو بُدا
ههَّ قارج نهد الجُزارة (٢)

وقال آخر :

فإن تمنعوا منا السِّلَاحَ فعندنا
جنادلُ أملاءٍ الأكفِّ كأنها
سلاحٌ لنا لا يُشتري بالدرهم
رُعوسُ رجالٍ حُلِّقَت بالمواسم (٣)

وقال جندل الطُّهويُّ :

حتى إذا دارت رحى لا تجرى (٤)
صاحت عصيٌ من قنأ وسيدر (٥)

وقال آخر (٦) :

دعا ابنُ مطيعٍ للبياعِ فجنَّته
فناولنِّي حَشَناءَ لَمَّا لمستها
إلى بَيْعَةٍ قَلبي لها غيرُ آليف (٧)
بِكفِّمِي لَيْست من أكَفِّ الخلائِفِ
من الشَّنَناتِ الكُزْمِ أنكرتُ مَسَّها
ولَيْست من البِيضِ الرِّقاقِ اللطائِفِ (٨)

(١) ديوان الأعشى ١١٥ .

(٢) البداهة : أول جرى الفرس . والذي بعده علالة . والقارج : الفرس في السنة الخامسة . والنهد :

المرتفع . والجزارة : البدان والرجلان والعتق . وهذا البيت من ل ، هـ .

(٣) الجنادل : جمع جندل ، وهي صخرة مثل رأس الإنسان . أملاء الأكف : تملؤها ؛ جمع ملاء .

والمواسم ، عنى بها مواسم الحج . وفي الكامل ٣٣٣ : « جلاميد أملاء » .

(٤) أراد بالرحى التي لا تجرى : رحى الحرب .

(٥) قال أبو منصور : القناة من الرماح ما كان أجوف كالقصبية . السدر : شجر النبق .

(٦) هو فضالة بن شريك الأسدي ، أحد مخضرمي الجاهلية والإسلام . وكان من خير الشعر أن

عبد الله بن الزبير كان قد ولي عبد الله بن مطيع الكوفة ، فكان ينشر الدعوة ويتقبل البيعة لابن الزبير ، حتى

إذا نهض المختار بن أبي عبيد ودعا لنفسه ، طرد عن الكوفة فيمن طرد عبد الله بن مطيع ، فقال فضالة

الشعر . وقد رواه أبو الفرج في الأغاني (١٠ : ١٦٤) برواية أبسط .

(٧) سبق هذا البيت وتاليه في (١ : ٩٤) .

(٨) الشننات : جمع شنة بسكون الشاء ، وقد حرك العين في الجمع مع أنه وصف ، وهو شاذ

إلا فيما ذهب قطرب والمبرد ، حيث يميزان الفتح في جمع الصفات . مع الموامع (١ : ٢٣) وأوضح

المسالك (جمع المؤنث السالم) . والكزيم : جمع كزيماء ، وهي القصيرة الأصابع .

معاودة حمل الهراوى لقومها فروراً إذا ما كان يوم التسايف (١)
وقال آخر (٢) :

ما للفرزدق من عزّ يلوذ به إلا بنى العمّ في أيديهم الحشْبُ (٣)

قالوا : وإنما كانت رماحكم من مُرّان (٤) ، وأستتكم من قُرون البقر ،
وكنتم تركبون الخيل في الحرب أعراء (٥) . فإن كان الفرس ذا سرّج فسرجه رحالة
من أدّم ، ولم يكن ذا ركابٍ ، والركاب من أجود آلات الطاعن برُمح ، والضارب
بسيفه . وربما قام فيهما أو اعتمد عليهما (٦) . وكان فارسُهم يطعن بالقناة
الصنّاء ، وقد علمنا أن الجوفاء أخفُ محملاً ، وأشدُّ طعنةً . ويفخرون بطول
القناة ولا يعرفون الطعن بالمطارِد (٧) ، وإنما القنا الطوال للرجال ، والقصارُ
للفرسان ، والمطارِد لصيد الوحش . ويفخرون بطول الرُمح وقصر السيف ، فلو
كان المفتخر بقصر السيف الرَّاجل دون الفارس ، لكان الفارس يفخر بطول
السيف ، وإن كان الطول في الرُمح إنما صار صواباً لأنه يُنال به البعيد ، ولا يفوته
العدوّ ، ولأن ذلك يدلُّ على شدة أسرِ الفارس وقوة أيده . فكذلك (٨) السيف
الطويل العريض .

١٥ (١) الهراوى ، بفتح الواو : جمع هراوة ، وهى العصا الضخمة . والتسايف : التضارب بالسيوف .

(٢) هو جرير . ديوانه ٤٨ . وكان بنو العم — وهم مرة بن مالك بن حنظلة ، كما فى اللسان (١٥) :
٣٢٤) — قد أعانوا الفرزدق عليه .

(٣) بعده فى الديوان :

سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم ونهر تيزرى فما تعرفكم العرب
الضاربو النخل لا تنبو منا جلهم عن العذوق ولا يعيهم الكرب ٢٠

(٤) فى اللسان (مرن) : « قال أبو عبيد : المران نبات الرماح » .

(٥) أعراء : جمع عرى ، بالضم ، وهو الذى لا سرّج عليه

(٦) أراد فى الركابين : مشى الركاب ، إذ أن الركاب لا يستعمل إلا مزدوجاً . والركاب ككتاب :

ما يضع فيه الفارس رجله .

(٧) المطارد : جمع مطرد ، بكسر الميم ، وهو رمح قصير يطرد به الوحش وغيره . ٢٥

(٨) ل : « وكذلك » .

وكنتم تتخذون للقناة زُجًا وسِنَانًا حين لم يقبص الفارسُ منكم على أصل قناته ، ويعتمد عند طعنته بفخذه ، ويستعين بحميّة فرسه .

وكان أحدكم يقبض على وسط القناة ويخلف منها مثل ما قدّم (١). فإنما طعنكم الرّزّة (٢) والنّهزة (٣) ، والخلس والزّج (٤)

وكنتم تتساندون في الحرب (٥) ، وقد أجمعوا على أنّ الشّركة رديّة في ثلاثة أشياء : في المُلْك ، والحزب ، والزّوجة .

وكنتم لا تقاتلون بالليل ، ولا تعرفون البيّات ولا الكمين (٦) ولا الميمنة ولا الميسرة ، ولا القلب ولا الجناح ، ولا الساقّة ولا الطليعة (٧) ولا التّفاضة ولا الدّراجة (٨) ، ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيّلة ولا العرّادة (٩) ، ولا المجانيق (١٠) ،

١٠ (١) ما عدا هـ ، ل : « على مثل ما تقدم » وكلمة « على » مقحمة .

(٢) الرزة : الطعنة بشيء يثبت في المطعون ، كالسكين في الحائط . ما عدل : « الدرّة » ، وليس

بشيء .

(٣) النهزة : المرة من النهز ، وهو الطعن في دفع .

(٤) الطعنة الخلس : التي يختلسها الطاعن بحذقه . والزج : الطعن في عجلة .

١٥ (٥) يقال : خرج القوم متساندين ، أى على رايات شتى ، إذا خرج كل بنى أب على راية ولم

يجتمعوا على راية واحدة وأمير واحد .

(٦) البيّات : الإيقاع بالقوم في جوف الليل وهم غارون . والكمين : القوم يكمنون للعدو

ويستخفون في مكن لا يفتن له .

(٧) ساقّة الجيش : مؤخرته ، جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه

٢٠ يحفظونه .

(٨) في حاشية هـ : « النفاضة : قوم يتقدمون أمام الملك ينقضون الطريق وينقرونها . والدراجة :

قوم يدرجون أمامه » . ل : « النفيضة » .

(٩) الرتيّلة : في حواشي هـ : « الرتيّلة : أن يقام خلف الصف صف آخر » . وأما العرّادة فهي

شبه المنجنيق صغيرة .

٢٥ (١٠) المجانيق : جمع منجنيق ، معرب من الفارسي « منجنيك » وهذه مأخوذة من اليوناني :

Maggamon ، وهى آلة ترمى بها الحجارة في القتال . ويضطرب اللغويون العرب في تأصيلها من

الفارسي . انظر المعرب للجواليقي بتحقيق العلامة أحمد شاكر ٣٠٦ ومعجم استنجاس . وقد ذكر

الأخير أنها مأخوذة عن اليوناني .

ولا الدَّبَابَات (١) ، ولا الخنَاق ، ولا الحَسَك (٢) ، ولا تعرفون الأقيبة (٣) ،
ولا السَّرَاوِيلات ، ولا تعليق السُّيُوف ، ولا الطَّبُولَ ولا البنود (٤) ولا التَّجَافِيف (٥) ،
ولا الجِوَّاشِن (٦) ، ولا الحُوْذ (٧) ، ولا السَّوَاعِدَ ولا الأَجْرَاسَ ، ولا الوَهَقَ (٨) ،
ولا الرَّمَى بالبَنَجَكَان (٩) ، والزَّرْقَ بالنَّفْطِ والنيران .

وليس لكم في الحرب صاحبٌ عَلمٌ يرجع إليه المُنْحَاز (١٠) ، ويتذكَّره
المنهزم . وقتالكم إِمَّا سَلَّةٌ وإِمَّا مَزَاحِفَةٌ (١١) . والمزاحفة على مواعد متقدِّمة ،
والسَّلَّةُ مُسَارِقَةٌ وفي طريق الاستلاب والخُلْسَة .

قالوا : والدليل على أنَّكم لم تكونوا تقاتلون قولَ العامريِّ (١٢) :

(١) الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب ، يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر
لينقبوه وتقيم ما يرمون به من فوقهم . ما غدا ل ، هـ : « الدباب » ، تحريف .

(٢) الحسك من أدوات الحرب ، ربما اتخذ من حديد وألقى حول العسكر ، وربما اتخذ من خشب
فنصب حوله ، وذلك لعرقلة سير العدو . وأصل الحسك حسك السعدان ، وهو شوكة ، ثم جعل لما
يعمل على مثاله من السلاح ، انظر اللسان (حسك) والمخصص (٣ : ٨٤) .

(٣) الأقيبة : جمع قباء ، كسحاب ، وهو ضرب من الثياب ، سمى بذلك لاجتماع أطرافه .

(٤) البند : العلم الكبير ، فارسي معرب .

(٥) جمع تجفاف ، بكسر التاء وفتحها ، وهو ماجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، يقال
فرس مجفف ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً .

(٦) الجوشن : زرد يلبسه الصدر والحيزوم .

(٧) جمع خوذة ، وهي بالضم : المغفر ، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت
القلنسوة . ولم يذكر صاحبها للسان والجمهرة « الخوذة » ، وذكرها صاحب القاموس .

(٨) الوهق : حبل شديد الفتل ، يرمى وفيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٩) البنجكان : جاء في الطبري ٧ : ٢٧ : « فقال لهم بالفارسية : صُكُّوهُمُ بالفنجان ، أى

بخمس نشابات في رمية ، بالفارسية » .

(١٠) انحاز القوم : تركوا مراكزهم ومركة قتالهم ومالوا إلى موضع آخر .

(١١) المزاحفة : أن تمشي كل ففة زحفاً ، أى مشياً رويداً ، قبل التدانن للضرب .

(١٢) هو خدش بن زهر العامري ، شاعر جاهلي ، وقيل إنه شهد حينئذ مع المشركين ثم أسلم .

الإصابة ٢٣٢٣ والأغانى (١٩ : ٧٦) وحماسة ابن الشجري ٣١ .

ياشُدَّةَ ما شددنا غيرَ كاذبِةٍ على سَخِينَةَ لولا الليلَ والمَحْرَمُ (١)

ويدلُّك على ذلك أيضاً قول عبد الحارث بن ضرار (٢) :

وعَمَّرُوْا إذْ أتاَنَا مستميتاً كسونا رأسه عَضْباً صقيلاً (٣)

فلولا اللَّيْلُ ما آبوا بشخصي يخبر أهلهم عنهم قليلاً

وقال أمية بن الأُسَكر (٤) :

ألم تَرَ أن ثعلبَةَ بن سعدٍ غضابٌ، حَبْدًا غَضَبُ الموالى

تركتُ مصرفاً لما التقينا صريعاً تحت أطراف العوالى

ولولا اللَّيْلُ لم يُفَلِتْ ضرارٌ ولا رأسُ الحمارِ أبو جُفَعالِ

قلنا : ليس فيما ذكرتم من هذه الأشعار دليلٌ على أن العرب لا تقاتل

- ١٠ بالليل . وقد يقاتل بالليل والنهار من تحول دون ماله المَدُنُ وهولُ الليل . وربما تحاجز الفريقان وإن كل واحدٍ منهم يرى البيات (٥) ، ويرى أن يقاتل إذا بيَّتوه . وهذا كثير . والدليل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل قول سعد بن مالك (٦) في قتل كعب بن مُزَيْقيا الملك العَسَّاني :

(١) البيت يقوله في وقعة حنين ، أو في حرب الفجار ، كما في الأغاني والإصابة . و « سخينة »

١٥ كناية عن قريش . وأصل السخينة دقيق يلقى على ماء أو لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر ، أو بحمى ، وكانت قريش تكثر من أكلها ، فغيرت بها حتى سماها سخينة . ومثله قول كعب بن مالك :

زعمت سخينة أن ستغلب ربهـا وليغلبن مغالب الغلاب

(٢) ما عدل : « الحارث بن ضرار » . ومن رجال العرب « الحارث بن أبي ضرار » وهذا لم

يعرف بشعر ، وهو والد جويرية زوج الرسول ﷺ ، وهو من بنى المصطلق . الإصابة ١٤٢٤ والسيرة

٢٠ ٧٢٥ ، ١٠٠٣ والاشتقاق ٢٨١ .

(٣) كساه السيف ، أى جلله به وعممه . العضب : السيف القاطع .

(٤) ما عدل ، هـ : « بن الأُسَكر » تحريف . وهو أمية بن حرثان بن الأُسَكر الليثي الكنانى .

شاعر سيد فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وعمر عمراً طويلاً . الأغاني (١٨ : ١٥٦ - ١٦٢)

والمعمرين ٦٧ - ٦٩ .

٢٥ (٥) البيات : اسم من قولهم : بيت القوم والعلو : أوقع بهم .

(٦) سعد بن مالك بن ضبيعة ، أحد شعراء العرب وفرسانهم في الجاهلية ، ولا سيما يوم =

وليلةٌ تُبجِّعُ وحميسٍ كعبٍ أتونا ، بعد ما نمنا ، ديبيا
 فلم تُهددْ لبأسهمُ ولكن ركبنا حدَّ كوكبهم رُكوبا (١)
 بضربٍ يُفلقُ الهاماتُ منه وطعنٍ يفصل الحلق الصليبا (٢)
 وقال بشرٌ بن أُمي خازم :

فأما تميمٌ تميمٌ بن مُرٍّ فالفاهمُ القومُ رويي نياما (٣)

يقول : شربوا الرائب من اللبن فسكروا منه ، وهو اللبن الذي قد (٤) أدرك
 ليمحض . يقال منه راب يروب روبا وروبا . ورؤية اللبن : خميرة تلقى فيه من
 الحامض . ورؤية الليل : ساعة منه . يقال أهرق عتا من رؤية الليل . وقال
 بعضهم : منه قول الشاعر (٥) .

* فالفاهم القوم رويي نياما *

ويقال : رويي : خُتراء الأُنفس مختلطون . ويقال شربوا من الرائب فسكروا .
 وقال عياضُ السَّيْدِيُّ (٦) :

= قضة ، وهو القائل في تحضيض الحارث بن عباد رئيس بكر :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهم فاستراحوا
 والحرب لا يبقى لصا حيا التخييل والمراح

الأغاني (٤ : ١٤٣ - ١٤٤) .

(١) لم تهدد ، أي لم تكسر . والبأس : الشدة . ماعدا ل ، ه : « فلم تهدو » تحريف . وكوكب
 الجيش : معظمه . وأنشد في اللسان :

وملمومة لا يخرق الطرف عرضها لها كوكب فخم شديد وضوحها

(٢) ما عدل : « تفلق الهامات » . والحلق : جمع حلقة ، عنى به حلق الدرع .

(٣) البيت من قصيدته في مختارات ابن الشجري ٦٩ - ٧١ . وهو في ديوانه ١٩٠ وسيبويه ١ : ٤٢ .

(٤) فيما عدل : « الذي أخرجت زبدته » . والكلام بعدها إلى « فسكروا » من ل فقط .

(٥) هو بشر بن أُمي خازم ، كما سبق قريبا .

(٦) عياض السَّيْدِيُّ : نسبة إلى السيد ، وهم بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ،

فهو ضبي أيضا . وفي معجم المرزباني . « عياض بن حنين الضبي ، جاهلي ، يقول =

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

ونحن نَجَلْنَا لابن ميلاء نحره
ويومَ بنى الدِّيَانِ نَالَ أخاهم
ومِنَّا حُمَاةُ الجَيْشِ لَيْلَةَ أَقْبَلتْ
وقال آخر :

- وعلى شُتَيْرِ رَاحَ مِنَّا رَائِحُ
يَرِدِي بِشِرْحَافِ المَعَاوِرِ بعد ما
وقال عِيَاضُ السَّيْدِي (٦) :
- لِحِمَامِ بِسْطَامِ بنِ قَيْسِ بعد ما
وقال أوس بن حجر :
- باتوا يُصِيبُ القومَ ضَيْفًا لهم
حتى إذا ما لِيْلُهُم أَظْلَمَا (٨)

- = وما الذي أدى ابن جفنة رحمه إلى الحى مجنوناً يحب ويعنى «
فهو هو . التيمورية : « عياض بن السبدي » ، ب ، ج : « عياض بن السبدي » كلاهما محرف عما أثبت
من ل .
- (١) نجله بالرح بنجله بنجلا : طعنة وأوسع شفه . وطعنة بنجلاء : واسعة . تشهق : تصوت من قوة
اندفاع الدم .
- ١٥ (٢) السى : أرض بين ذات عرق ووجرة . وهى رواية هامش هـ . وفى أصل هـ . « بالسن »
وسائر النسخ « بالسبى » .
- (٣) الهمام : الملك العظيم الهمة . ومحرق : لقب عمرو بن هند ، سمى بذلك لتحريقه بنى تميم يوم
أوراة .
- ٢٠ (٤) شتير : موضع ، كما فى اللسان (شتر) عند إنشاد هذا البيت . والرواية فيه وفى مجالس ثعلب
٥٣٩ : « يأتى قبيصة » .
- (٥) فى الأصل واللسان (شرحف) . « تردى » صوابه بالياء . والشرحاف : السريع .
والمعاور : جمع مغار ، بضم المم : مصدر ميمي من أغار . ما عدال : « بشرحاف المغادر » تحريف .
- (٦) كذا فى الأصول . والأبيات الثلاثة مقطوعة واحدة فى مجالس ثعلب .
- ٢٥ (٧) بسطام بن قيس ، سبقت ترجمته فى (١ : ٢١) . جنح الظلام : أقبل . والعظيم ، بكسر
العين واللام : عصارة يخضب بها .
- (٨) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان أوس . ل : « بصيت القوم » .

قَرَوَهُمْ شَهْبَاءَ مَلْمُوسَةً مَثَلُ حَرِيقِ النَّارِ أَوْ أَضْرَمًا (١)
 وَاللَّهِ لَوْلَا قُرْزُلٌ مَا نَجَا وَكَانَ مَثْوَى خَدِّكَ الْأَخْرَمًا (٢)
 نَجَاكَ جَيَّاشٌ هَزِيمٌ كَمَا أَحْمَيْتَ وَسَطَ الْوَبْرِ الْمَيْسِمَا (٣)

وبعد فهل قتل ذؤاب الأسدى عتية بن الحارث بن شهاب إلا في وسط الليل الأعظم ، حين تبعوهم فلحقوهم .

٩٨

وكانوا إذا اجتمعوا للحرب (٤) دخنوا بالنهار ، وأوقدوا بالليل . قال عمرو ابن كلثوم وذكر وقعة لهم :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَازٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا (٥)
 وَقَالَ نَحْمَخَامُ السَّدُوسِيُّ (٦) :
 وَإِنَّا بِالصُّلَيْبِ بِيْطَنُ فَجٍّ جَمِيعاً وَاضْعِينَ بِهِ لَطَانَا (٧)

١٠

(١) الشهباء : الكتبية التي عليها بياض الحديد . أضرم : أشد اشتعالا .
 (٢) قرزل : اسم فرس طفيل بن مالك ، كما في نسب الخيل لابن الكلبي ٢٦ وأسماء خيل العرب لابن الأعرابي ٧٥ . والبيت في الموضع الأول واللسان (خرم) برواية : « إذ نجا لكان » . ورواية اللسان تخرج على جعل « ما » مصدرية ، وفي قرزل يقول سلمة بن الخرشب لعامر بن الطفيل :
 فإنيك يا عام ابن فارس قرزل معيد على قيل الحنا والهواجر
 يا عام ، أى يا عامر . المفضليات (١ : ٣٦) . والأخرم : أكرم الكنف ، أى رأسها .
 (٣) الجياش : المتدفق في الجرى . والهزيم : الشديد الصوت . والميسم : ما يوسم به البعير ونحوه .
 (٤) ما عدل : « اجتمعوا للحرب » .

١٥

(٥) ما عدل ، ه : « في خزازى » وهما روايتان . والبيت في معلقته .
 (٦) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٢١٢ في رجال بني سدوس ، قال : « ومنهم الخمخام وكان من فرسانهم ، وكان ذا بنى فسمى بذلك لأنه يتخمخم في كلامه ، كأنه يجئن نفسه » . وفي حواشى الاشتقاق : « الخمخام بن حملة ، الاسم الأول بمحاءين معجمتين ، وحملة بمحاء غير معجمة بفتحتين ، واسمه الحارث . وهو شاعر فارس ، وسمى الخمخام لأنه كان يتخمخم على الناس يجئن نفسه على كل أسير حتى يفكه . وكان ظلوماً ، ويقول : أنا جار كل من طلعت عليه الشمس » . وفي اللسان (خمم) :
 « والخمخام : رجل من بني سدوس ، سمي بالخمخمة » .

٢٠

٢٥

(٧) الصليب ، بيهة التصغير : جبل عند كاظمة كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبني عمرو بن تميم . وأنشد ياقوت البيت في معجم البلدان منسوباً إلى الأعشى ، ورواية : « ويطن فلج » .

تُدخُنُ بالنهار لِيصِرُونَا وَلَا نَحْفَى عَلَى أَحَدٍ أَتَانَا
وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : « وَلَا يَعْرِفُونَ الْكَمِينَ » فَقَدْ قَالَ أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَتِ (١) :
وَأَحْرَزْنَا الْمَعَانِمَ وَاسْتَبَحْنَا حَمِي الْأَعْدَاءِ وَاللَّهُ الْمَعِينُ
بَغَيْرِ خِلَابَةٍ وَبَغَيْرِ مَكْرٍ مَجَاهِرَةً وَلَمْ يُخْبَأُ كَمِينُ

* * *

وَأَمَّا ذِكْرُهُمُ لِلرُّكْبِ (٢) ، فَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الرُّكْبَ كَانَتْ قَدِيمَةً ، إِلَّا أَنَّ
رُكْبَ الْحَدِيدِ لَمْ تَكُنْ فِي الْعَرَبِ إِلَّا فِي أَيَّامِ الْأَزَارِقَةِ (٣) . وَكَانَتْ الْعَرَبُ لَا تُعَوِّدُ أَنْفُسَهَا
إِذَا أَرَادَتْ الرُّكُوبَ أَنْ تَضَعَ أَرْجُلَهَا فِي الرُّكْبِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَنْزُو تَنْزُوا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لَا تَخْوَرُ قُوَّةُ (٤) مَا كَانَ صَاحِبُهَا
يَنْزُو وَيَنْزِعُ » . يَقُولُ : لَا تَنْتَكِثُ قُوَّتُهُ مَا دَامَ يَنْزِعُ فِي الْقَوْسِ ، وَيَنْزُو فِي السَّرَجِ
١٠ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِرِكَابِ .

وَقَالَ عُمَرُ : « الرَّاحَةُ عُقْلَةٌ ، وَإِيَاكُمُ وَالسُّمْنَةَ فَإِنَّهَا عُقْلَةٌ (٥) » .

وَلِهَذِهِ الْعِلَّةَ قَتَلَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي ، حِينَ غَشِيَهُ الْعَدُوُّ وَأَرَادَ الرُّكُوبَ
وَلَمْ يَجِدْ مِنْ يَحْمِلُهُ . وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ قَدْ أَخْصَبُوا ،

١٥ (١) أَبُو قَيْسِ كُنِيَّتُهُ ، وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ وَالْمَشْهُورُ الرَّاجِحُ أَنَّهُ صَيْفِيُّ بْنُ الْأَسْلَتِ بْنِ عَامِرِ بْنِ جِشْمِ
ابْنِ وَائِلِ الْأَنْصَارِيِّ . وَكَانَتْ الْأَوْسُ قَدْ أَسْنَدَتْ أَمْرَهَا إِلَى أَبِي قَيْسٍ وَجَعَلْتَهُ رَئِيسًا عَلَيْهَا فَكَفَى وَسَادَ .
وَاخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهِ ، فَقِيلَ إِنَّهُ أَسْلَمَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ وَعَدَ بِالْإِسْلَامِ ، ثُمَّ سَبَقَ إِلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ يَسْلَمْ . الْإِصَابَةُ
(٧ : ١٥٧) وَالْأَغَانِي (١٥ : ١٥٤) وَابْنُ الْأَثِيرِ (١ : ٢٨٤) .

(٢) الركب ، بضمين : جمع ركاب ، وهو ما يضع فيه الفارس رجله .

٢٠ (٣) الأزارقة : جمع أزرق ، نسبة إلى نافع بن الأزرق الحنفي ، من بني حنيفة . أحد شجعان
الحوارج الذين ظهروا في العصر الأموي ، وقد تولى قتالهم المهلب بن أبي صفرة من قبل عبد الله بن
الزبير ، وهزمهم عند دولا ب الأهواز . ومات نافع بن الأزرق في تلك الهزيمة سنة ٦٥ . انتهى باختصار
من معجم الفرق الإسلامية .

(٤) ما عدل : « قوى » : جمع قوة .

(٥) عقلة ، أى تعقل صاحبها وتحمسه .

وَهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِمُقَارَبَةِ عَيْشِ الْعَجَمِ : « تَمَعَّدُوا وَاحْشَوْشُونُوا ^(١) ، واقطعوا الرُّكْبَ ، وانزوا على الخيل نزوا » . وقال : « احفوا وانتعلوا ؛ فإنكم لا تدرن متى تكون الجفلة ^(٢) » .

وكانت العرب لا تدع اتخاذ الرُّكَاب للرحل فكيف تدع الرُّكَاب للسرّج ؟ ولكنهم كانوا وإن اتَّخذوا الرُّكْبَ فإنهم كانوا لا يستعملونها إلا عندما لا بدّ منه ، كراهة أن يتكلوا على بعض ما يورثهم الاسترخاء والتفتيح ^(٣) ويضاهئوا أصحاب الترفّة والنّعمة ^(٤) . قال الأصمعيّ : قال العمريّ : كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى ^(٥) أذن فرسه اليسرى ، ثم يجمع جراميزه ويشب ^(٦) ، فكأنما خلّق على ظهر فرسه . وفعل مثل ذلك الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو يومئذ وليّ عهد هشام ، ثم أقبل على مسلمة بن هشام فقال له : أبوك يُحسِن مثل هذا ؟ فقال مسلمة : لأبي مائة عبيد يحسنون مثل هذا . فقال الناس : لم ينصفه في الجواب . وزعم رجال من مشيختنا أنه لم يقم أحد من ولد العباس بالملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسيّة .

* * *

وأما ذكروا من شأن رماح العرب فليس الأمر في ذلك على ما يتوهّمون . للرّماح طبقات : فمنها التيّزك ^(٧) ، ومنها المربوع ، ومنها الخمس ^(٨) ، ومنها التامّ ، ومنها الحطّيل وهو الذي يضطرب في يد صاحبه لإفراط طوله . فإذا أراد

(١) تمعدوا ، أى تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكانوا أهل قشف وغلظ في المعاش .

(٢) الجفلة : الانزعاج والشرد والذهاب في الأرض .

(٣) التفتيح ، من قولهم فتحه تفتيحا ، أى قهره وأذله . ما عدال : هـ : « التفتيح » ولا وجه له .

(٤) الترفّة ، بالضم : الترف والنّعمة . ما عدال ، هـ : « والشرفه » تحريف .

(٥) ل : « اليسرى » .

(٦) الجراميز : جملة البدن : الجسد والأعضاء .

(٧) التيزك : الرمح القصير ، فارسيّ معرب ، فارسيته « نيزه » . استينجاس ١٤٤٢ .

(٨) المربوع : الذي طوله أربع أذرع . والخموس : الذي طوله خمس .

الرَّجُلُ أَنْ يَخْبِرَ عَنْ شِدَّةِ أَسْرِ صَاحِبِهِ ذَكَرَهُ ، كَمَا ذَكَرَ مَتَمُّ بْنُ نُوَيْرَةَ أَخَاهُ مَالِكًا ،
فَقَالَ : « كَانَ يَخْرُجُ فِي اللَّيْلَةِ الصَّنِيرِ (١) ، عَلَيْهِ الشَّمْلَةُ الْفَلَوْتُ (٢) ، بَيْنَ
الْمَزَادَتَيْنِ التَّضُوحَيْنِ ، عَلَى الْجَمَلِ الثُّفَالِ (٣) ، مَعْتَقَلُ الرُّمَحِ الْحَظِلِ » . قَالُوا لَهُ :
وَأَبِيكَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْجَلْدُ . وَلَا يَحْمِلُ الرُّمَحَ الْحَظِلَ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّدِيدُ الْأَيْدِ (٤) ،
وَالْمُدِيلُ بِفَضْلِ قُوَّتِهِ عَلَيْهِ ، الَّذِي إِذَا رَأَاهُ الْفَارِسُ فِي تِلْكَ الْهَيْئَةِ هَابَهُ وَحَادَ عَنْهُ ،
فَإِنْ شَدَّ عَلَيْهِ كَانَ أَشَدَّ لاسْتِخْدَائِهِ لَهُ (٥) .

وَالْحَالُ الْأُخْرَى أَنْ يَخْرُجُوا فِي الطَّلَبِ بِعَقِبِ الْغَارَةِ ، فَرَبَّمَا شَدَّ عَلَى الْفَارِسِ
الْمَوْلَى فَيَفُوتُهُ بِأَنْ يَكُونَ رَمْحُهُ مَرْبُوعًا أَوْ مَخْمُوسًا ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَعْمَلُونَ التِّيَازَكَ ،
وَالنِّيَزَكَ أَقْصَرَ الرِّمَاحِ . وَإِذَا كَانَ الْفَارِسُ الْهَارِبُ يَفُوتُ الْفَارِسَ الطَّالِبَ زَجَّهَ
بِالنِّيَزِكَ ، وَرَبَّمَا هَابَ مَخَالَطَتَهُ فَيَسْتَعْمَلُ الرِّجَّحَ دُونَ الطَّعْنِ ، صَنِيعَ ذُوَابِ الْأَسَدِيِّ
بِعَتِيَّةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ (٦) :

وَأَسْمَرَ خَطْبِيًّا كَأَنَّ كُحُوبَهُ

نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرْنَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشِيرِ (٧)

وَقَالَ آخِرُ (٨) :

١٥ (١) يُقَالُ لَيْلَةُ صَنِيرٍ وَصَنِيرَةٌ : شَدِيدَةُ الْبَرْدِ . ب ، ج : « الصَّنِيرَةُ » وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ .
(٢) الشَّمْلَةُ : الْكِسَاءُ وَالْمُتَزَرُّ يَتَشَجُّ بِهِ . وَالْفَلَوْتُ : الَّتِي لَا يَنْضَمُّ طَرَفَاهَا لِصَغَرِهَا ، أَوْ الَّتِي
لَا تَثْبِتُ عَلَى صَاحِبِهَا لِئِنَّهَا أَوْ خَشُونَتِهَا . وَكَلِمَةٌ مَتَمٌّ فِي الْكَامِلِ ٧٦٣ وَالْأَعْيَانُ ١٤ : ٦٧ وَشُرُوحُ سَقَطِ
الرِّزْدِ ٥٨٧ بِرَوَايَةِ أُخْرَى .

(٣) مَزَادَةٌ نَضُوحٌ : تَنْضُحُ الْمَاءُ . وَالثُّفَالُ ، كَسْحَابٌ : الْبَطِيُّ الْعَثْقِيلُ .

٢٠ (٤) الْأَيْدِ : كَسَيْدِ الْقَوَى . وَيَصِحُّ أَنْ تَقْرَأَ « الْأَيْدِ » بِسُكُونِ الْبَاءِ وَالْإِضَافَةِ . وَالْأَيْدِ : الْقُوَّةُ

كَالْأَدِ .

(٥) الِاسْتِخْدَاءُ : الْخُضُوعُ . مَا عَدَلَ ، هـ : « لاسْتِخْدَامُهُ » تَحْرِيفٌ .

(٦) هُوَ حَاتِمُ الطَّائِي ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (قَسْب) ، وَابْنُ بَيْتٍ فِي دِيْوَانِهِ ص ١٢١ .

(٧) الْقَسْبُ : التَّمْرِ الْبَابِسُ ، وَنَوَاهُ أَصْلَبُ النُّوَى .

(٨) هُوَ عَيْبِدُ بْنُ الْأَبْرَصِ . وَابْنُ بَيْتٍ فِي دِيْوَانِهِ ٤٣ وَالْمَقَائِسُ وَاللِّسَانُ (مَخْمَس) .

هاتيك تحملنى وأبيض صارماً ومُحَرَّباً في مارينِ مخموس (١)
وقال آخر :

فولوا وأطراف الرماح عليهم قوادِرُ ، مريوعاتها وطوالها (٢)

وهم قوم الغارات فيهم كثيرة ، ويقدر كثرة الغارات أكثر فيهم الطلب . ١٠٠
والفارس ربما زاد في طول رمحه ليُخَبِرَ عن فضل قوته ؛ ويُخَبِرُ عن قصر سيفه
ليُخَبِرَ عن فضل نجدته . قال كعبُ بن مالك :

نصِلُ السُّيُوفِ إِذَا قَصُرْنَ بِحُطُونَا قُدَمَا وَتُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تُلْحَقِ
وقال آخر (٣) :

إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَصِيبَهُمْ حَدُّ الطُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا
وقال رجلٌ من بني نُمير (٤) :

وَصَلْنَا الرَّقَاقَ الْمَرْهَفَاتِ بِحُطُونَا عَلَى الْهَوْلِ حَتَّى أَمَكَّنْتُنَا الْمَضَارِبُ
وقال حميد بن ثور الهلالي :

ووصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا إِذَا ظَنَّ أَنَّ السَّيْفَ ذُو السَّيْفِ قَاصِرُ (٥)
وقال آخر :

الطاعنون في التُّحُورِ وَالْكُلَى شَزْرًا وَوَصَّالُو السُّيُوفِ بِالْحُطَى (٦)

* * *

وأما ذكروا « من اتخذ الرُّجَّ لسافلة الرُّمَحِ ، والسَّنَانُ لعاليته » فقد

(١) محرباً ، أى سناناً مذرباً محمداً . والرواية في المصادر المتقدمة : « ومدرباً » . والمارن : الصلب اللين . والمخموس : ما طوله خمس أذرع .

(٢) ما عدال : « تولوا » .

(٣) هو بشامة بن حزن النهشلي . والبيت من أبيات في الحماسة (١ : ٢٥) .

(٤) ما عدال ، هـ : « من بني نُمير » .

(٥) أى إذا ظن ذو السيف أن سيفه قاصر .

(٦) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال .

ذكروا أن رجلاً قتل أخوين في نِقاب (١) ، أحدهما بعالية الرُّمح ، والآخر بسافلته .
 وقديم في ذلك راكبٌ من قِبَل بنى مروان على قَتادة (٢) يستثبت الخير من قِبَلِهِ ،
 فأثبته له .

وقال الآخر :

٥. إنَّ لقيس عادةً تعتادها سَلَّ السيفِ وحُطِّي تزدادها
 وقد وصفوا أيضاً السيف بالطول . وقال عُمارة بن عَقيل (٣) :
 بكلِّ طويلِ السيفِ ذى خيزرانيةٍ جرىء على الأعداء معتمد الشَّطْبِ (٤)

* * *

- وجملة القول أننا لا نعرف الخطبَ إلَّا للعرب والفُرس . فأما الهندُ فإنما لهم
 ١٠١ معانٍ مدونة ، وكتبٌ مغلَّدة (٥) ، لا تضاف إلى رجلٍ معروف ، ولا إلى عالم
 موصوف ، وإنما هي كتبٌ متوارثة ، وآدابٌ على وجه الدهر سائرةٌ مذكورة .
 ولليونانيين فلسفةٌ وصناعةٌ منطقي ، وكان صاحبُ المنطقِ نفسه بكفى
 اللسان ، غيرَ موصوفٍ بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه ،
 وبخصائصه . وهم يزعمون أنَّ جالينوس (٦) كان أنطقَ الناس ، ولم يذكره

١٥ (١) أى فجأة على غير ترصد . ما عدا هـ : « أخويه » .
 (٢) قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، المترجم في (١ : ٢٤٢) .
 (٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطمي ، من شعراء الدولة العباسية .
 وكان النحويون البصريون يأخذون عنه اللغة . الأغاني (٢٠ : ١٨٣ - ١٨٨) .
 (٤) الخيزرانة : واحدة الخيزران ، وهى الرماح . والشطب من الخيل : الطويل الحسن الخلق .
 (٥) ما عدا ل ، هـ : « مجلدة » .

٢٠ (٦) كان جالينوس إمام الأطباء في عصره ، ورئيس الطبيعيين في وقته ، وكان بعد المسيح بنحو
 مائتي عام وبعد بقراط بنحو ستائة سنة . وكان يقد إلى رومة كثيراً ، لمعالجة ملكها المجنوم ، وكان يغزو
 مع ملوك رومية لتدبير الجرجى . ويفهم من تاريخه أنه دخل مصر وبلاد النوبة . وله مؤلفات شتى في
 الطب والفلسفة سردها ابن النديم والقفطي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء .

بالخطابة^(١) ، ولا بهذا الجنس من البلاغة ، وفي الفرس خطباء ، إلا أن كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم ، فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأى ، وطول خلوة^(٢) ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب ، وحكاية الثاني علم الأول ، وزيادة الثالث في علم الثاني ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخريهم . وكل شيء للعرب فإنما هو بديهية وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجمالة فكر ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام ، وإلى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بحر ، أو يحذو ببعير ، أو عند المقارعة أو المناقلة ، أو عند صراع أو في حرب ، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب ، وإلى العمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالا^(٣) ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً ، ثم لا يقيد على نفسه ، ولا يدرسه أحداً من ولده^(٤) . وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلمون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وله أقهر^(٥) ، وكل واحد في نفسه أنطق ، ومكائه من البيان أرفع ، وخطباؤهم للكلام أوجد^(٦) ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ ، ويحتاجوا إلى تدارس . وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ،

(١) لكن ذكر القفطي ٨٦ أنه « كانت له بمدينة رومية مجالس مقامية خطب فيها وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله ، وبأن به علمه » . وقال : « وكان جالينوس عالماً بطريق البرهان خطيباً . وله كتاب ناقض به الشعراء ، وكتاب في لحن العامة » .

(٢) ما عدل : « وعن اجتهاد وخلوة » .

(٣) أرسالا : أفواجا ، جمع رسل بالتحريك .

(٤) يقال درسته إياه وأدرسته أيضاً . قالوا : وقرأ ابن حيوة في الشواذ : « وبما كنتم تدرسون » بضم التاء . ويقال دارست الكتب وتدارستها وأدارستها .

(٥) كلمة « له » من ل فقط .

(٦) ما عدل . « وخطباؤهم أوجز » .

ولا تحفظ ولا طلب . وإن شيئاً هذا (١) الذى فى أيدىنا جزء منه ، كالمقدار الذى
 ١٠٢ لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب وعدد التراب ، وهو الله الذى يحيط بما
 كان ، والعالم بما سيكون .

ونحن - أبقاك الله - إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد
 والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج وما لا يزدوج ، فمعنا العلم أن
 ذلك (٢) لهم شاهد صادق من الدياتجة الكريمة ، والرؤى العجيب ، والسبك
 والنحت ، الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ، ولا أرفعهم فى البيان أن يقول مثل
 ذلك إلا فى اليسير ، والتبذ القليل (٣) .

ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التى بأيدى الناس (٤) للفرس ، أنها
 ١٠ صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة ، إذ كان (٥) مثل ابن المقفع
 وسهل بن هارون ، وأبى عبيد الله ، وعبد الحميد وغيلان ، يستطيعون (٦) أن
 يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير .

وأخرى : أنك متى أخذت بيد الشعوبى فأدخلته بلاد الأعراب الخالص ،
 ومعدن الفصاحة التامة ، ووقفته على شاعر مفلق ، أو خطيب مصنع ، علم أن
 ١٥ الذى قلت هو الحق ، وأبصر الشاهد عياناً . فهذا فرق ما بيننا وبينهم .
 فتفهم عنى ، فهمك الله ، ما أنا قائل فى هذا ، ثم أعلم أنك لم تر قوماً قط
 أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكاً ل عرضه ، ولا

(١) هذه الكلمة من ل ، ه .

(٢) ما عدل : « على أن ذلك » .

(٣) التبذ ، بالفتح : الشيء القليل . ل : « والشيء القليل » .

(٤) ما عدل : « فى أيدى الناس » .

(٥) ما عدل ، ه : « إذا كان » .

(٦) ما عدل : « وغيلان وفلان وفلان لا يستطيعون » .

أطولَ نصَباً ، ولا أقلُّ غُثْمًا من أهل هذه النُّحْلة . وقد شَفَى الصُّدُورَ منهم طولُ
جُثُومِ الحسدِ على أكبادِهِم ، وتوقَّدَ نارُ الشَّنَّانِ في قلوبِهِم ، وغلِيانُ تلكِ المِراجِلِ
الفائِرةِ ، وتسعُرُ تلكِ الثِّيرانِ المضطربة . ولو عرفوا أخلاقَ أهلِ كلِّ ملة ، وزى
أهلِ كلِّ لغَةٍ وعللَهُم (١) ، على اختلافِ شاراتِهِم (٢) وآلاتِهِم ، وشماتلِهِم
وهيئاتِهِم ، وما علَّةُ كلِّ شيءٍ من ذلك ، ولمَّ اجتلبوه (٣) ولمَّ تكلفوه لأراحوا
أنفُسَهُم ، ولخفَّتْ مؤونَتُهُم (٤) على مَنْ خالطَهُم .

والدليل على أن أخذ العصا مأخوذٌ من أصلٍ كريم ، ومعدن شريف ، ومن
المواضع التي لا يعيها إلا جاهل ، ولا يعترضُ عليها إلا مُعَايِد ، اتَّخَذَ سُلَيْمَانَ بْنِ
داودَ صلى الله عليه العصا لخطبته وموعظته ، ولمقاماته ، وطولِ صلواته ، ولطولِ
الثلاوة والانتصاب ، فجعلها لتلك الخصال جامعةً . قال الله عز وجل وقوله
الحق : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ
مِنْسَاتَهُ ﴾ (٥) فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ
الْمُهِينِ ﴿ . وَالْمِنْسَاءُ هِيَ الْعَصَا .

قال أبو طالب حين قام يُذمُّ الرجل الذي ضربَ زميلَه بالعصا (٦) فقتله
حين تخاصما في جبل وتجادبا :

أمن أجل حَبْلٍ لا أباك علوته بيمينسأة قد جاء حبلٌ وأحبلٌ (٧)

(١) كلمة « أهل » في الموضعين من ل فقط . وهي في هـ في الموضع الأول .

(٢) الشارة : الهيئة ، واللباس . ب ، ج : « إشاراتهم » التيمورية ، هـ : « إشارتهم » صوابها في ل .

(٣) ما عدا ل : « اختلقوه » ، تحريف .

(٤) ب ، ج : « وتخففت » . التيمورية : « وتخفت » .

(٥) ل : « من منساته » تحريف . على أنه قرئ : « من ساته » . والساة : العصا ، استعير اسمها

من ساة القوس وسيتها . انظر تفسير أبي حيان (٧ : ٢٦٧) .

(٦) ما عدا هـ : « بدم الرجل الذي ضربه بالعصا » ، تحريف . وانظر المحرر ٣٣٦ ونسب

فريش ١٦ .

(٧) لا أباك ، أى لا أبالك ، حذف اللام ، كما في قوله :

وقال آخر :

إذا دببت على المنسأة من كبرٍ فقد تباعد عنك اللهُو والغزل (١)

* * *

قال أبو عثمان : وإنما بدأنا بذكر سليمان صلى الله عليه لأته من أبناء العجم ، والشُعوبية إليهم أميل ، وعلى فضائلهم أحرص ، ولما أعطاهم الله أكثر وصفاً وذكراً .

وقد جمع الله لموسى بن عمران عليه السلام في عصاه من البرهانات العظام ، والعلامات العجسام ، ما عسى أن يفى ذلك بعلامات عدّة من المرسلين ، وجماعة من النبيين . قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر من عصاه (٢) : ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ .

فلذلك قال الحسن بن هانيء في شأن خصيب (٣) وأهل مصر حين اضطربوا عليه :

= وقد مات شماخ ومات مزرد وأى كريم لا أباك بخلد

وقول أبي حية :

أبالموت الذي لا بد أنى ملاق لا أباك تخوفنى
وأكثر ما يستعمل في المدح ، أى لا كافي لك غير نفسك . وقد يذكر في معرض اللزم ، كما يقال لا أم لك . والبيت لم يرد في ديوان أبي طالب مخطوط الشنقيطى بدار الكتب . وأنشده في اللسان (نسأ) برواية : « قد جر حبلك أحيل » . وبعده بأبيات :

هلم إلى حكم ابن صخرة إنه سيحكّم فيما بيننا ثم يعدل
كما كان يقضى في أمور تنوبنا فيعمد للأمر الجميل ويفصل

(١) أنشده في اللسان (نسأ) برواية : « من هرم » . « فقد تباعد منها » . وفيه : « منك » فوق « عنك » ، رواية أخرى .

(٢) ما عدال ، ه : « في عصاه » .

(٣) هو الخصيب بن عبد الحميد العجمي ثم المزارى ؛ أمير مصر . وهو دهقان من أهل المزار

شريف الآباء ، وليس بابن صاحب نهر أبي الخصيب ، ذاك عبد للمصور يقال له مرزوق وكان هذا رئيساً في أرضه ، فانتقل إلى بغداد وصار كاتب مهرويه الرازى ، ثم انتقل إلى الإمارة . =

فإن تك من فرعون فيكم بَيِّقَةٌ فَإِنَّ عصا موسى بكفّ خصيبٍ
 ألم تر أن السَّحرة لم يتكلَّفوا تغليظ الناس والتمويه عليهم إلا بالعصيّ ،
 ولا عارضهم موسى إلا بعصاه .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
 حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . ١٠٤
 فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ
 الْمُلْقِينَ . قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ
 عَظِيمٍ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ ثَلْجٌ مَاءٌ يَأْكُوبُ . فَوَقَّعَ الْحَقُّ
 وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . ألا ترى أنهم لما سحروا أعين الناس واسترهبوهم
 بالعصيّ والحبال ، لم يجعل الله للحبال من الفضيلة في إعطاء البرهان ما جعل
 للعصا ، وقدرة الله على تصريف الحبال في الوجوه ، كقدرته على تصريف العصا .

= ديوان أبي نواس ٩٧ . وقد وفد أبو نواس على الخصب في حادثة سنة - أخبار أبي نواس ٢٣٤ .
 وكان من خير هذا الشعر أن أهل مصر كانوا قد شنعوا على الخصب لزيادة في أسعارهم ، وكان على شربه
 وعنده أبو نواس ، فوثب أبو نواس وقال : دعني أيها الأمير أكلمهم . فقال : ذاك إليك . فخرج حتى
 وافى المسجد الجامع وقد تواعدوا أن يجتمعوا فيه ، فأنشد هذه الأبيات ، ويقال إنه ارتجلها على المنبر ، فلما
 سمعها من اجتمع تفرقوا فلم يبق أحد منهم ، وعاد إلى مجلس الخصب فأمر له بألف دينار . أخبار أبي
 نواس ٢٤٠ . والأبيات كما رواها ابن منظور وكما في الديوان ١٠٣ :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي	٢٠
ألا فخذوا من ناصح بنصيب	
ولا تتيبوا وثب السفاة فتحملوا	
على حد حامى الظهر غير ركوب	
فإن يك باق إفك فرعون فيكم	
فإن عصا موسى بكف خصيب	
رماكم أمير المؤمنين بحية	
أكول لحيات البلاد شروب	

ولما استنشدته الرشيد هذه الأبيات قال : ألا قلت فباقي عصا موسى بكف خصيب ؟ فقال له وهذا يا أمير
 المؤمنين أحسن ، ولكنه لم يقع لي . ٢٥

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنهَا تُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَتْهَا حَاجًّا وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ . فبارك كما ترى على تلك الشجرة ، وبارك في تلك العصا ، وإنما العصا جزء من الشجر .

وقال عز وجل : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ .

وقالت الحكماء : إنما بُنِيَ المدائن على الماء والكلا والمحتطب (١) . فجمع بقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ النَّجْمَ والشجر ، والمِلْحَ واليقطين (٢) ، والبقل والعُشب . فذكر ما يقوم على ساقٍ وما يتفَنن وما يتسطح ، وكل ذلك مرعى ، ثم قال على النَّسَقِ : ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ ، فجمع بين الشجر والماء والكلا والماعون كله ؛ لأنَّ الملح لا يكون إلا بالماء ، ولا تكون النار إلا من الشجر .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ . وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ . والمرخ والعفار (٣) ، والسَّوَّاسُ (٤) والعراجين ، وجميع عيدان النار ، وكل للزناد .

(١) سبق هذا في (٢ : ١٩٣) والحيوان (٥ : ٩٩) .

(٢) اليقطين ، بالفتح : كل شجر لا يقوم على ساق ، نحو الدباء ، والقرع والبطيخ ، والحنظل .

(٣) المرخ : شجر كثير الورى سريعه ، وهو من العضاه ينفرش ويطول في السماء ، وليس له

ورق ولا شوك . والعفار ، كسحاب : شجر مثله يتخذ منه الزناد ، وهو شجر خوار ، ولذلك جاد للزناد .

(٤) السَّوَّاسُ ، كسحاب : شجر من العضاه يقتدح به . ل : الشَّوَّاسُ تحريف .

عُودٌ يُقَدِّحُ عَلَى طُولِ الْاِحْتِكَاكِ فَهُوَ غَنِيٌّ بِنَفْسِهِ ، بِالْعِ لِّلْمُقْوَى وَغَيْرِ الْمُقْوَى (١) ١٠٥
 وَحَجَرُ الْمَرُوِّ يَحْتَاجُ إِلَى قَرَاعَةِ الْحَدِيدِ ، وَهِيَ يَحْتَاجَانِ إِلَى الْعُطْبَةِ (٢) ، ثُمَّ إِلَى
 الْحَطْبِ . وَالْعِيدَانُ هِيَ الْقَادِحَةُ ، وَهِيَ الْمُورِيَّةُ ، وَهِيَ الْحَطْبُ .
 قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ .
 وَالْمَاعُونَ : الْمَاءُ وَالنَّارُ وَالْمَلْحُ (٣) وَالْكَأُ . وَقَالَ الْأَسَدِيُّ (٤) :

وَكَأَنَّ أَرْحَلَنَا يَجُورُ مُحْصَبٌ يَلْوَى غُنَيْزَةً مِنْ مَقِيلِ التُّرْمِسِ (٥)
 فِي حَيْثُ خَالَطَتْ الْحُزَامِيَّ عَرْفَجًا يَأْتِيكَ قَابِسُ أَهْلِهَا لَمْ يُقْبَسِ (٦)
 وَإِنَّمَا وَصَفَ خِصْبَ الْوَادِي وَالدُّونَةَ عِيدَانَهُ ، وَرَطْوِيَّةَ الْوَرَقِ . وَهَذَا
 خِلَافَ قَوْلِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ هِنْدَ (٧) :

فَإِنَّ السَّنَانَ يَرْكَبُ الْمَرْءُ حَدَّهُ مِنْ الْعَارِ أَوْ يَعْدُو عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ (٨)
 وَأَنَّ الَّذِي يَنْهَاكُمْ عَنْ طِلَابِهَا يِنَاغِي نِسَاءَ الْحَيِّ فِي طَرَّةِ الْبُرْدِ (٩)
 يُعَلِّلُ وَالْأَيَّامُ تَنْقُصُ عَمْرَهُ كَمَا تَنْقُصُ التِّيْرَانُ مِنْ طَرَفِ الرَّيْدِ

* * *

- (١) المقوى : المسافر ينزل بالأرض القي ، بكسر القاف ، وهي القفر .
 (٢) العطبة : القطعة من العطب ، بضمين وبضمة واحدة ، وهي القطن .
 (٣) كلمة : « والملح » من ل ، ه فقط .
 (٤) وهذه النسبة أيضاً في الحيوان (٣ : ١٢١) . لكن نسبه في (٤ : ٤٦٥) إلى المرار بن منقذ .
 (٥) ما عدل ل ، ه : « بأرض محصب » . وفي المخصص (١٠ : ١٣٣) : « بجو محصب »
 والجو : ما انخفض من الأرض . وغنيزة : موضع بين مكة والبصرة . والترمس : ماء لبني أسد . وفي
 المخصص : « من مفيض الترمس » .
 (٦) البيت في المخصص (١٠ : ١٧٦ / ١١ : ٣٢) .
 (٧) في الحيوان (٣ : ٤٨ ، ٤٧٩) : « عمرو بن هند » وفي (٦ : ٥٠٢) : « عبد هند » .
 وفيما عدل هتا : « وهذا خلاف قوله » فقط .
 (٨) من العار ، أي من خشية العار ، فالحر يذود عن حوضه بالسلاح ويقتحم الأخطار . والورد :
 ما لونه الوردة ، وهي الحمرة الضاربة إلى الصفرة .
 (٩) يناغى : يغازل . وطرة الثوب : شبه علمين يخاطان بجانبَي البرد على حاشيته . وفي هامش
 ه : « شبة الأرض إذا اكتسبت بالنور في الخصب بطرة البرد » .

١٥

٢٠

٢٥

وذكر الله عز وجل النخلة فجعلها شجرة ، فقال : ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

وذكر رسول الله ﷺ حرمة الحرم فقال : « لا يُخْتَلَى خِلَاهَا ، ولا يُعْضَدُ شَجَرُهَا » .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ .

وتقول العرب : ليس شيءٌ أدفاً من شجرٍ ، ولا أظلاً من شجرٍ (١) .

ولم يكلم الله موسى إلا من شجرة ، وجعل أكبر آياته في عصاه ، وهي من الشجر . ولم يمتحن الله جل وعز صبر آدم وحواء ، وهما أصل هذا الخلق وأوله ، إلا بشجرة . ولذلك قال : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾

وجعل بيعة الرضوان (٢) تحت شجرة . وقال : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْبِغٍ لِلآكِلِينَ ﴾ .

وسدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى شجرة .

وشجرة سُرُّ تحتها سبعون نبياً لا تُعْبَلُ ولا تُسْرَفُ (٣) .

وحين اجتهد إبليس في الاحتيال لآدم وحواء صلى الله عليهما ، لم يصرف

١٥ (١) ما عدال ، هـ : « شجرة » في الموضعين .

(٢) كانت بيعة الرضوان في السنة السادسة من الهجرة ، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا ، وكان رسوله إلى قريش عثمان بن عفان ، فاحتبسته قريش عندها ، وبلغ رسول الله أنه قد قتل ، فقال : لا نرح حتى نناجز القوم ، ودعا إلى البيعة وكانت تحت شجرة جلس رسول الله في أصلها ، فبايعه الناس على الموت ، فلما علمت قريش بذلك أرسلوا في طلب الهدنة فكان من ذلك صلح الحديبية . السيرة ٧٤٦ - ٧٥٢ . وكان الناس يأتون تلك الشجرة من بعد يصلون عندها فبلغ عمر فأمر بقطعها . تفسير أبي حيان (٨ : ٩٦) .

(٣) سر الصبي يسره : قطع سرره ، بالتحريك . وما بقى فهو السرة . لا تُعْبَلُ ، أى لا يسقط ورقها . وسرفت الشجرة . أصابها السرفة ، وهي دوية تنسج على بعض الشجر وتأكل ورقه وتملك ما بقى منه بذلك النسج . والحديث يتامه في اللسان (عبل ، سرف) : أن ابن عمر رضى الله عنه قال لرجل : إذا أتيت منى فانتهيت إلى موضع كذا وكذا فإن هناك سرحة لم تعبل ولم تجرد ولم تسرف ، سُرُّ تحتها سبعون نبيا ، فانزل تحتها .

الحيلة إلا إلى الشجرة ، وقال : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ . ١٠٦
 وفيما يُضرب بالأمثال من العصي قالوا : قال جميل بن بَصْبَهْرِي (١) حين
 شكَا إليه الدهاقين (٢) شَرَّ الْحَجَّاجِ . قال : أخبروني أين مولده ؟ قالوا :
 الحجاز . قال : ضعيف مُعجَب . قال : فمنشؤه ؟ قالوا : الشام . قال : ذلك شرٌّ .
 ثم قال : ما أحسن حالكم إن لم تُبْتَلُوا معه بكاتبٍ منكم ، يعنى من أهل بابل .
 فابتلوا بزادان فروخ الأعرور (٣) . ثم ضَرَبَ لهم مثلاً فقال : إن فأساً ليس فيها عودٌ ألقىت
 بين الشجر (٤) ، فقال بعضُ الشجر لبعض : ما ألقىت هذه (٥) ها هنا لخير . قال :
 فقالت شجرةٌ عاديةٌ (٦) : إن لم يدخل في است هذه (٥) عودٌ منكن فلا تحفنها .
 وقال يزيد بن مفرغ (٧) :

١٠ (١) هذه الكلمة مهملة في الأصل ، ونقطها وضبطها مما سبق في (٢ : ٢٦٣) . ما عدل :
 « يصبري » . وضبطت في هـ . بتشديد الراء المفتوحة .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، بالكسر ، وهو زعيم فلاحى المعجم ، فارسى معرب ، فارسيتة
 « دهكان » .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٣٣٥) .

١٥ (٤) الفأس مؤنثة . ما عدل : « ليس فيه عود ألقى بين الشجر » ، تحريف .

(٥) ما عدل : « هذا » تحريف .

(٦) عادية ، قديمة ، كأنها منسوبة إلى عاد .

(٧) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى ، من شعراء الدولة الأموية . لما ولى سعيد بن عثمان بن
 عفان خراسان ، استصحب يزيد فأبى عليه وأثر صحبة عباد بن زياد ، وكان من ذلك أيضاً منافسة بين
 عباد بن زياد وأخيه عبید الله بن زياد ، ولكن عباداً لم يرق من بعد في عينى يزيد فرأى أن يهاجره ، وكان
 ليزيد قينة تسمى الأراكة ، وغلّام يدعى بردا ، فطلب إليه عباد أن يبيعه إياهما ، ثم ضربه حتى أخذهما
 منه ، فقال يزيد في ذلك :

شريت برداً ولو ملكت صفقته
 لولا الدعى ولولا ما تعرض لى
 يا برد ما مسناً برد أضربنا
 أما الأراك فكانت من مخارفتنا
 لما تطلبت في بيع له رشدا
 من الحوادث ما فارقتة أبدا
 من قبل هذا ولا بعنا له ولدا
 عيشا لذيدا وكانت جنة رغدا

وقال أيضاً :

وشريت بردا ليتنى
 من بعد برد كنت هامه

وهو من قصيدة البيت التالى . الأغاني (١٧ : ٥١ - ٥٥) وأمالى الزجاجى ٤١ - ٤٣ .

العبدُ يُقرع بالعصا والحرُّ تكفيه الملامه
وقال : أخذه من الفلتان الفهمي^(١) ، حيث قال :

العبد يُقرع بالعصا والحرُّ تكفيه الإشارة
وقال مالك بن الرِّيب^(٢) :

العبدُ يُقرعُ بالعصا والحرُّ يكفيه الوعيدُ

وقال بشر بن بُرد :

الحرُّ يُلحَى والعصا للعبدِ وليس للمُلاحِفِ مثلُ الردِّ

وقال آخر^(٣) :

فاحتلتُ حين صرمتيني والمرء يعجزُ لا المحاله^(٤)

والدَّهر يلعب بالفتى والدَّهر أروغ من نُعاله^(٥)

والمرءُ يكسِبُ ماله بالشُّعْ يورثه الكلاله^(٦)

والعبد يُقرع بالعصا والحرُّ تكفيه مقاله

* * *

١٥ (١) كذا في جميع النسخ ، وصوابه « الصلتان الفهمي » ، كما أسلفت في تحقيق الحيوان (٥) :

(٦٢) .

(٢) كان مالك بن الريب معاصرا ليزيد بن مفرغ ، وكان لصا يقطع الطريق مع شظاظ الضبي الذي يضرب به المثل ، فلما كان سعيد بن عثمان بن عفان في طريقه إلى خراسان حين ولاء معاوية ، مر بمالك بن الريب فاستصحبه واستتابه وأجرى عليه خمسمائة دينار في كل شهر ، فكان معه حتى قتل بخراسان . الخزانة (١ : ٣٢١) والأمال (٣ : ١٣٥) .

٢٠

(٣) هو أبو دُوَاد ، يعاتب امرأته في سماحته بماله . اللسان (حول ١٩٧) . لكن البيت الأخير من هذه المقطوعة لم يروه ابن منظور ، بل روى الثلاثة الأولى فقط .

(٤) في اللسان وما عدل : « حاولت » . والمخاله : الحيلة . ما عدل : « لا محالة » ، تحريف يفسد معه المعنى .

٢٥

(٥) ثعالة : علم جنس للثعلب . وهو معروف بالمراوغة .

(٦) الكلاله هم من الأقارب ما خلا الوالد والولد ، سموا كلاله لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب

فالأقرب .

ومّا يدخل في باب الانتفاع بالعصا أنّ عامر بن الظرب العدواني^(١) ١٠٧
حكّم العرب في الجاهلية ، لما أسنّ واعتراه التسيان ، أمر ابنته أن تقرع بالعصا إذا
هو فة عن الحكم^(٢) ، وجاز عن القصد ، وكانت من حكيّات بنات العرب
حتى جاوزت في ذلك مقدار صُحْر بنت لقمان^(٣) ، وهند بنت الحُسن ،
وجُمعة بنت حابس بن مُليل الإياديّين^(٤) .

وكان يقال لعامر : ذو الحلم ، ولذلك قال الحارث بن وعله^(٥) :

وزعمتم أنّ لا حلوم لنا إنَّ العصا قرعت لذي الحلم

وقال المتلمس في ذلك^(٦) :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا وما علّم الإنسان إلا ليعلما

وقال الفرزدق بن غالب :

(١) ترجم في (١ : ٢٦٤) . والخبر إلى كلمة « من القتل » في الأغاني (٢ : ١٣٤) .

(٢) فه عن الشيء بفتح فها : نسيه .

(٣) صحر ، بضم الصاد وسكون الحاء ، كما في القاموس (صحر) . وفي الأصول : « صخرة »

تحريف . وفي هـ : « صخرة » . ومما يسجل أنها « صحر » قول خفاف بن ندبة :

وعياش يدب لي المنايا وما أذنت لإذنب صحر

وكذا قول عروة بن أذينة ، وقد روى البيتان في الحيوان (١ : ٢٢) :

أتجمع تهما بليلى إذا نأت وهجرانها ظلماً كما ظلمت صحر

(٤) هذا بالنظر إلى أبيهما ، وإلا فهما إياديتان .

(٥) هو الحارث بن وعله بن عبد الله الجرهمي ، كان هو وأبوه وعله من فرسان قضاة وأنجادها

وشعرائها ، وشهد أبوه يوم الكلاب الثاني فأقلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المنقرى . الأغاني (١٩) :

(١٤٢ - ١٤١) .

(٦) كلمة « في ذلك » من ل ، هـ . والمتلمس : أحد شعراء الجاهلية ، وهو خال طرفة بن العبد ،

وكان بنادمان عمرو بن هند ملك الحيرة ، فلما هجراه حاول الانتقام منهما كما تروى الأساطير ، فكتب

لهما كتابين إلى عامل البحرين بأمره بقتلهما ، وأوهمهما أنه أمر لهما بصلة ، حتى إذا كانا ببعض الطريق

عرف المتلمس ما في الصحيفة فقذف بها في نهر الحيرة ، وذهب طرفة إلى العامل فقتل هناك . الأغاني

(٢١ : ١٢٠) ، والخزاعة (٣ : ٧٣) ومعاهد التنصيص (١ : ١٠) وسرح العيون ٢٧ .

فإن كنتُ أستاذني حلومَ مُجاشعٍ فإن العِصا كانت لذي الحلم تفرعُ^(١)

ومن ذلك حديثُ سعد بن مالك^(٢) بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، واعتزأُ الملك على قتل أخيه^(٣) إن هو لم يُصِبْ ضميره ، فقال له سعد : أبيت اللعن أتدعني حتى أفرعَ بهذه العِصا أختها ؟ فقال له الملك : وما علمُ بما تقول العِصا ؟ ففرع بها مرةً وأشار بها مرةً ، ثم رفعها ثم وضعها ، ففهم المعنى فأخبره ونجا من القتل .

وذكر العِصا يجرى عندهم في معانٍ كثيرة . تقول العرب : « العِصا من العِصية^(٤) ، والأفعى بنت حية » ، تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير .

- ١٠ ويقال : « طارت عِصا فلانٍ شِقْقاً » . وقال الأسدَى :
- عِصِي الشَّمْل من أَسَدٍ أراها قد انصدعت كما انصدع الزجاجُ
- ويقال : « فلانٌ شقَّ عِصا المسلمين » ، ولا يقال شق ثوباً ولا غير ذلك مما

(١) البيت من قصيدة له في ديوانه ٥٠٣ يعتب فيها على قومه . والرواية فيه : « وإن أعف استبقى » . أستاذني : أنتظر وأترىص ولا أتعجل . ما عدال ، هـ : « أنسأني حلوم مجاشع » تحريف .
 (٢) ما عدال ، هـ : « سعيد بن مالك » تحريف . وسعد هذا والد جد طرفه بن العبد بن سفيان ابن سعد بن مالك ، أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية وشعرائها . المؤلف ١٣٥ . وهو صاحب المقطوعة الحماسية التي أوالها :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهاط فاستراحوا

وانظر ما سبق في ص ١٩ .

(٣) أخوه هذا هو عمرو بن مالك . وكان النعمان قد أرسله رائداً للكلا فأبطأ عليه فأغضبه ذلك فأقسم إن جاء حامداً أو ذاماً ليقلته ، فاحتال أخوه سعد في إنقاذه بقرع العِصا ، في قصة مسهبة يرويها أبو الفرج في الأغاني (٢١ : ١٢٤) .

(٤) يعنون أن الشيء الجليل إنما يكون في بدنه صغيراً ، وذلك كما يقولون : « القرم من الأفيال » وقيل إن « العِصية » فرس ، هي أم « العِصا » فرس جذية .

يقع عليه اسم الشق . وقال العتاني (١) في مدح بعض الخلفاء (٢) : ١٠٨

إمامٌ له كَفٌّ يضمُّ بنانها عصا الدِّينِ ممنوعاً من البرِّي عودُها
وعينٌ محيطٌ بالبرية طرفُها سَوَاءٌ عليه قُرْبُها وَبَعِيدُها
وقال مُضَرِّسُ الأَسَدِي (٣) :

فألقت عصا التَّسيارِ عنها وخبِمتُ بأرجاءِ عذبِ الماءِ بيضَ محافره
وقال أيضاً (٤) :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

ويقال لبنى أسد : « عبيد العصا » يُعنى أنهم كانوا ينقادون لكل من
حالفوا من الرؤساء . وقال بشر بن أبي خازم (٥) :

عبيد العصا لم يتفوك بدمية سوى سيب سَعْدِي إنَّ سيبك واسعُ (٦)
وتسمّى العربُ كلَّ صغيرِ الرَّأسِ : « رأسَ العصا » .

(١) هو كلثوم بن عمرو العتاني ، المترجم في (١ : ٢٣١) .

(٢) هو الخليفة هارون الرشيد ، كما في معجم المرزباني ٣٥٢ . وبعد البيتين :

وأصمغ يقظان يبيت مناجياً له في الحشا مستودعات يكيدها
وسمع إذا ناداه من قعر كربة مناد كفته دعوة لا يعيدها

١٥

(٣) هو مضر بن ربيعي بن لقيط الأَسَدِي ، شاعر محسن متمكن ، كان معاصراً للفرزدق .

المؤلف ١٩١ ومعجم المرزباني ٣٩٠ . والبيت في اللسان (عصا) بدون نسبة .

(٤) لمقر بن حمار ، أو عبد ربه السلمي ، أو سليم بن نامة الحنفي . اللسان (عصا) .

(٥) يقوله لأوس بن حارثة . وكان بشر قد حُمل حملاً على هجاء أوس ، وجعلت له في ذلك

جمالة ، فهجاه بقصائد خمس ، ثم وقع بشر في الأسر وظفر به أوس بعد أن أعطى من أسروه مائتي بعير ،
وأوقد له ناراً ليحرقه ، فبلغ ذلك أم أوس - وهي سعدى بنت حصن - فأذنته أن يخلّي سبيله ويصفح
عنه خوف الهجاء ، فمفا عنه وكساه وحمله وأمر له بمائة ناقة ، فكان ذلك سبباً في أن يغسل بشر هجاء
أوس بخمس قصائد في مدحه . انظر مختارات ابن الشجري ٦٥ - ٨٣ . والبيت التالى من أبيات المدح ،
وهي كذلك في هجو بنى أسد . وبنو أسد هم قوم بشر بن أبي خازم الأَسَدِي ، فكانه يتقرب إلى أوس
بهجائه عشيرته وقومه .

٢٥

(٦) سعدى ، بنت حصن ، وهي أم أوس . والسبب : العطاء والعرف والنافلة . ورواية ثمار

القلوب ٥٠٤ : « سوى أنهم يخل وفضلك واسع » . وانظر الحيوان (٥ : ٢٩٣) .

وكان عمرُ بن هُبَيْرَةَ ^(١) صغيرَ الرَّأسِ ، فقال سُويدُ بن الحارث ^(٢) .
 مَن مُبْلِغُ رَأْسِ العِصَا أَن يَبِينَا ضِعَاثَنَ لَا تُنْسَى وَإِن قَدُمَ الدَّهْرُ
 وقال آخر :

فمن مبلغ رأس العصا أن بيننا ضِعَاثَنَ لَا تُنْسَى وَإِن قِيلَ سُلِّتْ
 رَضِيَتْ لِقَيْسٍ بِالْقَلِيلِ وَلَمْ تَكُنْ أَخَا رَاضِيًا لَوْ أَن نَعْلَكَ زَلَّتْ ^(٣) .
 وكان والبة صغير الرأس ^(٤) ، فقال أبو العتاهية في رأس والبة ورعوس قومه :
 رَعُوسٍ عِصِيٍّ كُنَّ مِنْ عَوْدٍ أَثْلَةٍ لَهَا قَادِحٌ يَبْرِى وَأَخْرَ مُخْرِبٌ ^(٥)

* * *

والدليل على أنهم كانوا يتخذون المخاصِرَ في مجالسهم كما يتخذون القنا
 ١٠. وَالْقَيْسَى فِي المَحَافِلِ ، قَوْلُ الشَّاعِرِ فِي بَعْضِ الخَلْفَاءِ ^(٦) :
 ١٠٩ فِي كَفِّهِ خَيْرَانٌ رِيحُهُ عَيْقٌ مِنْ كَفِّ أَرُوعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ ^(٧)

(١) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى بن فزارة ، ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين ، وكان يكنى أبا المثني ، وفيه يقول الفرزدق مخاطباً يزيد :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أخذ يد القميص
 ١٥ تفنق بالعراق أبو المثني وعلم قومه أكل الخبيص
 وأولاده : يزيد ، وسفيان ، وعبد الواحد . المعارف ١٨٩ .

(٢) كلمة « بن الحارث » من ل ، ه .

(٣) يقول : لو زلت نعلك لوجدت من قيس من العون ما لا ترضى لهم معه إلا الكثير .

(٤) ما عدل ، ه : « حقيِر الرأس » . ووالبة هذا هو والبة بن الحباب الأسدَى ، من شعراء

٢٠ الدولة العباسية ، وهو أستاذ أنى نواس . وكان شاعراً ظريفاً غزلاً ، وصافياً للشرب والغلمان . وقد هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً وفضحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب وخجل ذكره بعد . الأغاني (١٦) :
 (١٤٢) .

(٥) القادح : أكال يقع في الشجر والأستنان . ما عدل : « يفرى » . محرب ، من الإخراب .

ما عدل : « محرب » تحريف .

٢٥ (٦) انظر ما سبق من التحقيق في (١ : ٣٧٠) .

(٧) في (١ : ٣٧٠) : « بكف أروع » وفي الحيوان (٣ : ١٣٣) : « في كف أروع » .

يُغْضِي حَيَاءً وَيَغْضَى مِنْ جَلَالَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ
وقال الآخر :

مجالسهم خَفَضَ الحديث وقولهم إذا ما قَضَوْا فِي الأمرِ وَخَى المَخَاصِرِ
وقال الآخر :

يُصِيبُونَ فَصَلَ القَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ (١)

* * *

وحدَّثني بعضُ أصحابنا قال : كُنَّا منقَطِعِينَ إلى رَجُلٍ من كبارِ أهلِ
العسكرِ ، وكان لُبْنَا يطولُ عنده ، فقال له بعضُنَا : إن رأيتَ أن تجعلَ لنا أَمَارَةً
إذا ظَهَرْتَ لنا خَفَفْنَا عنكَ (٢) ولم تُتَعِبِكَ بالِقعودِ ، فقد قال أصحابُ معاويةَ
لمعاويةَ مثلُ الذي قُلْنَا لك فقال : أَمَارَةٌ ذلكُ أن أقولَ : إذا شئتم . وقيلَ ليزيدَ مثلُ
ذلك فقال : إذا قلتُ على بركةِ الله . وقيلَ لعبدِ الملكِ مثلُ ذلك فقال : إذا
ألقيتَ الخيزرانةَ من يدي . فأىُّ شيءٍ تجعلُ لنا أصلحك اللهُ ؟ قال : إذا قلتُ :
يا غلامُ العَدَاءِ .

وفي الحديث : أن رجلاً أَلَحَّ على النبي ﷺ في طلبِ بعضِ المَعْنَمِ وفي
يده مَخَصْرَةٌ ، فدفعه بها ، فقال يارسولَ الله : أَقْصَنِي . فلما كشفَ النبي له عن
بطنه احتضنه فقبَّلَ بطنه .

وفي تثبيتِ شأنِ العصا وتعظيمِ أمرها ، والطَّعْنِ على مَنْ ذَمَّ حَامِلَهَا ؛ قالوا :
كانت لعبدِ الله بنِ مسعودِ عشرُ خصالٍ : أوْها السُّودَ ، وهو يبرارُ النبي ﷺ .
فقال له النبي : « إذْ نَكَ عَلَيَّ أن يُرْفَعَ الحِجَابُ ، وتسمعُ سيوَادِي » . وكان معه
مسواكُ النبي ﷺ ، وكانت معه عصاه .

(١) البيت ملفق من صدر وعجز لبيتين ، سلفا لصفوان الأنصاري (١ : ٢٦ ، ٢٥ ، ٩ ، ١٢) .

(٢) ما عدل ، هـ : « حفظنا » مع إسقاط الكلمة بعدها . وكلمة « عنك » من ل .

قال : ودخل عُمَيْرُ بن سعد ^(١) على عمر بن الخطاب ، حين رجع إليه من عمل حمص ، وليس معه إلا جرابٌ وإداوةٌ وقَصْعَةٌ وعَصَا ^(٢) ، فقال له عمر : ما الذى أرى بك ، من سوء الحال أو تصنُّع ؟ قال : وما الذى ترى بي ^(٣) ، ألسْتُ صحيحَ البدن ، معى الدُّنيا بخذافيرها ؟ قال : وما معك من الدنيا . قال : معى جرابى أحمل فيه زادى ، ومعى قَصْعَتى أغسل فيها ثوبى ، ومعى إداوتى أحمل فيها ماءً لشرابى ، ومعى عصاى إن لقيتُ عدواً قاتلتُه ، وإن لقيت حيةً قاتلتُها ، وما بقى من الدنيا فهو تبعٌ لما معى ^(٤) .

وقال الهيثم بنُ عدى ، عن شرقى بن القُطامى وسأله سائلٌ عن قول

الشاعر :

١٠ لا تَعْدِلَنَّ أَتَاوِيْنَ تَضْرِبُهُمْ نَكْبَاءُ صَبْرٌ بِأَصْحَابِ الْمُجَلَّاتِ ^(٥)

قال : والمُجَلَّاتُ : الدلو ، والمِقدَحَةُ ، والقِربة ، والفأس . قال : فأين أنت عن العصا ؟ والصفنٌ خير من الدلو وأجمع ^(٦) .

(١) ما عدال : هـ : « عمر بن سعد » ، تحريف . وهو عمير بن سعيد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن عوف . وكان عمر بن الخطاب يسميه « نسيج وحده » لإعجابه به . شهد فتوح الشام ، واستعمله عمر على حمص إلى أن مات ، وكان من الزهاد العُباد . الإصابة ٦٩٣١ وصفة الصفوة (١) : ١٥ - ٢٩١ - ٢٩٣) .

(٢) التيمورية : « وعصاه » بالإضافة . ب ، ج : « وعصاة » تحريف .

(٣) ما عدال : « ترانى » تحريف .

(٤) الخبر بتفصيل فى صفة الصفوة (١ : ٢٩١ - ٢٩٢) .

٢٠ (٥) الأتواى ، بفتح الهمة : الغريب فى غير وطنه . والنكباء : كل ريح من الرياح الأربع وقعت بين ريحين ، وهى تهلك المال وتحبس القطر . والصر : الشديدة البرد . والمجلات كما فى المخصص (١٣ : ٢٢٥) هى القدر ، والرحى ، والدلو ، والشفرة ، والفأس . وفى الحيوان (٥ : ٩٧) أنها القداحة والقربة والمسحاة . وقد نقص الجاحظ عن البيان هنا : الدلو . وفى اللسان (حلل) أنها القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند . وانظر اللسان (حلل ، أتو) ، والمقاييس (١ : ٥٢) ، ومحاضرات الراغب (٢ : ١٦١) .

٢٥

(٦) الصفن ، بضم الصاد وفتحها : وعاء من آدم كالسفرة لأهل البادية يجعلون فيها زادهم ، وربما استقوا به الماء كالدلو .

وقال النمر بن تولب :

أفرغتُ في حوضها صُفْنِي لتشرِبَه في دائرِ خَلْقِ الأَعْضَادِ أَهْدَامِ (١)

* * *

وأما العصا فلو شئتُ أن أشغَلَ مجلسي كله بخصالها لفعلت .

وتقول العرب في مديح الرجل الجَلْد ، الذي لا يُفْتَات عليه بالرأى :
« ذلك الفحل لا يُقَرَعُ أنفه (٢) ». وهذا كلام يقال للمخاطب إذا كان على هذه
الصُفْة ، لأنَّ الفحل اللئيم إذا أراد الضَّرَابَ ضربوا أنفه بالعصا .

وقد قال أبو سُفْيَانُ بنُ حَرْبِ بنِ أميَّة ، عندما بلغه من تزوُّجِ النَّبِيِّ ﷺ
بأمِّ حَبِيْبَةَ (٣) ، وقيل له : مثلك تُنكح نساؤه بغير إذنه !؟ فقال : « ذلك الفحل
لا يُقَرَعُ أنفه » .

والحمار الفاره يفسده السُّوط (٤) وتصلحه المِقرعة . وأنشد لسلامة بن

جندل :

(١) يروى نظيره ، وكأنه هو ، لأبي دواد في اللسان (صفن) :

هرقت في حوضه صفنا ليشربه في دائر خلق الأعضاء أهدام

(٢) يقرع ، بالراء ، أى يضرب ، ويروى بالبدال أيضا ، بمعناه . انظر اللسان (قذع ، قرع)
حيث أورد قول ورقة بن نوفل : « محمد يحطب خديجة ، هو الفحل لا يقذع أنفه » ، و « لا يقرع أنفه » .

(٣) هى أم حبيبة بنت أوى سفیان بن حرب ، القرشية الأموية ، زوج رسول الله واسمها
« رملة » . ويروون أن الذى عقد عليها لرسول الله هو النجاشى ، بعد أن خطب خطبة قال فيها : « أما
بعد فإن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة ، فأجبت ، وقد أصدقها عنه أربعمئة دينار » ، ثم
سكب الدنانير ، فخطب خالد بن الوليد فقال : « قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وزوجته أم
حبيبة » . وقبض الدنانير ، وعمل لهم النجاشى طعاما . وقيل أن الذى عقد عليها لرسول الله هو عثمان بن
عفان . وكان ذلك قبل إسلام أيها وبغير إذنه . الإصابة ٤٣٢ من قسم النساء .

(٤) في جميع الأصول : « الصوت » .

إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَرِغَ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَائِبِ (١)

وقال الحجاج : « والله لأعصبتكم عصبَ السَّلْمَةِ ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل (٢) . وذلك أن الأشجار تُعصَبُ أغصانها ، ثم تخبط بالعصَى لسقوط الورق وهشيم العيدان .

- ٥ ودخل أبو مجلز (٣) على قتيبة (٤) بخراسان ، وهو يضرب رجلاً بالعصَى فقال : أَيُّهَا الأمير ، إِنَّ الله قد جعل لكل شيء قَدْرًا ، ووقَّت فيه وقتًا ، فالعصا للأنعام والبهايم العظام (٥) ، والسُّوط للحدود والتعزيز ، والدَّرَّة للآدب (٦) ، والسِّيف لقتال العدوِّ والقَوْد .

- ثم قال الشَّرْقِيُّ : ولكن دُعْنَا من هذا ؛ خرجتُ من الموصل وأنا أريد الرِّقَّةَ مستخفياً ، وأنا شابُّ خفيف الحاذِ (٧) ، فصحبني من أهل الجزيرة فتى ما رأيتُ بعده مثله (٨) ، فذكر أنه تغلبى (٩) ، من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مزود وركوة وعصاً (١٠) ، فرأيتُه لا يفارقها ، وطالت ملازمته لها ، فكادت من الغيظ أرمى بها في بعض الأودية ، فكئنا نمشى فإذا أصبنا دوابَّ ركبناها ، وإن لم نُصب

- (١) رواية الديوان ١١ و المفضليات (١ : ١٢٢) : « كنا إذا » . والصارخ : المستغيث ، والصارخ : الإغاثة . والظنوب : حرف عظم الساق ، يقال : قد قرع ظنوبه لهذا الأمر ، أى عزم عليه .
 (٢) هذا الكلام من خطبة سبقت في الجزء الثاني ص ٣٩٧ - ٣١٠ .
 (٣) أبو مجلز : لاحق بن حميد ، المترجم في (٢ : ٤٣) .
 (٤) هو قتيبة بن مسلم ، ترجم في (٢ : ٤٢) .
 (٥) هذه الكلمة من ل ، هـ .
 (٦) في المصباح : « الدرَّة : السوط » . وفي اللسان : « الدرَّة درة السلطان التي يضرب بها » ، فجعلها خاصة بالسلطان .
 (٧) خفيف الحاذ : قليل المال والعيال ، كما يقال خفيف الظهر . اللسان (حوذ) . والحاذ : لحمة في ظاهر الفخذ . ما عدل : « خفيف الحال » .
 (٨) المؤلف : « مارأيت قبله ولا بعده مثله » .
 (٩) النسبة إلى تغلب ، بكسر اللام : تغلبى بفتحها ؛ وربما قالوه بالكسر .
 (١٠) الركوة ، مثلثة الرء ، كما في القاموس : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

الدوابّ مشيئا ، فقلت له في شأن عصاه ، فيقال لى : إن موسى بن عمران صلى الله عليه حين آنس من جانب الطور ناراً ، وأراد الاقتباس لأهله منها ، لم يأت النار في مقدار تلك المسافة القليلة إلا ومعه عصاه ، فلما صار بالوادي المقدس من البقعة المباركة قيل له : ألق عصاك ، واخْلَعْ نعليك . فرمى بنعليه راغباً عنهما ، حين نزه الله ذلك الموضع عن الجلد غير الذكي ، وجعل الله جماع أمره من أعاجيبه وبرهاناته في عصاه ، ثم كلمه من جوف شجرة ولم يكلمه من جوف إنسان ولا جان .

قال الشَّرقى : إنه ليكثر من ذلك وإني لأضحك متهاوناً بما يقول ، فلما برزنا على حمارينا تخلف المُكاري فكان حماره يمشى ، فإذا تلكاً أكرهه بالعصا ، وكان حمارى لا ينساق ، وعلم أنه ليس في يدي شيءٌ يُكرهه ، فسبقنى الفتى إلى المنزل فاستراح وأراح ، ولم أقدر على البراح ، حتّى وافانى المُكاري ، فقلت : هذه واحدة .

فلما أردنا الخروج من الغد لم نقدر على شيءٍ نركبه ، فكتنا نمشى ، فإذا أعياء توكتاً على العصا . وربما أحضرت^(١) ووضع طرف العصا على وجه الأرض فاعتمد عليها ومراً كأنه سهم زالج^(٢) ، حتى انتهينا إلى المنزل وقد تفسخت من الكلال ، وإذا فيه فضل كثير^(٣) ، فقلت : هذه ثانية^(٤) .

١١٢

فلما كان في اليوم الثالث ، ونحن نمشى في أرض ذات أخاقيقٍ وصُدوع^(٥) ، إذ هجمنا على حيّة منكرة فساورتنا ، فلم تكن عندي حيلةً إلا خذلانه وإسلامه

(١) الإحضار : ضرب من العدو . ما عدل ، هـ : « أحفر » تحريف .

(٢) الزالج : الذى إذا رماه الرامى فقصر عن الهدف وأصاب صخرة استقل من إصابة الصخرة

فقوى وارتفع . ما عدل ، هـ : « سهم وألح » تحريف .

(٣) ما عدل : « كبير » بالياء .

(٤) ل : « اثنتان » .

(٥) الأخاقيق : الشقوق ، واحدها أخقوق .

إليها ، واهربَ منها ، فضربها بالعصا فثقلت ، فلَمَّا بَهَشَتْ له (١) ورفعت صدرها ضربتها حتَّى وقَّدها (٢) ، ثمَّ ضربها حتَّى قتلها ، فقلت : هذه الثالثة ، وهي أعظمهنَّ .

فلَمَّا خرجنا في اليوم الرابع ، وقد والله قَرِمْتُ إلى اللحم (٣) وأنا هارِبٌ مُعْدِمٌ ، إذا أرنَبٌ قد اعترضتْ ، فحذفها بالعصا ، فما شعرتُ إلَّا وهي معلَّقة .
 وأدركنا ذكائها (٤) ، فقلت : هذه رابعة .

وأقبلتُ عليه فقلت : لو أن عندنا ناراً لما أتحرتُ أكلها إلى المنزل . قال :
 فإنَّ عندك نارا ! فأخرج عُويداً من مزودِهِ ، ثمَّ حكَّه بالعصا فأورثَ إيراءَ المرخُ
 والعفَّارُ عنده لا شيء (٥) ، ثمَّ جَمَعَ ما قدَّر عليه من العُثَاء والحشيش فأوقد ناره
 وألقى الأرنَبَ في جوفها ، فأخرجناها وقد لزيق بها من الرماد والتراب ما بقصَّها إليَّ ،
 فعلقها بيده اليسرى ثمَّ ضرب بالعصا على جُنبها وأغراضها ضرباً رقيقاً ، حتَّى انتثر
 كلُّ شيءٍ عليها ، فأكلناها وسكن القرم ، وطابت النَّفس ، فقلت : هذه خامسة .

ثمَّ إنَّا نزلنا بعضَ الخانات (٦) ، وإذ البيوتُ ملاءً روثاً وثراباً ، ونزلنا بعقب
 جُنْدٍ وخرابٍ متقدِّم ، فلم نجد موضعاً نَظُلُّ فيه ، فنظر إلى حديديةٍ مسحاةٍ
 مطروحةٍ في الدَّار (٧) ، فأخذها فجعل العصا نصاباً لها ، ثمَّ قام فجرف جميع ذلك

(١) بهشت له : أقبلت إليه تريده .

(٢) الوقد : شدة الضرب .

(٣) قرم إلى اللحم : اشتدت شهوته له .

(٤) الذكاة : الذبح ، أى كان بها بقية من حياة فدبحناها .

(٥) انظر ما سبق في ص ٣٣ .

(٦) الخانات : جمع خان ، وهو الخانوت أو الفندق الذى ينزل به التجار : ولفظه فارسي . أدى

شير ٥١-وقال : « وهو موجود في جميع اللغات الشرقية الدارجة » .

(٧) المسحاة : مجرفة من حديد .

التراب والرّوث ، وجرّد الأرضَ بها جرّداً ، حتّى ظهر بياضُها ، وطابت ريحُها
فقلت : هذه سادسة .

وعلى أيّ حالٍ لم تَطِبْ نفسى أن أضعَ طعامى وثيابى على الأرض ، فنزع
والله العصا من حديدة المسحاة فونّدها فى الحائط ، وعلّق ثيابى عليها ، فقلت :
هذه سابعة .

فلما صرّث إلى مَفْرِقِ الطُّرُق ، وأردتُ مفارقتَه ، قال لى : لو عدلت فبثت
عندى كنت قد قضيت حقّ الصُّحبة ، والمنزل قريب . فعدلتُ معه فأدخلنى فى
منزلٍ يتَّصل ببيعة ^(١) . قال : فما زال يحدثنى ويُطرفنى ويُلطِّفنى اللَّيْلَ كلّه ، فلما ١١٣
كان السَّحرُ أخذ حُشْبِيَّة ^(٢) ثم أخرج تلك العصا بعينها فقرعها بها ، فإذا
ناقوسٌ ليس فى الدنيا مثله ، وإذا هو أحدقُ النَّاسِ بضربه ، فقلت له : ويلك ،
أما أنت مسلم ، وأنت رجلٌ من العرب من ولد عمرو بن كلثوم ؟ قال : بلى .
قلت : فلم تضربْ بالناقوس ؟ قال : جعلتُ فِدَاكَ ! إنَّ أبى نصرانى ، وهو
صاحب البيعة ، وهو شيخٌ ضعيف ، فإذا شهده ^(٣) برّته بالكفاية .

فإذا هو شيطانٌ مارد ، وإذا أظرفُ النَّاسِ كلِّهم وأكثرهم أدباً وطلباً ،
فخبرته بالذى أحصيتُ من خصالِ العصا ، بعد أن كنتُ هممتُ أن أرمى بها ،
فقال : والله لو حدّثتك عن مناقب نفع العصا إلى الصبح لما استنفذتها .

* * *

(١) البيعة بالكسر ، كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) ما عدال : « خشبة » .

(٣) ل : « شهدت » .

ومن جمل القول في العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق

تفسير شعر غَنِيَّة الأعرابية ، في شأن ابنها (١) :

- وذلك أنه كان لها ابنٌ شديد العرامة (٢) ، كثير التفلت إلى الناس ، مع
ضعف أسْرِ ودَقَّة عَظْم ، فوائب مرَّةً فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفه ،
فأخذت غَنِيَّة دِيَةَ أنفه فحسنت حالها بعد فقير مُدَقِّع . ثم وائب آخر فقطع أذنه
فأخذت الدِّيَةَ ، فزادت دِيَةَ أذنه في المال وحُسن الحال . ثم وائب بعد ذلك آخر
فقطع شَفْتَه فأخذت دِيَةَ شَفْتِه . فلَمَّا رأت ما قد صار عندها من الإبل والعَنَم
والمَتَاع والكسب بجوارح ابنها حَسُن رأيها فيه ، فذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

أحلف بالمروة يوماً والصففا أنك خير من تفاريق العصا

- فقيل لابن الأعرابي (٣) : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقَطَّع ساجوراً (٤) ،
وتقَطَّع عصا السَّاجُور فتصير أوتاداً ، ويفرَّق الوتد فيصير كلُّ قطعةٍ شِظَاطًا (٥)
فإذا كان (٦) رأس الشِّظَاط كالفلُكَّة صار للُبُخْتَى مهارةً ، وهو العود الذي يُدخَل
في أنف البُخْتَى ، وإذا فُرِّق المِهَارُ جاءت منه تَوَادٍ (٧) . والسَّوَاجِير

(١) انظر أمثال الميداني في : (إنك خير من تفاريق العصا) ، حيث أورد الشعر وتفسيره .

(٢) العرامة : الشراسة والشدة .

(٣) في أمثال الميداني : « فقيل لأعرابي » .

(٤) الساجور : الخشبة التي توضع في عنق الكلب .

(٥) الشظاط ، بالكسر : العود الذي يدخل في عروة الجوالق .

(٦) ما عدل : « فإن كان » . وفي الميداني : « فإن جعل لرأس الشظاط » .

(٧) التوادى : جمع تودية كتورية ، وهي خشبات تصر بها أخلاف الناقة لئلا يرضعها الفصيل .

تكون للكلاب والأسرى من الناس . وقال النبي ﷺ : « يؤتى بناسٍ من ها هنا يقادون إلى حُظوظهم بالسَّواجير (١) » . وإذا كانت قنأة فكلُّ شِقَّة منها قوسٌ بندق (٢) ، فإن فُرقت الشَّقَّة صارت سهاماً ، فإن فُرقت السَّهَامُ صارت حِظَاءً ، وهي سهامٌ صغار . قال الطرماح :

* أكلبٌ كحِظَاءِ الغلام (٣) *

والواحدة حَظْوَةٌ وسِرْوَةٌ ، فإن فُرقت الحِظَاءُ صارت مَعَازِلُ ، فإن فُرقت المِغْزَلُ شَعَبٌ به الشَّعَابُ أَقْدَاحُه المصدوعة ، وقِصَاعُه المشقوقة (٤) . على أنه لا يجد لها أصلح منها . وقال الشاعر :

نوافذُ أطرافِ القنَا قد شككته كشككٌ بالشَّعْبِ الإِنَاءِ المثلما

فإذا كانت العصا صحيحةً ففيها من المنافع الكبار والمرافق الأوساط والصُّغار ما لا يُحصيه أحد (٥) ، وإن فُرقت ففيها مثل الذي ذكرنا وأكثر . فأىُّ شيءٍ يبلغُ في المرفق والرَّدِّ مبلغَ العصا (٦) .

وفي قول موسى : ﴿ وَلِيَّ فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى ﴾ دليلٌ على كثرة المرافق فيها ؛ لأنه لم يقل : ولي فيها مأربة أخرى ، والمآرب كثيرة . فالذي ذكرنا قبل هذا داخلٌ في تلك المآرب .

ولا نعرف شعراً يشبه معنى شعرِ غَنِيَّةٍ بعينه لا يغادر منه شيئاً . ولكن زعم بعضُ أصحابنا أنَّ أعرابيين ظريفين من شياطين الأعراب حطمتهما السنَّة ،

(١) انظر ما سبق في الحيوان (١ : ٣٨ س ٧) وما سأتى ص ٦٣ .

(٢) البندق ، ذلك الذى يرمى به ، كأنه شُبَّه بحمل شجرة الجلوز .

(٣) البيت يتأمله كما فى ديوان الطرماح ١٠٥ :

بيننا ذلك هاجت به أكلب مثل حظاء الغلام

(٤) كلمة « وقصاعه » من ل ، هـ وأمثال الميداني .

(٥) ل : « ما لا تحصيه » .

(٦) المرفق ؛ كمنبر ومجلس ومكتب : ما استعين به . والرّد بمعنى الفائدة والمنفعة ، ولم ينص عليها فى المعاجم .

انظر الحيوان (٤ : ٤٧٣) .

١١٥ فأنحدرا إلى العراق ، واسم أحدهما حَيْدَان ، فبينهما يتاشيان في السُّوق إذا فارسٌ قد أوطأ دابَّته رجلٌ حَيْدَان فقطع إصبعاً من أصابعه ، فتعلَّقا به حتَّى أخذَا منه أَرشُ الإصبع (١) ، وكانا جائعين مقرورين ، فحين صار المال في أيديهما قصداً لبعض الكرابيج (٢) فابتاعا من الطعام ما اشتبها ، فلَمَّا أكل صاحبُ حَيْدَان وشبع أنشأ يقول :

فلا عَرَّتْ ما كان في النَّاسِ كُرْبُجٌ وما بقيت في رجلِ حَيْدَانِ إصبُعُ

وهذا الشَّعرُ وشعرُ غنيَّةٍ من الظَّرْفِ النَّاصِعِ الذي سمعتُ به ، وظرفُ الأعرابِ لا يقوم له شيء .

وناس كثير لا يستعملون في قتالهم إلا العصي ، منهم الزنج : قنبلة ولنجويته (٣) والنَّمْلُ والكلاب (٤) ، وتكفو وتنبو (٥) . على ذلك يعتمدون في حروبهم .

١٠ ومنهم النَّبْطُ ، ولهم بها ثقافةٌ وشدَّةٌ وغلبةٌ ، وأثقف ما تكون الأكراد إذا قاتلت بالعصي . وقاتلُ الخارجيات (٦) كلُّها بالعصي ، ولهم هناك ثقافةٌ ومنظرٌ حسن ، ولقتالهم منزلةٌ بين السَّلَامَةِ والعَطَبِ .

والناس يضربون المثل بقتال البقَّار بقناته (٧) . ويقال في المثل : « ما هو

١٥ (١) الأرش : دية الجراحات كالشجعة ونحوها .

(٢) الكرابيج : جمع كريبج ، يضم الكاف والباء ، ويضمها وفتح الباء ، معرب من الفارسي :

« قريق » بمعنى الخانوت . لسان العرب والقاموس والمعرب ٢٩٢ .

(٣) قنبلة ولنجويته هما أصلا الزنج . وفي رسائل الجاحظ ٧٣ ساسي : « لأن الزنج ضربان : قنبلة

ولنجويه ، كما أن العرب ضربان قحطان وعدنان » . ل ، هـ : « قبيلة لنجويه » وما عداها « قبيلة كنجوية »

صوابهما ما أثبت من رسائل الجاحظ .

٢٠

(٤) في الحيوان : (٤ : ٣٥) : « والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون النمل ، والآخر

يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب ، وأحدهما تكبو والآخر تنبو . فالكلاب تكبو والنمل

تنبو » . وفي هـ : « وتكفو وينبو » .

(٥) ما عدل : « تبتوا » . واللفظان يعبران عن النمل والكلاب في لغة الزنج ؛ كما يفهم من الحاشية السابقة .

٢٥

(٦) الخارجة : المناهضة .

(٧) ل : « البقَّار » ، وأثبت ما في سائر النسخ . وانظر ما مضى في ص ١٢ س ٥ .

إلا أئنة عصاً ، وعقدة رشا (١) .

ويقال للرّاعي : « إنّه لضعيف العصا » إذا كان قليل الضّرب بها للإبل ، شديد الإشفاق عليها . وقال الرّاعي :

ضعيفُ العصا بادى العروق ترى له عليها إذا ما أُجذب النَّاسُ إصبعا (٢)

فإذا كان الرّاعي جلدأ قوياً عليها قالوا : صُلبُ العصا . ولذلك قال الرّاجز :

* صُلبُ العصا باقٍ على أذاتها *

وقال الآخر في معنى الرّاعي :

* لا تُضربهاها واشتهرا العِصياً (٣) *

ويقولون : قد أقبل فلان ولانت عصاه ، إذا أصابه السّوف (٤) فرجع

وليس معه إلا عصاه لأنّه لا يفارقها كانت له إبلٌ أم لم تكن (٥) . ويقولون : كلّما

فُرعت عصاً بعصاً ، وعصاً على عصا ، وعصاً عصاً قالوا : أخذوا فلاناً

بذلك (٦) . وقال حميد بن ثور :

(١) الأئنة ، بضم الهمة : العقدة في العود أو في العصا . والرشاء : الخيل . وفي العقد ٦ : ١٧٨ : « لأن عقدة الرشاء المبلول لا تكاد تنحل » .

(٢) أنشده في اللسان والمقاييس في (صبع) . وفي المقاييس : « ويقال للرّاعي الحسن الرعية للابل ، الجميل الأثر فيها : إن له عليها إصبعا » . وأنشده القالي في الأمالي (٢ : ٣٢٢) ، وقال : « يقال : إن لفلان على ماله إصبعا ، أى أثراً حسناً » ، ثم قال بعد إنشاد البيت : « أى يشار إليها بالأصابع إذا رثيت » . وكذا أنشده ابن سيده في المخصص (٧ : ٨٢) ، وقال : « أى يشير الناس إليها بالأصابع » .

(٣) يقول : أخيفهاها بشهركا العصا لها ولا تضربهاها . وفي اللسان :

لا تضربهاها واشتهرا لها العصى فربّ بَكَر ذى هباب عمرفى

فيها وصهباء تُسوّل بالعشى

(٤) السوف ، بالضم ، ويقال بالفتح أيضاً : الموت في المال والناس .

(٥) ما عدل : « أم لا » .

(٦) ما عدل ، هـ : « أخذوا فلاناً بذلك » .

اليوم تُتَزَعُ العصا من ربِّها وَيَلُوكُ بِنِي لِسَانِهِ المنطِيقُ (١)
ويكتب مع قوله :

تُعْشَى العصا وَالرَّجْرُ إِن قِيلَ حَلٍ (٢)
يرسلها التَّغْمِيضُ إِن لم تُرْسَلِ (٣)
وقال آخر :

هذا وُرُودٌ بَزَلٍ وَسُدْسٍ (٤) يُعْلِي بِهَا كُلُّ مُسِيمٍ مُرْغِسٍ (٥)
رُدَّتْ من العُورِ وَأَكْنافِ الرَّسِيِّ من عُشْبٍ أَحْوَى وَحَمَضٍ مُورِسٍ
وذائد جَلْدِ العصا دَلْهَمَسٍ (٦) إِن قِيلَ قَمٌ قَامَ وَإِن قِيلَ اجلسِ
داست سِمَاطِي عَقِيرٍ مدعَّسٍ (٧)

ويدلُّ على شِدَّةِ قتالهم بالعصا قول بَشَّامَةَ بنِ حَزَنِ النَّهْشَلِيِّ (٨) :

- ١٠ (١) أنشده ثعلب في مجالسه ١١٩ ، وكذا ابن منظور في (نطق) برواية « والنوم ينتزع » .
(٢) لأنى النجم العجلى في « أم الرجز » المنشورة بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٤٧ .
ما عدل : « نخشى العصا » تحريف . وانظر ص ٥٨ . وحل : زجر للإبل .
(٣) أنشده في اللسان (غمض) . وذكر قبله : « وغمضت الناقة ، إذا ردت عن الحوض فحملت على الذائد مغمضة عينها فوردت » .
- ١٥ (٤) البازل : الذى يزل نابه ، أى انشق ، وذلك فى التاسعة ، وجمعه بزل كركع . والسديس : الذى أتت عليه السادسة ، وجمعه سدس كرعيف ورغف . ما عدل : « هذا وورد » .
(٥) يغلى بها : يشتريها بثمان غال . والمسيم ، من قولهم أسام الإبل : أرهاها . وفى القاموس : « والمرغس ، كمحسن : الذى ينعم نفسه » ، والمراد به هنا الذى ينعم إبله .
(٦) الدهمس : الجرىء الماضى على الليل .
(٧) السماطان : الجانبان والصفان . والعفر ، من العفر ، وهو التراب . والمراد به الطريق .
٢٠ والمدعس : الطريق الذى دعسته القوائم ووطنه وطفا شديداً .
(٨) بشامة بن حزن النهشلى ، ذكره الأمدى فى المؤلف والمختلف ٦٦ ، وروى له المقطوعة الحماسية التى أولها :

إنا محيوك يا سلمى فحيينا وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

وإن دعوت إلى جلى ومكرمة يوماً سراة كرام الناس فادعيننا

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

قال البغدادي فى الحزانة (٣ : ٥١٥) : « ولم أر له ترجمة ، وليس له ذكر فى ترجمة الأنساب ،

والظاهر أنه إسلامى » .

فَدَى لِرِعَاءِ بِالنَّحِيرَةِ ذَبَبُوا بِأَعْصِمِهِمُ وَالْمَاءُ بَرْدُ الْمَشَارِبِ (١)
 تَأَلَّى نُعِيمٍ لَا تَجُوزُ بِحَوْضِهِ فَقَلْتُ تَحَلَّلْ يَا نُعِيمَ بْنَ قَارِبِ (٢)
 فَإِنَّ زِيَادًا لَمْ يَكُنْ لِيُرَدِّهَا وَسَبْرَةً عَنِ مَاءِ التَّنْضِيحِ الْمُقَارِبِ
 أَعْرَكَ أَنْ جَاءَتْ ظِمَاءٌ وَبَاشَرَتْ بِأَعْنَاقِهَا بَرْدَ النَّصَابِ الصُّبَابِ (٣)
 تَنَاوَلْنَ مَا فِي الْحَوْضِ ثُمَّ امْتَرَيْنَهُ بِجَرَجٍ وَأَعْنَاقٍ طُولِ الذَّوَابِ (٤)

ويقول : فلان ضعيف العصا ، إذا كان لا يستعمل عصاه . ولذلك قال
 البعيث :

وأنت بذات السدر من أم سالم ضعيفُ العصا مستضعفٌ متهضمٌ
 وقال آخر (٥) :

وما صاديات حُمنَ يوماً وليلَةً على الماءِ يَعْشَيْنِ العِصَى حَوَانِ (٦)
 لَوَائِبُ لَا يَصْدُرْنَ عَنْهُ لَوِجَةٌ وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْحِيَاضِ دَوَانِ (٧)
 يَرِينُ حَبَابُ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ فَهِنَّ لِأَصْوَاتِ السَّقَاةِ رَوَانِ (٨)
 بِأَوْجَعِ مَنَى جَهْدِ شَوْقٍ وَغَلَّةِ إِلَيْكَ وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ عَدَانِي (٩)

١٠

١٥

٢٠

٢٥

- (١) النحيرة : واد في ديار غطفان . ماعدا ل ، هـ : « بالنحيرة » ، ولم أجد هـ . والتذيب : الطرد
 والدفع . والأعصى : جمع العصا .
 (٢) تألى : حلف وأقسم . ما عدال ، هـ : « مالا نعيم » تحريف . وتحلل فلان من يمينه ، إذا خرج
 منها بكفارة أو حنث يوجب الكفارة .
 (٣) نصاب كل شيء : أصله ؛ عنى أصل الحوض . والنصايب : الغليظ الشديد .
 (٤) الامتراء : الاستخراج والاستدرا . وفي الأصول : « امتدنيه » ، ولا وجه له . والذوائب : الأعلى .
 (٥) هو جميل ، كما في زهر الأديب ١ : ١٥٩ .
 (٦) يعشين العصى : يركبها . انظر ما سياتى ص ٦٨ س ١١ - ١٣ . ما عدال « يخشين »
 تحريف . والحوانى : جمع حانية ، وهى التى تخنو على ولدها .
 (٧) لوائب من اللوب ، وهو استدارة الحائم حول الماء . ل : « لوائب » ، تحريف .
 (٨) روان : مديمت النظر . وحباب الماء ، بالفتح : معظمه ، ومنه قول طرفة :
 يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم التراب المغايل باليد
 (٩) عدانى : صرفنى وشغلنى .

وقال آخر (١) :

فما وجدُ مِلْوَاحٍ من الهِيمِ حُلَّتْ عن الماءِ حتَّى جوفُها يتصلصل (٢)
تحومُ وتُعشأها العصىُّ وحولها أقاطيعُ أنعامٍ تُعلُّ وتُنهلُ
بأعظمَ منى غُلَّةً وتعطفًا إلى الوردِ إلَّا أننى أجمَلُ

- ويقال : « ضَرْبُ فِلاَنٍ ضَرْبَ غَرائبِ الإبلِ » وهى تُضْرَبُ عندَ الهَرْبِ (٣) .
وعند الخِلاطِ ، وعند الحوضِ ، أشدُّ الضَّرْبِ . وقال الحارثُ بنِ صخرٍ :
بضربِ يُزِيلِ الهامَ عن سَكِناتِهِ كما ذِيدَ عن ماءِ الحياضِ الغرائبُ (٤)
وقال آخر :

للهامِ ضَرَّابُونَ بالمَناصِلِ (٥) ضربِ المُذيدِ غُربِ التَّواهِلِ (٦)

- ١٠ . وفي جواهر العِصا تفاوت . ويقولون : ما هى إلَّا غِصنُ بانِ (٧) .

(١) الأبيات رويت في الحيوان (٣ : ١٠٤) .

(٢) المِلْوَاحُ من الدوابِ : السريعُ العطشُ ، يقال للذكر والأنثى . والهيمُ : العطاشُ ، جمعُ أهيمٍ وهيماء . حُلَّتْ : منعت .

(٣) أى عند اضطرار أربابها إلى الهرب .

(٤) السكِناتُ ، بكسر الكاف : جمعُ سَكَنَةٍ ، وهى مقر الرأسِ من العنق . ومثله قولُ زاملِ بنِ مصادِ القينى :

بضربِ يزيلِ الهامَ عن سَكِناتِهِ وطمعِ كَأفواهِ المِزادِ المخرِقِ
وقولِ طفيلِ :

بضربِ يزيلِ الهامَ عن سَكِناتِهِ وينتقعُ من هامِ الرجالِ المشربِ
وقولِ النابغةِ :

بضربِ يزيلِ الهامَ عن سَكِناتِهِ وطمعِ كَأفواهِ المِخاضِ الضوَّارِبِ
(٥) المناصِلُ : جمعُ منصلٍ ، بضم الميمِ والصادِ ، وهو السيفُ .

(٦) المُذيدُ : المعينُ لكِ على ما تَدُوْدُ . والغُربُ ، بضمِّتينِ : الغُربُ . والتَّواهِلُ : العطاشُ ، فالتَّواهِلُ من الأضدادِ ، يقالُ للريانِ والعطشانِ . ل : « عَرَبُ التَّواهِلِ » ، تحريفُ .

(٧) هذه العبارة من ل ، هـ والتيمورية .

وقال ابنُ أحمَر :

رُودُ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا غُصْنٌ بِحَرَامِ مَكَّةَ نَاعِمٌ نَضْرٌ (١)

وقال آخر :

إِذَا تَرَيْتَنِي قَائِمًا فِي جِلٍّ (٢) جَمَّ الْفُتُوقِ خَلْقِي هَيْمِلٌ (٣)

مَحَاذِرًا أَبْغَضَ عَنِ تَحْتَلِيٍّ (٤) عِنْدَ اعْتِلَالِ دَهْرِكَ الْمُعْتَلِّ

فَقَدْ أَرَى فِي الْيَلْمَقِ الرَّفْلُ (٥) أَصَوْنَ لِلأُنْسِ جَمِيلِ الدَّلِّ

* لَدُنَا كَحُوطِ الْبَائَةِ الْمَبْتَلِّ (٦) *

وتكون العصا محراثًا ، وتكون مخصرة ، وتكون المِخْصِرَةُ قَضِيبَ حَيْرَةٍ (٧) وَعُودَ سَاجُورٍ ، ثم تكون تَوْدِيَّةً (٨) .

ويقال للرجل إذا كان فيه أبنَةٌ : « فلان يَحْبَا العِصَا » . وقال الشاعر :

زَوْجُكَ زَوْجٌ صَالِحٌ لَكِنَّهُ يَحْبَا العِصَا (٩)

وفي الأمثال : « فَحَذَفَهُ (١٠) بِالْقَوْلِ كَمَا تُحَذَفُ الأَرْنَبُ بِالعِصَا » .

وقال إِيَّاسُ بن قَتَادَةَ العِشْمِيُّ :

(١) الرود من النساء : الشابة الحسنة ، وأصلها الهمز .

(٢) الجِلُّ ، بالكسر : الكساء ونحوه .

(٣) الخلق : البالي ، ومثله الهمل ، بكسر الهاء والميم وتشديد اللام .

(٤) عن : لغة في « أن » ، وهي ما يسمونه عتنة تميم .

(٥) اليلمق : القباء المحشو ، وهو بالفارسية « يلمه » . اللسان (لمق) واستينجاس ١٥٣٦ .

والرفل : الواسع .

(٦) الحوط ، بالضم : الغصن الناعم .

(٧) الحَيْرِيَّةُ : القوس ، أو القوس بلا وتر . وفي هـ : « حيرة » ، وسائر النسخ « حيرة » .

(٨) انظر ما سبق في ص ٤٩ .

(٩) أنشدته الجرجاني في الكنايات ٣٦ نقلًا عن الجاحظ . ووزنه لا يستقيم إلا أن ينشد « يحبا

العِصَا » بالتسهيل . وهو من مجزوء الرجز .

(١٠) ما عدل ، هـ : « تحذفه » .

سأخر أولاهما وأحذف بالعصا على إثرها إني إذا قلت عازم

وقال ابن كُنَاسة^(١) : في شرط الرَّاعِي على صاحب الإبل^(٢) : « ليس لك أن تذكر أُمِّي بخيرٍ ولا شرٍّ ، ولك حذفٌ^(٣) بالعصا عند غضبك أصبت أم أخطأت^(٤) ، ولي مقعدى من النَّار ، وموضع يدي من الحارِّ والقارِّ^(٥) » .

- ٥ وكان العُتْبِيُّ يحدِّث في هذين بحديثين : أحدهما قوله عن الأعرابيِّ : « وكان إذا خَرَسَت الألسُنُ عن الرأى حذف بالصَّواب كما تُحذف الأرنب بالعصا » .
وأما الحديث الآخر فذكر أن قوماً أضلوا الطريق ، فاستأجروا أعرابياً يدلُّهم على الطريق ، فقال : إني والله لا أخرج معكم حتَّى أشرطَ لكم واشترط عليكم . قالوا : فهاتِ مالك . قال « يدي مع أيديكم في الحارِّ والقارِّ ، ولي موضعي من النَّار موسعٌ علىَّ فيها^(٦) ، وذكُرْ والديَّ عليكم محرِّمٌ » . قالوا : فهذا لك فما لنا عليك إن أذنبت ؟ قال : « إعراضةٌ لا تؤدِّي إلى عتِبٍ^(٧) ، وهجرةٌ لا تمتنع من بجامعة السُّفرة » . قالوا : فإن لم تُعتب ؟ قال : « فحذفٌ بالعصا أخطأت أم أصابت » .

وهذان الحديثان لم أسمعهما من عالم ، وإنما قرأتهما في بعض الكتب من

(١) هو محمد بن كَنَاسة ، واسم كَنَاسة عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي . شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كوفي المولد والنشأة ، قد حمل عنه شيء من الحديث . وكان إبراهيم ابن أدهم الزاهد خاله . وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير ، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمناكرة والمساجلة في الشعر . وله مؤلفات منها « كتاب سرقات الكميث من القرآن » . ولد سنة ١٢٣ وتوفى سنة ٢٠٧ . ابن النديم ١٠٥ والأغانى (١٢ : ١٠٥ - ١١٠) .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ١٠٨ - ١٠٩) واللسان (ثمن ٢٣٢) .

(٣) ما عدل : « حذفى » وهى رواية اللسان .

(٤) وكذا في اللسان وفي ل : أخطأت أم أصبت » .

(٥) وكذا في اللسان . وفيما عدا هـ : « من الحار » فقط .

(٦) ما عدل : « على ما فيه » .

(٧) ما عدل : « إلى تعب وعتب » . لكن في هـ : « إلى تعب وعتت » .

كتب المسجديين (١) .

ولأهل المدينة عِصَى في رعوسها عُجْرٌ (٢) لا تكاد أكْفهم تفارقها إذا
خرجوا إلى ضياعهم ومنتزهاتهم ، ولهم فيها أحاديثُ حسنةٌ ، وأخبار طيبةٌ .
وكان الإفشين (٣) يقول : « إذا ظفرتُ بالعرب شدختُ رعوس عظمائهم
بالدُّبوس » . والدُّبوس شبيه بهذه العصا التي في رأسها عُجْرَةٌ .

وقال جَحْشويه (٤) :

يا رجلاً هام بلبادٍ	معتدلٍ كالغصن مَيَّادٍ (٥)
هام به غَسَّانُ لما رأى	أيراً له مثل عصا الحادي
ولم يزل يهوى أبو مالك	كُلُّ فتى كالغصن مُنَادٍ (٦)
يعجبه كُلُّ متين القوى	للطعن في الأدبار معتادٍ

وقالوا في (٧) تغميض الناقة عينها ، كى تركب العصا إلى الحوض ، وهو في

معنى قول أوى النجم :

تَغْمِضِي العَصَا وَالزُّجْرَ إِنْ قِيلَ حَلٍ يرسلها التَّغْمِضُ إِنْ لَمْ تُرْسَلِ (٨)

(١) المسجديون : طائفة كانت تازم المسجد الجامع بالبصرة ، تقص وتحدث وتروى الأخبار . ما عدا

ل : « من المستحدثين » تحريف . وانظر الحيوان (٣ : ٣٦٠) .

(٢) العجرة ، بالضم : العقدة في الخشبة ونحوها .

(٣) الأفشين بفتح الهمة وكسرهما ، واسمه خيذر بن كاوس . وخیذر ، بالخاء والذال المعجمتين . وكان
الأفشين من أعظم القواد في جيش المعتصم ، وهو الذي حارب بابك الخرمي حين اشتدت شوكته ، وأجأه
إلى الفرار إلى بلاد الروم ، وهناك أسر وبعث به إلى الأفشين ، فحمله الأفشين إلى المعتصم فقطعه وصلبه .
وكان هذا النصر باعثاً له على الطغيان والتمرد ، فقبض عليه المعتصم واستصفى أمواله وقتله وصلبه . وكان ذلك
سنة ٢٢٦ . الطبرى في حوادث سنة ٢٢٠ - ٢٢٦ .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ١٨١ / ٥ : ٣٤١ / ٦ : ٢٦١) .

(٥) لباد ، نسبة إلى عمل اللبد ، كما يقال حداد وصواف . ما عدل ، ه : « لباد » ولا وجه له .

(٦) المنَاد : المثني من لينه ونعمته .

(٧) كلمة « في » هذه ، ونظيرتها التالية ساقطتان مما عدل ، ه .

(٨) سبق الرجز في ص ٥٣ .

وهذا مثل قول الهذلي :

- ولأنت أشجعُ من أسامة إذ
شَدُّوا المناطقَ تحتها الحَلَقُ (١)
حَدُّ السُّيُوفِ على عواتقهم
وعلى الأَكْفِ ودونها الدَّرَقُ (٢)
كغماغم الثَّيْرانِ بينهمُ
ضربٌ تغمَّضُ دونه الحَدَقُ (٣)

وقال حميدُ بن ثورِ الهذلي :

- اليومُ تُنتزَعُ العصا من رِها
ويُلوكُ ثنَى لسانه المنطِيقُ (٤)
ويقال : رجلٌ كالقناة ، وفسرُ كالقناة . وقال الشاعر (٥) :

- مَتى ما يَجِيءُ يوماً إلى المالِ وارثي
يَجِدُ فرساً مثلَ القناةِ وصارماً
يَجِدُ فرساً مثلَ القناةِ وصارماً
يَجِدُ فرساً مثلَ القناةِ وصارماً
يَجِدُ فرساً مثلَ القناةِ وصارماً
يَجِدُ فرساً مثلَ القناةِ وصارماً
يَجِدُ فرساً مثلَ القناةِ وصارماً
يَجِدُ فرساً مثلَ القناةِ وصارماً
يَجِدُ فرساً مثلَ القناةِ وصارماً
يَجِدُ فرساً مثلَ القناةِ وصارماً

١٢٠

* * *

وجاء في الحديث : أجدبت الأرض على عهد عمر رحمه الله حتى ألفت
الرَّعاء العَصِي ، وعُظِلت النَّعَم ، وكُسِر العَظْم . فقال كعبُ (٨) : يا أمير
المؤمنين ، إنَّ بنى إسرائيل كانوا إذا أصابهم السَّنَةُ استسَقَوْا بعُصْبَةِ الأنبياء .
فكان ذلك سببَ استسقاؤه بالعباس بن عبد المطلب (٩) .

- ١٥ (١) أسامة : علم جنس للأسد .
(٢) الدرق : ضرب من الترسة تتخذ من جلود ، ليس فيها خشب ولا عَقَب .
(٣) أى غماغمهم كغماغم الثيران ، عنى أصوات أبطالمهم فى الوغى عند القتال .
(٤) سبق البيت فى ص ٥٣ .
(٥) هو حاتم الطائى . ديوانه ١٢١ والحامسة (٢ : ٣٧٤) .
٢٠ (٦) جمع الكف ، بالضم ، هو قدر أن تجمع أصابعها وتضمها . يقول : لا يجد عندى كثيراً
ولا قليلاً ، بل بين بين .
(٧) الهبر : قطع اللحم . يقول : يابى إلا أن يخالط العظم .
(٨) هو كعب بن مافع الحميرى ، المعروف بكعب الأحبار ، وكان يهودياً وأسلم فى خلافة عمر .
وكان يقص فبلغه حديث النبى ﷺ : « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو محتال » فترك القصص حتى أمره
معاوية فصار يقص بعد ذلك . ومات بمحصر سنة ٣٢ . الإصابة ٧٤٩٠ والمعارف ١٨٩ والجامع الصغير
٢٥ للسيوطى ٩٩٨٤ ، حيث خرج الحديث من مسند أحمد وابن ماجه .
(٩) انظر أيضاً استسقاء عبد المطلب بالرسول الكريم فى الخزانة (١ : ٢٥٧ - ٢٥٨) .

وساورت حية أعرابياً فضرها بعصاه وسليم منها ، فقال :
 لولا الهراوة والكفان أنهلني حوض المنية قتال لمن علقاً (١)
 أصم منهرت الشدقين ملتيداً لم يُغذ إلا المنايا مذ لذن خلقتا (٢)
 كأن عينيه مسماران من ذهب جلاهما مدوس الألان فاتلتقا (٣)

وقال الحجاج بن يوسف لأنس بن مالك (٤) : « والله لأقلعنك قلع الصمغة ، ولأعصبتك عصب السلمة ، ولأضربنك ضرب غرائب الإبل (٥) ولأجردنك تجريد الضب » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لأبي مريم الحنفى (٦) : « والله لأحبك حتى تحب الأرض الدم المسفوح » . لأن الأرض لا تقبل الدم ، فإذا جف الدم تقلع جلباً (٧) .

ولقد أسرف المتلمس حيث يقول :
 أحارث إنا لو تُسَاط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما (٨)
 وأشد سرفاً منه قول أبي بكر الشيباني ، قال : كنت أسيراً مع بنى عمى لى

(١) فى الحيوان (٤ : ٢٤٢) : « والكفات » : جمع كفة ، بالكسر ، وهى من آلات الصيد . والبيتان بعده ساقطان من هـ .

(٢) منهرت الشدقين : واسعهما . وهذا البيت وتاليه من ل فقط .

(٣) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها مسن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والألان ، كذا وردت فى الأصل . ولعلها : « الألاق » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٠٨) .

(٥) مضى بعض هذا القول فى (١ : ٣٧٦) . وجملة « لأضربنك ضرب غرائب الإبل » من ل فقط .

(٦) انظر ما سبق من تحقيق اسمه فى (١ : ٣٧٦) .

(٧) الجلب : جمع جلبية ، بالضم ، وهى القشرة تعلق الجرح عند البرء .

(٨) السوط : الخلط والمزج . والبيت فى أول ديوان المتلمس مخطوطة الشنيطى .

١٢٠ من بنى شيبان ، وفيها من موالينا جماعةً في أيدي التَّغَالِبَةِ ، ففَضَرُوا أَعْنَاقَ بَنِي عَمِّي وَأَعْنَاقَ الْمَوَالِي عَلَى وَهْدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَكُنْتُ وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَرَى دَمَ الْعَرَبِيِّ يَنَامُ مِنْ دَمِ الْمَوْلَى ، حَتَّى أَرَى بِيَاضَ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا ، فَإِذَا كَانَ هَجِينًا قَامَ فَوْقَهُ ، وَلَمْ يَعْتَزِلْ عَنْهُ (١) .

وَأَنْشُدُ الْأَصْمَعِي :

يُذَدِّنُ وَقَدْ أُقِيْتُ فِي قَعْرِ حُفْرَةٍ كَمَا ذِيذٌ عَنِ حَوْضِ الْعِرَاكِ غَرَائِبُهُ (٢)

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ :

نَقَاتِلُ عَنْ أَحْسَابِنَا بِرِمَاحِنَا فَنَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ الْمُذِيدِ الْخَوَامِسَا (٣)

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ بْنُ غَالِبٍ :

ذَكَرْتُ وَقَدْ كَادَتْ عَصَا الْبَيْنِ تَنْشَظِي حِبَالَكَ مِنْ سَلَمِي وَذُو اللَّبِّ ذَاكِرُ (٤)

وَقَالَ الْأَسَدِيُّ (٥) :

إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهُوَانَ فَأَوْلُهُ هَوَانًا وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبًا أَوَّاصُهُ
وَلَا تَنْظِلُمُ الْمَوْلَى وَلَا تَضَعُ الْعَصَا عَلَى الْجَهْلِ إِنْ طَارَتْ إِلَيْكَ بَوَادِرُهُ

(١) هذه الكلمة من ل ، ه فقط . والهجين : ولد العربي من غير العربية .

١٥

(٢) العراك : ازدحام الإبل على الماء .

(٣) البيت من قصيدة له مطلعها ، كما في الخزائن (٣ : ٥١٨) .

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا وأقفر إلا رحرحان وراكسا

٢٠

وهي من القصائد المنصقات ، التي « أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصططلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم في إحماض الإخاء » . وقد اختار منها أبو تمام في الحماسة (١ : ١٦٨) . والمزيد : الذي يعين على ذود الإبل ، وهو طردها ودفعها . والخوامس : التي ترد الخمس ، والخمس بالكسر : أن ترد الإبل يوما ثم ترعى ثلاثا ثم ترد في الخامس من يوم وردها . والخوامس من أحرص الإبل على الماء لشدة ظمئها ، فدفعها يلجئ إلى عنف وإلحاح . وانظر الكلام على أظماء الإبل بتفصيل في المخصص (٧ : ٩٥ - ١٠١) . ومثله قوله حسيل بن سجيح الضبي :

وأرهبته أولى القوم حتى تنهبوا كما ذدت يوم الورد هيمًا خوامسا

٢٥

(٤) البيت مما لم يرد في ديوان الفرزدق . ه : « خيالك » .

(٥) البيت الأول نسب في الحماسة (١ : ٢٦٦) إلى أوس بن حبناء .

وقال جرير بن عطية :

أَلَا رَبِّ مَصْلُوبَ حَمَلَتْ عَلَى الْعَصَا وَبَابِ اسْتِهِ عَنِ مِثْرِ الْمُلْكِ زَائِلٌ (١)
 وَقَالُوا فِي مَدِيحِ الْعَصَا نَفْسِهَا مَعَ الْأَغْصَانِ وَكَرَمِ جَوْهَرِ الْعِصَى وَالْقَسَى :
 إِذَا قَامَتْ لَسْبَحَتْهَا تَنْتُتٌ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ زُرَّانٍ (٢)
 وَقَالَ الْمُؤَمَّلُ بْنُ أُمَيْلٍ (٣) :

وَالْقَوْمُ كَالْعِيدَانِ يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَذَاكَ يَفْسُوقُ عُودٌ عُودًا
 لَوْ تَسْتَطِيعُ عَنِ الْقَضَاءِ حَيَادَةً وَعَنِ الْمَنِيَّةِ أَنْ تُصِيبَ مَحِيدًا ١٢٢
 كَانَتْ تَقِيدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلًا فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قِيودًا (٤)
 وَقَالَ آخِرُ :

وَأَسْلَمَهَا الْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً مَطْوُوقَةً بَانَتَ وَبَانَ قَرِينُهَا
 تُجَاوِبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرِ زُرَّانَةٍ يَكَادُ يُدَيِّبُهَا مِنَ الْأَرْضِ لِينُهَا (٥)

(١) البيت من قصيدة له في ديوانه ٤٣٩ يمدح فيها الحجاج بن يوسف . وقبله :

أَطِيعُوا فَلَا الْحِجَاجَ مِيقَ عَلَيْكُمْ وَلَا جِرْيِيلَ ذُو الْجَنَاحِينَ غَافِلَ

(٢) ليشار بن برد في الأغاني (٣ : ٢٨) برواية : « إِذَا قَامَتْ لَمَشِيَّتِهَا » . والسبحة ، بالفتح : المرة من السبح ، وهو التصرف والجيفة والذهاب . وضبطت في هـ بضم السين . وانظر ما كتبت في حواشي أمالي الزجاجي ١٢٤ . يروون أن بشاراً أنشد قول الشاعر :

أَلَا إِنَّمَا لَيْلِي عَصَا خَيْرِ زُرَّانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

فقال : والله لو زعم أنها عصا نخ ، أو عصا زيد ، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصا . ألا قال كما قلت :

وَدَعَاءُ الْمَخَاجِرِ مِنْ مَعَدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمْرَ الْجَنَانِ

إِذَا قَامَتْ لَمَشِيَّتِهَا تَنْتُتٌ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ زُرَّانِ

(٣) هو المؤمل بن أميل المخاربي الكوفي ، كان شاعراً مجيداً من مخضرمي الأموية والعباسية ، مدح

المهدي وأجازه ، وتوفي في حدود التسعين والمائة . وهو القائل :

شَفَ الْمُؤَمَّلُ يَوْمَ الْحَيْرِ الْبَصْرَ لَيْتَ الْمُؤَمَّلُ لَمْ يَخْلُقْ لَهُ بَصْرَ

الأغاني (١٩ : ١٤٧ - ١٥٠) ونكت الهميان ٢٩٩ والخزانة (٣ : ٥٢٣ - ٥٢٥) .

(٤) يبدو في هذه الأبيات عدم الترابط . وهذا البيت الأخير في صفة ناقة .

(٥) وكذا روايته في الحيوان (٣ : ٤٨٧) . وفي شروح سقط الزند ١٨٢ :

* هتوف دعت شجوراً على خيزرانة *

وقال آخر :

ألا أيها الركب المُخَبِّون هل لكم بأختِ بنى هَندٍ عَتِيبةً من عهد
أَلَلت عصاها واستقرَّ بها النوى بأرض بنى قابوسَ أم ظَعَنْت بعدي

وقال آخر :

ألا هَتَفْت ورقاءَ في رونقِ الضُّحى على غُصْنِ غَضِّ النَّباتِ من الرَّندِ (١)
وقال آخر في امرأةٍ رآها في شارَّةٍ وبِزةٍ (٢) ، فظنَّ بها جَمالاً ، فلما
سَفَرَتْ إذا هي غُولٌ :

فأظهرها ربيَّ بمنِّ وقدرِ عليٍّ ولولا ذاك مُتُّ من الكَرَبِ
فلما بدتْ سَبَّحَتْ من قُبْحِ وجهها وقلت لها: السَّاجورُ خيرٌ من الكَلْبِ (٣)

وقال النبي ﷺ : « يُؤْتَى بقومٍ من هاهنا (٤) يُقادون إلى حُظوظهم في
السَّواجير » . والسَّاجورُ يُسَمَّى الزَّمارةَ . قالوا : وفي الحديث : « فأتَيْتِ الحِجَّاجِ
بسعيد بن جُبَيْر (٥) ، وفي عنقه زَمارةٌ » .

وقال بعضُ المُسَجِّنين (٦) :

(١) رونق الضحى ، أولها . والرند : الآس ، أو شجر من أشجار البادية طيب الرائحة يستاك به .
١٥ (٢) الشارة : الحسن والهيئة واللباس . والبزة : الهيئة واللبسة .
(٣) أى ملبسها خير منها . والساجور : خشبة توضع في عنق الكلب .
(٤) ما عدل : « من هنا » وانظر ما سبق في ص ٥٠ .

(٥) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي ، وكان مولى أسود لبني والبة من بني أسد : كان
كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود حين كان على قضاء الكوفة ، ثم كتب لأبي بردة بن أبي موسى ، ثم خرج
مع ابن الأشعث في جملة القراء ، فلما هزم ابن الأشعث هرب إلى مكة فأخذه خالد القسري بعد مدة وبعث
٢٠ به إلى الحجاج بواسط ، فقتله صبراً سنة ٩٥ ، ثم مات الحجاج بعده بأيام . وكان فقيهاً عابداً ورعاً . وكان
ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول ، ألبس فيكم ابن الدهماء ؟ - يعنى سعيد بن جبير . تهذيب
التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٢) والمعارف ١٩٧ .

(٦) ورد أيضاً في المعارف ١٥٨ : « وأخرج المسجنين الذين كانوا بالبصرة » .

ولى مُسْمِعَانَ وَرَمَامَةَ وَظِلَّ مَدِيدٌ وَحَصْنَ أَمَقَ (١)
 وَكَمْ عَائِدٍ لِي وَكَمْ زَائِرٍ لَوْ أَبْصَرْتَنِي زَائِرًا قَدْ شَهَقَ (٢)
 الْمُسْمِعَانَ : قِيدَان . وَسَمَّى الْعُلَّ الَّذِي فِي عُنُقِهِ زَمَامَةَ .
 وَأَمَّا قَوْلُ الْوَلِيدِ (٣) :

اسْقِنِي يَا زُبَيْرُ بِالْقَرْقَارَةِ قَدْ ظَمِينَا وَحَنَّتِ الزَّمَامَةُ (٤)
 اسْقِنِي اسْقِنِي فَإِنَّ ذُنُوبِي قَدْ أَحَاطَتْ فَمَا لَهَا كَفَّارَةُ

فَإِنَّ الزَّمَامَةَ هِيَ هُنَا : الْمَزْمَارُ .

وَقَالَ أَيْضًا صَاحِبُ الزَّمَامَةَ فِي صِفَةِ السَّجْنِ :

فَبِتُّ بِأَحْصِيهَا مَنْزِلًا ثَقِيلًا عَلَى عُنُقِ السَّالِكِ
 وَلَسْتُ بِضَيْفٍ وَلَا فِي كِرَاءٍ وَلَا مُسْتَعِيرٍ وَلَا مَالِكِ
 وَلَيْسَ بِعَصَبٍ وَلَا كَالرُّهُونِ وَلَا يَشْبَهُ الْوَقْفَ عَنْ هَالِكِ
 وَلى مُسْمِعَانَ فَأَدْنَاهُمَا يَغْنَى وَيُمْسِكُ فِي الْحَالِكِ (٥)
 وَأَقْصَاهُمَا نَاطِرٌ فِي السَّمَاءِ عِمْدًا وَأَوْسَعُ مِنْ عَارِكِ (٦)

الْمُسْمِعَانَ هِيَ هُنَا أَحَدُهُمَا قَيْدُهُ ، وَالْآخَرُ صَاحِبُ الْجَرَسِ .

قَالَ : وَأَخْبَرَنِي الْكَلَابِيُّ قَالَ : قَاتَلْتُ بَنُو عَمِّ لِي (٧) بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَجَعَلَ

(١) أمق : واسع ، كما في مجالس ثعلب ٥٤١ عند إنشاد البيت . وأنشده في اللسان (زمر ٤١٦

سمع ٣٧ مقق ٢٣٣) .

(٢) شهق ، من بالى ضرب وعلم : ردد البكاء في صدره .

(٣) ما عدا هـ : « قول الراجز » .

(٤) القرقارة : إناء ، سميت بذلك لقرقتها . وفي القاموس : « القرقار » بدون هاء . وحنن الزمامة :

صوتت .

(٥) الحالك ، أى الليل الحالك ، وهو الشديد الظلمة .

(٦) العارك : الحائض من النساء .

(٧) هذا مثل قوله تعالى : (إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل) . ل : « بنو عمى » .

بعضهم ينضمُّ إلى بعضٍ لِوَأدَّا مَتَى ، وليس لي في ذلك هِجِيرِي (١) إِلَّا قَوْلِي :

قد جعلت تأوي إلى حَمَانِهَا (٢) وكِرْسِهَا العَادِيَّ من أعطائها (٣)

فلَمَّا طلبوا القِصَاصَ ، قلت : دونكم يا بني عَمِّي حَقَّكُمْ ، فأنا اللحم (٤) وأنتم الشُّفْرَةُ ؛ إن وهبتم شكرتُ ، وإن اعتقلتم عَقَلْتُ (٥) ، وإن اقتصصتم صَبَّرت .

- ٥ قال : وسألت يونس عن قوله : ﴿ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴾ (٦) ، قال : تقول العرب إذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه : انظروا أنساءكم . وهى العصا ، والقَدَح ، والشُّطَّاط ، والحَبَل . قال : فقلت : إني ظننت هذه الأشياء لا ينساها أربابها إِلَّا لأنها أهونُ المتاع عليهم . قال : ليس ذلك كذلك ، المتاع الجافى يدكَّر بنفسه ، وصغار المتاع تذهبُ عنها العيون . وإِنَّمَا تذهبُ نفوسُ العامَّةِ إلى حفظِ كلِّ ثمين وإن صغُر جسمه ، ولا يقفون على أقدار قَوْتِ الماعون عند الحاجة وفقد المِحْلَاتِ في الأسفار .
- ١٠

١٢٤ وقال يونس : المنسىُّ : ما تقادم العهدُ به وتُسى حيناً لهوانه . ولم تكن مريمُ لتضربَ المثلَ في هذا الموضع بالأشياء النَّفِيسَةَ التى الحاجةُ إليها أعظم من الحاجة إلى الشيء الثمين في الأسواق .

(١) الهجير ، كسكيت ، والهجيرى مثله بالألف المقصورة : العادة والدأب والشأن . ما عدل :

« هجير » .

- ١٥ (٢) الخمان ، بفتح الخاء وتشديد الميم : ردىء الشجر . ما عدل : « جئانها » تحريف
(٣) الكرسي ، بالكسر : أبواب الإبل والغنم وأبعارها ، يتلبد بعضها على بعض في الدار . والعادى : القديم ، كأنه منسوب إلى عاد . والأعطان : جمع عطن ، بالتحريك ، وهو مبرك الإبل حول الحوض .
(٤) ما عدل : « فنحن اللحم » .
(٥) أراد باعتقلتم : طلبتم العقل ، وهو الدية . ولم أجد هذا الفعل بهذا المعنى في معجم .
(٦) قرأ حفص وحمزة بفتح النون ، والباقون بكسرها . إتحاف فضلاء البشر ٢٩٩ .
- ٢٠

وقال الأشهب بن رُميلة (١) :

قال الأقارب لا تغرك كثرتنا وأغني نفسك عنا أيها الرجل
علّ ينيّ يشدُّ الله أعظمهم والتبعُ يَنْتُ قصباناً فيكتهل (٢)

وكان فرسُ الأحنس بن شهاب (٣) يسمّى « العَصَا » ، والأحنسُ فارس

العصا .

وكان لجذيمة الأبرش فرسٌ يقال له « العصا » .

ولبنى جعفر بن كلاب « شحمة » و « الغدير » و « العصا » .

فشحمة : فرس جزيء بن خالد . والعصا : فرس عوف بن الأحوص . والغدير :
فرس شريح بن الأحوص .

والعصا أيضاً : فرس شبيب بن كعب الطائي .

وقال بعضهم أو بعض خطبائهم :

وليس عصاه من عراجين نخلة ولا ذات سيرٍ من عصي المسافر
ولكنها إماما سألت قنبعة وميراثُ شيخٍ من جياذ المخاصر

والرجل يتمنى إذا لم تكن له قوة وهو يجد مس العجز ، فيقول : « لو كان

في العصا سيرٌ » . ولذلك قال حبيب بن أوس :

(١) الأشهب بن رُميلة : شاعر إسلامي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم تعرف له صحبة ولا اجتماع بالنبي ﷺ ، ولذا أورده ابن حجر في قسم المخضرمين من الإصابة . ورُميلة أمه ، وكانت أمة لخالد ابن مالك بن رعي بن سلمى بن جندل . وأبوه ثور بن أبي حازمة بن عبد المدان بن جندل بن نهشل بن دارم ابن عمرو بن تميم . وكان الأشهب يهاجى الفرزدق . الإصابة ٤٦٤ والخزانة (٣ : ٥٠٩ - ٥١٠) .

(٢) نهشل بن حري ، كالمسبوب إلى الحر : شاعر مخضرم أدرك معاوية ، وكان معه في حروبه . الإصابة ٨٨٧٨ والخزانة (١ : ١٥١) . وقد نسب البيتان في الحيوان (١ : ١٠٩) إلى الأشهب بن رُميلة .

(٣) الأحنس بن شهاب بن شريق التغلبي ، شاعر جاهلي قديم قبل الإسلام بدهر . الخزانة (٣ :

١٦٩) . وانظر ما كتب في تحقيق اسمه في المفضليات (٢ : ٣) .

ما لك من همّة وعزم لو أنّه في عصاك سِيرُ (١)
 رَبُّ قَلِيلٍ جَنَى كَثِيرًا كَمَ مَطَرٍ بَدْوُهُ مُطِيرٌ (٢)
 صَبْرًا عَلَى النَّائِبَاتِ صَبْرًا مَا صَنَعَ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرُ

وإذا لم يجعل المسافر في عصاه سيرا سقطت إذا نعس من يده .

- وسئل (٣) عن قوله : ﴿ وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴾ ، قال : لست أحيط
 بجميع مآرب موسى ﷺ ، ولكني سأنبئكم جملاً تدخل في باب الحاجة إلى
 العصا . من ذلك أنها تحمل للحية ، والعقرب ، وللذئب ، وللفحل الهائج ، ولعير
 العانة في زمن هيج الفحول ، وكذا فحول الحُجُور في المروج (٤) . ويتوكأ عليها
 الكبير الدالف ، والسقيم المدنف ، والأقطع الرجل ، والأعرج ، فإنها تقوم مقام
 رجل أخرى .

وقال أعرابيٌّ مقطوعُ الرجل :

اللّٰه يعلم أنّي من رجالِهِمْ وَإِنْ تَحَدَّدَ عَنْ مَتْنِي أَطْمَارِي (٥)
 وَإِنْ رُزِيْتُ يَدًا كَانَتْ تُجَمِّلُنِي وَإِنْ مَشَيْتَ عَلَى رُجِّ وَمَسْمَارِ

والعصا تنوب للأعمى عن قائده ، وهي للقصار والفاشكار (٦) والدبّاغ .
 ومنها المفاد للملّة (٧) والمحراك للتثور (٨) . قال الشاعر :

(١) الأبيات مما لم يرد في ديوان أبي تمام .

(٢) هـ : « حدا كثيرا » .

(٣) المسئول هو يونس بن حبيب .

(٤) الحجر ، بالكسر : الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الهاء ، لأنه لا يشركها فيه المذكور .

(٥) التحدد : التشنج . والأطمار : جمع طمر . بالكسر ، وهو الثوب الخلق .

(٦) سبق تفسيره في (١ : ٦٠) . وفي هامش هـ : « الفاشكار : الحراث » .

(٧) المفاد : الخشبة التي يجر بها التنور ونحوه . والملة ، بالفتح : الرماد الحار والجرم .

(٨) المحراك : ما تحرك به النار . ل : « والحراث » ما عدل ل : « ومحراك » ، الوجه ما أثبت .

إذا كان ضرب الخبز مَسْحاً بِخَرْقَةٍ وَأُخِمِدَ دُونَ الطَّارِقِ الْمُنْتَوِّرِ (١)
كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَنْفُضَ عَنْهَا الرُّمَادَ بَعْصاً فَيُسْتَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَنْضَجَ خُبْزَتَهُ .
يَصْفُهُ بِالْبَخْلِ .

وهي لدق الجِصِّ (٢) والجِيسين (٣) والسَّمْسَم .

وقال الشَّماخ بن ضرار :

وَأَشَعْتُ قَدْ قَدَّ السَّفَارُ قَمِيصَهُ يَجُرُّ شِوَاءً بِالْعَصَا غَيْرَ مُنْضَجٍ (٤)

وَلِحَبْطِ الشَّنَجْرِ ، وَلِلْفَيْجِ وَلِلْمُكَارَى (٥) ، فَإِنِهَامَا يَتَخَذَانِ الْمَخَاصِرَ ، فَإِذَا طَالَ الشَّوْطُ وَبُعِدَتِ الْغَايَةُ اسْتَعَانَا فِي حُضْرِهِمَا وَهَرَوَلْتُهُمَا فِي أَضْعَافِ ذَلِكَ ، بِالْإِعْتِمَادِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

وهي تعُدُّلُ مِنْ مَبِيلِ الْمَفْلُوجِ ، وَتُقِيمُ مِنْ ارْتِعَاشِ الْمُبْرَسَمِ (٦) ، وَيَتَّخِذُهَا الرَّاعِي لَعَنِمِهِ ، وَكُلُّ رَاكِبٍ لِمَرْكَبِهِ . وَيُدْخَلُ عَصَاهُ فِي عُرْوَةِ الْمِزْوَدِ ، وَيَمْسِكُ بِيَدِهِ الطَّرْفَ الْآخَرَ ، وَرَبِّمًا كَانَ أَحَدُ طَرَفَيْهَا بِيَدِ رَجُلٍ وَالطَّرْفَ الْآخَرَ بِيَدِ صَاحِبِهِ وَعَلَيْهَا حِمْلٌ ثَقِيلٌ .

(١) وأحمد ، أي أخمدت النار . والطارق : الذي يطرق القوم ليلاً . والمنتور : الذي يتبصر الناس من بعيد برؤية النور أو النار .

(٢) الجص ، بفتح الجيم وكسرها : هذا الذي يطل به الجدار . وفي التيمورية : « الجس » تحريف .
(٣) الجيسين ، ذكره داود في تذكرته وقال : « وهو في الحقيقة طلق لم ينضج » قال : « ومنه شديد البياض يعرف بإسفيداج الجبس » . وقال : « ونخالصه المعروف في مصر بالمصيص » . ل : « الحشيش » وما عدل : « الجيين » . صوابهما في هـ .

(٤) السفار : السفر . والبيت في ديوان الشماخ ٩ .

(٥) الفيج ، بالففتح : واحد الفيوج ، وهو الذي يسعى على رجليه بحمل الأخيار من بلد إلى بلد . ولفظه فارسي معرب ، فارسيته « بيك » . استينجاس ٢٦٨ . والمكارى : الذي يكرهك دابته بالأجر .

(٦) المرسم : المصاب بالبرسام . والبرسام ، بالكسر : علة يهذى فيها . قلت : هي بالفارسية « برسام » بالففتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من « بر » وهو الصدر ، و « سام » بمعنى الالتهاب . وهو بالمعنى الدقيق . التهاب غشاء الرئة : The Pleurisy .

وتكون إن شئت وتبدأ في حائط ، وإن شئت ركزتها في الفضاء وجعلتها
قبلة ، وإن شئت جعلتها مظلة ، وإن جعلت فيها زُجْجاً كانت عَنزَةً (١) ، وإن
زدت فيها شيئاً كانت عُكَّازاً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت مطرداً (٢) ، وإن زدت
فيها شيئاً كانت رُمحاً . ١٢٦

والعصا تكون سوطاً وسلاحاً . وكان رسول الله ﷺ يخطب بالقضيب ،
وكفى بذلك دليلاً على عِظَمِ غنائها ، وشرف حالها . وعلى ذلك الخلفاء وكبراء
العرب من الخطباء .

وقد كان مروان بن محمد حين أُحيط به دَفَعَ البُرْدَ والقضيبَ إلى خادم
له ، وأمره أن يدفنهما في بعض تلك الرمال ، ودفع إليه بتأ له ، وأمره أن
يضرب عنقها . فلما أخذ الخادم في الأسرى قال : إن قتلتموني ضاع ميراث النبي
ﷺ . فأمنوه على أن يُسلم ذلك لهم . ١٠

وقال الشاعر في صفة قناة :

وأسمر عاترٍ فيه سِنَانٌ شُرَاعِيٌّ كساطعةِ الشَّعَاعِ (٣)

وقال آخر :

هَوْتَةٌ فِي الْعِنَانِ تَهْتَرُ فِيهِ كَاهْتِزَازِ الْقِنَاةِ تَحْتَ الْعَقَابِ (٤)
ومما يجوز في العصا قول الشاعر :
للهام ضرابون بالمناصيلِ ضَرَبَ الْمُذْيِدِ غَرَّبَ التَّوَاهِلِ (٥)

(١) العنزة ، بالتحريك : عصا في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً ، في طرفها الأسفل زج كرج الرمح
يتوكأ عليها الشيخ الكبير .

(٢) المطرد ، بكسر الميم : رمح قصير يطرد به الرمح . ٢٠

(٣) الرمح العاتر : المضطرب من لينة . هـ : « عاتق » وأشير في حواشيتها إلى رواية « عاتر » ما عدا
ل ، هـ : « عاتق » تحريف . وروايته في اللسان (شرع) : « عاتك » وهو الذي قدم واحمر . والشراعى :
نسبة إلى رجل كان يعمل الأسننة اسمه « شراع » .

(٤) يصف فرساً . والعقاب : العلم الضخم .

(٥) سبق الرجز في ٥٥ . ل : « عزب » ، تحريف . ٢٥

وقال عباس بن مرداس :

نطاعن عن أحسابنا برماحننا

ونضربهم ضرب المذيد الخوامسا^(١)

وقال الآخر :

دافع عنها جليبي وحشئي^(٢)

فهى كعود التبعة الأجرش

وقال نصيب الأسود :

ومن يُبقِ مالاَ عُدَّةَ وصيانةَ

فلا الدهر مُبقيه ولا الشُّحُ وافرةَ

ومن يكُ ذا عودٍ صليبٍ يعدُّه

ليكسر عودَ الدهرِ فالدهرُ كاسرُهُ

وقال آخر^(٣) :

تخَيْرْتُ من نَعْمانَ عودَ أراكِةِ

لهندٍ فمن هذاَ يبلِّغُه هِنْدًا^(٤)

خليليَّ عوجاَ بَارِكَ اللهُ فيكما

وإن لم تكن هِنْدٌ لأرضكما قَصْدًا

وقولا لها ليس الضلالُ أجازنا

ولكننا جُرنا لتلقاكمُ عَمْدًا^(٥)

وقال آخر :

فتلك نيسابى لم تدنس بغدره

وورى زنادى فى ذرى المجد ثاقب^(٦)

ولو صادفتُ عوداً سوى عودِ نَبِعةِ

وهيأت أفتته الخطوبُ التواب^(٧)

وقال آخر :

عصا شريانية دُهنْت بزيْد

تدقُ عظامه عَظْماً فَعَظْماً

١٢٧

٥

١٠

١٥

(١) البيت وعبارة الإنشاد قبله ساقط من ل . وقد سبق البيت فى ص ٦١ .

(٢) ل : « حلىبي وحشئى » ولم أجد للبيت مرجعاً لتحقيقه .

(٣) هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة ، أحد شعراء الجاهلية ، الحماسة (٢ : ١٢٣) . ونسب

الشعر فى الأغاني (١٠ : ١٢٢) إلى المرقش الأكبر . وأنشد صاحب اللسان البيت الثانى فى اللسان

(جور) منسوباً إلى عمرو بن عجلان .

(٤) البيت لم يروه أبو تمام . وفى الأغاني أن المأمون غنى بين يديه بهذا البيت فقال : اطلبوا له ثانياً ،

فلم يعرفوا ، ثم سأل عن صاحبه فلم يعرفه أحد . ثم عرف الشعر وصاحبه من بعد ، إسحاق بن حميد ،

فبعث بخبره إلى المأمون . ه : « ولكن من يبلغه هنذا » .

(٥) أجازنا : عدل بنا ، كما فى اللسان (جور) .

(٦) الورى : خروج النار من الزند . والزناد : جمع زند .

(٧) أى لو صادفت الخطوب عوداً غير عود النبع أفتته وحطمته . يفتخر بصلافة عوده .

٢٠

٢٥

وليس هذا مثل قول لقيط بن زُرارة (١) :

إذا دهنوا رماحهم يزيد فإن رماح تميم لا تضير

وقال صالح بن عبد القدوس (٢)

لا تدخلن بنميمه بين العصا ولحائها

وقال شبيل بن معبد البجلي (٣)

برثني صروف الدهر من كل جانب كما يُتري دون اللحاء عسيب

وقال أوس بن حجر :

لحوتهم لحو العصا فطردتهم إلى سنة يجردانها لم تحلم (٤)

وقال الرقاشي في صفة القناة التي تُبرى منها القسي :

من شقيق خضر بروصيات (٥) صفر اللحاء وخلوقيات (٦)

جدلن حتى إضن كالحيات رشائقا غير مؤنات (٧)

(١) لقيط بن زرارة : شاعر فارس من فرسانهم في الجاهلية . وله خير في يوم رحرحان . وكان من الرؤساء في يوم جبلة ، وقتل في ذلك اليوم ، وجعل يقول عند موته :

يا ليت شعري عنك دختوس إذا أتاك الخير المرموس

أخلق القرون أم تميم لا بل تميم إنها عروس

دختوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغاني (١٠ : ١٩ - ٤٤) .

(٢) ترجم في (١ : ٢٠٦) .

(٣) هو شبيل بن معبد بن عبيد البجلي الأحمسي ، صحابي جليل ، وهو أحد من شهدوا على المغيرة

ابن شعبة . الإصابة ٣٩٥٢ .

(٤) ما عدا هـ : « لحوتهم » فطردتهم « صوابه من هـ والديوان ٢٧ واللسان والمقاييس (حلم) . وقبله :

ويخلجنهم من كل صمد ورجلة وكل غبيط بالمغيرة مفعم

لم تعلم : لم تسمن ، وذلك لشدة الجذب . ويرى : « قرداتها » .

(٥) بروصيات ، كذا وردت مضبوطة في الأصل .

(٦) خلوقيات : لونها لون الخلق ، وهو بالفتح : الزعفران .

(٧) رشائق : جمع رشيقة ، وهي الحسنة القد اللطيفة . ما عدل ، هـ : « وشائقا » ، تحريف .

والمؤنات : المعيبات ؛ والأبنة : العيب في الخشب والعود .

أَفْهَنَ مَتَطَّرَاتٍ (١) عمرو بن عُصْفُورٍ عَلَى اسْتِثْبَاتٍ (٢)

وقال محمد بن يَسِيرٍ (٣) :

وَمَشْتَمِرِينَ عَنِ السَّوَاعِدِ حُسْرٍ عَنْهَا بِكُلِّ رَشِيقَةِ التَّوْتِيرِ (٤)

لَيْسَ الَّذِي تُشْرَى بِدَاهِ رَمِيَّةٍ فِيهِمْ بِمَعْتَدِرٍ وَلَا مَعْدُورِ (٥)

عُطِفَ السِّيَابُ مَوَانِعَ فِي عَطْفِهَا تُعَزَى إِذَا تُسَبَّتْ إِلَى عُصْفُورِ (٦)

ذهب إلى قوله : * فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مُتَوَعُّغٌ (٧) *

وهذا مثل قوله : * خِرْقَاءُ إِلَّا أَنَّهَا صَنَاعٌ (٨) *

وهذا مثل قوله : * غَادَرَ دَاءً وَنَجَا صَحِيحًا (٩) *

ومثل قوله : * حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا (١٠) *

(١) التأنيف : التحديد . ما عدا هـ : « أفهين » وليس لها وجه . والمتطرات : السرعات .

(٢) عمرو بن عُصْفُورٍ : أحد القواسين . وفي الحيوان (٥ : ٢٣٣) « عُصْفُورِ الْقَوَاسِ » ، فلعله

والده .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٦٥) . ما عدا هـ : « محمد بن بشر » تحريف . والأبيات رويت في

الحيوان (٥ : ٢٣٥) . والأغاني (١٢ : ١٣٠) .

(٤) عنى بالمشمرين الصيادين بالسهام . والتوتير : شد وتر القوس ونحوها . ووجه روايته :

« لمشميرين » كما في الأغاني . هـ : « رقيقة التوتير » .

(٥) أشوى الرمية : لم يصب الصيد الذي يرميه .

(٦) عطف : جمع عطفاء ، وهى الحنية . وسية القوس : ماعطف من طرفها . وقيل البيت في الحيوان :

يتبعون مع الشروق غديئةً في كل معطية الجذاب تور

(٧) نسب في (١ : ١٤٩) وديوان المعاني (٢ : ٥٩) إلى العكلى . وأنشده في الحيوان (٣ : ٧٢) .

(٨) سبق في (١ : ١٥٠) وهو في صفة ناقة . قال الجاحظ : « يصف سرعة نقل يديها ورجليها ،

أنها تشبه المرأة الخرقاء ، وهى الخرقاء في أمرها الطياشة » . وانظر الحيوان (٣ : ٧٢) والعمدة (١ : ١٦٨) .

(٩) سبق البيت والكلام عليه في (١ : ١٥٠) .

(١٠) « نجا من جوفه » ، أى نفذ سهم الصائد من جوف الحمار ، كما ذكر الجاحظ في الحيوان

(٣ : ٧٥) . وسبق إنشاده في البيان (١ : ١٥٠) ، « حتى نجا من شخصه » .

فإذا طال قيام الخطيب صار فيه الخناء وجناً^(١). وقال الأسدَى :

أنا ابنُ الخالدين إذا تلاقَى من الأيام يومٌ ذو ضجّاج^(٢)

كانَ اللَّعبُ والخُطباءُ فيه قسيٌ مثقِفٌ ذاتُ اعوجاج^(٣)

وعلى هذا المعنى قال الشماخ بن ضِرارٍ :

فأضحتُ ثَفَالِي بالسُّتارِ كأنَّها رماحٌ نحاها وجهَةُ الرِّيحِ راكِزٌ^(٤)

وقال العُمانيّ :

عابَ يرى ضَرَبَ الرجالِ مَغْنَمًا إذا رأى مُصَدِّقًا تَجَمَّها^(٥)

وهزَّ في الكفِّ ، وأبَدَى المِعصما هِرَاوَةً نَبِيعَةً أو سَلَمًا^(٦)

تتركُّ ما رام رُفَاتًا رِمَمًا^(٧)

وقال أمية بن الأسكر^(٨) :

هَلَّا سَأَلتِ بنا إن كنتِ جاهلةً ففى السُّؤالِ من الأتباءِ شافِها^(٩)

(١) الجنأ : ميل في الظهر وحذب .

(٢) الضججاج ، بالفتح والكسر : المشاغبة والمشاورة . والخالدان : خالد بن نضلة ، وخالد بن قيس .

جنى الجنتين ٤٣ .

(٣) اللَّعب ، بالفتح : الكلام الفاسد السيء . ما عدل ، ه : « اللَّعب » بالعين المهملة ،

تحريف . ما عدل ه : « فيها اعوجاج » فيكون فيه الإقواء .

(٤) البيت آخر بيت من قصيدة له في ديوانه ٤٣ وجمهرة أشعار العرب ١٥٤ . وتغالت الحُمُر :

احتكت ، كأن بعضها يملأ بعضها . والستار : موضع . ووجهة الرِّيح : أى في مواجهتها . والراكر : الذى

يغرز الرمح ونحوه في الأرض . ورواه القرشى في الجمهرة : « تغالى » بالغين ، وفسرها بقوله : أى تسابق ، تدخل

رأسها بين أخواتها .

(٥) المصدق : الذى يتولى جمع الصدقات ، وهى الزكاة ، وكان النزاع دائماً بين المصدقين

والمصدقين . انظر صورة قوية منه في قصيدة الراعى في جمهرة أشعار العرب ١٧٥ .

(٦) نبيعة ، من النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسي . والسلم : ضرب من الشجر

(٧) الرفات : الحطام من كل شيء تكسر . ما عدل ، ه : « رفاقا » تحريف .

(٨) أمية بن الأسكر ، شاعر من مخضرمى الجاهلية والإسلام . وهاجر ابنه « كلاب » إلى المدينة ثم

خرج في بعث إلى العراق في خلافة عمر ، وكان هو قد كبر ، فبكاه بشعر ، فلما بلغ عمر ذلك أمر برده

إليه . الإصابة ٢٥١ والمعرين ٦٧ - ٦٩ والأغانى (١٨ : ١٥٦) والخزانة (٢ : ٥٠٥) وأسد الغابة .

(٩) ما عدل : « من الإعياء » تحريف .

تخبرك عنا معداً إن هم صدقوا ومن قبائل نجران يمانها
وبالجياذ تجر الخيل عابسة كأن منرور ملح في هوادها (١)
قوم إذا قدغ الأقوال طاف بهم ألقى العصي عصي الجهل بارها

قال . والرَّجُل إذا لم يكن معه عصاً فهو باهل . وناقاة باهل وباهلة ، إذا كانت بغير صرار (٢) . وقال الراجز :

أبهأها ذائدها وسبأها (٣) ودقت المركو حتى ابلندحا (٤)

* * *

احتجنا إلى أن نذكر ارتفاع بعض الشعراء من العرجان بالعصي ، عند ذكرنا العصا وتصرفها في المنافع . والذي نحن ذاكروه من ذلك في هذا الموضوع قليل من كثير ما ذكرناه في كتاب العرجان . فإذا أردتموه فهو هناك موجود إن شاء الله .

قالوا : ولما شاع هجاء الحكم بن عبدل الأسدي (٥) لمحمد بن حسان بن سعد (٦) وغيره من الولاة والوجوه ، هابه أهل الكوفة ، واثقى لسانه الكبير والصغير ، وكان الحكم أعرج لا تفارقه عصاه ، فترك الوقوف بأبوابهم وصار يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يحبس له رسول ، ولا يؤخر

(١) الهوادي : الأعناق . وإذا يبس عرق الخيل ابيض وصار كالمح . قال طفيل الغنوي :

كأن يبس الماء فوق متونها أشارير ملح في مائة مجرب

انظر شروح سقط الزند ٤٨ ، ٢٥٤ والمفضليات (٢ : ١٤٣) .

(٢) الصرار ، بالكسر : خيط يشد فوق خلفها لئلا يضعها ولدها .

(٣) السبح : الفراغ الطويل والتصرف جيئة وذهابا .

(٤) المركو : الحوض الكبير . وابلندح : اتسع وعرض . والبيت في اللسان (بلدح) .

(٥) فيما عدا هـ : « الأزدي » ، تحريف . وهو الحكم بن عبدل بن جبلة ، انتهى نسبه إلى أسد بن

خزيمة . وكان هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية . ومنزله ومنشؤه الكوفة . وترجمته في الأغاني (٢ :

١٤٤ - ١٥٣) .

(٦) سبقت ترجمته في (١ : ٨٨) .

عنه لقراءة الكتاب ، ثم تأتيه الحاجة على أكثر مما قدر ، وأوفر مما أمل ، فقال يحيى بن نوفل :

عصا حَكِيمٍ فِي الدَّارِ أَوَّلُ دَاخِلٍ وَنَحْنُ عَنِ الأَبْوَابِ نَقْصَى وَنُحْجَبُ^(١)

وأما قول بشر بن أبي خازم :

١٣٠

لِلَّهِ دُرٌّ بَنَى الحَدَاءِ مِنْ نَفْرِ وَكَلُّ جَارٍ عَلَى جِيرَانِهِ كَلْبُ^(٢)
إِذَا غَدَوْا وَعِصَى الطَّلْحِ أَرْجُلُهُمْ كَمَا تُنْصَبُ وَسَطَ البَيْعَةِ الصُّلْبِ

وإنما يعنى أنهم كانوا عُرجاناً ، فأرجلهم كعصى الطَّلْحِ . وعصى الطَّلْحِ معوجّة . وكذلك قال مُعْدَانُ الأعمى ، في قصيدته الطويلة التي صَنَفَ فيها الغالية والرافضة ، والتميمية ، والزبيديّة :

والذى طَفَّفَ الجِدَارَ مِنَ الذُّعْ رٍ وَقَد بَاتَ قَاسِمَ الأَنْفَالِ^(٣)

فغدا خامعاً بوجه هشيمٍ وبساقٍ كعودٍ طَلْحٍ بِالِ^(٤)

وقال بعض العُرجان^(٥) ممن جعل العصا رجلاً :

مَا لِلْكَوَاعِبِ يَا دَهْمَاءَ قَدْ جَعَلْتِ تَزْوَرُّ عَنِّي وَتَطْوِرِي دُونِي الحُجْرُ^(٦)

لَا أَسْمَعُ الصَّوْتِ حَتَّى أَسْتَدِيرَ لَهُ لَيْلًا طَوِيلًا يَبَاغِينِي لَهُ القَمْرُ

وكنتُ أمشي على رجلين معتدلاً فصرتُ أمشي على رجلٍ مِنَ الشَّجْرِ

(١) بعده في الأغاني (٢ : ١٤٤) :

وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذى لعمر الله أدهى وأعجب

تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ويرغب في المِرْضَاةِ مِنْهَا وَيَرْهَبُ

(٢) البيتان في الحيوان (١ : ٣١٦ / ٦ : ٤٨٤) .

(٣) طفف الجدار : علاه ورفع . والأنفال : الغنم والبهات ، جمع نفل بالتحريك .

(٤) في الحيوان (٦ : ٤٨٥) : « بأيدي هشيم » .

(٥) الشعر يروى لعمر بن أحمَرِ الباهلي ، كما في الموشح ٨٠ . وانظر الخزانة (٤ : ٩٤) .

(٦) في الموشح والخزانة : « يا عيساء » . وفي هـ : « وتلقى » .

وقال رجلٌ من بنى عجل :
 وشى بى واش عند ليلى سفاهة
 وخبرها أنى عرجت فلم تكن
 وما بى من عيب الفتى غير أننى

فقال له ليل مقالة ذى عقل (١)
 كورهاة تجتر الملامة للبعيل
 جعلت العصا رجلاً أقيم بها رجلى

وقال أبو ضبة (٢) فى رجله :

وقد جعلت إذا ما نمث أوجعنى
 وكنت أمشى على رجلين معتدلاً

ظهري وامت قيام الشارف الظهير (٣)
 فصرت أمشى على رجل من الشجر

١٣١

وقال أعرابي من بنى تميم :

وما بى من عيب الفتى غير أننى

ألفت قناتى حين أوجعنى ظهري (٤)

قال : ودخل الحکم بن عبدل الأمدى (٥) وهو أعرج ، على عبد الحميد
 ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وهو أمير الكوفة وكان أعرج (٦) ، وكان
 صاحب شُرطه أعرج ، فقال ابن عبدل (٧) :

ألقى العصا ودع التخامع والتمس
 لإميرنا وأمير شُرطتنا معاً
 عملاً فهذى دولة العرجان (٨)
 لكليهما يا قومنا رجلاين

(١) الأبيات فى الحيوان (٦ : ٤٨٣) .

(٢) فى الحيوان (٦ : ٤٨٣) والخزانة (٤ : ٩٥) : « أبو حية » .

(٣) الشارف من الإبل : المسن . والظهير : الذى يشتكى ظهره ، كما فى مقاييس اللغة . ورواية
 الحيوان : « الشارب السكر » .

(٤) الحيوان (٥ : ٤٨٤) .

(٥) ل : « الأزدى » ، صوابه فيما عدل ل .

(٦) ما عدل ل : « وهو أعرج » فقط .

(٧) فى الخير نقص ، وفى الأغاني (٢ : ١٤٥) أنه لقي سائلا أعرج وقد تعرض للأمير يسأله .

(٨) التخامع : التعارج . وفى الأصل : « التخادع » ، صوابه من الأغاني (٢ : ٤٠٦) طبع دار

الكتب (. وفى الحيوان (٥ : ٤٨٥) : « ودع التعارج » .

١٥

٢٠

٢٥

فإِذَا يَكُونُ أَمِيرُنَا وَوَزِيرُنَا وَأَنَا فَإِنَّ الرَّابِعَ الشَّيْطَانَ (١)
ومما يدلُّ على أنَّ للعصا موقعاً منهم ، وأنها تدور مع أكثر أمورهم قولُ مزرد
ابن ضيرار :

فَجَاءَ عَلَى بَكْرٍ ثَفَالٍ يَكُدُّهُ عَصَاهُ اسْتُهُ ، وَجَعَّ الْعُجَابِيَّةَ بِالْفِهْرِ (٢)

ويقولون : اعتصى بالسيف ، إذا جعل السيف عصاه ، وإِنَّمَا اشْتَقُوا
للسيف اسماً من العصا ؛ لِأَنَّ عَامَّةَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَصْلُحُ فِيهَا السُّيُوفُ تَصْلُحُ فِيهَا
العصى ، وليس كلُّ موضعٍ تَصْلُحُ فِيهِ الْعَصَا يَصْلُحُ فِيهِ السُّيْفُ .

وقال الآخر :

وَنَحْنُ صَدَعْنَا هَامَةَ ابْنِ مُحَرِّقٍ كَذَلِكَ نَعَصَى بِالسُّيُوفِ الصُّوَارِمِ

وقال عمرو بن الإطنابة (٣) :

وَفَتَى يَضْرِبُ الْكُتَيْبَةَ بِالسُّيْفِ إِذَا كَانَتْ السُّيُوفُ عَصِيًّا (٤)

وقال عمرو بن مُحَرِّزٍ :

نَزَلُوا إِلَيْهِمُ وَالسُّيُوفُ عَصِيَّهُمْ وَتَذَكَّرُوا دِمْنًا لَهُمْ وَذُخُولًا (٥)

(١) في هذا البيت إقواء .

(٢) البكر ، بالفتح : الفتى من الإبل . والثفال ، بفتح الثاء وتخفيف الفاء : البطيء الثقيل . عصاه استه ،
أى ليس معه عصا فهو يحرك استه على الحمار حتى يسير . انظر مجالس ثعلب ٣٨٠ حيث أنشد عجز هذا البيت .
والوجع : الضرب . والعجاية ، بالضم : العصب يضرب حتى يلين . والفهر ، بالكسر : الحجر ملغ الكف . ل :
العجانة « ما عدل : « العجاية » صوابهما ما أثبت من هـ . وانظر الأغاني (١٤ : ٢٠) .

(٣) الإطنابة أمه ، وهو عمرو بن زيد مناة الخزرجي ، شاعر فارس من فرسان الجاهلية . معجم
المرزبانى ٢٠٣ - ٢٠٤ . وذكر أبو الفرج في الأغاني (١٠ : ٢٨) أنه كان ملك الحجاز .

(٤) قبله في الأغاني :

إِن فِينَا الْقِيَانَ يَعْرِضُ بِالِدِ فِ لَفْتِيَانَا وَعَيْشَا رَحِيَا

يَتْبَارِينَ فِي النِّعَمِ وَيَصْبِيهِ مِنْ خِلَالِ الْقُرُونِ مَسْكَا ذَكِيَا

إِنَّمَا هَمَّهَنْ أَنْ يَتَحْلِيَهُ مِنْ سَمُوطًا وَسَنْبِلَا فَارَسِيَا

مِنْ سَمُوطِ الْمَرْجَانِ فَصَّلُ بِالِدِ رِ فَأَحْسِينَ بِمَجْلِيهِنْ حَلِيَا

٢٥

(٥) الدمن : جمع دمنة ، بالكسر ، وهو الحقد القديم . والذحل : الثأر .

وقال الفرزدق همأم بن غالب بن صعصعة :

إِنَّ ابْنَ يَوْسُفَ مُحَمَّدٌ خَلَاتُفُهُ سَيِّانٌ مَعْرُوفُهُ فِي النَّاسِ وَالْمَطَرُ (١)
هُوَ الشَّهَابُ الَّذِي يُرْمَى الْعَدُوَّ بِهِ وَالْمَشْرِفِيُّ الَّذِي تَعَصَى بِهِ مُضَرُّ
يُقَالُ عَصَى بِالسَّيْفِ وَاعْتَصَى بِهِ .

وقال العريان بن الأسود ، في ابن له مات :

وَلَقَدْ تَحْمِلُ الْمَشَاةَ كَرِيمًا لِيَنَّ الْعُودَ مَا جَدَّ الْأَعْرَاقُ
ذَاكَ قَوْلِي وَلَا كَقَوْلِ نِسَاءٍ مُغُولَاتٍ يَكِينُ بِالْأُرُوقِ (٢)

وكتب عمرو بن العاص إلى عُمَرَ بن الخطاب رحمه الله : « إِنَّ الْبَحْرَ خَلَقَ عَظِيمٌ يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ : دَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ (٣) » .

وقال وائلة السُدُوسِيُّ (٤) :

رَأَيْتَكَ لَمَّا شَيْتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي يُصِيبُ سَرَاةَ الْأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ (٥)
سَفَاهَةً أَحْلَامٍ وَيُخَلِّ بَنَائِلِ وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ الْمَزُونَ عُيُوبُ (٦)
لَقَدْ صَبْرَتْ لِلذَّلِّ أَعْوَادُ مَنِيرِ تَقُومُ عَلَيْهَا ، فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ
وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْكُمْ رِزَادِيقَ فَارِسِ وَبِالْمَصْرِ دُورٌ جَمَّةٌ وَدُرُوبُ (٧)

(١) ابن يوسف هو الحجاج ، كما في ديوان الفرزدق ٤٣٥ .

(٢) الأرواق : أرواق البيوت ، جمع روق بالفتح ، وهو البيت أو ما بين يديه . ل : « بالأرواق » ما عدا ل : « للأرواق » ، والوجه ما أثبت .

(٣) سبق هذا الكتاب في (٢ : ١١٣) .

(٤) ل : « وائلة بن الأسقع السُدُوسِيُّ » . وكلمة « الأسقع » مقحمة ، وإنما هو « وائلة بن خليفة السُدُوسِيُّ » كما سبق في (١ : ٢٩١ / ٢ : ٣١٣) . وأما وائلة بن الأسقع فهو صحابي جليل كان من أهل الصِّفَّة . توفي سنة ٨٣ في خلافة عبد الملك بن مروان . تهذيب التهذيب والإصابة ٩٠٨٨ . والشعر بقوله في هجاء عبد الملك بن المهلب .

(٥) سبق تفسير الشعر في الموضعين السالفين .

(٦) في هامش ه : « المزون : أزدعمان » . وهو بفتح الميم كما في اللسان .

(٧) الرزاديق ، هي الرساتيق ، وقد سبق تفسيرها . ما عدا ل : « رساتيق » .

وَأُنشِدُ الْأَصْمَعَى (١) :

أعددتُ للضيِّفانِ كلباً ضارياً وهراوةً مجلوزةً من أُرْزِنِ (٢)
ومعاذراً كذباً ووجهاً باسِراً وتشكياً عَضَّ الزمانِ الأَلْزِنِ (٣)
وشذاةً مرهُوبِ الأذى قاذورةً حَشيْنِ جوانبه دَلُوْظِ ضَيِّزِنِ (٤)
وبكفٍّ محبوكِ اليدينِ عن العَلا والباعِ مسودِّ الذراعِ مُقْحَزِنِ (٥)
وتجنياً لهم الذنوبَ وأتقى بغليظِ جلدِ الوجنتينِ عَشْوَزِنِ (٦)

١٣٣

وقال جرير :

تَصِفُ السِوْفَ وَغَيْرُكُمْ يَعْصَى بِهَا يَا ابْنَ الْقِيَوْمِ وَذَاكَ فَعَلَ الصَّيْقِلِ (٧)

وقال الراعي :

١٠ تبيت ورجلاها إوْانسانٍ لاستها عصاها استُها حتى يكُلُّ قَعودها (٨)

(١) الشعر لوير بن معاوية الأَسدي ، كما في حماسة البحتری ٤١٥ . وكان يعامل تجار المعدن ويلوهم بحقوقهم . وانظر إنشاد الشعر في الحيوان (٢ : ٢١٠) والبخلاء ٢٠٠ وعيون الأخبار (٣ : ٢٤٢) .

(٢) جلز السكين والسوط : حزم مقبضه وشده بعلباء البعير . ويروي : « وفضل هراوة » . والأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصي ، كما في اللسان (رزن) عند إنشاد هذا البيت .

١٥ (٣) الباسر : العابس الذي ينظر بكراهة شديدة . والألزن : الضيق ؛ وأصله من الماء الملزون : الذي يردحم عليه . انظر اللسان (لزن) حيث أنشد البيت .

(٤) الشذاة : الشر والحدة . والقاذورة : السيء الخلق . والدلوظ : أراد به الشديد الدفع . وفي اللسان : « المدلظ : الشديد الدفع » . والضَيِّزِنِ : المزاحم .

(٥) الباع : السعة في المكارم . والمقْحَزِنِ : المصروع .

٢٠ (٦) العشوزن : العسر الخلق .

(٧) يهجو الفرزدق من قصيدة في ديوانه ٤٤٢ - ٤٤٨ .

(٨) الإوان من أعمدة الحباء . وأنشد هذا الصدر في اللسان (أون) . وقال : أي رجلاها سندان لاستها تعتمد عليهما . ما عدال ، هـ : « أذنان » تحريف . وانظر لقوله : عصاها استها ، ما سبق في حواشي ٧٧ . والقعود ، كصبور : ما اتخذه الراعي للركوب من الإبل . وفي شروح سقط الزند ١٦٦٤ : « يريد أن كفلها قليل اللحم عارى العظام ، فإذا أرادت أن تستحث الناقة اعتمدت عليها بكفلها ، فقام ذلك لها مقام العصا ، فأسرعت الناقة بها » .

وقال أعرابيٌّ للحطيطية : ما عندك يا راعي الغنم ؟ قال : عجرا من
سَلَم (١) قال : إني ضيف ! قال : للضيفان أعددتها .

* * *

وقال الشَّماخ بن ضيرار :

إلى بَقَرٍ فِيهِنَّ لِلْعَيْنِ مَنْظَرٌ وَمَلْهُى لِمَنْ يَلْهُو بِهِنَّ أَنْيُقُ (٢)
رَعِينِ النَّدى حَتَّى إِذَا وَقَدَ الْحصى وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَوْءِ السَّمَاكِ بُرُوقُ (٣)
تَصَدَّعَ شَعْبُ الْحَىِّ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا كَذَاكَ النَّوى بَيْنَ الْخَلِيطِ شَقُوقُ (٤)

وقال امرؤ القيس :

قُولًا لِلدُّودَانَ عَيْبِدِ الْعَصَا مَا عَرَّكُمُ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ (٥)
وإِذَا رَأَيْتِ الْمَرْءَ يَشْعَبُ أَمْرَهُ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْغَدِيرِ (٦) :
شَعْبَ الْعَصَا وَيَلْجُ فِي الْعِصْيَانِ فَاعِمِدْ لِمَا تَعْلُو فَمَا لَكَ بِالنِّى
لا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأُمُورِ يَدَانِ (٧)

(١) العجرا : الكثيرة العُجْر ، أى العقد . والسلم ، بالتحريك : شجر . وقد سبق الخبر فى (٢ : ١٤٧) .

(٢) قبله فى الديوان ٦٢ :

فقلت خليل انظرا اليوم نظرة لعهد الصبا إذ كنت لست أفيق

(٣) الندى ، أراد ما أنبته الندى من المرعى . ووقد الحصى : اشتدت حرارته .

(٤) هذا البيت ساقط من ب ، ح . والخليط : القوم الذين أمرهم واحد . وشقوق : وصف من شق ، أى فرق .

(٥) دودان : قبيلة من بنى أسد بن خزيمه . وانظر ديوان امرئ القيس ١٤٨ .

(٦) هو على بن الغدير الغنوى ، شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية ، وله شعر فى فتنة ابن الزبير . المؤلف ١٦٤

ومعجم المرزبانى ٢٨٠ . وهو القائل :

وهَلْكَ الْفَتَى أَلَا يَرِاحُ إِلَى النَّدى وَأَلَا يَرى شَيْبًا عَجِيبًا فِعِجِبًا

(٧) يقال علا بالأمر : اضطلع به ، كما فى اللسان عند إنشاد البيت . وروى المرزبانى من هذه القصيدة :

وإذا سملت الخير فاعلم أنه نِصَمٌ تَخَصُّ بِهَا مِنَ الرَّحْمَنِ

شيم تعلق فى الرجال وإنما شيم الرجال كهيئة الألسوان

وقال الآخر :

وهجهاجة لا يملأ الليل صدره
صحيح برىء العود من كل أبتة
إذا التكسُ أغضى طرفه غير أروع^(١)
وجمّاع نهب الخير في كل مجمع^(٢)

وقال مسكين الدارمي :

تَسْمُو بأعناقٍ وتحبسها
عَنَّا عصيُ الذادة العُجْرُ^(٣)

١٣٤ * حباب بن موسى^(٤) ، عن مُجَالِدٍ ، عن الشَّعْبِيِّ^(٥) ، عن زُحْر بن قيس^(٦) قال : قدمتُ المدائن بعد ما ضُربَ علي بن أبي طالب رحمه الله ، فلقينِي ابنُ السَّوداءِ^(٧) وهو ابن حرب ، فقال لي : ما الخير ؟ قلتُ : ضُربَ أمير المؤمنين ضربةً يموت الرَّجُلُ مِن أيسرَ منها ويعيش من أشدَّ منها . قال : لو جئتمونا بدماعه في مائة صرَّة لعلمنا أنه لا يَمُوت حتَّى يذودكم بعصاه^(٨) .

١٠

(١) في هامش هـ : « يقال فعل هجهاج ، إذا كان شديد الهدير . » والتكس ، بالكسر : الرجل الضعيف . والأروع : الذي يرتاع من كل ما رأى وما سمع .

(٢) الأبتة ، بالضم : العيب يكون في العود ونحوه .

(٣) هـ : « عنها » ل والتيمورية : « للعجز » تحريف . والذادة : جمع ذائد ، وهو الذي يذود الإبل

١٥

ويطردها . والعجز : جمع عجرا ، وهي العصا التي فيها عقد .

(٤) المعروف في كتب الرجال « حسان بن موسى » . انظر تهذيب التهذيب .

(٥) ترجمة مجالد بن سعيد في (١ : ٢٤٢) ، وعامر الشعبي في (١ : ١٩٤) .

(٦) هو زحر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سعة الجعفي ، وزحر ، بفتح الزاي وسكون الحاء

٢٠

المهملة . وكان أحد أصحاب علي بن أبي طالب ، أنزله المدائن في جماعة جعلهم هناك رابطة . روى عنه عامر

الشعبي ، وحسين بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٤٦٠٥ حيث أورد الخبر التالي أيضاً . وكان علي إذا نظر إليه

قال : « من سره أن ينظر إلى الشهيد الحى فلينظر إلى هذا » . وكان له أربعة أولاد نجباء : أحدهم فزات ، قتله

المختار . والثاني جبلة ، قتل مع ابن الأشعث وكان على القراء ، فقال الحجاج : ما كانت فتنة قط تنجلي حتى

يقتل عظيم من العظماء . والثالث جهم كان مع قتيبة بن مسلم بخراسان ، وولى جرجان . والرابع جمال ، كان

بالرستاق . الإصابة ٢٩٦٠ .

٢٥

(٧) ابن السواد هذا هو عبد الله بن سبأ . وكانت أمه سوداء . الطبرى (٥ : ٩٨) والفرق بين

الفرق ٢٢٥ . وكان يهوديا من أهل صنعاء ، أسلم في أيام عثمان وحاول تضليل المسلمين . وهو صاحب

السياسة .

(٨) بعده في تاريخ بغداد : « قال : فوالله ما مكثنا إلا تلك الليلة حتى جاءنا كتاب =

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ الآية . وقال الشاعر :

رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ تَفَرَّنَ مَنِيَّ نِفَارَ الْوَحْشِ مِنْ رَامٍ مُفِيئِي (١)
رَأَيْنَ تَغْيِيرِي وَأُورْدَنَ لَدُنْسًا كَعُضْنِ الْبَانِ ذِي الْفَنَنِ الْوَرِيْقِ

وقال أبو العتاهية :

عَرِيْتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكَانَ غَضًّا كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرِقِ الْقَضِيْبُ (٢)
أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأَخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ السَّمْشِيْبُ

وقال الآخر (٣) :

وَلَمَنْ عَمِرْتُ لَقَدْ عَمِرْتُ كَأَنِّي غُضْنٌ تُثْنِيهِ الرِّيَّاحُ رَطِيْبُ (٤)
وَكَذَاكَ حَقًّا مِنْ يُعَمَّرُ يُبِيْلُهُ كَرُّ الرِّمَانِ عَلَيْهِ وَالتَّقْلِيْبُ
حَتَّى يَعُودَ مِنَ الْبِلَى وَكَأَنَّهُ فِي الْكَفِّ أَفَوْقَ نَاصِلٍ مَعْصُوبُ (٥)
مُرْطُ الْقِذَاذِ فَيْلِسَ فِيهِ مَصْنَعٌ لَا الرِّيْشُ يَنْفَعُهُ وَلَا التَّعْقِيْبُ (٦)

= الحسن بن علي : من عبد الله حسن أمير المؤمنين إلى زحر بن قيس . أما بعد فخذ البيعة على من قبلك . والخبر برواية أخرى في الفرق بين الفرق ، و فرق الشيعة للتوحيدي ٢٠ .

(١) أفاق الرأى السهم : وضعه في الوتر ليرمى به .

(٢) قبله في ديوانه ٢٣ :

بكيت على الشباب بدمع عيني فلم يغن البكاء ولا النحيب

فيا أسفا أسفت على شباب نعاه الشيب والرأس الحضيْب

(٣) هو نوبع بن نبيع الفقمسي ، كما في أمالي الزجاجي ١٢٦ - ١٢٩ ولسان العرب (مرط)

حيث القصيدة بتامها . ويقال بل هو نافع بن نبيع ، وقيل نافع بن لقيط الفقمسي . وقد نسب البيت الأول والرابع في اللسان (فياً ، صنع) منسوباً إلى نافع بن لقيط . والأبيات في ملحقات ديوان لبيد ٤٩ .

(٤) في الديوان واللسان وأمالي الزجاجي : « ولئن كبرت » . وفي هذه المراجع أيضاً : « تغيته

الرياح » ، أى تحركه وتميله يمينا وشمالا .

(٥) الأفوق : السهم المنكسر الفرق ؛ والفوق ، بالضم : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .

والتاصل : الذى لا نصل له .

(٦) السهم المرط : الذى لا ريش عليه . والقذاذ : جمع قذة ، وهى ريشة السهم . ويقال ليس فيه مصنع ، أى ما فيه

مستملح . والتعقيب : أن ينكسر فيشده بالعقب ؛ والعقب بالتحريك العصب الذى تعمل منه الأوتار ، وهو عصب =

وقال عروةُ بن الورد :

أليس ورأى أن أدبَّ على العصا
فَيَأْمَنَ أعدائى ويسأمنى أهلى (١)
وأنشد :

عَصَوًا بسُيُوفِ الهندِ واعتكرت بهم
بَرَآكَاءُ حربٍ لا يطيرُ غرابها (٢)

وقال ليبيد :

أليس ورأى إن تراخت مَنَّتِي
لُزُومُ العصا تُحَنِّي عليها الأصابعُ (٣)

وقال الآخر :

تُقيمُ العصا ما كان فيها لدونَةٌ
وتألى العصا في يُيسِها أن تُقَوِّمًا

وقال الآخر :

١٠. إنَّ العَصُونَ إذا قَوِّمَتْهَا اعتدلت
ولن تَلينَ إذا قَوِّمَتْهَا الحُشْبُ (٤)

وقال جرير :

ما للفرزدق من عَزْرٍ يلوذ به
سَيروا بنى العَمِّ فالأهوازُ منزلِكُمْ
وَنهرٌ تَيَرَى فَمَا تَدْرِيكُمُ العربُ
إلا بنى العَمِّ في أيدِيهِمُ الحُشْبُ (٥)

وقال جرير في هجائه بنى حنيفة (٦) :

١٥ = المتنين والساقين والوظيفين ، ينقى من اللحم ويسوى منه الوتر . وضبط « الريش » في هـ بفتح
الراء ، من راش السهم يريشه .

(١) البيت مطلع قصيدة له في ديوانه ١٠٢ .

(٢) يقال عصا بسيفه يعصو ، وعصى بكسر الصاد يعصى بفتحها : أخذه أخذ العصا . والاعتراك :

الازدحام . والبرآكاء ، بالفتح : ساحة القتال . لايطير غرابها ، كناية عن كثرة القتلى والجيف .

(٣) ورأى ، بمعنى قدامى . كما في قوله تعالى : (ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً) . يقول: ليس بعد الحرم

إلا أن أزم العصا وأدب عليها . والبيت في ديوان ليبيد ٢٣ طبع ١٨٨٠ .

(٤) سبق البيت مع قرين له في (٢ : ٢٣٣) .

(٥) مضى البيت والكلام عليه في ص ١٦ من هذا الجزء .

(٦) الأبيات من قصيدة له في ديوانه ٥٩٩ - ٦٠٠ .

- أصحابُ نخيلٍ وجيطانٍ ومزرعةٍ سيوفُهُمُ حُشْبٌ فيها مساجيحها (١)
 قَطْعُ الدِّبَارِ وَسُقَى النخْلِ عَادَتُهُمْ قَدَمًا وَمَا جَاوَزَتْ هَذَا مَسَاعِيهَا (٢)
 لَوْ قِيلَ أَيْنَ هَوَادَى الخَيْلِ مَا عَرَفُوا قَالُوا لِأَعْجَازِهَا هِذَى هَوَادِيهَا (٣)
 أَوْ قُلْتَ إِنَّ حِمَامَ المَوْتِ آخِذُكُمْ أَوْ تُلْجَمُوا فِرْسًا قَامَتْ بِوَآكِيهَا (٤)
 لَمَّا رَأَتْ خَالِدًا بِالْعَرَضِ أَهْلَكَهَا قِتْلًا وَأَسْلَمَهَا مَا قَالَ طَاغِيهَا (٥)
 دَانَتْ وَأَعْطَتْ يَدًا لِلسَّيْلِمْ طَائِعَةً مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يُفْنِيهَا (٦)

وقال سلامة بن جندل :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فِرْعٌ كَانَ الصَّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَائِبِ (٧)

ويقال للخطاب^(٨) إذا كان مرغوباً فيه كريماً: ذاك الفحل الذى لا يقرع أنفه^(٩)؛

لأن الفحل اللقيم إذا هبَّ على الناقة الكريمة ضربوا وجهه بالعصا .

وقال الآخر :

(١) الجيطان : جمع حائط ، وهو البستان من النخل إذا كان عليه جدار . والمسحاة : المحرفة من حديد .
 (٢) الدبار : جمع دبرة بالفتح ، وهى الساقية بين المزارع . وفى الديوان : « وأبر النخل » أى
 إصلاحه . ل فقط : « هذى » بدل « هذا » .

(٣) هوادى الخيل : أعناقها لأنها أول شئ فيها . والهادية من كل شئ ء : أوله . هـ : « ما علموا » .
 وفى الديوان : « قالوا لأذنانها » .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « أو قيل » . وحمام الموت : ما قضى منه وقدر .

(٥) خالد هذا هو خالد بن الوليد ، الذى فتح اليمامة وقضى على بنى حنيفة سنة ١١ فى أيام أبى
 بكر الصديق . والعرض ، بالكسر : وادى اليمامة ، كله لبنى حنيفة ، إلا شيئاً منه لبنى الأعرج من بنى سعد
 ابن زيد مناة . وكتب فى هـ فوق « طاغيا » : « غاويها » رواية أخرى .

(٦) سيف الله : لقب خالد بن الوليد . الإصابة ٢١٩٧ حيث أورد حديث : « نعم عبد الله ، هذا
 سيف من سيوف الله » . فى الديوان : « صاغرة » بدل : « طائعة » .

(٧) سبق البيت والكلام عليه فى ص ٤٥ .

(٨) ما عدا هـ : « للخطاب » . وأشير فى حاشية التيمورية إلى أنها فى نسخة : « للخطاب » .

(٩) انظر ما مضى فى حواشى ص ٤٤ .

كَأَنَّهَا إِذْ رُفِعَتْ عَصَاهَا نِعَامَةً أَوْحَدَهَا رَأَلَهَا (١)

* * *

وَمَمَّنْ أَضَافُوهُ إِلَى عَصَاهُ: دَاوُدُ مَلِكَيْنِ الْيَشْكُرِيِّ، وَكَانَ وَلِيَّ شَرْطِ الْبَصْرَةِ .
وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَفَاضَ مِنْ جَمْعٍ (٢) وَهُوَ يَخْرِشُ
بِعَيْرِهِ بِمِحْجِنِهِ (٣) .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْمِخْجَنُ : الْعَصَا الْمَعْوِجَةُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : « أَنَّهُ طَافَ بِالْبَيْتِ يَسْتَلِمُ الْأَرْكَانَ بِمِحْجِنِهِ .
وَالْحَرْشُ : أَنْ يَضْرِبَهُ بِمِحْجِنِهِ (٤) ثُمَّ يَجْذِبُهُ إِلَيْهِ ، يَرِيدُ بِذَلِكَ تَحْرِيكَهُ .

وَقَالَ الرَّاعِي :

فَأَلْقَى عَصَا طَلْحٍ وَنَعْلًا كَأَنَّهَا جَنَاحُ السَّمَائِيِّ رَأْسُهُ قَدْ تَصَوَّعَا (٥) ١٣٦

وَالْعَصَا أَيْضًا : فَرَسٌ شَيْبٌ بِنِ كُرَيْبِ الطَّائِي .

أَبُو الْحَسَنِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمٍ (٦) قَالَ : كَانَ شَيْبٌ بِنِ كُرَيْبِ الطَّائِي
يَضْرِبُ الطَّرِيقَ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَحْمَرَ بْنَ شَمِيطٍ
الْعَجَلِيَّ وَأَخَاهُ فِي فَوَارِسَ ، فَهَرَبَ شَيْبٌ وَقَالَ (٧) :

وَمَا أَنْ رَأَيْتَ ابْنَتِي شَمِيطٍ بِسَكَّةٍ طُيِّئَ وَالْبَابُ دُونِي ١٥

(١) الرَّأَلُ : فَرَسٌ النَّعَامَةُ . وَأَوْحَدَهَا : تَرَكَهَا وَحْدَهَا ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

(٢) جَمْعٌ ، بِالْفَتْحِ ، هِيَ الْمَزْدَلْفَةُ . وَيَوْمٌ جَمْعٌ هُوَ يَوْمٌ عَرَفَةَ .

(٣) أَوْرَدَ الْخَبَرَ فِي اللِّسَانِ (خَرَشَ) وَقَالَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ : « الْخَرَشُ أَنْ يَضْرِبَهُ بِمِحْجِنِهِ ثُمَّ يَجْذِبُهُ
إِلَيْهِ ، يَرِيدُ بِذَلِكَ تَحْرِيكَهُ لِلْإِسْرَاعِ . وَهُوَ شَبِيهُ بِالْخَدَشِ » . مَا عَدَلَ ، هـ : « يَخْرِشُ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهِيَ
صَحِيحَةٌ أَيْضًا ، يُقَالُ حَرَشَ الْبَعِيرَ بِالْعَصَا : حَكَ فِي غَارِهِ لِيَمْشِيَ .

٢٠

(٤) جَمَلَةٌ « وَالْخَرَشُ أَنْ يَضْرِبَهُ بِمِحْجِنِهِ » مِنْ لِ فَقَطْ . وَإِسْقَاطُهَا يَفْسِدُ الْكَلَامَ .

(٥) السَّمَائِيُّ ، كَحَبَارِي : طَائِرٌ مَعْرُوفٌ يَقْطَعُ مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ . تَصَوَّعَ : تَفَرَّقَ شَعْرُهُ .

هـ : « رَأَسَهَا » .

(٦) هـ : « عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ » .

٢٥

(٧) ل : « فَقَالَ شَيْبٌ وَهَرَبَ » .

- تَجَلَّتُ العِصَا وَعَلِمْتُ أَنِّي رَهِينٌ مُخَيِّسٌ إِنْ يَتَّقُونِي (١)
 وَلَوْ أَنْظَرْتُهُمْ شَيْئاً قَلِيلاً لِسَاقُونِي إِلَى شَيْخِ بَطِينٍ
 شَدِيدِ مَجَالِزِ الْكُتَيْفِينَ صُلْبٍ عَلَى الْحَدَثَانِ مَجْتَمِعِ الشُّؤُونِ (٢)
 وَقَالَ النَّجَاشِيُّ لَأُمُّ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ (٣) :
- وَلَسْتُ بِنَهْدِي وَلَكِنَّ ضَيْعَةً عَلَى رَجُلٍ لَوْ تَعْلَمِينَ مَزِيرٍ (٤)
 وَأَعْجَبْتِنِي لِلسُّوْطِ وَالنُّوْطِ وَالْعَصَا وَلَمْ تَعْجَبِينِي خُلَّةً لِأَمِيرٍ (٥)
 وَقَالَ أَعْشَى بَنِي رَبِيعَةَ (٦) :
- وَكَانَ الْخَلَائِفُ بَعْدَ الرَّسُو لِ اللَّهِ كُلَّهُمْ خَاشِعَا (٧)
 شَهِيدَيْنِ مِنْ بَعْدِ صِدِّيقِهِمْ وَكَانَ ابْنُ صَخْرٍ هُوَ الرَّابِعَا (٨)
 وَكَانَ ابْنُهُ بَعْدَهُ خَامِسَا مُطِيعَا لِمَنْ قَبْلَهُ سَامِعَا (٩)
 وَمَرْوَانَ سَادِسَا مَنْ قَدْ مَضَى وَكَانَ ابْنُهُ بَعْدَهُ سَابِعَا (١٠)

(١) الْمُخَيِّسُ : السَّجْنُ ، يُقَالُ يَفْتَحُ الْبَاءَ الْمَشْدُودَةَ وَكَسَرَهَا . وَهُوَ أَيْضاً سَجْنٌ لَعَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ فِيهِ :

أَمَا تَرَانِي كَيْسَا مَكَيْسَا بَنِي بَعْدَ نَافِعِ مَخْيَسَا

نَافِعٌ : سَجْنٌ بِالْكَوْفَةِ كَانَ غَيْرَ مَسْتُوتِقِ الْبِنَاءِ . يَتَّقَفُونِي : يَظْفَرُوا فِي .

(٢) الْمَجَالِزُ : مَوَاضِعُ الْجُلُزِ ، وَهُوَ الطِّيُّ وَاللِّي .

(٣) مَضَتْ تَرْجُمَةُ النَّجَاشِيِّ فِي (١ : ٢٣٩) . وَأَمَّا كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ فَصَحَابِي جَلِيلٌ تَرَجَّمُ لَهُ فِي

الإصابة ٧٤٧٣ وطبقات ابن سعد (٥ : ٧) .

(٤) الْمَزِيرُ : الشَّدِيدُ الْقَلْبُ الْقَوِيُّ النَّافِذُ .

(٥) النَّوْطُ : التَّعْلِيقُ . وَالخُلَّةُ ، بِالضَّمِّ : الزَّوْجَةُ . قَالَ جِرَانُ الْعُودِ :

خَذَا حَذْرَا يَا خَلْتَنِي فَإِنَّنِي رَأَيْتَ جِرَانَ الْعُودِ قَدْ كَادَ يَصْلِحُ

(٦) مَا عَدَالَ ، هـ : « أَعْشَى بْنُ رَبِيعَةَ » ، تَحْرِيفٌ . وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ حَبِيبٍ . وَهُوَ

شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مِنْ سَاكِنِي الْكُوفَةِ . وَكَانَ مَرْوَانِي الْمَذْهَبِ شَدِيدِ التَّعَصُّبِ لِبَنِي أُمَيَّةٍ . انظُرْ أَخْبَارَهُ مَعَ

عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَالْحِجَّاجِ فِي الْأَغَانِي (١٦ : ١٥٥ - ١٥٧)

(٧) مَا عَدَالَ : « كُلَّهُمْ أَسْوَةٌ خَاشِعَا » .

(٨) الشَّهِيدَانِ : عَمْرٌ ، وَعَثْمَانٌ . وَالصَّدِيقُ : أَبُو بَكْرٍ . وَلَمْ يَعْتَرَفْ بَعْلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِعَصْبِيَّتِهِ

الْأُمَوِيَّةِ ، فَجَعَلَ رَابِعَ الْخُلَفَاءِ ابْنَ صَخْرٍ ، وَهُوَ مَعَاوِيَةُ بْنُ صَخْرٍ أَبِي سَفْيَانَ .

(٩) ابْنُهُ هُوَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ .

(١٠) أَسْقَطَ قَبْلَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ هَذَا ، مَعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ؛ لِأَنَّ خِلَافَتَهُ =

وبشرٌ يُدافعُ عبدَ العزيز
وأَيُّهُمُ ما يَكُنُ سائِساً
فإِما تَرَيَنِي حَليفَ العِصا
فساوَمَنِي الدَّهْرُ حَتَّى اشترى
مضى ثامناً ذا وإذا تاسعا (١)
لها لم يكن أمرها ضائعا (٢)
فما كنت من رثية خامعا (٣)
شبابي وكنت له مانعا

وقال عوف بن الحرَج (٤):

ألا أبلغا عني جُرْحَةَ آيَةٍ
وإن ظَنَن الحثيَ الجَمِيعُ لِطَيِّبَةٍ
أفي صِرْمَةٍ عَشْرِينَ أو هي دونها
زَعَمْتُم من الهُجْرِ المِضِلِّلِ أَنْتَكم
فهل أنت عن ظلم العشيِّة مُقَصِّرُ (٥)
فأمْرُكُ معصِيٌّ وشِرْكُكُ مُغْوِرُ (٦)
قَشْرُ تم عِصامُكُ فإِنْظُرُوا كَيْفَ تُقَشِّرُ (٧)
سَتَنْصَرُّكم عَمْرُو عَليْنَا وَمِنْقَرُ (٨)

- ١٠ = لم تدم إلا أربعين يوماً أو عشرين يوماً . وعموته زال الأمر عن آل حرب . ولى مروان الخلافة في رجب سنة ٦٤ ووليها بعده ابنه عبد الملك في رجب سنة ٦٥ .
- (١) لم يبايع بشر بن مروان ولا عبد العزيز بن مروان بالخلافة ، وإنما كان بشر واليا على الكوفة ثم ضمت إليه البصرة . وأما عبد العزيز فكان ولى العهد بعد عبد الملك ، ولم يل الخلافة .
- (٢) ل : « وأبيها » .
- ١٥ (٣) ما عدال : « فقد كنت من وثية » تحريف . والرثية : كل ما يمنع من الانبعاث من وجع أو كبر . والخامع : الأعرج .
- (٤) نسبه إلى جده . وهو عوف بن عطية بن الحرَج التيمي ، شاعر فارس جاهلي . وانفرد البكري في السمط ٣٧٧ ، ٧٢٣ بقوله : إنه جاهلي إسلامي . والخرع لقب جده عمرو بن عيس . وفي اللسان (٤) : (٤٤) أن « الخرع » لقب أبيه عطية ، وهو خطأ . قال البغدادي في الخزانة (٣ : ٨٣) : « وله ديوان صغير ، وهو عندي » . قلت : وله ثلاث قصائد مفضليات رقمها ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٤ . وروى له المرزباني في معجمه ٢٨٦ بعض الأبيات .
- (٥) ل : « كريمة » . والآية : العلامة والأمانة والعبوة .
- (٦) الجمع : المجتمع . والطيبة ، بالكسر : النية ، أى المنزل الذى يتنوى . والشرب ، بالكسر : مورد الماء . مغور : غائر ذاهب فى الأرض .
- ٢٥ (٧) الصرمة ، بالكسر : القطعة من الإبل . وقشر عصاه : أبدى ما يكن ضميره من عداوة ، هذا ما فهمت من هذه الكناية عند ما لم أجد لها ذكرا فى معظم المعاجم . ثم وجدت فى أساس البلاغة : « وقشرت له العصا : أبدت له مافى ضميرى » .
- (٨) الهجر ، بالضم : الفحش والتخليط والهديان . ل : « من الهجر المغلل ، تحريف .

- فيا شَجَر الوادى ألا تنصرونهم
وقال رجل من محارب يرثى ابنه :
ألم تجعلوا تيماً على شعبتى عصاً
ألم يك رطباً يعصير القوم ماءه
وقال حاجب بن زُرارة (٣) : « والله ما القعقاع (٤) برطب فيعصّر ،
ولا يابس فيكسر » .
وقال حمادُ عَجْرِدٍ :
ولكل عيدانٍ عُصَاةٌ (٥)
وقال أيضاً (٦) :
فأنت أكرمُ من يمشى على قدم
وأنضرتُ الناس عند المَحَلِّ أغصانا (٧)

(١) شجر الوادى : كناية عن الكثرة . والمروت : وادٍ بالعالية كانت به وقعة بين تميم وقشير . انظر معجم البلدان والعتد (٥ : ١٧٩ طبع لجنة التأليف) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٨٥) والعمدة (٢ : ١٦١) وأمثال الميداني (٢ : ٣٥٤) . والرمت : شجر يشبه الغضى من الحمض ، وهو مرعى من مراعى الإبل . والسخبير : شجر إذا طال تدلت رعوته وانحنت . وفي البيت تهكم ظاهر .

(٢) يقال عصا في رأسها شعبتان ، أى طرفان . جعلهم على شعبتى عصا ، أى هم في غير استقرار . والمعذر : الذى يعتذر ولا عذر له .

(٣) حاجب بن زُرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي ، كان من رؤساء يوم جيلة ، وكان يوم جيلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبي ﷺ ، كما في العتد . وقد عاش حاجب إلى أن وفد على الرسول وأسلم ، وبعثه على صدقات بنى تميم ، وهو الذى رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ .

(٤) القعقاع هذا ، وهو ابن أخى حاجب بن زُرارة . وهو القعقاع بن معبد بن زُرارة ، له صحبة ، ووفد في بنى تميم . وكان يقال له « تيار الفرات » لسخائه . الإصابة ٧١٢٢ . وقد أولعت هذه الأسرة بالفخر بينها . ويشبه ذلك الفخر الذى سياتى ، فخر القعقاع نفسه بابنه عوف إذ يقول : « والله لما أرى من شمائل الجن في عوف أكثر مما أرى فيه من شمائل الإنس » . الحيوان (٦ : ٢٣٦) .

(٥) بعد هذا سقط في النسخة التيمورية ينتهى في منتصف ص ٩٢ س ١٢ .

(٦) يقوله في محمد بن أبى العباس السفاح كما في الشعراء ٧٥٦ .

(٧) ب ، ج : « عند الناس » . وبدله في الشعراء :

أرجوك بعد أبى العباس إذ بانا يا أكرم الناس أعرافا وأغصانا

لو مَجَّ عُوْدٌ عَلَى قَوْمٍ عُصَارَتُهُ لَمَجَّ عُوْدُكَ فِينَا الْمِسْكَ وَالْبَانَا
وقال آخر (١):

إِنَّا وَجَدْنَا النَّاسَ عُوْدِينَ : طَيِّبًا
وتُزِينُ الْفَتَى أَخْلَاقَهُ وَتَشِينُهُ

١٣٨

وقال المؤمِّل بن أُمَيْل :

كَانَتْ تَقْيِدُ حِينَ تَنْزَلُ مَنْزِلًا
وَالنَّاسَ كَالْعِيدَانِ يَفْضَلُ بَعْضُهُمْ

وقالت ليلي الأُخَيْلِيَّةُ (٥) :

نَحْنُ الْأَخْيَالُ لَا يَزَالُ غُلَامُنَا
حَتَّى يَدْبُّ عَلَى الْعَصَا مَذْكُورًا (٦)

* * *

انظر - أبقاك الله - في كم فن تصرّف فيه ذكر العصا من أبواب المنافع والمرافق ، وفي كم وجه صرفته الشعراء وضرب به المثل . ونحن لو تركنا الاحتجاج لم نوجد بُدًّا من الاحتجاج لجملة المرسلين ، وكبار النبيين ؛ لأنّ الشعوبية قد طعنت في جملة هذا المذهب على قضيب النبي ﷺ وعنزته ، وعلى عصاه ومخصرته ، وعلى عصا موسى ؛ لأنّ موسى ﷺ قد كان اتّخذها من قبل أن يعلم ما عند الله فيها ، وإلام يكون صيور أمرها (٧) . ألا ترى أنّه لما قال الله عزّ وجل : ﴿ وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ

(١) هو أبو البلاد الطهوي ، كما سبق في (٢ : ١٠٤) .

(٢) لا يبيض : لا يخرج منه ماء .

(٣) ب ، ح ، هـ : وهو لا يدري ، كما مضى في (٢ : ١٠٤) .

(٤) سبق في ص ٦٢ : « والقوم كالعيدان » .

(٥) ويقال إن الشعر لأبيها ، كما في اللسان (١٣ : ٢٤٦) .

(٦) جمعت القبيلة باسم الأخيل بن معاوية العقيلي .

(٧) صيور الأمر : متناه وما يصير إليه .

يَا مُوسَى ﴿ ، قال : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتُوكَأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴿ . وبعد ذلك قال : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿ . وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْعِيَ الْإِحَاطَةَ بِمَا فِيهَا مِنْ مَارِبِ مُوسَى إِلَّا بِالتَّقْرِيبِ وَذِكْرِ مَا خَطَرَ عَلَى الْبَالِ ؟! وقد كانت العصا لا تُفَارِقُ يَدَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَقَامَاتِهِ وَصَلَوَاتِهِ ، وَلَا فِي مَوْتِهِ وَلَا فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ ، حَتَّى جَعَلَ اللَّهُ تَسْلِيطَ الْأَرْضِ عَلَيْهَا وَسُلَيْمَانَ مَيِّتٌ وَهُوَ مَعْتَمِدٌ عَلَيْهَا ، مِنْ الْآيَاتِ عِنْدَ مَنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الْجَنِّ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ إِلَّا مَا تَعْلَمُ الْإِنْسُ .

ولو علم القومُ أخلاقَ كلِّ مَلَّةٍ ، وَزَىَّ أَهْلَ كُلِّ لُغَةٍ وَعِلْمَهُمْ فِي ذَلِكَ ، ١٣٩
وَاحْتِجَاجَهُمْ لَهُ ، لَقَلَّ شَعْبُهُمْ ، وَكَفَوْنَا مَعُونَتَهُمْ . هَذِهِ الرُّهْبَانُ تَتَّخِذُ الْعِصَى ، مِنْ
غَيْرِ سُقْمٍ وَلَا نُقْصَانٍ فِي جَارِحَةٍ . وَلَا بَدٌّ لِلْجَائِلِيْقِ مِنْ قِنَاعٍ وَمِنْ مِظْلَةٍ
وَبُرْطَلَّةٍ ^(١) ، وَمِنْ عُكَّازٍ وَمِنْ عَصَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الدَّاعِي إِلَى ذَلِكَ كَبِيرًا
وَلَا عَجْرًا فِي الْخِلْقَةِ .

وَمَا زَالَ الْمُطِيلُ الْقِيَامَ بِالْمَوْعِظَةِ أَوْ الْقِرَاءَةِ أَوْ التَّلَاوَةِ يَتَّخِذُ الْعِصَا عِنْدَ طَوْلِ
الْقِيَامِ ، وَيَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْمَشْيِ . كَأَنَّ ذَلِكَ زَائِدٌ فِي التَّكْهُلِ وَالرِّمَانَةِ ^(٢) ، وَفِي
نَفْسِ السُّخْفِ وَالْحِقْفَةِ . ١٥

* * *

وَبِالنَّاسِ حَفِظَكَ اللَّهُ أَعْظَمَ الْحَاجَةِ إِلَى أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ جِنْسٍ مِنْهُمْ سِيْمًا ،
وَلِكُلِّ صَنِيفٍ حَلِيَّةٌ وَسِيْمَةٌ يَتَعَارَفُونَ بِهَا .

(١) الجائلق ، بفتح الناء : رئيس من رؤساء النصارى . والبرطلة ، بفتح الباء وضم الطاء وتشديد اللام : كلمة نبطية وليست من كلام العرب . قال أبو حاتم : قال الأصمعي : بر : ابن . والنبط يجعلون الطاء طاءً ، وكانهم أرادوا ابن الظل . ألا تراهم يقولون : الناطور ، وإنما هو الناطور . العرب للجواليقي ٦٧ - ٦٨ . والمراد بالبرطلة ها هنا : القلنسوة التي تدار عليها العمامة . انظر اللسان (برطل) ومعجم استينجاس ١٧٥ .
(٢) الرمانة : الحلم والوقار . ل : « الرمانة » ما عدل : « الرمانة » صوابهما من هـ .

وقال الفرزدق بن غالب :

به نَدَبٌ مما يقول ابنُ غالبٍ يلوح كما لاحت وسومُ المصدِّقِ (١)

وقال آخر :

أنارَ حتى صدقت سيمائه وظهرت من كرم آياته

وأشدني أبو عبيدة :

سقاها ميسمٌ من آل عمرو إذا ما كان صاحبها جحيشا (٢)

وذكر بعض الأعراب ضرورياً من الوسم ، فقال :

بين من حُطَّافنا حَبِطٌ وَسِيمٌ (٣) وَحَلَقٌ فِي أَسْفَلِ الذُّفْرَى نُظْمٌ (٤)

مَعَهَا نِظَامٌ مِثْلَ حِطِّ بِالْقَلَمِ وَقُرْمَةٌ وَلَسْتُ أَدْرِي مِنْ قَرَمٍ (٥)

١٠ * عَرَضٌ وَحَبِطٌ لِلْمَحْلِيهَا الْمُسَمِّ (٦) *

وقال تبارك وتعالى : ﴿ سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ ﴾ .

(١) البيت مما لم يرو في ديوان الفرزدق . والنذب ، بالتحريك : واجد الندوب ، أو جمع الندبة ، والندبة : أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد . أراد بذلك وقع هجائه . ويعنى بابين غالب نفسه . والمصدق : الذى يتولى جمع الصدقات . وكانوا يسيئون إبل الصدقة ، أى يعلمون عليها بالكى .

١٥ (٢) الميسم : آلة الوسم ، وهو أيضاً أثر الوسم . يقول : هذه الإبل عرفت سماتها الدالة على عزة أصحابها فسمح لها بالسقيا . وصاحبها : راعيها . جحيشا : منفرداً بعيداً . وهذا مثل قوله :

حتى سقوا آبالهم بالنار والنار قد تشفى من الأوار

قال فى اللسان (نور) . « أى سقوا إبلهم بالسمة ، أى إذا نظروا فى سمة صاحبه عرف صاحبه فسقى وقدم على غيره ؛ لشرف أرباب تلك السمة » .

٢٠ (٣) الحطاف : سمة يوسم بها البعير كأنها حطَّاف البكرة . والحنيط : ضرب من الوسم يكون فى الفخذ أو الوجه . ما عدل : « من خطافها علط وسم » . والعلط : ضرب من الوسم يكون فى العنق .

(٤) أراد حلقة من الوسم أيضاً . والذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن .

(٥) القرمة ، بالضم والفتح : سمة فوق الأنف ، تسلخ منها جلدة ثم تجمع فوقها .

(٦) العرض : ضرب من الوسم يكون فى عرض الفخذ . التحلية . الوصف . والمُسَمُّ ، أى المسمى

٢٥ من التسمية . ما عدل : « محلها الوسم » . وفى هـ : « محلها الوسم » .

وكا خالفوا بين الأسماء للتعارف ، قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . فعند العرب العِمةُ وأخذ ١٤٠
المِحصرة من السِّمَا .

وقد لا يلبس الخطيب (١) المِلحفة ولا الجُبَّة ولا القميصَ ولا الرِّداء .
والذى لا بدُّ منه العِمةُ والمِحصرة . وربما قام فيهم وعليه إزاره قد خالف بين ٥
طرفيه . وربما قام فيهم وعليه عمامته ، وفي يدهٍ مِحصرتَه ، وربما كانت قضيباً وربما
كانت عصاً ، وربما كانت قناة . وفي القنا ما هو أغلظُ من السَّاق ، وفيها ما هو
أدقُّ من الخِصير . وقد تكون مُحكَّكة الكعوب مثقفة من الاعوجاج ، قليلة
الأين (٢) . وربما كان العود ثبعاً وربما كان من شوَحِطٍ ، وربما كان من آبنوس (٣) ،
ومن غرائب الخشبِ ومن كرائم العيدان ، ومن تلك المُلس المصفأة . وربما كانت ١٠
لبُّ غصنٍ كريمٍ ؛ فإنَّ للعيدان جواهرَ كجواهر الرِّجال (٤) ولولا ذلك لما كانت في
خزائن الخلفاء والملوك . ومنها (٥) ما لا تُقرِّبه الأرضة ولا تؤثر فيه القوادح (٦) .
والعكازة إذا لم يكن في أسفلها رُجٌّ فهي عصاً (٧) ؛ لأنَّ أطول القنا أن

(١) ل : « وقد قالوا لا يلبس الخطيب » .

(٢) الأين ، جمع أينة ، بالضم ، وهي العقدة .

(٣) الآبنوس ، لم تعرفه المعاجم العربية ولا كتب المبريات . ولفظه الفارسي : « آبنوس » . استينجاس

١٠ . قال داود في تذكرته : « معرب من العجمية » . وذكر أنه ينبت بالحبيشة والهند ، وأن له أوراقا كأوراق

الصنوبر أو هي أعرض ، لا تسقط . وأن له ثمراً كالعنب لكنه إلى الصفرة والحلاوة . وذكر أن أجود خشبه

الرزين الشديد السواد الشبيه بالقرون . وأنشد في الأغاني ١١ : ١٣٣ محمد بن يسير :

آبنوس دمهآ حالكة اللو ن لُبَاب من اللطاف الملاح

(٤) جوهر كل شيء : ما خلقت عليه جيلته .

(٥) إلى هذه الكلمة يستمر سقط التيمورية الذي بدأ في ص ٨٨ س ٩ .

(٦) القوادح : جمع قادح ، وهو أكال يقع في الشجر .

(٧) يقال عكازة وعكاز أيضاً ، كما في القاموس . ما عدل : « والعكاز إذا لم يكن في أسفله زج

يقال رَمَحَ حَظْلًا ، ثم رَمَحَ بَأَيْنَ ، ثم رَمَحَ مَحْمُوسًا ، ثم رَمَحَ مَرْبُوعًا (٢) ، ثم رَمَحَ مِطْرَدًا (٣) ، ثم عَكَازَةً (٤) ، ثم عصا .

ثم من العَصَى نُصِبَ المَسَاحِي (٥) والمَرُورِ (٦) والقُدُمِ (٧) والفُؤُوسِ والمَعَاوِلِ ، والمَنَاجِلِ ، والطَّبْرَزِينَاتِ (٨) . ثم يكون من ذلك نُصِبَ السَّكَاكِينِ والسُّيُوفِ والمَشَامِلِ (٩) .

وكلُّ سَهَامٍ نَبْعِيَّةٍ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ العِيدَانِ ، مِمَّا امْتَدَحَهَا أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ (١٠) أَوْ الشَّمَاخُ بْنُ ضِرَارٍ ، أَوْ أَحَدٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنْ عَصَا (١١) .

وكلُّ قَوْسٍ بُنْدِيقٍ فَإِنَّمَا جِيءَ بِقِنَاتِهَا مِنْ بَرُوضٍ (١٢) ، وَمُدْحٌ بِبَرِيهَا وَصَنَعْتُهَا عَصْفُورَ القَوَاسِ . وَقَالَ الرَّقَاشِيُّ (١٣) :

- ١٠ (١) ل : « نابر » ما عدل : « نائر » ، كلاهما محرف عما أثبت . وفي اللسان (بين) : « وفي الحديث في صفته ﷺ : ليس بالطويل البائن . أى المفرط طولاً الذى بعد عن قد الرجال الطوال » .
- (٢) الخموس : ما طوله خمس أذرع . والمربوع : ما طوله أربع . مجالس ثعلب ٥٣٩ .
- (٣) المطرد ، بالكسر : ما يطرد به الوحش .
- (٤) يقال عكازة وعكاز ، كما سبق في حواشى ٩٢ . ما عدل : « عكاز » .
- ١٥ (٥) المساحى : جمع مسحاة ، وهى الحفرة . والنصب ، بضمين : جمع نصاب بالكسر ، وهو المقبض .
- (٦) المرور : جمع مر ، بالفتح ، وهو المسحاة .
- (٧) القدم ، بضمين : جمع قدم ، بالفتح ، وهى التى ينحت بها .
- (٨) الطبرزينات : جمع طبرزين ، وهو فأس يستعمل فى القتال عند الفرس . مركب من كلمتين « تَبْر » بمعنى الفأس و « زِين » بمعنى السرج . لعله سمي بذلك لالتزام وضعه بجانب السرج . استينجاس ٢٧٠ والمعرّب ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ .
- ٢٠ (٩) المشامل : جمع مشمل كمنبر ، وهو سيف قصير دقيق . وفى المحكم أنه سيف قصير يشتمل عليه الرجل فيغطيه بثوبه .
- (١٠) كلمة « مما » من ل فقط .
- (١١) ما عدل ، هـ : « من كل عصا » . وكلمة « كل » مقحمة .
- ٢٥ (١٢) بروص : موضع لم يذكر فى المعاجم وكتب البلدان المتداولة . وقد جعلها فى الشعر التالى « بروضاء » . وانظر ما سبق فى ص ٧١ س ١٠ . وفى هـ : « بروص » .
- (١٣) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشى : شاعر أديب معاصر لأبى نواس ، وليس من الرقاشيين بل هو من مواليتهم . الأغاني (١٥ ، ٣٤) . وقد لح الهجاء بينه وبين أبى نواس انظر الديوان ١٧٦ - ١٧٩ =

- ١٤١
- أَنْعَتْ قَوْسًا نَعَتْ ذِي انْتِقَاءٍ جاء بها جالبٌ بَرُوضًا
 بعد اعتيَامٍ منه وانتصَاءٍ (١) كافيَّة الطُّول على انتهاء
 مجلوزة الأُكعبِ في استواءِ (٢) سالمةٌ من أُبنِ السَّيساءِ (٣)
 * فلم تُزل مَساحِلُ البرِّاءِ (٤) تأخذ من طوائف اللِّحاءِ (٥)
 حتى بدتْ كالحِيةِ الصَّفراءِ ترئو إلى الطَّائرِ في السَّماءِ
 بمُقْلَةٍ سريعةِ الإقْداءِ (٦) ليست بكحلاءِ ولا زرقاءِ

وقال الآخر :

- ١٠
- قد أعتدى مَلَتْ الظَّلامِ بِفِتيةِ للرَّمي قد حَسروا له عن أذرعِ (٧)
 متنكِّينَ خرائطاً لبِنادقِ ما بين مضفورٍ وبينَ مرسِّعِ (٨)
 بأكفهم قُضبانَ بَرُوضِ ، قد غَدَّوا للطَّيرِ قبل نُهوضها للمرِّعِ (٩)

= والبخلاء ١٩١ . ويبدو أنه هجاء دعابة ؛ فقد كان الفضل من خلطاء أي نواس ونداماه . أخبار أي نواس لابن منظور ١٢٨ - ١٣٣ . وفي هجو أبي نواس للرقاشين نعتٌ قدورهم بالنظافة والبياض والصغر ، حتى ضرب بها المثل فقليل « قدر الرقاشي » . ثمار القلوب ٤٩١ والوساطة ٣١٧ .

(١) الاعتيام : الاختيار . وكذلك الانتصاء . يقال انتصى فلان من القوم ، بالبناء للمفعول ، أي اختير من نواصبيهم وأشرفهم . ١٥

(٢) المجلوزة : التي شد عليها الجلائز ، وهي عقبات تلوى على القوس .

(٣) الأبن : العقد . والسيساء ، أصله منتظم فقار الظهر .

(٤) المسحل ، كمنبر : المبرد . والبراء : الذي يرى القوس ونحوها .

(٥) الطوائف : الجوانب . واللحاء : القشر .

(٦) المعروف في المعاجم « الاقتداء » ، واقتداء الطير : فتحها عيونها ، وتغميضها ، كأنها تحيل بذلك قذاها ؛ ليكون أبصر لها . قال حميد بن ثور في صفة البرق :

خفى كإقتداء الطير والليل واضع
 بأرواقه والصبح قد كاد يلمع

(٧) ملت الظلام : حين يختلط الضوء بالظلمة ، عند العشاء وعند طلوع الفجر .

(٨) تنكب الشيء : علقه على منكبه . والخريطة : شبه الكيس تكون من الخرق والأدم ؛ تشرح على ما فيها . والبنادق : جمع بندقة ، وهو تلك التي يرمى بها . والمرسع من الترسيع ، وهو أن يخرق الشيء ثم يدخل فيه سيراً ، كما تسوى سيور المصاحف . ل فقط : « مرصع » . ٢٥

(٩) أراد بالقضبان القسي المتخذة منها . وبروض ، سبق الكلام عليها في ٩٣ . ما عدال : « بروص » .

تُقْدَى مَيَّاتُ الطُّيُورِ عِيُونُهَا يوماً إِذَا رَمِدَتْ بِأَيْدِي النَّزْعِ (١)
صُفْرُ البَطُونِ كَأَنَّ لِيْطَ مَتُونَهَا سَرَقَ الحَرِيرِ نَوَاضِرٌ لَمْ تَسْلَعُ (٢)

* * *

وكانت العنزة التي تُحمَل بين يدي رسول الله ﷺ - وربما جعلوها قبلة - أشهر وأذكر من أن يُحتاج في تثبيتها إلى ذكر الإسناد .

* * *

وكانت سيمما أهل الحرم إذا خرجوا إلى الحِلِّ في غير الأشهر الحرم ، أن يتقلدوا القلائد ، ويعلقوا عليهم العلائق (٣) . وإذا أُوذِمَ أحدُهم الحجَّ (٤) تزيئاً بزى الحاج ، وإذا ساقَ بدنة أشعرها (٥) . وخالفوا بين سيمات الإبل والغنم ، وأعلموا البحيرة بغير علم السائبة (٦) ، وأعلموا الحامى بغير علم سائر الفحول (٧) . وكذلك الفرع والوصيلة والرجبية والعتيرة من الغنم (٨) وكذلك سائر الأغنام السائمة .

(١) النزع : جمع نازع ، وهو الرامى . أى كلما أوغلت هذه القسي في الضرب زاداها ذلك طيشا فجعلت تضرب في غير هدى .

(٢) صفر : جمع أصفر وصفراء . والليط ، بالكسر : القشر . والسرق ، بالتحريك : أجود الحرير .

١٥ تسلع : تشقق . ما عدل : « لم تشيع » تحريف . والبيت في صفة القسي .

(٣) العلائق : جمع علاقة ؛ بالكسر ، وهو ما يعلق به الشيء .

(٤) أُوذِمَ الشيء : أوجبه على نفسه .

(٥) البدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة . وأشعرها : أعلمها .

(٦) البحيرة : الناقة إذا نتجت خمسة أبطن والخامس أنثى بجروا أذنها أى شقوها ، فكانت الناقة

٢٠ بذلك حراما على الناس لحمها ولبنها وركوبها . وإذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، وتركوها مسيبة وسموها السائبة . وقد اختلف اللغويون وكذلك الفقهاء في تفسير هذه الأسماء اختلافاً بيناً .

(٧) كلمة « سائر » من ل فقط . والحامى : الفحل من الإبل يضرِب عشرة أبطن ، فإذا بلغ ذلك

قالوا : هذا حام ، أى حمى ظهره ، فيترك فلا ينتفع منه بشيء ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى .

٢٥ (٨) الفرع ، بالتحريك : أول نتاج الإبل والغنم . وكان أهل الجاهلية يذبحونه لأنهم يتربعون به

والوصيلة : هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين ، فإن ولدت في الثامنة جدنيا وعناقا قالوا : وصلت

أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها ، ولا يشرب لبنها النساء ؛ وكانت للرجال وجرت مجرى السائبة .

والرجبية : ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب . والعتيرة : ذبيحة كانت تذبح للأصنام ويصب دمها على رأسها .

وإذا كانت الإبل من حِباء ملكٍ غرَّزوا في أسنمتها الرِّيشَ والخِرْقَ (١) .
ولذلك قال الشاعر :

يَهْبُ الهجان بريشها ورُعائها كاللَّيلِ قبلَ صباحِه المتبَلِّجِ (٢)

وإذا بلغت الإبل ألفاً ففتوا عين الفحل ، فإن زادت ففتوا العين الأخرى
فذلك المفقأ والمعوى . وقال شاعرهم :

فَقَاتُ لها عَيْنُ الفَحِيلِ تَعِيْفًا وفيهن رِعلاءُ المسامعِ والحامى (٣)

وقال آخر :

وهبَّتها وأنت ذو امتنانٍ يُفقأ فيها أعينُ البُعرانِ

قال الآخر :

فكان شكرُ القومِ عند المنى كىَّ الصحيحاتِ وفَقَاءَ الأعينِ ١٠

وإذا كان الفحل من الإبل كريماً قالوا فحِيل ، وإذا كان الفحل من النَّخل
كريماً قالوا فُحَال . قال الرَّاعى :

كانت نَجائبٌ منذرٍ ومحرِّقُ أمائهُنَّ وطرقهُنَّ فحِيلًا (٤)

* * *

وكان الكاهنُ لا يلبس المصبَّغ ، والعرَّافُ لا يدعُ تذييلَ قميصه وسحب
ردائه ، والحكَّمُ لا يفارق الوبر . وكان لحرائر النساءِ زىٌّ ، ولكلِّ مملوكٍ زىٌّ ، ١٥

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤١٧ - ٤١٨) .

(٢) الهجان : الإبل البيض ، والخيار من كل شيء . وفي الحيوان : « الجلاذ » . والرعاء ، بالكسر
والضم : جمع راع . جعلها كالليل لما فوق أسنمتها من الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام .

(٣) الفحيل : فحل الإبل إذا كان منجبا كريما . وأنشد البيت في الحيوان (١ : ١٧) وقال :

« الرعاء : التى تشق أذنها وتترك مدلاة لكرمها » .

(٤) البيت من قصيدة له في جمهرة أشعار العرب ١٧٢ - ١٧٦ والخزانة (١ : ٥٠٢) . وأنشده في

اللسان (طرق) مسبوqa بقوله : « يقال للضارب طرَّق بالمصدر ، والمعنى أنه ذو طرق » . والطرق : الضراب .

ولذوات الرّيات زى^(١) ، ولالإماء زى .

وكان الزّيرقان^(٢) يصبغ عمامته بصُفرة . وذكره الشاعر فقال^(٣) :

وأشهد من عوفٍ حُلُولاً كثيرةً يُحجُّون سببَ الزّيرقانِ المزعفرا^(٤)

وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص^(٥) إذا اعتمّ لم يعتّم معه أحد ، هكذا

- ٥ في الشّعر . ولعلّ ذلك أن يكون مقصوداً في بنى عبد شمس . وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة قد علمتم بمكة غير مهتضمٍ ذميم

إذا شدّ العصابة ذات يوم وقام إلى المجالس والخصوم

فقد حرمت على من كان يمشى بمكة غير مدّخلٍ سقيم^(٦)

- ١٠ وكان البَحْثَرِيُّ غداةً جَمِيعٌ يدافعهم بلقمان الحكيم

بأزهر من سرة بنى لُؤَيٍّ كبدل الليل راق على النّجوم^(٧)

١٤٣

(١) كانت البغايا في الجاهلية يعملن على بيوتهن رايات ليعرفن بها . انظر تفسير الطبرى (١٨) :

(٥٧) . وكذلك كان يفعل أصحاب الحانات . اللسان (غيا) . وكذلك البيطرة . الطبرى وثمار القلوب . ١٩٣ .

- ١٥ (٢) سبقت ترجمته في (١ : ٥٣) .

(٣) هو المخيل السعدى ، كما في إصلاح المنطق ٤١١ واللسان (سبب ، حجج) .

(٤) عوف : قبيلة . والحلول : الأحياء المجتمعة ، جمع حال ، كشاهد وشهود : يحجون : يقصدون .

وأشهد ، بالنصب كما حقق ابن برى . وقبل البيت :

ألم تعلمى يا أم عمرة أننى تخاطأتى ريب الزمان لأكبرا

- ٢٠ (٥) سعيد بن العاص ، هنا هو جد سعيد بن العاص بن سعيد المترجم في (١ : ٣١٤) . وقد

أخطأ كثير من المؤلفين في الخلط بينهما . وهذا سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكنيته أبو أحيحة . كان من وجوه قريش ولم يدرك الإسلام . وكان قد قدم الشام في تجارة فحسبه عمرو بن جفنة ، حسبه مع هشام بن سعيد العامرى ، فقال في ذلك :

قومى وقومك يا هشام قد اجمعوا تركى وتركك آخر الأعصار

- ٢٥ في أبيات . فاجتمع رأى بنى عبد شمس على أن يفتدوا سعيد بن العاص ، فجمعوا مالا كثيرا فافتدوه

به . الإصابة ٣٧٥٩ .

(٦) المدخل ، أراد به الدعى الذى يدخل في القوم .

(٧) راق عليه : زاد عليه فضلا .

هو البيت الذى بُنيت عليه قريشُ السَّرِّ فى الزمن القديم (١)
وسَطَّتْ ذَوَائِبَ الْفَرْعَيْنِ مِنْهُمْ فَأَنْتَ لِبَابِ سِرِّهِمِ الصَّمِيمِ

وقال غِيلَانُ بْنُ خَرْشَةَ (٢) لِلْأَحْنَفِ : يَا أَبَا بَجْرٍ ، مَا بَقَاءُ مَا فِيهِ الْعَرَبُ ؟
قال : إِذَا تَقَلَّدُوا السُّيُوفَ ، وَشَدُّوا الْعِمَامَ وَاسْتَجَادُوا النَّعَالَ ، وَلَمْ تَأْخُذْهُمْ حَمِيَّةُ
الْأَوْغَادِ . قال : وَمَا حَمِيَّةُ الْأَوْغَادِ ؟ قال : أَنْ يَعْذُوا التَّوَاهِبَ ذُلًّا (٣) .

وقال الأحنف : استجيدوا النَّعَالَ ؛ فَإِنَّهَا خَلَانِيْلُ الرَّجَالِ (٤) .

والعرب تسمى السُّيُوفَ بِحَمَائِلِهَا أُرْدِيَّةً .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه قولاً أحسن من هذا ، قال : « تمام
جمال المرأة فى حُفِّهَا ، وتَمَامُ جَمَالِ الرَّجُلِ فى كُمِّتِهِ (٥) » .

ومما يؤكد ذلك قول مجنون بنى عامر (٦) :

أَعْقِرْ مِنْ جَرًّا كَرِيمَةً نَاقَتَسَى وَوَصَلَى مَفْرُوشٌ لَوْصَلْ مُنْزَارِلَ (٧)
إِذَا جَاءَ قَعْقَعَنَ الْحُلَى وَلَمْ أَكُنْ إِذَا جِئْتُ أَرْجُو صَوْتَ تِلْكَ الصَّلَاصِيلِ (٨)

(١) السر : المحض والأفضل والأوسط .

(٢) غيلان بن خرشة ترجم فى (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) .

(٣) سبق الخبر فى (٢ : ٨٨) .

(٤) مضى هذا القول فى (٢ : ٨٨) .

(٥) الكلمة ، بالضم : القننسة . وقد سبق فى رواية إحدى النسخ فى (٢ : ٨٨) : « فى عمته » .

(٦) كان من قصة الشعر التالى أن المجنون مر بامرأة من بنى عقيل يقال لها « كريمة » ومعها نسوة

صواحب ، ففرقته ودعونه إلى النزول والحديث ، فظل يحدثهن وينشدهن وهن أعجب شئ به فيما يرى ،
وعقرهن ناقته فجعلن يشترين ويأكلن إلى أن أمسى ، فأقبل شاب حسن الوجه فجلسن إليه وأقبلن عليه
بوجههن يقطن : كيف ظلمت اليوم يا « منازل » ؟ فلما رأى ذلك من فعلهن غضب وقام وقال هذا الشعر .

انظر الأغاني (١ : ١٦٥ ، ١٧١) .

(٧) مفروش : مسبوط مهيباً . ومنازل ، هذا : غريمه .

(٨) فى الأغاني : « أرضى » بدل : « أرجو » . وفى الأغاني وما عدا ل : « تلك الخلاخل » .

ولم تُغنِ سيجان العراقرين نقرةً ورُقشُ القلنسي بالرجال الأطاول (١)
والعصابة والعمامة سواء . وإذا قالوا سيد معمم فإتما يريدون أن كل جنابة
يجنيها الجاني من تلك العشيرة فهي معصوبة برأسه .

وقال دريد بن الصمة :

أبلغ نُعيماً وعوفاً إن لقيتهما
فلا يزال شهابٌ يستضاء به
عاري الأشاجع معصوبٌ بلمته
إن لم يكن كان في سمعيها صمم (٢)

١٤٤

وقال الكِنَانِي :

تنخبُّها للنسل وهي غريبةٌ
فلو شاتمَ الفتيان في الحى ظالماً
فجاءت به كالبدر خرقاً معمماً (٣)
لما وجدوا غير التكدب مَشْتَمًا (٤)

١٠

ولذلك قيل لسعيد بن العاصي (٥) : « ذو العصابة » . وقد قال القائل :

كعابٌ أبوها ذو العصابة وابنه
وعثمانٌ ما أكفأوها بكثير (٦)

(١) ل : « سيجان » ه : « سيجان » ، التيمورية « سحان » صوابها في ب ، ح . والسيجان :

الطيالسة السود ، واحدها ساج ، انظر اللسان (سوج) . لم تغن نقرة ، بفتح النون ، أى شيئاً . ولا تستعمل

إلا مع النفي . والرُقش : جمع أرقش ورقشاء ، وهو ما فيه نقط من بياض وسواد . ج : « درفش » ب

والتيمورية : « ورفش » صوابها في ل ، ه . والقلنسي ، بكسر السين وفتحها أيضاً : جمع قلنسوة .

(٢) سبق الكلام على الشعر وتخرجه وتفسيره في (١ : ٢٣١) .

(٣) الحرق ، بالكسر : الظريف في سماحة ونجدة . وأشير في ه إلى رواية : « تنجبتها » .

(٤) مَشْتَمًا ، أى شتمًا . يقول : ليس فيه ما يعاب . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٦٧) .

(٥) سعيد بن العاص هذا هو المترجم في (١ : ٣١٤) وهو حفيد سعيد بن العاص المترجم آنفاً في

٩٧ . وقد أخطأ الثعالبي في ثمار القلوب ٢٣١ حيث جعله الجد ، وذكر مع هذا أن خالد بن يزيد بن معاوية

طلق ابنته آمنة بنت سعيد بن العاص فتزوجها الوليد بن عبد الملك فقال خالد فيها هذا الشعر . فكيف

يكون ذلك ، وقد مات سعيد الجد قبل الإسلام وكانت حياة الوليد ما بين سنتي ٥٣ ، ٩٦ . وكيف تكون

« كعابا » حديثه السنن في هذا التاريخ . الكعاب : التي كعب ثديها ، أى نهد .

(٦) في ثمار القلوب : « وابنه أخوها » .

يقولها خالد بن يزيد (١) .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « العمام تيجان العرب (٢) » .

وقال : وقيل لأعرابي (٣) : إنك لتكثر بُسِ العمامة ؟ قال : إن شيئاً فيه السَّمْعُ والبَصْرُ لجدير أن يُوقَى من الحرِّ والقَرِّ .

وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال : « جُنّة في الحرب ، ومَكْنَنَةٌ من الحرِّ ، ومَدْفَأَةٌ من القَرِّ ، ووَقَارٌ في النَّدَى (٤) ، وواقيةٌ من الأحداث ، وزيادةٌ في القامة ، وهي بعدُ عادةٌ من عادات العرب » .

وقال عمرو بن امرئ القيس (٥) :

يامال والسَّيِّدُ المعَمَّمُ قد يُبْطِره بعدَ رأيه السَّرْفُ
نحْنُ بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلف (٦)

وكان من عادة فُرسان العرب في المواسم والجموع ، وفي أسواق العرب ، كأيام عكاظ وذى المَجَاز وما أشبه ذلك ، التَّقَنُّعُ ، إلّا ما كان من أبي سَلَيْط

(١) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، كان يكنى أبا هاشم ، وكان من أعلم قريش بفنون العلم ، وكان يقول الشعر . وهو الذى قالوا إنه شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى في ذلك عمره . المعارف ١٥٣ - ١٥٤ والأغانى (١٦ : ٨٤ - ٨٨) . ويقال إنه أصاب عمل الكيمياء . الطبرى (٧ : ١٦) .

(٢) انظر ما سبق في (٢ : ٨٨ س ٩) .

(٣) الخبر في (٢ : ٨٨) برواية أخرى . وانظر عين الأخبار (١ : ٣٠٠) .

(٤) الندى : مجلس القوم ومتحدثهم .

(٥) هو عمرو بن امرئ القيس ، من بنى الحارث بن الخزرج ، جاهلى . يقول الشعر التالى في مالك بن العجلان النجارى . معجم المرزبانى ٢٣٣ . وأورد له أبو الفرج في الأغانى (٢ : ٤٠) خبراً مع علقمة بن عدى ، وعدى بن زيد . وكان أحد حكامهم في الجاهلية ، حكم في حرب سمير بين الأوس والخزرج . الأغانى (٢ : ١٧٠) وكان ذلك الحكم سبباً لغضب مالك بن العجلان ورد قضائه .

(٦) في معجم المرزبانى : « والأمر مختلف » . وقصيدة عمرو بن امرئ القيس رويت في جمهرة أشعار العرب ١٢٧ - ١٢٨ . على أن هذه القصيدة تختلط أبياتها بأبيات قصيدة لقيس بن الخطيم في ديوانه ١٦ -

٢٠ وأخرى لمالك بن العجلان في الجمهرة ١٢٢ . وانظر شاهد هذا الخلط ، في معاهد التنصيص ، في شواهد ترك المسند .

طريف بن تميم^(١) ، أحد بنى عمرو بن جندب ؛ فإنه كان لا يتقنع ولا يبالي أن تثبت عينه جميع فرسان العرب ، وكانوا يكرهون أن يعرفوا فلا يكون لفرسان عدوهم هم غيرهم .

ولما أقبل حمصيصة الشيباني يتأمل طريفاً قال طريف :

١٤٥
 أو كلما وردت عكاظ قبيلةً بعثوا إلى عريفهم يتوسم
 فتوسموني إني أنا ذاكم شاكٍ سلاحي في الحوادث معلّم
 تحتي الأغرُّ وفوق جِلدى نثرةٌ زَغف تردُّ السيف وهو مُثلّم^(٢)
 ولكلُّ بكريٍّ إلى عداوةٍ وأبو ربيعة شانيءٌ ومحلّم

فكان هذا من شأنهم . وربما مع ذلك أعلم نفسه الفارس منهم بسيمما .
 كان حمرة يوم بدرٍ معلماً بريشة نعامية حمراء . وكان الزبير معلماً بعمامة صفراء .
 ولذلك قال درهم بن زيد^(٣) :

١٠
 إنك لاق غداً غواة بنى المدا كءٍ فانظر ما أنت مُزدهف^(٤)
 يمشون في البيض والدروع كما تمشي جمالٌ مصاعبٌ قُطف^(٥)

(١) كان طريف بن تميم بن نامية ، من بنى عدى بن جندب بن العنبر - وكان يسمى ملقى القناع - قد قتل شراحيل الشيباني ، أختا حمصيصة ، وكان حمصيصة قد واثق عكاظ ، فعرف طريفاً وتوعده . فقال طريف الشعر التالي . والأبيات في الأسمعات ٦٧ ليسك ومعاهد التنصيص (١ : ٧١) والعقد وكامل ابن الأثير والحليل لابن الأعرابي ٦٣ . ثم قتله حمصيصة بعد ذلك في يوم (مُبايض) . انظره في معجم البلدان والعقد والكامل والميداني (٣ : ٣٦٣) .

(٢) الأغر : فرس طريف . والأغر أيضاً : فرس عنترة بن عمرو بن معاوية ، وآخر لضبيعة بن الحارث . الحليل لابن الأعرابي ٦٩ ، ٧١ . والنثرة : الدرع الواسعة . والرغف : اللينة .

(٣) درهم بن زيد بن ضبيعة ، وهو أخو سمير ، من بنى عوف . وكان سمير قد قتل جارا لمالك بن العجلان ، فأبى مالك إلا أن يقتله به . فقال درهم هذا الشعر محاماة لأخيه سمير ، مخاطباً بذلك مالك بن العجلان . الأغاني (٢ : ١٦١ - ١٦٢) .

(٤) ل : « بنى مالك » ، التيمورية : « ابني ملكاء » هـ : « بنى ملكاء » . وأثبت ما في ب ، ح .
 وفي الأغاني (٢ : ١٦٢) : « بنى عمى » . والأزدهاف : التقمح في الشر .

(٥) المصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل الذي يودع من الركوب والعمل . والقطف : جمع قطف ، وهو الذي يقارب الخطو في سرعة .

فأبَد سِيَمَاكَ يَعْرِفُوكَ كَمَا يُبَدُونَ سِيَمَاهُمْ فَتُعْتَرَفُ (١)

وكان المقتنع الكندي الشاعر، واسمه محمد بن عمير (٢)، كان الدهر مقتعاً.

والقناع من سِيَمَا الرُّؤَسَاءِ . والدليل على ذلك والشاهد الصادق ، والحجة القاطعة ، أن رسول الله ﷺ كان لا يكاد يُرى إلا مقتعاً . وجاء في الحديث : « حتى كأنَّ الموضوع الذي يصيب رأسه من ثوبه ثوبٌ دَهَانٌ (٣) » .

وكان المقتنع الذي خرج بخراسان (٤) يدعى الربوبية ، لا يدع القناع في حالٍ من الحالات . وجعل بادعاء الربوبية من طريق المناسخة (٥) ، فادعاهم من الوجه الذي لا يختلف فيه الأحمر والأسود ، والمؤمن والكافر ، أن باطله مكشوفٌ

(١) روى هذا البيت في معجم المرزباني ٣٣٤ منسوباً إلى عمرو بن امرئ القيس . وفي الأغاني :

« معنى قوله : فأبَد سِيَمَاكَ ، أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف فيقصد » .

(٢) اسمه محمد بن ظفر بن عمير . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . وكان له محل كبير وشرف ومروة وسودد في عشيرته . ويزعم المؤرخون أن العلة في لزومه القناع ما كان يخاف على نفسه من العين ، فقد كان أحسن الناس وجهاً ، وأمدهم قامه ، وأكملهم خلقاً ، فكان إذا سفر أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت . الأغاني (١٥ : ١٥١) . ما عدا هـ : « محمد بن عميرة » وقد كتب فوق « عمير » في هـ : « عميرة » .

(٣) في هامش هـ : « وفي رواية : ثوب زيات لأن رسول الله (ﷺ) كانت له لمة » .

(٤) خرج المقتنع على المهدي بخراسان سنة ١٦١ . وكان أعور قصاراً من قرية يقال لها كازه كيمردان ، وكان قد عرف شيئاً من الهندسة والحيل والبرنجيات ، فادعى لنفسه الإلهية عن طريق التناسخ ، واحتجب عن الناس برفع من حرير ، ودامت فتنته على المسلمين أربع عشرة سنة أباح لهم فيها كثيراً من الحرمات ، فوجه إليه المهدي عدة من قواده ، وجعل المقتنع يجمع الطعام عدة للحصار في قلعة بكش . وقد تمكن سعيد الحرشي من تشديد الحصار عليه ، فلما أحس بالهلكة شرب سما وسقاه نساء وأهله فماتوا جميعاً . ودخل المسلمون قلعة سنة ١٦٣ واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدي . الطبري سنة ١٦١ - ١٦٣ والفرق بين الفرق ٢٤٣ - ٢٤٥ والآثار الباقية للبيروني ٢١١ وشروح سقط الزند ١٥٤٥ .

(٥) في الأصول : « وجعل ادعاء الربوبية » . وكان المقتنع قد زعم أنه الإله ، وأنه قد كان قد تصور في صورة آدم ثم نوح ، ثم إبراهيم ثم سائر الأنبياء إلى محمد ، ثم في صورة على وأولاده ، ثم في صورة أي مسلم صاحب دولة بنى العباس ، ثم في صورته هو . الفرق بين الفرق .

كالتَّهَارِ . ولا يعرف في شيء من الملل والنَّحْلِ القَوْلُ بالتَّنَاسُخِ إِلَّا في هذه الفرقة من الغالية . وهذا المَقْنَعُ كان قَصَّاراً من أهل مرو ، وكان أعورَ أَلْكَنَ . فما أدرى أيُّهما أعجب (١) ، أدعواهُ بأَنَّهُ ربٌّ ، أو إيمانَ مَنْ آمَنَ به وقاتل دُونَهُ ؟! وكان اسْمُهُ عَطَاءُ (٢) . ١٤٦

وقال الآخر :

إذا المرءُ أثرى ثم قال لقومه أنا السيّد المفضى إليه المعتم (٣)
ولم يعطهم شيئاً أبوا أن يسودهم وهان عليهم رُغْمُهُ وهو الوم (٤)

وقال الآخر :

إذا كشف اليوم العماسُ عن استيه فلا يرئدى مثلى ولا يتعمم (٥)

١٠ قال : وكان مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ يعتم القفداء (٦) ، وهو أن يعقد العمامة في القفا . وكان محمد بن سعد بن أبي وقاص (٧) ، الذي قتله الحجاج ، يعتم الميلاء .

وقال الفرزدق :

ولو شهد الخيلُ ابنُ سعدٍ لقتعوا عمامته الميلاءَ عضباً مهئداً (٨)

(١) ل : « أيما أعجب » .

١٥ (٢) في الفرق بين الفرق أن اسمه « هشام بن حكيم » .

(٣) البيتان للمغيرة بن حبياء في المجتني ٨٢ وأمالى الزجاجي ٢٦ . وهما في الحيوان (٣ : ٨٣)
وعيون الأخبار (١ : ٢٤٨) وحماسة ابن الشجري ١٤٠ بدون نسبة . وفي عيون الأخبار والحماسة : « المعظم » .

(٤) في الحماسة : « فقهه » ، وفي الحماسة والعيون : « وهو أظلم » . والرغم : الذل .

(٥) العماس ، بالفتح : الشديد . وقد روى البيت ثعلب في مجالسه ٢٥٤ وضبط فيها خطأ . وهو

٢٠ في اللسان (عمس) .

(٦) القفداء ، بفتح القاف وسكون الفاء . ويقال أيضا « القفد » بالتحريك . ما عدل :

« المقداء » تحريف ، صوابه في اللسان (قفد) حيث أورد هذا الخبر وتاليه . وفي هـ : « يتعمم » .

(٧) محمد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري ، كان قد خرج مع ابن الأشعث وشهد وقعة دير الجماجم ،

ووقعة مسكن بعدها ، فأتى به الحجاج فقتله سنة ٨٣ . انظر خبر مصرعه في الطبري (٨ : ٣٤) . وكان يلقب « ظل

٢٥ الشيطان » لشدة كبره . الحيوان (٦ : ١٧٨) وثمار القلوب ٥٩ . أو لقصوره ، كما في تقريب التهذيب . وانظر مخاطبة

الحجاج له بهذا اللقب في الطبري والحيوان وثمار القلوب . وترجم له في تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٧ والخلاصة ٢٨٨ .

(٨) البيت مما لم يرو في ديوان الفرزدق .

وقال شَمْعَلَةُ بن أَحْضَرَ الضَّبِّيُّ (١) :

جلينا الخيلَ مِن أكنافِ فُلجٍ ترى فيها من العزْوَ اقورارا (٢)
 بكلِّ طِمْرَةٍ وبكلِّ طِرْفٍ يزين سَوَادُ مقلته العِدَارا (٣)
 حَوَالِي عاصِبٍ بالتاجِ مِنَّا جبينَ أَعْرَ يستلب الدُّوارا (٤)
 رئيسٍ ما ينازعه رئيسٌ سوى ضَرَبِ القِداحِ إذا استشارا (٥)

وَأَنشُد :

إذا لِسُوا عمامهم لَوُؤها على كَرَمٍ وإن سَفَرُوا أَناروا
 يَبِيع وَيَشْتَرِي لهُم سِوَاهُم ولكن بالطَّعانِ هُم تِجارُ
 إذا ما كُنْتَ جارَ بنى تَمِيمٍ (٦) فَأَنْتَ لِأَكْرَمِ الثَّقَلينِ جارُ

وَأَنشُد :

وداهية جَرَّها جارمٌ جعلت رداءك فيها حِمارا

ولِذِكْرِ العمامِ مواضع . قال زَيْدُ بن كَثُوة العنبريُّ (٧) :

١٤٧

(١) شمعلة بن الأحضر بن هيبه الضبي ، شاعر فارس جاهلي . يقول الشعر التالي في مصرع بسطام ابن قيس الشيباني في يوم شقيقة الحسين ، وكان لبني ضبة على بني شيبان . المؤلف ١٤١ . والعقد (٥) : ٢٠٤ لجنة التأليف) . ١٥

(٢) فلج : واد بين البصرة وحمى ضرية . والاقورار : الضمور .

(٣) الطمرة : الفرس الوثابة . والطرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين : الأبوين .

(٤) عاصب جبين أعر ، أى عاصب جبين نفسه ، وهذا مايسمونه التجريد . والأعر : الأبيض الوجه . والدوار كالدوران يأخذ في الرأس . يقول : إنه يشفى رعوس أعدائه بضربها بالسيف . ومثله قول القائل في المخصص (٦ : ١٨) : ٢٠

ومأثور من الهندي يشفى به رأس الكمي من الصداع

قال ابن سيده : « أى يشفى به جهله . وهو مثل » .

(٥) كانوا يضربون بالقداح يستشيرونها فيما يصنعون ، يسمون بعضها الأمر وبعضها الناهي ، وكتب على الأول : أمرني ربي ، وعلى الثاني : نهاني ربي . اللسان (قسم) والميسر والأزلام ٦٤ - ٦٨ . سوى ضرب ، أى سوى صاحب الضرب الموكل به . ٢٥

(٦) ه : « بنى لؤي » .

(٧) سبقت ترجمته في (١ : ١٦٣) .

مَنَعْتُ مِنَ الْعُهَّارِ أَطَهَّارَ أُمَّهِ وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمُدَّعِينَ زِنَاءُ (١)
فَجَاءَتْ بِهِ عَبَلُ الْقَوَامِ كَأَنَّهَا عِمَامَتُهُ فَوْقَ الرِّجَالِ لَوَاءُ (٢)

لَأَنَّ الْعِمَامَةَ رَمَّيَا جَعَلُوهَا لَوَاءً . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَخْنَفَ بْنَ قَيْسٍ ، يَوْمَ مَسْعُودِ
ابْنِ عَمْرٍو (٣) ، حِينَ عَقَدَ لِعَبْسِ بْنِ طَلْقِ (٤) اللِّوَاءَ ، إِنَّمَا نَزَعَ عِمَامَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ
فَعَقَدَهَا لَهُ .

وَرَمَّيَا شَدُّوا بِالْعِمَامِمْ أَوْسَاطَهُمْ عِنْدَ الْمَجْهَدَةِ ، وَإِذَا طَالَتِ الْعُقْبَةُ (٥) .
وَلِذَلِكَ قَالَ شَاعِرُهُمْ (٦) :

فَسِيرُوا فَقَدْ جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَبَاسَتْ أَمْرِيءُ يَرْجُو الْقِرَى عِنْدَ عَاصِمِ (٧)
دَفَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالذَّبِيحِ خَاطِئاً تَشَدُّ عَلَى أَكْبَادِنَا بِالْعِمَامِمْ (٨)

١٠ (١) الظهر : الأيام بين الحيضتين . والزناء ، ممدود : الرزى . وإذا قرئت بفتح الزاى كانت بمعنى
القصير . قال أبو ذؤيب :

وتولج في الظل الزناء رعوسها وتحسبها هيماً وهن صحائح

(٢) العبل : الضخم . وفي اللسان (سبط) : « فجاءت به سبط العظام » .

(٣) سبقت ترجمة مسعود بن عمرو في (٢ : ٦٨) . وكان الشر قد هاج بين بني تميم بزعامه

١٥ الأخنف ، وبين الأزدي بزعامه مسعود بن عمرو . وقد أراد الأخنف في أول الأمر أن يعقد القيادة لعباد بن
حصين ، فلما لم يجده عقدها لعيس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحكم بن ظالم بن صرم بن
الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد . قال الطبري في (٧ : ٢٧) : « فانتزع معجراً في رأسه ثم جثا على
ركبتيه فمقده في رمح ثم دفعه إليه فقال : سر » . وكان الأزدي وحلفاؤهم من ربيعة قد أخذوا بأفواه السكك
سكك البصرة ، ثم أجلوا عنها وقاموا على باب المسجد ، ودلفت التميمية إليهم فدخلوا المسجد ومسعود يخطب
على المنبر ويحضض ، فاستنزلوه وقتلوه في شوال سنة ٦٤ .

(٤) انظر التنبيه السابق .

(٥) العقبة ، بالضم : قدر مايسيره الرجل .

(٦) هو مصعب بن عمير اللثبي ، كما في البخلاء ١٨٥ .

(٧) جن عليه الليل ، بفتح الجيم ، أى أظلم . ومعنى جن : ستر . في اللسان (سته) : « يقال

٢٥ للقوم إذا استنزلوا واستخف بهم : باست بنى فلان . وهو شتم للعرب .

(٨) في اللسان : « دفع إلى المكان ودفع ، كلاهما انتمى » . والذبيح ، بالكسر : الذكر من الضباغ .

والخاطي : الغليظ الصلب .

وقال الفرزدق :

بنى عاصم إن تُلجِّئوها فإتكم ملاجئُ للسَّوءاتِ دُسمُ العمامِ (١)

وقال الآخر :

خليلتي شُدَّا لي بفضلِ عمامتي على كبدٍ لم يبق إلا صميمها

* * *

العرب تُلجِّئُ بذكر النعال ، والفُرس تلهج بذكر الخفاف .. وفي الحديث المأثور : « أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصُّفُر ، ويقولون : هو من زينة نساء آل فرعون » .

وأما قولُ شاعرهم :

إذا اخضرت نعالُ بنى غرابٍ بعوا ووجدتْهم أُشْرَى لثاما (٢)

فلم يرد صفة النعل ، وإنما أراد أنهم إذا اخضرت الأرض وأخصبوا طعوا وبعوا . كما قال الآخر (٣) :

وأطولُ في دار الحفاظ إقامةً وأوزن أحلاما إذا البقلُ أجهلا (٤) ١٤٨

(١) ما عدال ، هـ : « إن تلجئوها » . والبيت مما لم يرو في ديوان الفرزدق . دسم : جمع أدسم ، وهو الينس . ١٥

(٢) النعال : جمع نعل ، وهو ما غلظ من الأرض . وفي الحديث : « إذا ابتلت النعال ، فالصلاة في الرحال » . قال البكري في التنبيه ١٩ : « وإذا أخصبت النعال فما ظنك بالدماء » . وأنشد :

قوم إذا اخضرت نعالهم يتناهقون تناهق الحُمر

وأشْرَى : جمع أشْر ، كما يقال زمن وزمني ؛ أو جمع أشران ، كما يقال سكران وسكري في جمعه ، موافقا لفظه لفظ إحدى مؤنثات سكران ، وهي سكرانة وسكري وسكرة . انظر مع الموامع (٢ : ١٧٨) والقاموس (أشْر ، سكر) ، والأشْر : المرح والنشاط . ٢٠

(٣) هو خراشة بن عمرو العيسى : من قصيدة في المفضليات (٢ : ٢٠٤) .

(٤) دار الحفاظ : التي يقيمون فيها صبورا عليها لعزمهم . وفي المفضليات : « وأربط أحلاما » . أجهلهم ، أي حملهم على أن يجهلوا . وذلك إنه إذا كان الربيع وأمكنت المياه والبقل ، تذكروا الذحول وطلبوا الأوتار . هـ : « إذا البقل أخضلا » . ٢٥

ومثل قوله :

يا ابن هشام أهلك الناس اللبث فكلهم يسعى بسيف وقرن (١)

وأما قول الآخر :

وكيف أرجى أن أسود عشيرتي وأمى من سلمى أبوها وخالها

رأيتكم سوداً جعاداً ، ومالكٌ مخصرةً بيضٌ سباطٌ نعالها (٢)

فلم يذهب إلى مدح النعال في أنفسها ، وإنما ذهب إلى سبابة أرجلهم وأقدامهم ، ونفى الجعودة والقصر عنهم .

وقال النابغة :

رفاق النعال طيبٌ حُجراتهم يُحيون بالريحان يوم السباسب (٣)

يصوتون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردنٍ خضر المناكب (٤)

قال : وبنو الحارث بن سدوس لم ترتبط جماراً قط ، ولم تلبس نعالاً قط إذا نعبت . وقد قال قائلهم :

وئلقى النعال إذا نُعبت ولا نستعين بأخلاقها (٥)

ونحن الذؤابة من وائل إينا تمدد بأعناقها

١٥ (١) الرجز في الصحاح واللسان والتاج (قرن) ، وتنبيه البكري ١٩ . والقرن ، بالتحريك : الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تحرز . وإنما تشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد .

(٢) النعل المخصرة : التي لها خصران مستدقان .

(٣) ديوان النابغة ٩ . رفاق النعال ، أراد أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم ، وإنما يخصف من يمشى . والحجزة ، بالضم : الوسط . يقول : هم أعماء . والسباسب : يوم السعائين ، وهو من أعياد النصارى ، وكان المددوح - وهو عمرو بن الحارث الأعرج - نصرانياً .

٢٠

(٤) الرذن ، بالضم : مقدم كم القميص . وفي اللسان (خلص) : « الأضمعي هو لباس يليسه أهل الشام ، وهو ثوب مخمل أخضر المنكين وسائره أبيض . والأردان أكمامه . ويقال لكل شيء أبيض : خالص » . وفي شرح الديوان : « قال خالد بن كلثوم خضر المناكب من أثر السلاح » .

(٥) نعبت : خرقت . والأخلاق : جمع خلق ، وهو البالي . ويروي « أنعبت » كما في هامش هـ .

وهم رهط خالد بن المعمر^(١) ، الذي يقول فيه شاعرهم :

مُعَاوِيَ أَمْرَ خَالِدَ بْنَ مَعْمَرٍ فَإِنَّكَ لَوْلَا خَالِدٌ لَمْ تُؤْمَرْ
وَقَاتِلَهُمُ الَّذِي يَقُولُ :

١٤٩ أَعَاظِبُهُ عَمْرُو بْنُ شَيْبَانَ أَنْ رَأَتْ عَدِيدَيْنِ مِنْ جُرْثُومَةٍ وَدَخِيسٍ^(٢)
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ أَيْرُ أَبِيكُمْ طَوِيلًا كَأَيْرِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ^(٣)

وكان عمر جعل رياسة بكرٍ لمجزأة بن ثور^(٤) ، فلما استشهد مجزأة جعلها أبو موسى لخالد بن المعمر ، ثم ردها عثمان إلى شقيق بن مجزأة بن ثور ، فلما خرج أهل البصرة إلى صفين تنازع شقيق وخالد الرياسة ، فصيرها عند ذلك على إلى حُضَيْنِ بن المنذر^(٥) ، فرضى كل واحد منهما وكان يخاف أن يصيرها إلى خصمه ، فسكنت بكرٌ وعرف الناسُ صححة تدير على في ذلك .

وَأَمَّا قَوْلُ الْآخِرِ^(٦) :

(١) هو خالد بن المعمر بن سليمان بن الحارث بن شجاع بن الحارث بن سدوس السدوسي . وكان رئيس بكر بن وائل في عهد عمر . وذكر ابن ماکولا أن معاوية أمره على أرمينية فوصل إلى نصيبين فمات بها . الإصابة ٢٣١٧ ، ووقعة صفين في مواضع كثيرة . وقد أنشد له نصر بن مزاحم شعراً .
(٢) الجرثومة : أصل كل شيء ومجتمعه . والدخيس : العلد الكثير المجتمع .
(٣) ل : « ولوداً » . قال ابن قتيبة في المعارف ٤٥ : « وكان له واحد وعشرون ذكراً » .
(٤) هو مجزأة بن ثور بن عفير بن زهير بن عمرو بن كعب بن سدوس السدوسي . له ذكر في الفتوح . الإصابة ٧٧٢٤ . وأنشد له في وقعة صفين ٣٤٤ :

أضربهم ولا أرى معاوية الأبرج العين العظيم الحارويه
هوت به في النار أم هارويه جاوره فيها كلاب عارويه
أغوى طغاماً لا هدته هاديه

(٥) سبقت ترجمته وتحقيق اسمه في (٢ : ١٦٩) .

(٦) هو أبو المقدم ، واسمه جساس بن قطب ، كما في اللسان (وقع) . وانظر الحيوان (٦ : ٤٤٦)
والبخلاء ١٥٧ ، وأمالى القائل (١ : ١١٥) ، وجهرة الأمثال ٢٢٠ والميلادي (٢ : ٧٤) والعقد (١ : ٨٠) ،

يا ليت لي نعلين من جلد الضَّبَعِ وشُرْكَاً من استها لا تنقِطِعُ (١)

* كَلُّ الحِذَاءِ يَحْتَدِي الحَافِيَ الوَقْعِ *

فهذا كلامٌ محتاج ، والمحتاجُ يتجوَّز .

وأما قول النَّجاشِيِّ لهند بن عاصم :

إذا الله حيًّا صالحاً من عباده كريماً فحياً الله هند بن عاصم
وكلُّ سلوويٍّ إذا ما لقيته سريعٌ إلى داعي التدى والمكاريم
ولا يأكلُ الكلبُ السَّرْوُقُ نعالهم ولا تَنْتَقِي المَخُّ الذي في الجماجم (٢)
وقال يونس : كانوا لا يأكلون الأدمغة ، ولا يتتعلون إلا بالسَّبْتِ .

وقال كثيرٌ :

إذا بُذت لم تطبِّ الكلبَ ريحها وإن وُضعت في مجلس القوم شُمَّت (٣)

وقال عُتَيْبَةُ بن مرداس ، وهو ابن فسوة (٤) :

إلى معشر لا يَخْصِفُونَ نعالهم ولا يلبسون السَّبْتِ ما لم يَخْصُر (٥)

(١) الشرك ، بضمين : جمع شرك ، بالكسر ، وهو سير النعل .

(٢) أنشده في الخزانة (٤ : ١٤٧) وقال : « إنما يأكل الكلب الفطير من النعال ، وأما السبت

فلا » . الفطير : الذي لم يدبغ . والسبت ، بالكسر : المدبوغ بالقرظ .

(٣) البيت في الحيوان (١ : ٢٦٦) وصدوره في الخزانة (٤ : ١٤٧) . أى هى طيبة الريح ليست

بفطير ؛ لأن النعل إذا كانت غير مدبوعة وظفر بها الكلب أكلها .

(٤) في الأصول : « عتبية بن الحارث » تحريف . وقد قوى التحريف في ل إذ جعلت « عتبية بن

الحارث بن شهاب » ، والصواب ما أثبت . وعتبية هذا هو أحد بنى عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ،

شاعر مقل مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . وكان هجاء خبيث اللسان . ووفد على ابن عباس بالبصرة فلم

يصله بل أخرجه عنها ، فوفد إلى المدينة بعد مقتل علي ، فلقى الحسن وعبد الله بن جعفر فسألا عن خبره

مع ابن عباس فأخبرهما ، فوصلاه بما أرضاه ، فصنع قصيدة طويلة يمدحهما فيها ويلوم ابن عباس ، روى

كثيراً من أبياتها أبو الفرج في الأغاني (١٩ : ١٤٤) وابن عتبية في الشعراء ٨٢ . وقبل البيت التالى :

فليت قلوصى عريت أو رحلتها إلى حسن في داره وابن جعفر

٢٥ إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى وللدين يدعو والكتاب المطهر

وانظر تعليل لقبه بابن فسوة في الأغاني والشعراء .

(٥) البيت في الحيوان (٣ : ١١٢) . وتخصير النعل : أن يجعل لها خصران دقيقان .

وإذا مدح الشاعرُ النعلَ بالجودة فقد بدأ بمدحٍ لإيسها قبل أن يمدحها .

قال الله تبارك وتعالى لموسى (١) : ﴿ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴾ . وقال بعض المفسرين : كانت من جلد غير ذكوى . وقال الزبيرى : ليس كما قال ، بل أعلمه حقَّ المقام الشريف ، والمدخل الكريم . ألا ترى أنَّ الناس إذا دخلوا إلى الملوك ينزعون نعالهم خارجاً .

قال : وحدثنا سلام بن مسكين (٢) قال : ما رأيت الحسن إلا وفي رجله النعل . رأيتُه على فراشه وهى فى رجله ، وفى مسجده وهو يصلى وهى فى رجله . وكان بكر بن عبد الله (٣) تكون نعله بين يديه فإذا نهض إلى الصلاة لَيسها .

وروى ذلك عن عمرو بن عُبيد ، وهاشم الأوقص (٤) ، وحوشب (٥) ، وكلاب (٦) ، وعن جماعةٍ من أصحاب الحسن .

وكان الحسن يقول : « ما أعجبَ قوماً يروون أنَّ رسولَ الله ﷺ صلى فى نعليه فلما انفتل من الصلاة علم أنه قد كان وطىء على كذا وكذا ، وأشباهاً لهذا الحديث ، ثم لا ترى أحداً منهم يصلى منتعلاً » .

(١) بدل هذه الكلمة فى ل : « يا موسى » وهو خطأ فى التلاوة . والآية هى الثانية عشرة من سورة طه ، وتلاوتها هى وما قبلها : (فلما أتاها نودى يا موسى - إلى أنا ربك فأخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) .

(٢) هو سلام بن مسكين بن ربيعة الأزدى البصرى . قال أبو داود : سلام لقب ، واسمه سليمان . وكان ثقة من أعبد أهل زمانه . توفى سنة ١٦٧ . تهذيب التهذيب (٤ : ٢٨٦) والخلاصة ١٣٦ .

(٣) بكر بن عبد الله المزنى . ترجم فى (١ : ١٠٠) .

(٤) ل : « وهشام الأوقص » . وقد سبق ذكر هاشم فى أسماء الصوفية فى (١ : ٣٦٦) .

(٥) هو حوشب بن عقيل الجرمى البصرى . روى عن الحسن ، وقناة ، وبكر بن عبد الله . وكان من الثقات . تهذيب التهذيب .

(٦) كلاب بن جري ، سبق ذكره وترجمته فى (١ : ٣٦٦) .

وأما قوله (١) :

وقامَ بناقٍ بالنُّعالِ حواسرا
فإنَّ النساءِ ذواتِ المصائبِ إذا قمن في المناحاتِ كنَّ يضرين صدورهن
بالنُّعالِ .

وقال محمد بن يسير (٣) :

كم أرى من مستعجبٍ من نعالى
كلَّ جرداءٍ قد تحيَّفها الحُصْدُ
لا تُدائى وليس تُشبهه في الخلدِ
لا ولا عن تقادِمِ العهدِ منها
ولقد قلتُ حين أوثر ذا الو
من يُغالى من الرِّجالِ بنعلِ
أو بَغاهنَّ للجمالِ فإئى
في إخائى وفي وفائى ورأى
ما وقانى الحَفَى وبلغنى الحَا
وقال خلفُ الأحمر :
سقى حُجَّاجنا نوءُ الثريا
على ما كان من مَظِلِّ وبُخْلِ (٨)

١٥١

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوانه ١٢٢ واللسان (حسر) .

(٢) حواسرا : قد حسرن عن وجوهن وصدورهن وأيديهن . وفي اللسان : « ضرب السبت » .
والسبت : النعال المدبوغة بالقرظ .

(٣) ترجم في (١ : ٦٥) ، وبعض أبياته التالية في الأغاني (١٢ : ١٣٣) .

(٤) تحيف الشيء : أخذ من جوانبه ونقصه . والخصف : مطارقة النعل لإصلاحها . والسرد : خرز الأديم بالسرد . والنقال : جمع نعل ، بالفتح والكسر والتحريك ، وهي النعل الخلق . ما عدال ، هـ : « بسرو النعال » ، وفي الأغاني : « بسود النعال » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) سواؤه ، بفتح السين ، أى غيره .

(٦) الرء : الرأى . وفي هـ والأغاني : « ورأى » .

(٧) أى ما وقانى الحفا منها فإننى لا أبالى بغيره .

(٨) الأبيات أنشدتها في الحيوان (٥ : ٢٨٤) والشعراء ٧٦٤ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر وعيون

الأخبار (٣ : ٣٨) . وفي العيون : « من بخل ومطل » . والنوء : المطر الذى ينزل موافقا لسقوط نجم في =

هُمُ جَمَعُوا النَّعَالَ فَأَحْرَزُوهَا وَسَدُّوا دُونَهَا بَابًا بِقِفْلِ
 إِذَا أَهْدَيْتُ فَاكِهَةً وَشَاةً وَعَشَرَ دَجَائِحَ بَعَثُوا بِنَعْلِ (١)
 وَمِسْوَاكِينَ طَوْلَهُمَا ذِرَاعًا وَعَشْرًا مِنْ رَدَى الْمُقْلِ حَشْلِ (٢)
 فَإِنْ أَهْدَيْتُ ذَاكَ لِيَحْمَلُونِي عَلَى نَعْلِ فَدَقَّ اللَّهُ رِجْلِي (٣)
 وقال كثير :

كَأَنَّ ابْنَ لَيْلَى حِينَ يَبْدُو فَيَنْجَلِي سُجُوفَ الْخَبَاءِ عَنْ مَهَيْبِ مَشْمَتِ (٤)
 مِقَارِبُ حَطَّوْهُ لَا يَغَيِّرُ نَعْلَهُ رَهِيْفَ الشَّرَاكِ سَهْلَةَ الْمُتَسَمَّتِ (٥)
 إِذَا طَرِحَتْ لَمْ تَطْبِ الْكَلْبَ رِيْحَهَا وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ شَمَّتِ
 وقال بشر :

١٠ إِذَا وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلُهَا تَضْوَعُ مَسْكَأً مَا أَصَابَتْ وَعَنْبِرَا

ولما قال عليُّ بن أبي طالبٍ رضى الله عنه لصعصعة بن صُوحان في المنذر
 ابن الجارود ما قال ، قال صعصعة « لئن قلتَ ذاك يا أمير المؤمنين إنَّه لَتَنْظَارٌ فِي
 عِطْفِيهِ ، تَقَالٌ فِي شِرَاكِيهِ ، تُعْجِبُهُ حُمْرَةُ بُرْدِيهِ (٦) » .

= مغربه عند الفجر . والذبيبا غزيرة النوء . وفي اللسان : « والذبيبا من الكواكب ، سميت لغزارة نوبتها » .

(١) في عيون الأخبار : « فإن أهديت فاكهة وجديا » .

(٢) ردى : مسهل ردىء . والمقل : تمر الدوم . والحشل : السخيف اليابس الخفيف .

(٣) ما عدال ، هـ : « لتحملون » . والدق : الكسر والرض .

(٤) ابن ليلى ، هو عبد العزيز بن مروان . وفي الأغاني (١ : ١٣١) : « حدث ابن كناسة قال :

ليلى أم عبد العزيز كلبية . وبلغنى أنه قال : لا أعطى شاعراً شيئاً حتى يذكرها فى مدحى ، لشرفها .
 والمشمت : المدعو له بالخير .

(٥) لا يغير نعله ، أى لا يتعهدها بخصف أو صبغ ، وذلك لكثرة نعاله . رهيف الشراك ، أى
 شراكها رهيف ، فذكر الوصف لمراعاة المضاف إليه ، كما يقولون : رجل حسنة العين . والمتسمت : القصد .

(٦) مضى الخير فى (١ : ٩٩) .

وذمَّ رجلٌ ابنَ التَّوأمِ (١) فقال : « رأيتُه مشحَّم النَّعلِ ، دَرِنَ الجُورِبِ ،
مُعَضَّنَ الحُفَّ ، دَقِيقَ الجُرِّيَّانِ (٢) » .

وقال الهيثم : يمينٌ لا يحلف بها الأعرابيُّ أبداً : أن يقول لا أوردك لك الله
صادرا ولا أصدر لك وارداً ، ولا حططت رحلك ، ولا تحلعت نعلك . ١٥٢

وقال آخر :

عَلِقَ الفِؤَادُ بِرَيْقِ الجِهْلِ وَأَبْرَّ واستعصى على الأهلِ (٣)
وصبا وقد شابت مفارقه سفهاً وكيف صباية الكهل
أدركت مُعْتَصِرِي وأدركني جِلْمِي وَيَسَّرَ قَائِدِي نَعْلِي (٤)

رجع الكلام إلى القول في العصا (٥)

١٠ قال ابن عباس رحمه الله في تعظيم شأن عصا موسى عليه السلام : « الدَّابَّةُ
ينشق عنها الصفا (٦) ، معها عصا موسى ، وخاتم سليمان ، تمشح المؤمن بالعصا
وتختيم الكافر بالخاتم » .

وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آدابِ النبي عليه السلام في السُّوَاكِ ، وحضُّ
عليه ﷺ . والمِسْوَاكِ لا يكون إلا عصاً .

١٥ (١) سقت ترجمته في (١ : ٢٠٥) . وفي عيون الأخبار (١ : ٢٩٩) أن ابن التوأم هو الذي
ذم الرجل .

(٢) الجربان بكسرتين وبضمتين مع تشديد الباء فيهما : جيب القميص ، معرب من الفارسية
« گریبان » . اللسان والقاموس (جرب) ومعجم استنجاس ١٠٨٦ .

(٣) رَيْقُ الشَّيْءِ : أوله وأفضله .

٢٠ (٤) المعتصر : العمر والحرم . وقيل معناه أن ما كان في الشباب من اللهو أدركنه وهوت به ؛ من
الاعتصار ، وهو الإصابة للشيء والأخذ منه . اللسان (عصر ٢٥٦ - ٢٥٧) .

(٥) ما عدل : « ثم رجع الكلام إلى القول في العصا » .

(٦) هي الدابة الواردة في قوله تعالى : « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض
تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » . وهي الآية ٨٢ من سورة النمل .

وقال أبو الوجيه (١) : قُضبان المساويك البَشَام ، والضَّرْو (٢) ، والعَتَم (٣) ، والأَرَاك ، والعُرجون ، والجريد ، والإسجِل .

وقد يلبس الناس الخِفاف والقلائِس في الصَّيف كما يلبسونها في الشِّتاء ، إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الأمراء ، وعلى السَّادة والعظماء ؛ لأنَّ ذلك أشبه بالاحتفال ، وبالتعظيم والإجلال ، وأبعدُ من التبدُّل والاسترسال ، وأجدُر أن يفصلوا بين مواضع أنسِيهم في منازلهم ومواضع انقباضهم .
وللخلفاء عِمَّةٌ ، وللفقهاء عِمَّةٌ ، وللبقَّالين عِمَّةٌ (٤) ، وللأعراب عِمَّةٌ ، ولليصوص عِمَّةٌ ، وللأبناء عِمَّةٌ (٥) ، وللرُّوم والنصارى عِمَّةٌ ، ولأصحاب التَّشاجي عِمَّةٌ (٦) .

ولكلِّ قوم زِيٌّ : فللقضاة زِيٌّ ، ولأصحاب القضاة زِيٌّ ، وللشُّرط زِيٌّ ، وللكتَّاب زِيٌّ ، ولكتَّاب الجنْد زِيٌّ ، ومن زيَّهم أن يركبوا الحمير وإن كانت الهماليج لهم مُعرِضة (٧) .

وأصحاب السلطان ومَن دَخَلَ الدار على مراتب : فمنهم من يلبس المبطنَّة ،

(١) هو أبو الوجيه العكلي ، أحد فصحاء الأعراب . كان معاصراً للجاحظ وأبي عبيدة ، وروى له الجاحظ أخباراً في الحيوان (١ : ٣٠٠ / ٤ : ٢٩٤ / ٦ : ٥٩) .

(٢) الضرو ، بالفتح والكسر . شجر طيب الريح ، يستاك به ويجعل ورقة في العطر .

(٣) العتم ، بضمه ، وبضمتين ، ويفتحين : شجر الزيتون البري . ل « العتم » ما عدل : « العتم » صوابهما ما أثبت من هـ . انظر الحيوان (٥ : ٤٥٣ - ٤٥٤) .

(٤) ما عدل ، هـ : « وللبقالين » .

(٥) الأبناء ، هم أبناء قوم من فارس أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن لما جاء يستنجدهم على الحبيشة فنصروه وملكوا اليمن وتدبروها ، وتزوجوا في العرب ، فقيل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم . اللسان (بنو) . وفي التنبيه والإشراف ٢٢٦ أنهم الذين ساروا مع خرزاذ بن نرسی بن جاماسب أخي قباد بن فيروز . وفي ص ٢٤١ : أنهم الذين شخصوا مع وهرز إلى اليمن . ويبدو أن جميع الذين اجتذبتهم الحروب من الفرس إلى جزيرة العرب كان العرب يسمونهم الأبناء .

(٦) التشاجي : التمتع والتحاظن ؛ من الشحي ، وهو الحرن . تشاجت : تمتعت وتحازنت . اللسان (١٩) :

(٧) وفيه : « قال عمرو بن بحر : قلت لابن دبوقاء : أي شيء أول التشاجي ؟ قال : التباهر والقرمطة في المشي » .

(٧) الهملاج : البرذون الحسن السير في سرعة وبخثرة .

ومنهم من يلبس الدرّاعة ^(١) ومنهم من يلبس القَبَاءَ ، ومنهم من يلبس البازيكند ^(٢) ويعلّق الخنجر ، ويأخذ الجُرز ^(٣) ، ويتخذ الجمّة ^(٤) .

وزيٌّ مجالس الخلفاء في الشتاء والصيف ^(٥) فُرش الصوف . وترى أنّ ذلك أكمل وأجزل وأفخم وأنبل . ولذلك وضعت ملوك العجم على رعوسها التيجان ، وجلست على الأسيرة ، وظاهرت بين الفُرش . وهل يملأ عيون الأعداء ويرعب قلوب المخالفين ، ويحشّو صدور العوامّ إفراط التعظيم إلاّ تعظيم شأن السلطان ، والزيادة في الأقدار ، وإلا الآلات . وهل دواؤهم إلاّ في التّهويل عليهم ؟ وهل تُصلحهم إلاّ إخافتك إياهم ؟ وهل ينقادون لما فيه الحظّ لهم ويُسلّسون بالطاعة التي فيها صلاح أمورهم إلاّ بتدبير يجمع المهابة والمحبة ^(٦) .

وكانت الشعراء تلبس الوشّي والمقطعات ^(٧) والأردية السود ، وكلّ ثوب مشهّر . وقد كان عندنا منذ نحو خمسين سنة شاعرٌ يتزيّا بزّيّ الماضين ، وكان له برّد أسود يلبسه في الصيف والشتاء ، فهجاه بعض الطيّاب من الشعراء ^(٨) فقال في قصيدة له :

(١) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

(٢) يبدو أنه كساء يلقى على الكتف . و « باز » بالفارسية بمعنى الكتف .

(٣) الجرز ، بضمة وبضمّتين : ضرب من السلاح ، وهو عمود من حديد ، كما في اللسان . وفي

حواشي هـ والتمورية : « آلة للضرب كالمقرع من حديد » .

(٤) الجمّة من شعر الرأس : ما سقط على المنكبين .

(٥) ما عدال : « في الصيف والشتاء » .

(٦) ما عدال : « المحبة والمهابة » .

(٧) المقطعات من الثياب : شبه الجباب ونحوها من الخز ، وقيل كل ما يفصل ويخاط ، من قميص

وجباب وسراويلات .

(٨) الطيّاب ، بالكسر : جمع طيب ، وهو الفكّه المراح . انظر الحيوان (٣ : ٢٧ / ٦ :

٤٣٩) . وجاء في سيبويه (٢ : ٢١١ س ٤ - ٥) : « وقالوا طيب وطياب ، وجيد ويجاد ، كما قالوا

جياع وتجار » . وأنشد في اللسان (طيب) قول جندل بن المثنى :

• هزت براعيم طيّابِ البسرِ •

ثم قال : « إنما جمع طيبا ، أو طيّبا » .

بِغ بُرْدِكَ الْأَسْوَدِ قَبْلَ الْبَرْدِ فِي قُرَّةٍ تَأْتِيكَ صَمًا صَرْدًا (١)
 وكان لَجْرُبَانَ (٢) قميص بِشَارِ الْأَعْمَى وَجُبْتَهُ لِبَيْتَانِ ، فكان إذا أراد نَزَعَ شَيْءَ
 منها أطلق الأزرار فسقطت الثياب على الأرض ، ولم ينزع قميصه من جهة رأسه قط .
 وَقَدَوَيْهِ (٣) الْعَدَوِيُّ الشَّحَاجِيُّ (٤) ، لم يلبس قَطُّ قميصا ، وهو اليوم
 حَيٌّ ، وهو شيخُهم ، وهو شيخٌ كبير (٥) .

وسعيد بن العاصي الجواد الخطيب (٦) ، لم ينزع قميصه قط . فَقَدَوَيْهِ
 الشَّحَاجِيُّ ضَدُّ سعيد بن العاصي الأموي . وقال الخطيئة :
 سَعِيدٌ فَلَا يَفْرُكُ قَلَّةَ لَحْمِهِ تَحُدُّدُ عَنْهُ اللَّحْمُ فَهُوَ صَلِيبٌ (٧)
 وكان شديد السواد نحيفا .

ومن شأن المتكلمين أن يُشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجمهم . فإذا أشاروا
 بالعصى فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيدياً أُخر . ويدل على ذلك قول
 الأنصاري (٨) حيث يقول :

وسارت لنا سيارَةَ ذاتِ سُودِدٍ بِكُومِ المطايا والخِيُولِ الجماهيرِ (٩)

١٥٤

(١) الصماء : الشديدة . والبرد : البارد . قال رؤبة :

• بمطر ليس بثلج صرد •

(٢) الجربان : جيب القميص ، كما سبق في ص ١١٣ . واللينة : رقعة تعمل موضع جيب

القميص .

(٣) كذا ورد ضبطه في ه ، وضبط في ل بفتح القاف وسكون الدال .

(٤) الشحاجي ؛ نسبة إلى بني شحاج ، وهم بطنان في الأزدي ، كما في القاموس .

(٥) هذه الجملة من ل فقط .

(٦) ترجم في (٢ : ٢٩٥) .

(٧) ديوان الخطيئة ٤٢ . وقد سبق البيت في (١ : ٣١٥) .

(٨) هو صفوان الأنصاري . انظر القصيدة في (١ : ٢٥ - ٢٦) . وقد سبقت الأبيات في

(١ : ٣٧١) .

(٩) الكوم : جمع كوما ، وهي الناقة العالية السنام . والجماهر : جمع جمهرة ، وهي المجتمع

الكثير . وفي (١ : ٣٧١) : ذات سورة • •

١٥

٢٠

٢٥

يؤمنون مُلك الشام حتى تمكّنوا ملوكاً بأرض الشام فوق المناير
يُصيبون فصل القول في كلّ خطبة إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

وقال الكميّ بن زيد :

وتزور مسلّمة المه ذُتْ بالمؤنّدة السوائِر (١)
بالمذهبات المعجبا تِ لمفحيم منّا وشاعر
أهل التجاوب في المحا فل والمقاؤل بالمخاصر

وأيضاً إنّ حَمَل العِصا والمُخَصِّرة دليلٌ على التّأهّب للخطبة ، والتّهيوُّ للإطناب والإطالة ، وذلك شيءٌ خاصٌّ في خطباء العرب ، ومقصودٌ عليهم ، ومنسوبٌ إليهم . حتى إنّهم ليذهبون في حوائجهم والمخاصر بأيديهم ، إلغاً لها ، وتوقعاً لبعض ما يوجب حملها ، والإشارة بها .

وعلى ذلك المعنى أشار النّساء بالمآلى (٢) وهُنَّ قيامٌ في المناحات ، وعلى ذلك المثاليّ ضرّين الصّدور بالتعال .

وإنّما يكون العجزُ والدّلة في دخول الحُلل والنقص على الجوارح ، وأما الزيادة فيها فالصوابُ فيه . وهل ذلك إلّا كتعظيم كور العمامة (٣) ، واتّخاذ القضاة القلانس العظامَ في حمارة القيظ (٤) ، واتّخاذ الخلفاء العمائم على القلانس ، فإن كانت القلانسُ مكشوفةً زادوا في طولها وجِدّة رُعوسها ، حتى تكونَ فوق قلانس جميع الأمة .

(١) سبق إنشاد الأبيات في (١ : ٣٧١) .

(٢) المآلى : جمع مثلاة ، وهي خرقة تمسكها المرأة عند النوح .

(٣) كور العمامة ، بفتح الكاف : كل دارة من داراتها .

(٤) حمارة القيظ ، بتخفيف الميم وتشديد الراء : شدته .

وكذلك القناع ، لأنه أهيب . وعلى ذلك المعنى كان يتقنع العباس بن محمد ^(١) وعبدُ الملك بن صالح ^(٢) ، والعباس بن موسى ^(٣) وأشباههم . وسليمان ابن أبي جعفر ^(٤) ، وعيسى بن جعفر ^(٥) ، وإسحاق بن عيسى ^(٦) ، ومحمد بن ١٥٥ سليمان ^(٧) ، ثم الفضل بن الربيع ، والسندی بن شاهك وأشباههما من الموالي . لأن ذلك أهيب في الصدور ، وأجل في العيون .

والمقنع ^(٨) أروع من الحاسر ، لأنه إذا لم يفارقة الحجاب وإن كان ظاهراً في الطرق ^(٩) كان أشبه بمباينة العوام وسياسة الرعية .

وطرح القناع مُلابسةً وابتذالاً ، وموانسةً ومقاربةً . والدليل على صواب هذا العمل من بنى هاشم ، ومن صنائعهم ورجال دعوتهم ، وأنهم قد علموا حاجة الناس إلى أن يهابوهم ، وأن ذلك هو صلاح شأنهم - أن رسول الله ﷺ كان أكثر الناس قناعاً .

(١) هو العباس بن محمد بن عبد الله بن عباس ، وهو أخو أبي العباس السفاح . ولّى الجزيرة لأبي جعفر ثم للرشد ، وكان الرشيد يجله إجلالاً عظيماً . وكان عالي الهمة ، قال رجل له : إني أتيتك في حاجة صغيرة . قال : فاطلب لها رجلاً صغيراً . توفي سنة ١٨٦ . المعارف ١٦٤ وتاريخ بغداد ٦٥٨٠ . وفيه يقول القائل :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل : لا وأنت مخلد ، ما قالها

(٢) ترجم في (١ : ٣٣٤) .

(٣) هو العباس بن موسى الهادي ، ذكره الطبري في أولاد موسى الهادي (١٠ : ٣٨) .

(٤) هو سليمان بن أبي جعفر المنصور ، ذكره الطبري في أولاد المنصور (٩ : ٣١٨) . وأمه

فاطمة بنت محمد ، من ولد طلحة بن عبد الله .

(٥) هو عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، ولّى البصرة وكورها وفارس والأهواز والجمامة

والسند . ومات بدير بين بغداد وحلوان سنة ١٨١ . المعارف ١٦٣ - ١٦٤ وتاريخ بغداد ٥٨٤٦ . وقد ورد

الاسم محرّفاً في الأخير ؛ إذ ليس لأبي جعفر ولد يدعى « عيسى » بل ولد عيسى هو جعفر بن أبي جعفر .

(٦) يبدو أنه ولد عيسى بن جعفر . انظر الحيوان (٣ : ٣١ / ٤ : ٤٢٣) .

(٧) ترجم في (١ : ٢٩٥) .

(٨) ل : « المقنع » .

(٩) ل : « في الطريق » .

والدليل على أن ذلك قد كان شائعاً في الأسلاف المتبوعين ، أننا نجد رؤساء جميع أهل العِمل ، وأرباب التحل ، على ذلك . ولذلك اتَّخذوا في الحروب الرايات والأعلام ، وإنما ذلك كله حرق سُود وحُمر وصُفر وبيض . وجعلوا اللواءَ علامةً للعقد^(١) والعلم في الحرب مرجعاً لصاحب الجولة . وقد علموا أنها وإن كانت حرقاً على عصي أن ذلك أهيب في القلوب وأهول في الصدور ، وأعظم في العيون . ولذلك أجمعت الأمم رجالها ونساءها على إطالة الشعور ؛ لأنَّ ذا الجِمة أضخمُ هامةً وأطول قامةً ، وأنَّ الكاسيَ أفخم من العاري . ولولا أن حلق الرأس طاعةً وعبادةً ، وتواضعٌ وخضوع ، وكذلك السعي ورمي الجمار ، كما فعلوا ذلك .

وفي الحديث أنه لا يفتح عمورية^(٢) إلا رجال ثيابهم ثياب الرهبان ، وشعورهم شعور النساء .

١٠ وكل ما زادوه في الأبدان ، ووصلوه بالجوارح ، فهو زيادة في تعظيم تلك الأبدان .

والعصي والمخاصر مع الذي عددناه ، ومع ذلك الذي ذكرناه ونريد ذكره^(٣) من خصال منافعها ، كله باب واحد .

والمعنى قد يوقع بالقضيب على أوزان الأغاني ، والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه . ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ وضروب المعاني . ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه ، لذهب ثلثا كلامه . ١٥٦

وقال عبد الملك بن مروان : لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي .

(١) لعله يعني عقد العدد . انظر ماضي في (١ : ٧٦) .

٢٠ (٢) عمورية من بلاد الروم ، فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ .

(٣) ما عدل ، هـ : « ونزيد ذكره » .

وأراد معاويةً سبحانه وإثليل على الكلام ، وكان قد اقتضبه اقتضاباً (١) فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة ، فطلها بيده (٢) فلم تعجبه حتى أتوه بمخصرة (٣) من بيته .

والمثل المضروب بعصا الأعرج ، يقولون : « أقرب من عصا الأعرج » ويضربون المثل بعصا التهدي . قال علقمة بن عبدة في صفة فرس أنثى :

سَلَاةٌ كَعَصَا التَّهْدِيِّ غُلٌّ لَهَا مَنْظَّمٌ مِنْ نَوَى قُرَانَ مَعْجُومٍ (٤)

ويضربون المثل برُميح أبي سعد . وكان أبو سعيدٍ أعرج ، وقد في وفد عاد (٥) . قال ذو الإصبع العَدَوَانِيُّ :

إِنْ تَكُنْ شَيْكَتِي رُمِيحَ أَبِي سَعْدٍ يَدٌ فَقَدْ أَحْمَلُ السَّلَاحَ مَعَا (٦)

(١) اقتضب الكلام : ارتجله وتكلم به من غير تهبة .

(٢) رطل الشيء : رازه ووزنه ليعلم كم وزنه .

(٣) ما عدل ، هـ : « بمخصرته » .

(٤) البيت في ديوانه ١٣١ والحيوان (٢ : ٢٣٦) والمفضليات (٢ : ٢٠٤) واللسان (سلا ، غلل ، فيأ ، قرر ، عجم) . السلاة : شوكة النخل ، شبه فرسه بها لإرهاق صدرها وتما عجزها . التهدي ، أراد شيخاً من نهد قد كبر وطال عمره واملاست عصاه . غل : أدخل . أراد أدخل لها في باطن الحافر في موضع النسور . وشبه النسور بنوى قران لأنها صلاب . أو عنى أنه أدخل جوفها نوى من نوى نخيل قران حتى اشتد لحمها . وقران : قرية بالجمامة . معجوم : معضوض مَلُوكٌ لم يطبخ فيلين . ورواية « منظم » واردة في اللسان (غلل) . وفي الديوان والمفضليات : « ذو فيفة » .

(٥) كان القحط قد توالى ثلاث سنين على عاد ، وكان القوم إذا جهدهم القحط فرعوا إلى البيت الحرام يستسقون الغيث ؛ فخرجت عاد إلى البيت يستسقون ، فاخترأوا سبعين رجلاً على رأسهم أربعة منهم ، وهم : قيل بن عتر ، ولقمان بن عاد صاحب النسور ، وأبو سعد مرثد بن سعد وهو خيرهم وأعظمهم إيماناً ، وجلهمة بن الخيبرى . وقال جلهمة في أبى سعد :

أبَا سَعْدٍ كَأَنَّكَ مِنْ قَبِيلِ سَوَى عَادٍ وَأَمَلِكُ مِنْ ثَمُودِ

انظر أخبار عبيد بن شربة ٣٢٧ - ٣٣٤ .

(٦) البيت من قصيدة في المفضليات (١ : ١٥١ - ١٥٣) . وقيل أبو سعد هو لقمان الحكيم ، كبر حتى مشى على عصا . وقيل لقيم بن لقمان . وقيل أبو سعد كنية الكبر . شرح المفضليات واللسان (ر ع) .

وقال عباس بن مرداس :

جَزَى اللهُ خَيْراً خَيْرَنَا لَصَدِيقِهِ وَزَوَّدَهُ زَاداً كَزَادِ أُمِّي سَعِدِ
 وَزَوَّدَهُ صِدْقاً وَبِراً وَنَائِلاً وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ الْوِفَادَةِ مِنْ حَمِدِ

وقال الآخر :

فَأَبَّ بِمَجْدَى زَامِلٍ وَابْنِ زَامِلٍ عَدُوُّكَ ، أَوْ جَنُودِي كَلِيبِ بْنِ وَائِلِ ٥

ويقولون : « لو كان في العصا سير » . ويقولون : « ما هو إلا ابنة عصاً ،
 وعُقْدَةُ رِشَاءٍ (١) » . ويقولون : أخرج عودَه كعصا البَقَارِ (٢) ، وأخرج أيضاً
 عودَه كعصا الحَادِي .

وكان أبو العتاهية أهدى إلى أمير المؤمنين المأمونٍ عصا تَبَّعَ ، وعصا
 شَرِيانَ ، وعصا آبنوس (٣) ، وعصاً أخرى كريمة العيدان ، شريفة الأغصان ،
 وأردية قَطْرِيَّة (٤) ، وركاءٌ يمانِيَّة (٥) ، ونعلاً سَبْتِيَّة (٦) ، فقبل من ذلك عصاً
 واحدة وردَّ الباقي .

وبعث إليه مرّةً أخرى بنعلٍ وكتب إليه في ذلك :

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِهَا لِتَلْبَسَهَا تَسَعَى بِهَا قَدَمِي إِلَى الْمَجْدِ (٧)

١٥ (١) انظر ما سبق في ٥١ - ٥٢ .

(٢) انظر ما سبق في ١٢ س ٥ و ٥١ س ١٤ .

(٣) انظر ما سبق في حواشي ص ٩٢ .

(٤) الثياب القطرية حمراء أو أعلام فيها بعض الخشونة . وفي معجم البلدان : « قال أبو منصور : في
 ٢٠ أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر ، وأحسب الثياب القطرية تنسب
 إليها » .

(٥) الركاء : جمع ركوة ، وهو بثليث الرءاء : زق صغير . ويقال يمان ويمانى بتشديد الياء .

(٦) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ بالقرظ .

(٧) الشعر والشعراء ٧٦٧ - ٨٦٨ .

لو كنتُ أقدِرُ أنْ أشركها خدَى جعلتُ شراكها خدَى^(١)
فقبلها^(٢).

الكلبيُّ عن أبي صالح^(٣)، عن ابن عباس، أن الشجرة التي تُودَى منها موسى عليه السلام عوسج، وأنه تُودَى من جوف العوسج، وأن عصاه كانت من آس الجئة، وأنها كانت من العود الذي في وسط الورقة، وكان طولها طول موسى عليه السلام. وقالوا: من العُليق.

وقال الآخر:

صفراء من تبَّع كلون الورس أبدؤها بالذَّهن قبل نفسى

وأنشد الأصبغى عن بعض الأعراب:

ألا قالت الخنساء يوم لقيتها : كبرت ولم تجزغ من الشيب مجزعا
رأت ذا عصاً يمشى عليها وشيبة تقنع منها رأسه ما تقنعا
فقلت لها : لا تهزنى بي فقلما يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
وللقارحُ اليعسوبُ خيرٌ علالة من الجدع المُجرى وأبعد منزعا^(٤)

وقال إسحاق بن سويد^(٥):

(١) شرك النعل: جعل لها شراكا، وهو أحد سيور النعل التي تكون على وجهها. وتعدية هذا الفعل إلى اثنين ليست مروية. على أن رواية الأغاني لا شوب فيها، وهي: «لو كان يصلح أن أشركها خدى»، أى لو كان يصلح خدى لتشريكها.

(٢) الخبر برواية أخرى في الأغاني (٣: ١٦٠) حيث ذكر أن هدية النعل كانت إلى الفضل بن

الربيع.

(٣) أبو صالح ذكوان السمان، سبقت ترجمته في (١: ٤٠٣).

(٤) القارح: الفرس في سنته الخامسة. واليعسوب: الطويل السريع. والعلالة بالضم: الجرى الثاني، ويقال للجرى الأول بداهة. والجدع من الخيل: ما استم سنتين ودخل في الثالثة.

(٥) هو إسحاق بن سويد بن هيرة العدوى التميمي البصرى. كان ثقة فاضلا يقول الشعر.

توفي في الطاعون في أول خلافة أبي العباس سنة ١٣١. تهذيب التهذيب.

في رداء النبي أقوى دليل ثم في القعب والعصا والقضيب^(١)
وقال أبو الشَّيْص الأعمى^(٢) في هارون الرّشيد :

يا بني هاشم أفيقوا فإنّ الـ حُلك منكم حيث العصا والرّداء
ما لهارون في قريش كفيّ وقريش ليست لهم أكفاء
وقال آخر^(٣) :

على خشبات الملك منه مهابة وفي الحرب عبّل الساعدين قروغ
يشقّ الوعى عن رأسه فضّل نجدة وأبيض من ماء الحديد وقيع^(٤)

وبما يجوز في العصا قول أبي الشَّيْص :

أنعى فتى الجود إلى الجود ما مثل من أنعى بوجود
أنعى فتى مصّ الثرى بعده بقيّة الماء من التود^(٥)

ومن هذا الباب قول عبد الله بن جُدعان :

- (١) ما عدل ، ه : « في القعب » تحريف . والقعب : قدح إلى الصغر يروى الرجل .
(٢) هو محمد بن رزين . وفي نكت الهميان وتاريخ بغداد : محمد بن عبد الله بن رزين . وأبو
الشيص لقب غلب عليه ، والشيص : ردى التمر . وهو عم دعلج بن علي بن رزين الخزاعي ، أو ابن
١٥ عمه ، على الخلاف السابق . وقد صحح الخطيب أنه ابن عمه . وعمى أبو الشيص في آخر عمره ، وله
مراث في عينيه قبل ذهابهما وبعده . وكان أحد شعراء الرشيد ، معاصراً لأبي نواس ومسلم بن الوليد ،
فأخلاً ذكره . الأغاني (١٥ : ١٠٤ - ١٠٨) والشعر والشعراء ، ونكت الهميان ٢٥٧ ومعاهد
التنصيص (٢ : ١٤٢) وتاريخ بغداد ٢٩١٨ . والبيتان التاليان في الشعر والشعراء .
(٣) هو بشار بن برد . المختار من شعر بشار ٢٧ .
(٤) أى إن سيفه في الحرب يكشف عن نجده . الأبيض : السيف . من ماء الحديد ، وصف
٢٠ الأبيض ، كما في الخزانة (٣ : ٤٨٥) وأمالى المرتضى (١ : ٦٤) والإنصاف ٩٨ . ومثله قول الآخر :
شهبأ بدا والليل داج عساكره
وأبيض من ماء الحديد كأنه
الحزانة (٣ : ٤٨٥) . وقول زيد الخيل :
ولما دعاني الخيبرى أحبته
بأبيض من ماء الحديد صقيل
٢٥ حماسة البحرى ٥٨ . وقول أبي الأبيص العبسى :
ومالى مال غير درع ومغفر
وأبيض من ماء الحديد صقيل
بلوغ الأرب (١ : ١١٣) . والوقيع : المشحوذ المحدد .
(٥) في الشعر والشعراء ٥٦٣ - ٥٦٤ أن الشعر لأشجع السلمى في رثاء محمد بن زياد . وقد
روى منه سبعة أبيات .

فلم أرَ مثلهم حَيِّينَ أبقي على الحَدَثَانِ إن طرقتُ طُرُوقاً (١)
 وأضربَ عند ضنكِ الأمرِ منهم وأسلكُهم لأحزَنه طريفاً (٢)
 شريئُ صلاحهم يتلادُ مالى فعاد العَصْنُ مُعتدلاً وريفاً (٣)

ويقولون للرجل إذا أترى وأفادَ وكثرت نعمته : « ضَعُ عَصَاكَ » ، و « قد وضع عصاه » .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل (٤) :

وَنَجَّرُ الأذْيَالِ فِي نِعْمَةٍ زَوْ لِ تَقُولَانِ ضَعُ عَصَاكَ لَدَهْرٍ (٥)

ويقولون للمستوطن في البلد والمستطيب للمكان : « قد ألقى عصاه » .

وقال زُهَيْرُ بنِ أَبِي سُلْمَى :

فَلَمَّا وَرَدَنَّ المَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عَصَى الحَاضِرِ المَتَّخِيمِ (٦)

انقضى الكلام في العصا (٧)

(١) الحدَثَانِ ، بالتحريك : نوب الدهر وحوادثه ، ولفظه مذكر . قال الأزهرى : وربما أنثت العرب الحدَثَانِ ، يذهبون به إلى الحوادث . وقال الفراء : تقول العرب : أهلكتنا الحدَثَانِ . وأخطأ صاحب القاموس في ضبطه بالكسر . طرُوقاً ، أى بليل ؛ يقول أنا فلان طرُوقاً ، إذا جاء بليل .

(٢) أحزَنُهُ ، أى أشده حزونة وحشونة .

(٣) التلاد والتليد : القديم الذى ولد عندك .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٢٣٥) .

(٥) الزول : العجب . وقد سبق البيت في (١ : ٢٣٥) مع تخرج مقطوعته .

(٦) البيت من معلقته المشهورة . والجمام : جمع جم ، وهو معظم الماء . والحاضر : المقيم على

الماء .

(٧) هذه العبارة في ل فقط .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نبدأ على اسم الله وعونه ^(١) بشيء من كلام التُّسَاك في الزُّهد ، وبشيء من ذكر أخلاقهم ومواعظهم .

عوف ^(٢) ، عن الحسن قال : « لا تزول قدما ابن آدم حتى يُسأل عن ثلاث : شبابه فيما ^(٣) أبلاه ، وعمره فيما أفناه ، وماله من أين كسبه ، وفيما أنفقه » .

قالوا : وقال يونس بن عبيد ^(٤) : سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهن . قول حسان بن أبي سنان ^(٥) : ما شيء أهون من ورع ، إذا رابك شيء فدعه . وقول ابن سيرين : ما حسدت أحداً على شيء قط . وقول موروّق العجلّي ^(٦) : لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ، ما قضاها ولا يست منها .
فقيل لموروّق : ما هي ؟ قال : ترك ما لا يعنيني ^(٧) .

(١) ما عدل : « نبدأ باسم الله وعونه » .

(٢) هو عوف بن أبي جميلة البصرى المترجم في (٢ : ٣٧) .

(٣) ما عدل : « فيم » في المواضع الثلاثة . وهي اللغة الغالبة . وبغيرها قرأ عكرمة وعيسى :

(عما يتساءلون) . وقال حسان :

١٥

على ما قام يشتمنى لئيم
كخنزير تمرغ في رماد

المغنى والخراتنة (٢ : ٥٣٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ٢٢٠) .

(٥) هو حسان بن أبي سنان البصرى ، كان صلوقاً عابداً ، ترجم له في تهذيب التهذيب . وانظر

٢٠ صفة الصفوة (٣ : ٢٥٤ - ٢٥٧) . والخير في تهذيب التهذيب ومجالس ثعلب ٣١٢ ، ٤٧٨ وصفة

الصفوة (٣ : ١٧٤) . على أن هذا القول روى في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٤) منسوباً إلى ابن سيرين .

(٦) ترجم في (١ : ٣٥٣) .

(٧) في صفة الصفوة : « أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ، ولست بتارك طلبه أبداً .

قالوا : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعنيني » .

وقال أبو حازم الأعرج (١) : إن عوفينا من شر ما أُعطينا لم يَضِرْنَا ما زُوِيَ عَنَّا (٢) .

وقال أبو عبد الحميد (٣) : لم أسمع أعجبَ من قول عمر : « لو أنّ الصبر والشكر بَعِيرَانِ ما باليتُ أَيُّهُمَا أركب (٤) » .

وقال ابن ضُبارة : إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله أهونَ من الصبر على عذاب الله .

وقال زياد (٥) عبْدُ [عبْدِ الله بن (٦)] عِيَّاش بن أُمَي ربيعة : أنا من أُمْنَعِ الدُّعَاءِ أَخْوَفُ من أن أُمْنَعِ الإجابة (٧) .

وقال له عمر بن عبد العزيز : يا زياد ، إني أخاف الله مما دخلتُ فيه . قال : لستُ أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف .

وقال بعض النساك : كفى موعظةً أنك لا تموت إلا بحياة ، ولا تحيا إلا بموت .

وهو الذي قال : اصحب من ينسى معرفه عندك .

(١) ترجم في (١ : ٣٦٤) .

(٢) صفة الصفوة (٢ : ٨٩) . « إن وقينا شر ما أُعطينا لم نبال ما فاتنا » .

(٣) يبدو أنه أحد القصاص الزهاد . وقد أورد له في الحيوان (٦ : ٥٠٨) خبراً في أثناء أخبار بعض الزهاد . قال : « وكان أبو عبد الحميد المكفوف يتمثل في قصصه بقوله :

يا راقد الليل مسروراً بأوله
إن الحوادث قد يطرقن أسحارا »

(٤) ما عدل : « أيهما ركبت » .

(٥) هو زياد بن أبي زياد ميسرة الخزومي المدني ، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة . كان من العباد الزهاد ، ويقال إنه كان من الأبدال - والأبدال فيما يزعمون : سبعون رجلاً ، أربعون بالشام ، وثلاثون بغيرها ، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس ، كما في القاموس (بدل) - وكان عمر بن عبد العزيز يجله ويكرمه . وبعث إلى مولاه لبيبه إياه ، فأبى وأعتقه . توفي سنة ١٣٥ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٩) .

(٦) التكملة من المرجعين السابقين .

(٧) روى هذا القول في عيون الأخبار (٢ : ٢٨٦) منسوباً إلى أبي حازم .

وهو الذى قال : « لا تجعل بينك وبين الله مُنعماً ، وعُدَّ التَّعَمُّ منه عليك مَقْرُوماً » .

ودخل سالم بن عبد الله ^(١) ، مع هشام بن عبد الملك البيت ، فقال له هشام : سلنى حاجتك . فقال : أكره أن أسأل فى بيتِ الله غيرِ الله .

- ٥ . وقيل لرابعة القيسية ^(٢) : لو كَلَمْتِ ^(٣) رجالَ عشيرتك فاشترُوا لكِ خادماً تكفيك مهنةَ بيتك ^(٤) ؟ قالت : « والله إني لأستحى أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا فكيف أسألها من لا يملكها !؟ » . ١٦٠

وقال بعضُ التَّسَاك : ديارُكم أمامكم ، وحيائُكم بعد موتكم .

وقال السَّمَوَال بن عادي اليهودي :

- ١٠ . مَيْتاً خُلِقْتَ ولم أكن من قبلها شيئاً يموت فمَتُّ حينَ حَيِّتُ

وقال أبو الدرداء : « كان الناس وَرَقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورقَ فيه ^(٥) » .

الحسن بن دينار قال : رأى الحسنُ رَجُلًا يَكِيدُ بِنَفْسِهِ ^(٦) ، فقال : « إنَّ امرأَ هذا آخِرُهُ لجدير أن يُزهد في أوله ، وأنَّ امرأَ هذا أولُهُ لجدير أن يُخاف آخِرُهُ » .

- ١٥ . قال أبو حازم ^(٧) : الدنيا غرَّت أقباماً فعملوا فيها بغير الحق ، فلَمَّا جاءهم الموت خَلَفُوا ما لهم ^(٨) لمن لا يحمدُهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم . وقد خَلَفْنَا

(١) سالم بن عبد الله بن عمر ، ترجم في (٢ : ٢٩١) .

(٢) رابعة القيسية العدوية ، ترجمت في (١ : ٣٦٤) .

(٣) ما عدل : « لو كلمنا » .

٢٠ . (٤) المهنة ، بالفتح والكسر والتحريك وكلمة : العمل والحدق به .

(٥) نسب في (٢ : ١٩٧) إلى أنى ذر الغفارى . ومثله ما روى عنه في عيون الأخبار (٢ :

١) : « وجدت الناس اخبر تقله » .

(٦) يكيد بنفسه . يجود بها عند الاحتضار .

(٧) أبو حازم الأعرج ، سبقت ترجمته في (١ : ٣٦٤) .

٢٥ . (٨) ما عدل : « ففاجأهم الموت فخلفوا ما لهم » .

بعدهم ، فينبغي لنا أن ننظرَ إلى الذي كرهناه منهم فنجتنبه^(١) ، وإلى الذي غَبَطناهم به فنستعمله^(٢) .

موسى بن داود^(٣) ، رفع الحديث قال : « النَّظَرُ إِلَى خَمْسَةِ عِبَادَةِ : النَّظَرُ إِلَى الْوَالِدَيْنِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْبَحْرِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَصْحَفِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الصَّخْرَةِ^(٤) ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْبَيْتِ » .

عبد الله بن شدَّاد^(٥) ، قال : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ بَرِيَءٌ مِنَ الْكِبْرِ : مَنْ اعْتَقَلَ الْبَعِيرَ^(٦) ، وَرَكَبَ الْحَمَارَ ، وَلَبَسَ الصَّوْفَ ، وَأَجَابَ دَعْوَةَ الرَّجُلِ الدُّونَ » .

وذكر عند أنسي الصومُ فقال : « ثَلَاثٌ مِنْ أَطَاقِهِنَّ فَقَدْ ضَبَطَ أَمْرَهُ : مَنْ تَسَخَّرَ ، وَمَنْ قَالَ^(٧) ، وَمَنْ أَكَلَ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبَ » .

(١) ل : « أن نجتنبه » .

(٢) ل : « أن نستعمله » .

(٣) هو موسى بن داود الضبي ، كان ثقة صاحب حديث ، ولي قضاء المصبصة ثم طرسوس ، ومات بها سنة ٢١٧ . ذكر الجاحظ أنه كان فصيحاً خطيباً فاضلاً . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد . ٦٩٩٠ . ١٥

(٤) هي صخرة بيت المقدس ، بها أثر قدم النبي ﷺ . معجم البلدان (المقدس) .

(٥) ترجم في (٢ : ١١٣) .

(٦) البعير : الجمل البازل ، وهو الذي استكمل الثامنة وطعن في التاسعة ، وقيل هو الجذع ، وهو الذي استكمل الرابعة ودخل في الخامسة . قال الجوهرى : « يقال للجمل بعير وللناقة بعير » ، والمراد هنا الناقة . وفي حديث عمر : « من اعتقل الشاة وحلبها وأكل مع أهله فقد برئ من الكبر » . اعتقل شاته : وضع رجلها بين ساقه وفخذه فحلبها . وهذا غير متصور في الناقة . فالمراد بالاعتقال هنا اعتقال الرجل ، وهو أن ينشئ الراكب رجله فيضعها على المورك . وفي هامش التيمورية إشارة إلى أنها في نسخة : « اكتفل » . اكتفل البعير ، إذا أدار على سنامه ، أو على موضع من ظهره ، كساء وركب عليه .

(٧) قال من القيلولة ، وهي النوم في القائلة ، أى الظهيرة . والمراد إطاقة هذه الأمور مع حال الصوم . ٢٥

وقال أبو سعيد ، عبدُ الكريمِ العُقَابِيُّ (١) : من أَّخِرَ السُّحُورَ وَقَدَّمَ
 الفَظُورَ ، وأَكَلَ قَبْلَ أَنْ يَشْرِبَ ، وشَرِبَ ثُمَّ لَمْ يَأْكُلْ ، فَقَدْ ضَبَطَ أَمْرَهُ (٢) .
 وقال الجَمَّازُ (٣) : لَيْسَ يَقْوَى عَلَى الصَّوْمِ إِلَّا مَنْ كَبَّرَ لِقْمَهُ ، وَأَطَابَ
 أُذْمُهُ (٤) .

٥ - مجالد بن سعيد (٥) ، عن الشعبي ، قال : حَدَّثَنِي مُرَّةُ الهمداني (٦) -
 قال مجالد : وقد رأيته - وحَدَّثَنَا إسماعيل بن أبي خالد (٧) أَنَّهُ لَمْ يَرِ مِثْلَ مُرَّةٍ قَطَّ :
 كَانَ يَصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَمِائَةَ رَكْعَةً .

١٦١ وكان مُرَّةٌ يَقُولُ : لَمَّا قَتَلَ عَثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ : حَمِدْتُ اللَّهَ أَلَّا أَكُونَ دَخَلْتُ
 فِي شَيْءٍ مِنْ قَتْلِهِ ، فَصَلَّيْتُ مِائَةَ رَكْعَةٍ . فَلَمَّا وَقَعَ الْجَمَلُ وَصِيفِينَ حَمَدْتُ اللَّهَ أَلَّا أَكُونَ
 دَخَلْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوبِ ، وَزِدْتُ مِائَةَ رَكْعَةٍ . فَلَمَّا كَانَتْ وَقَعَةُ النَّهْرَوَانِ (٨)

(١) العقابي : نسبة إلى عقابة ، بالضم ، وهم بطن من حضرموت . السمعاني ٣٩٤ . وفي هـ ،
 والتميمورية : « الغفاري » . وهذا الإسناد وما بعده من الكلام إلى « يشرب » ساقط من ب ، ح .
 (٢) في التميمورية : « ضبط أمره نفسه » بدون حرف نسق .

(٣) الجماز ، لقب له ، ومعناه الوثاب . واسمه محمد بن عمرو بن عطاء بن ريسان . شاعر أديب
 بصرى ، وكان ماجناً خبيث اللسان ذا نادرة ، وكان أكبر سنّاً من أبي نواس . دخل بغداد في أيام الرشيد
 والمتوكل ، وقد أعجب به المتوكل يوماً فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها وانحدر فمات فرحاً بها . تاريخ
 بغداد ١١٤٣ .

(٤) ما عدل : « كثر لقمه » . واللقم ، بالفتح : سرعة الأكل ، وبضم ففتح : جمع لقمة .
 والأدم ، بالضم : الإدام ، وهو ما يؤكل بالخبز .

(٥) ترجم في (١ : ٢٤٢) .

(٦) هو مرة بن شراحيل الهمداني الشكسكي ، المعروف بمرة الخير ، ومرة الطيب ، لقب بذلك
 لعبادته . روى عن أبي بكر وعمر وعلي ، وتوفى سنة ٧٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧) .

(٧) هو إسماعيل بن أبي خالد البجلي الأحمسي ، كوفي عابد ثقة . وكان يسمى « الميزان » ، وكان
 طحاناً . توفى سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب والخلاصة ٢٨ .

(٨) النهروان ، بفتح النون . قال ياقوت : وأكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون .

حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ لَمْ أَشْهَدْهَا ، وَزَدْتُ مِائَةَ رَكْعَةٍ . فَلَمَّا كَانَتْ فَتْنَةُ ابْنِ الزَّيْرِ حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ لَمْ أَشْهَدْهَا ، وَزَدْتُ مِائَةَ رَكْعَةٍ .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِمُرَّةٍ . عَلَيَّ أَنَا لَا نَعْرِفُ لِبَعْضِ مَا قَالَ وَجْهًا ؛ لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ فَقِيهًا مِنْ أَهْلِ الْجَمَاعَةِ لَا يَسْتَحِلُّ قِتَالَ الْخَوَارِجِ ، كَمَا أَنَا لَا نَعْرِفُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَا يَسْتَحِلُّ قِتَالَ اللَّصُوصِ . وَهَذَا ابْنُ عُمَرَ ^(١) ، وَهُوَ رَئِيسُ الْجَلِيسِيَّةِ ^(٢) بِزَعْمِهِمْ ، قَدْ لَبِسَ السِّلَاحَ لِقِتَالِ نَجْدَةَ ^(٣) .

وَقِيلَ لِشَرِيحٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَّمَكَ مِنَ الْقِتَالِ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْفِتَنِ . قَالَ : فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِقَلْبِي وَهَوَايَ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : قَتَلَ النَّاقَةَ رَجُلًا وَاحِدًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَمَّ الْقَوْمَ بِالْعَذَابِ ، لِأَنَّهُمْ عَمُّوهُ بِالرُّضَا ^(٤) .

وَسُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ قَتْلِ عَثْمَانَ وَخِذَاذِلِيهِ وَنَاصِرِيهِ فَقَالَ : تِلْكَ دِمَاءٌ كَفَّ اللَّهُ يَدَيَّ عَنْهَا ، فَأَنَا لَا أَحِبُّ أَنْ أُغَمِّسَ لِسَانِي فِيهَا .

(١) هو عبد الله بن عمر . انظر أيضا تهديده لمصعب بن الزبير في الطبري (٧ : ١٥٨) .

(٢) الجلسية ، من قوهم : فلان جلس بيته ، أى لا يبرحه . وهؤلاء هم القاعدون الذين لا ينفرون إلى القتال . ل : « الجلسية » تحريف . وفي حواشي هـ والتيمورية : « في بعض الكتب يقال فلان جلس بيته ، أى ملازم له » .

(٣) هو نجدة بن عامر - وقيل عاصم - الحنفي ، كان ممن خرج مع ابن الزبير ، ثم فارقه هو ونافع ابن الأزرق من الخوارج ، فصار نافع إلى البصرة ونجدة إلى البجامة ، وذلك في سنة ٦٤ . الملل والنحل (١ : ١٦٥) والطبري (٧ : ٥٦ - ٥٧) . ثم صار إلى الطائف فوجد ابنة لعمر بن عثمان بن عفان قد وقعت في السبي فاشتراها من ماله بمائة ألف درهم ، وبعث بها إلى عبد الملك ، ثم سار إلى البحرين ووجه إليه مصعب بن الزبير بخيل بعد خيل فهزمهم . وقد ظل خمس سنوات هو وعماله بالبحرين والبجامة وعمان وهجر والعرض ، فلما نقت عليه الخوارج خلموه - وكان يسمى أمير المؤمنين - وأقاموا أبا فديك المترجم في (٢ : ٢٠٤) وذلك سنة ٧٢ . الطبري (٧ : ١٩٤) . فغلب أبو فديك على البحرين وقتل نجدة في تلك السنة .

واليه تنسب فرقة النجدات . انظر آراءهم في الملل ، والفرق بين الفرق ٦٧ والمواقف ٦٢٩ .

(٤) أى بالرضا عن قتل الناقعة وعدم استنكارهم لذلك .

ودخل أبو الدرداء على ^(١) رجل يعود ، فقال له : كيف تجدك ؟ فقال :
أفرق من الموت . قال : فممن أصبت الخير كله ؟ قال : من الله . قال : فلم
تفرق ممن لم تصب الخير كله إلا منه !؟

ولما قذف إبراهيم عليه السلام في النار قال له جبريل عليه السلام : ألك
حاجة يا خليل الله ؟ قال : أما إليك فلا .

قال : ورأى بعض النسك صديقاً له من النسك مهموماً ، فسأله عن
حاله ذلك ، فقال : كان عندي يتيمٌ أحسبُ فيه الأجر ، فمات . قال : فاطلب
يتيماً غيره فإن ذلك لا يُعدمك إن شاء الله ^(٢) . قال : أخاف أن لا أصيب
يتيماً في سوء خلقه . فقال : أما إنى لو كنت مكائك لم أذكر سوء خلقه .

قال : ودخل بعض النسك على صاحب له وهو يكيّد بنفسه ، فقال له :
١٠ طِبْ نفساً فإنك تلقى رباً رحيماً . قال : أما ذنوبى فإنى أرجو أن يغفرها الله لى ،
وليس اغتنامى إلا لمن أدع من بناتى . قال له صاحبه : الذى ترجوه لمغفرة ذنوبك
فارجه لحفظ بناتك . ١٦٢

قال : وكان مالك بن دينار يقول : لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا
الكلام .

وقال يونس بن عُبيد : لو أمرنا بالجزع لصبرنا ^(٣) .

وكان يقول : كسبت فى هذه السوق ستين ألف درهم ، ما منها درهم ^(٤)
إلا وأنا أخاف أن أسأل عنه .

قال : وسمع عمرو بن عُبيد ، عبد الرحيم بن صديقة ^(٥) يقول : قال الحطيئة :

(١) الكلام بعده إلى كلمة « وكان إذا قرئ » فى ص ١٣٤ ، ساقط من التيمورية .

(٢) يقال : أعدمنى الشيء ، إذا لم أجده .

(٣) وكذا فى عيون الأخبار (٢ : ٢) . وفى الحيوان (١ : ١٦٧) : « لو أخذنا » .

(٤) ما عدل : « ما فيها درهم » .

(٥) هـ ، ب ، ج : « عبد الرحمن بن حذيفة » . وفى هـ أيضاً : « حذيفة » .

إنما أنا حَسَبٌ موضوع ! فقال عمرو : كَذَبَ تَرَّحَهُ اللهُ (١) ، ذلك التَّقْوَى .
وقال أبو الدرداء : نعم صومعةُ المؤمن منزلٌ يَكْفُفُ فيه نفسه وبصره وفرجه .
وإِيَّامُ والجلوسَ في هذه الأسواق ، فإنها تُلغى وتُلغى (٢) .

* * *

وقال الحسن (٣) : يا ابن آدم ، بَعِ دُنْيَاكَ بِأَخْرَجِكَ تَرَبَّحَهُمَا جَمِيعاً ،
ولا تَبِعْ أَخْرَجَكَ بِدُنْيَاكَ فَتَخَسَّرَهُمَا جَمِيعاً . يا ابن آدم ، إذا رَأَيْتَ النَّاسَ فِي الْخَيْرِ
فَنَافِسُهُمْ فِيهِ ، وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي الشَّرِّ فَلَا تَغْبِطُهُمْ بِهِ . الثَّوَاءُ هَا هُنَا قَلِيلٌ ، وَالْبَقَاءُ
هُنَاكَ طَوِيلٌ . أُمَّتُكُمْ آخِرُ الْأُمَّمِ وَأَنْتُمْ آخِرُ أُمَّتِكُمْ ، وَقَدْ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ فَمَاذَا
تَنْتَظِرُونَ ؟ الْمَعَايِنَةَ ؟ فَكُنْ قَدْ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، ذَهَبَتِ الدُّنْيَا بِحَالِهَا (٤) ،
وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ قَلَائِدَ فِي أَعْنَاقِ بَنِي آدَمَ ، فَيَالِهَا مَوْعِظَةٌ لَوْ وَافَقَتْ مِنَ الْقُلُوبِ
حَيَاةً ! أَمَا إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا أُمَّةَ بَعْدَ أُمَّتِكُمْ ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا كِتَابَ بَعْدَ
كِتَابِكُمْ . أَنْتُمْ تَسُوقُونَ النَّاسَ وَالسَّاعَةَ تَسُوقُكُمْ ، وَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلَاكُمْ أَنْ يَلْحَقَ
آخِرُكُمْ . مَنْ رَأَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ رَأَى غَادِيًا رَائِحًا (٥) ، لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ ،
وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ . رُفِعَ لَهُ عِلْمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ . فَالْوَحَاءُ الْوَحَاءُ ، وَالنَّجَاءُ النَّجَاءُ .
عِلَامٌ تَعْرَجُونَ . أُتَيْتُمْ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ . قَدْ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ وَأَنْتُمْ كُلُّ يَوْمٍ تَرْدُلُونَ (٦) ،
فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ ،

(١) ترحه : أحرزه . والترح : تقيض الفرح .

(٢) أراد بالإلغاء أنها تحمل المرء على اللغو ، وهو مالا يعتد به من الكلام وغيره .

(٣) الخطبة في عيون الأخبار (٢ : ٣٤٤) وابن أبي الحديد (١ : ٤٦٩) .

(٤) أى حال الخير والشر . وهذا ما ورد في ابن أبي الحديد حيث صرح بنقله عن البيان والبيان .

وفي الأصول : « بحال يالها » ولا وجه له . وفي عيون الأخبار : « بحال بما لها » بإهمال الكلمة الأولى . وفي
حاشية هـ أنها في نسخة « بحذاويرها » .

(٥) أى في كسب الضرورى من العيش .

(٦) ردل يردل : صار ردلا ، وهو الردىء من كل شيء .

- اختاره لنفسه ، وبعثه برسالته ، وأنزل عليه كتابه ، وكان صفوته من خلقه ، ورسوله إلى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضعاً ينظر إليه أهل الأرض ، وآتاه منها قوتاً وبلغته ، ثم قال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ، فرغب أقوامٌ عن عيشه ، وسخطوا ما رضى له ربه ، فأبعدهم الله وأسحقهم .
- ٥ يا ابن آدم ، طأ الأرضَ بقدمك فإنها عما قليل قبرك ، واعلم أنك لم تنزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك . فرجَمَ اللهُ رجلاً نظَرَ فتفكَّرَ ، وتفكَّرَ فاعتبر ، واعتبرَ فأبصر ، وأبصرَ فصبر . فقد أبصر أقوامٌ فلم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا ، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا . يا ابن آدم ، اذكُرْ قوله : ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَاتُهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ . عدلَ اللهُ عليك من جعلك حسيبَ نفسك . خذوا صفاءَ الدنيا وذروا كدرها ؛ فليس الصّفْوُ ما عاد كدراً ، ولا الكدْرُ ما عاد صفواً . دَعُوا ما يُرِيكُمْ إلى ما لا يُرِيكُمْ^(١) . ظهر الجفاء وقلت العلماء ، وعفت السنّة وشاعت البدعة . لقد صحبتُ أقواماً ما كانت صحبتُهُمْ إلَّا قُرّةَ العين ، وجلاءَ الصدر . ولقد رأيتُ أقواماً كانوا من حسناتهم^(٢) أشفقَ من أن تُردَّ عليهم ، منكم من سيئاتكم أن تُعدَّبوا عليها ، وكانوا فيما أحلَّ اللهُ لهم من الدنيا أزهدَ منكم فيما حرّمَ عليكم منها . مالى^(٣) أسمع حسيباً ولا أرى أنيساً . ذهب الناس وبقى النسناس^(٤) . لو تكاشفتهم

(١) يقال ربه الأمر ، إذا علم منه الرية ، وأرأبه ، إذا أوهمه الرية . وباللغتين روى الحديث : « دع ما يريك إلى ما لا يريك » ، يروى بفتح الباء وضمها .

(٢) ما عدل ، ه : « لحسناتهم » . وانظر ما سيأتى في ص ١٥٥ س ٨ - ٩ .

(٣) هذه الكلمة من ه ، ب ، جـ وابن أبى الحديد . وبدلها في عيون الأخبار : « إلى » .

(٤) النسناس ، بفتح النون وكسرهما : خلق على صورة الإنسان . وقد عنى به الذين يتشبهون بالناس .

ما تدافنتم^(١) . تهاديتم الأطباق ولم تتهادوا النصائح . قال ابن الخطّاب : رحم الله امرأً أهدي إلينا مساوينا . أعيدوا الجواب فإنكم مسئولون . المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيهِ ولكن أخذه من قِبَل رَبِّهِ . إنَّ هذا الحقُّ قد جَهدَ أهله وحال بينهم وبين شهواتهم ، وما يصير عليه إلا مَنْ عَرَفَ فضلَه ، وربَّجَا عاقبته . فَمَنْ حَمِدَ الدُّنْيَا ذَمَّ الآخِرَةَ ، وليس يكره لِقَاءَ الله إلا مقيم على سخطه . يا ابن آدم ، ليس الإيمانُ بالتحلّي ولا بالتمنّي^(٢) ، ولكنه ما وَقَرَّ في القلوب ، وصدّقته الأعمال .

* * *

وكان إذا قرئ^(٣) : ﴿ أَهْلَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال : عَمَّ أَهْلَاكُمُ؟! أَهْلَاكُمُ عن دار الخلود ، وجنّة لا تبيد . هذا والله فضح القوم ، وهتك السّتر وأبدي العوار^(٤) . ١٦٤
 تنفق مثل ديتك في شهواتك سرفاً ، وتمنع في حقّ الله درهماً . ستعلم يالكلع^(٥) . ١٠
 الناس ثلاثة : مؤمن ، وكافر ، ومنافق . فأما المؤمن فقد أجمه الخوف ، ووقمه ذكر العرّض^(٦) . وأما الكافر فقد قمعه السيّف ، وشرّده الخوف ، فأذعن بالجزية ، وأسمع بالضّرية . وأما المنافق ففي الحجرات والطّرقات ، يُسرّون غير ما يعلنون ، ويضمّرون غير ما يظهرون . فاعتبروا إنكارهم ربّهم بأعمالهم الخبيثة . ١٥
 ويملك ! قتلت وليّه ثم تمنّيت عليه جنّته !
 وكان يقول : رَحِمَ اللهُ رجلاً خلا بكتابِ الله فعرض عليه نفسه ، فإن وافقه

(١) رواه في اللسان (دفن) . وقال : « أي لو تكشف عيب بعضكم لبعض » . وذكر قبله : « التدافن : التكاثر » . ورواه في (كشف) وقال : « ابن الأثير : أي لو علم بعضكم بسريرة بعض لاستنقل تشيع جنازته ودفنه » . وقد سبق الحديث في (٢ : ٢٣) وذكر الجاحظ أنه مما روى لأقوام شتى .
 (٢) عند ابن أبي الحديد : « بالهمي ولا بالشمهي » . وانظر ما سيأتى في ص ١٤٤ .
 (٣) تما عدل : « قرأ » . وإلى هنا ينتهي سقط التيمورية الذي بدأ في ص ١٣١ س ١ .
 (٤) العوار ، بثلاث العين : العيب .
 (٥) اللكع : اللقيم ، والأحقق .
 (٦) وقمه : ردة أشد الرد . ما عدل ، هـ : « وقومه » تحريف .

حَمْدَ رَبِّهِ وَسَأَلَ الزَّيَادَةَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِنْ خَالَفَهُ اعْتَبَ وَأَنَابَ (١) ، وَرَجَعَ مِنْ قَرِيبٍ . رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا وَعَظَّ أَخَاهُ وَأَهْلَهُ فَقَالَ : يَا أَهْلِي ، صَلَاتِكُمْ صَلَاتِكُمْ ، زَكَاتِكُمْ زَكَاتِكُمْ ، جِيرَانِكُمْ جِيرَانِكُمْ ، إِخْوَانِكُمْ إِخْوَانِكُمْ ، مَسَاكِنِكُمْ مَسَاكِنِكُمْ ، لَعَلَّ اللَّهُ يَرْحَمُكُمْ . فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَثْنَى عَلَى عِبْدِهِ مِنْ عِبَادِهِ (٢)

فَقَالَ : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ . يَا ابْنَ آدَمَ :

كَيْفَ تَكُونُ مُسْلِمًا وَلَمْ يَسَلِّمْ مِنْكَ جَارُكَ ، وَكَيْفَ تَكُونُ مُؤْمِنًا وَلَمْ يَأْمُنْكَ النَّاسُ .

وكان يقول : لا يستحقُّ أحدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتَّى لا يعيبَ النَّاسُ بعيبِ هو فيه ، ولا يأمرُ بإصلاحِ عيوبهم حتَّى يبدأ بإصلاحِ ذلك من نفسه ؛ فإنَّه إذا فعل ذلك لم يصلحَ عيباً إلَّا وجد في نفسه عيباً آخرَ ينبغي له أن يُصلِحَه . فإذا فَعَلَ ذلك شُغِلَ بِمَخَاصِئِ نَفْسِهِ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ . وَإِنَّكَ نَاطِرٌ إِلَى عَمَلِكَ يُوزَنُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ (٣) ، فلا تحقرَنَّ شيئاً من الخيرِ وإن صَغُرَ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ سَرَّكَ مَكَائِهِ . وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئاً مِنَ الشَّرِّ وَإِنْ صَغُرَ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ سَاءَكَ مَكَائِهِ .

وكان يقول : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً كَسَبَ طَيِّباً وَأَنْفَقَ قَصْداً ، وَقَدَّمَ فَضْلاً . وَجْهَوا ١٦٥

هذه الفضولُ حيث وجَّهها اللهُ ، وَضَعُوهَا حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ ؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنَ الدُّنْيَا بِلَاغِهِمْ وَيُؤَثِّرُونَ بِالْفَضْلِ . أَلَا إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ قَدْ أَضْرَّ ١٥

بِالدُّنْيَا فَفَضَّحَهَا ، فَلَا وَاللَّهِ مَا وَجَدَ ذُو لَبِّ فِيهَا فَرَحاً . فَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ السَّبِيلُ

(١) اعتب ، أى رجع من أمر كان فيه إلى غيره وانصرف عنه . ما عدل : « أعتب » ، أى عمل بطاعة الله . والوجه « اعتب » .

(٢) هو إسماعيل عليه السلام . وقبل الآية التالية ، وهى ٥٥ من سورة مريم : (واذكر فى الكتاب

إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) .

(٣) ناظر ، أى ستنظر يوم الحساب ، ما عدل ، هـ : « بوزن » موضع : « بوزن » - تحريف .

المتفرقة ، التي جماعها الضلالة وميعادها النار . أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا أجهت الليل فقياماً على أطرافهم ، يفتشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون مولاهم في فكاك رقابهم ^(١) . إذا عملوا الحسنة سرتهم وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم . يا ابن آدم ، إن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء يُغنيك ، وإن كان يُغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يغنيك . يا ابن آدم ، لا تعمل شيئاً من الحق رياء ، ولا تتركه حياء .

وكان يقول : إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم من أهل الدنيا ، وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضى أهل الدنيا بدنياهم فيها ، وكان أهل الدنيا يذلون دنياهم لأهل العلم رغبة في علمهم ، فأصبح أهل العلم اليوم يذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم ، فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم ، وزهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم .

وكان يقول : لا أذهب إلى من يُوارى عني غناه ويُبدى لي فقره ، ويُغلق دوتي بابَه ويمعنى ما عنده ، وأدع من يفتح لي بابَه ويُبدى لي غناه ويدعوني إلى ما عنده . وكان يقول : يا ابن آدم ، لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أقر .

مؤمن مُتَّهم ^(٢) ، وعلج أغتم ^(٣) ، وأعرابي لا فقه له ، ومنافق مكذب ،

(١) الفكاك ، يفتح الفاء وكسرهما . وفك الرقبة : تخليصها من إسار الرق . أى تخليصهم من إسار الدنيا وشهواتها ، أو مما يرتقبهم من جزاء لا يرضونه .

(٢) ما عدل : « مهمم » . ومثل هذا الأسلوب ما ورد في خطبة علي في (٦ : ٥٠ : ٦) حين عدد أنواع الناس ولم يذكر ما يشعر بذلك .

(٣) العالج : الرجل من كفار العجم . والأغتم : الذي لا يفصح شيئاً . والغنمة : عجمة في المنطق .

- ودنياوي مُترف^(١) ، نَعَقَ بِهِم نَاعِقٌ فَاتَّبَعُوهُ ، فَرَأَشُ نَارٍ^(٢) وَذِبَّانَ طَمَجٍ . وَالَّذِي نَفْسُ الْحَسَنِ بِيَدِهِ مَا أَصْبَحَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ مُؤْمِنٌ إِلَّا وَقَدْ أَصْبَحَ مَهْمُومًا حَزِينًا^(٣) ، وَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ رَاحَةٌ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ . وَالنَّاسُ مَا دَامُوا فِي عَافِيَةٍ مُسْتَوْرُونَ ، فَإِذَا نَزَلَ بِهِمْ بَلَاءٌ صَارُوا إِلَى حَقَائِقِهِمْ ، فَصَارَ الْمُؤْمِنُ إِلَى إِيْمَانِهِ ، وَالْمُنَافِقُ إِلَى نِفَاقِهِ . أَيْ قَوْمٌ ،
- ١٦٦
- إِنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَسَارِعُوا إِلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ رَاحَةٌ دُونَ الْجَنَّةِ ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَهُ وَاعْظَمَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَكَانَتْ الْحَاسِبَةُ مِنْ هَمِّهِ .

- وَقَالَ الْحَسَنُ فِي يَوْمِ فِطْرِ^(٤) ، وَقَدْ رَأَى النَّاسَ وَهَيْمَاتِهِمْ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ رَمَضَانَ مِضْمَارًا لِخَلْقِهِ^(٥) يَسْتَبِقُونَ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، فَسَبَقَ أَقْوَامٌ فَفَازُوا ، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ فَخَابُوا . فَالْعَجَبُ مِنَ الصَّاحِكِ اللَّاعِبِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَفُوزُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ ، وَيَخْسِرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ . أَمَا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ لِشُغْلِ مُحْسِنٍ بِإِحْسَانِهِ ، وَمَسِيءٍ بِإِسَاءَتِهِ ، عَنْ تَرْجِيلِ شَعْرٍ^(٦) ، وَتَجْدِيدِ ثَوْبٍ .

* * *

وَحَدَّثَ عَنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ :

- ١٥ (١) يُقَالُ فِي النِّسْبَةِ إِلَى الدُّنْيَا : دُنْيَاوِي ، وَدُنْيَوِي ، وَدُنْيَى .
 (٢) أَيْ كَالْفَرَّاشِ الَّذِي يَتَهافتُ عَلَى النَّارِ ، يَعْجِبُهُ حَسَنُهَا وَأَلَاؤُهَا وَفِيهَا حِفْتُهُ .
 (٣) انظُرْ قَوْلَهُ هَذَا فِي زَهْرِ الْآدَابِ (٢ : ٢٥٩) . وَفِي الْكَامِلِ ٥٧ : « وَنَظَرَ الْحَسَنُ إِلَى النَّاسِ فِي مِصْلَى الْبَصْرَةِ يَضْحَكُونَ وَيَلْعَبُونَ فِي يَوْمِ عِيدٍ » .
 (٤) لَ فَقَطْ : « وَهَيْمَتِهِمْ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي سَائِرِ النُّسخِ وَزَهْرِ الْآدَابِ .
 ٢٠ (٥) الْمِضْمَارُ : الْأَيَّامُ الَّتِي تَضْمُرُ فِيهَا الْخَيْلَ لِلسَّبَاقِ ، وَقَدَرُهَا أَرْبَعُونَ يَوْمًا . وَتَضْمِيرُ الْخَيْلِ : أَنْ يَظَاهِرَ عَلَيْهَا بِالْعَلْفِ حَتَّى تَسْمَنَ ، ثُمَّ لَا تَعْلَفُ إِلَّا الْقَوْتَ ، وَهُوَ قَدْرُ مَا يَمْسِكُ الرِّمَقُ .
 (٦) تَرْجِيلُ الشَّعْرِ : تَسْرِيجُهُ وَتَنْظِيفُهُ . وَفِي الْكَامِلِ وَاللِّسَانِ (رَطَلٌ) : « تَرْطِيلٌ » . وَالتَّرطِيلُ : تَلْيِينُ الشَّعْرِ بِالذَّهْنِ وَمَا أَشْبَهَهُ .

الناس طالبان : فطالبٌ يطلب الدنيا فارفضوها في نحره ، فإنه ربّما أدرك
الذى طلب منها فهلك بما أصاب منها ، وربّما فاته الذى طلب منها فهلك بما
فاته منها . وطالبٌ يطلب الآخرة ، فإذا رأيت طالب الآخرة فنافسوه .

وحدّث عن عمر بن الخطاب رحمه الله أنه قال (١) :

يأيتها الناس ، إنه أتى علىّ حينٌ وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن إنه إنّما يريد
به الله وما عنده . ألا وقد حُيِّلَ إلى أن أقواما يقرءون القرآن يريدون به ما عند
الناس . ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فإنّما كنّا نعرفكم إذ
الوحي ينزل ، وإذ النبي ﷺ بين أظهرنا (٢) ؛ فقد رُفِعَ الوحي وذَهَبَ النبي عليه
السلام ، فإنّما أعرفكم بما أقول لكم (٣) . ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننّا به خيراً
وأثنينا عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظننّا به شراً وأبغضناه عليه . اقدعوا هذه النفوس
عن شهواتها (٤) ، فإنها طلعةٌ (٥) ، وإنكم إلّا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية .
إنّ هذا الحقّ ثقيل مرىء ، وإن الباطل خفيف وىء (٦) ، وترك الخطيئة خيرٌ من
معالجة التوبة . وربّ نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أوزت حزنًا طويلًا .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز (٧) أمّا بعد فكأنك بالدنيا لم تكن ١٦٧

(١) الخطبة في صبح الأعشى (١ : ٢١٤) والعقد (٤ : ٦٣ - ٦٤) .

(٢) بعده في العقد : « بيننا عن أخباركم » .

(٣) في العقد : « بالقول » .

(٤) القدح : الكف والمنع . وانظر ما سبق في (١ : ٢٩٧) من نسبه إلى الحسن .

(٥) الطلعة : الكثير التطلع إلى الشيء ، الكثيرة الميل إلى هواها .

(٦) أى إن الحق عاقبة حميدة والباطل وخيم العاقبة . وكلمة « مرىء » ساقطة من ل .

(٧) في الشعراء ٥٥٣ ليسك أن الكتاب لعمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله .

وكأنتك بالآخرة لم تزل (١) .

وقال أبو حازم الأعرج (٢) : وجدت الدنيا شيئين : شيئاً هو لى لن أعجله دون أجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض ، وشيئاً هو لغيرى لم أنله فيما مضى ولا أناله فيما بقى . يُمنع الذى لى من غيرى (٣) ، كما مُنِعَ الذى لغيرى مِنى . ففى أى هذين أفنى عمرى ، وأهلك نفسى .

ودخل على بعض الملوك من بنى مروان فقال : أبا حازم ، ما المخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ما عندك فلا تَضَعه إلا فى حقه ، وما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه . قال : ومن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ قال : فمن أجل ذلك مُلكت جهنم من الجنة والناس أجمعين . قال : ما مالك ؟ قال : مالان . قال : ما هما ؟ قال : الثقة بما عند الله ، واليأس مما فى أيدي الناس . قال : ارفع حوائجك إلينا . قال : هيات هيات ، قد رفعتها إلى من لا تُخْتزل الحوائج دونه (٤) ، فإن أعطانى منها شيئاً قبلت ، وإن زوى عنى منها شيئاً رضيت .

* * *

وقال الفضيل بن عياض (٥) : يا ابن آدم ، إنما يفضلك الغنى بيومك (٦) أمس قد خلا ، وغد لم يأت ، فإن صبرت يومك أهدت أمرك ، وقويت على غدك . وإن عجزت يومك أهدمت أمرك ، وضعفت عن غدك . وإن الصبر يورث البرء ، وإن الجزع يورث السقم ، وبالسقم يكون الموت ، وبالبرء تكون الحياة .

* * *

(١) وذكر ابن قتيبة أن على بن جبلة أخذ معنى ما فى الكتاب فقال :

شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل

(٢) ترجم فى (١ : ٣٦٤) .

(٣) كلمة « من غيرى » ساقطة مما عدل ، هـ ، وإسقاطها يضعف المعنى .

(٤) تختزل : تقطع .

(٥) ترجم فى (١ : ٢٥٨) .

(٦) أى أن تكون غنيا بيومك ، عاملاً فيه ما يسعدك .

وقال الحسن : أيا فلان ، أكرهى هذه الحال التى أنت عليها للموت إذا نزل بك ؟ قال : لا . قال : أفتحدث نفسك بالانتقال عنها إلى حال ترضاها للموت إذا نزل بك ؟ قال : حديثاً بغير حقيقة . قال : أبعد الموت داراً فيها مُستعْتَبٌ (١) ؟ قال : لا . قال : فهل رأيت عاقلاً رضى لنفسه بمثل الذى رضىت به لنفسك ؟!

* * *

قال عيسى بن مريم عليه السلام : « أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا ، وَإِلَى آجَلِ الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى عَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا حَشَوْنَا أَنْ يُمَيِّتَ قُلُوبَهُمْ ، وَتَرَكَوْا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنْ سَيَتْرَكُهُمْ » .

ورأوه يخرج من بيت مومسة ، فقيل له : يا رُوحَ الله ما تصنع عند هذه ؟ قال : « إِنَّمَا يَأْتِي الطَّيِّبُ الْمُرْضَى (٢) » .

وقال حين مرَّ ببعض الخلق فشتموه ، ثم مرَّ بآخرين فشتموه ، فكلما قالوا شراً قال خيراً ، فقال له رجلٌ من الحواريين : كلما زادوك شراً زدتهم خيراً حتى كأنك إنما تُقرِّبهم بنفسك ، وتحثُّهم على شتمك ! قال : « كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْطَى مِمَّا عِنْدَهُ (٣) » .

وقال : « وِيلَكُمْ يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا ، كَيْفَ تَخَالَفُ فِرْعَوْنَكُمْ أَصُولَكُمْ ، وَعَقُولَكُمْ أَهْوَاءَكُمْ . قَوْلُكُمْ شِفَاءٌ يَبْرِئُ الدَّاءَ ، وَعَمَلُكُمْ دَاءٌ لَا يَقْبَلُ الدَّوَاءَ . لَسْتُمْ كَالْكُرْمَةِ الَّتِي حَسُنَ رِقْهًا ؛ وَطَابَ ثَمْرُهَا ، وَسَهْلُ مَرْتَقَاهَا ، بَلْ أَنْتُمْ كَالسَّمُرَةِ الَّتِي قَلَّ رِقْهًا وَكَثُرَ شَوْكُهَا ، وَصَعِبَ مَرْتَقَاهَا . وِيلَكُمْ يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا ، جَعَلْتُمُ الْعَمَلَ تَحْتَ

(١) مستعْتَبٌ : استرضاء . وذلك لأن الأعمال تبطل عنده وينقضى زمانها ، ويبدأ زمان الجزاء .
 (٢) مثله ما ورد في إنجيل مرقس (٢ : ١٧) حين رآه الكتبة والفريسيون يأكل مع العشارين والخطاة فقالوا : ما باله يأكل معهم ؟ فقال : « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضى » . اقرن هذا بما ورد في لوقا (١٥ : ١) . وانظر قول المسيح عليه السلام في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .
 (٣) الخير في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) . وقد سبق في ٢ : ١٧٧ .

أقدامكم ، مَنْ شاء أخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رُؤوسكم لا يُستطاع تناولها ، لا عبيدٌ أتقياء ، ولا أحرارٌ كرام . ويلكم أجراء السوء ، الأجر تأخذون ، والعمل تُفسدون . سوف تُلَقون ما تحذرون . يوشِك ربُّ العمل أن ينظُر في عمله الذى أفسدتم ، وفي أجره الذى أخذتم . ويلكم غرماء السوء تَبْدعون بالهدية قبل قضاء الدّين ، بالثّوافل تطوّعون ، وما أمرتم به لا تؤدّون . إنَّ ربَّ الدّين لا يقبل الهدية حتى يُقضى دينه .

* * *

وكان أبو الدرداء يقول : « أقرب ما يكون العبدُ من غضب الله إذا غضب ، واحذر أن تظلم مَنْ لا ناصرَ له إلاّ الله » .

١٠ وقال وَرَزَّ العَبْدُ :

لعمرُ أى المملوك ماعاش إنّه وإن أعجبتّه نفسه لذليل
يُرى الناسَ أنصاراً عليه وماله من الناس إلاّ ناصرون قليل

شيخٌ من أهل البادية قال (١) : المُعْرَضُ بالناس (٢) أتقى صاحبه ولم يتقَ ربه .

وكان بكرُ بن عبد الله (٣) يقول : « اطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم » .

١٦٩

١٥ وقال : « مَنْ كان له من نفسه واعظٌ عارضُهُ ساعة الغفلة ، وحين الحمية » .

وقال علىُّ للأشتر : « انظُر في وجهى » ، - بين جرى بينه وبين الأشعث

ابن قيس ما جرى .

وكانت العجم تقول : « إذا غضبَ الرَّجُلُ فليستلقِ ، وإذا أعيا فليرفع

رِجْلَيْهِ » .

٢٠ وقال أبو الحسن : كان لرجلٍ من التّسّاك شاة ، وكان مُعجِباً بها ، فجاء يوماً

(١) ما عدل : « وقال شيخ من أهل البادية ، ه . » وقال شيخ من أهل المدينة .

(٢) يقال عرض له وعرض به ، إذا عابه ولم يصرح .

(٣) بكر بن عبد الله المزني ترجم في (١ : ١٠٠) .

فوجدتها على ثلاثِ قوائمَ فقال : مَنْ صنَعَ هذا بالشاةِ ؟ قال غلامه : أنا . قال : ولمَ ؟ قال : أردت أن أغممَكَ . قال : لا جرمَ لأغمنَ الذى أمركَ بغمي ، اذهب فأنت حُرٌّ .

سعيد بن عامر ^(١) ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ^(٢) ، قال سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو يقول : ما أنعم الله على عبدٍ نعمَةً فانتزعها منه فعاضةً من ذلك الصبرِ إلّا كان ما عاضه الله أفضلَ مما انتزع منه . ثم قرأ ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد ^(٣) عن أصحابه قالوا : حضرت عَمْرُو بْنَ عُبيدِ الوفاةِ فقال لعديله : نزل في الموت ولم أتأهّب له . اللهم إنك تعلم أنه لم يستخ لي أمران لك في أحدهما رضاً ولى في الآخر هوىً إلّا اخترت ^(٤) رضاك على هواي ، فاغفر لي .

ولما خبر أبو حازم ^(٥) سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمؤمنين ، قال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريبٌ من الحسينين .

قال : وخرج عثمان بن عفان رحمة الله من داره فرأى في دهليزه أعرابياً في بَتِّ ، أشغى ^(٦) ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، فقال يا أعرابي : أين ربك ؟

(١) هو أبو محمد سعيد بن عامر الضبي البصرى ، ثقة من أئمة محدثى البصرة روى عن خاله جويرية بن أسماء ، وشعبة ، وابن أبى عروبة ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، وأبان بن أبى عياش وغيرهم . وكان مولده سنة ١٢٢ ووفاته ٢٠٨ . وذكر الخزرجى فى خلاصة التهذيب ١١٩ أن وفاته سنة « ثمان وثمانين » صوابها « ثمان ومائتين » .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى المدنى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وروى عنه مالك فى الموطأ . توفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب . والخلاصة ٢٩٣ .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى ، المترجم فى (٢ : ١٨٠) .

(٤) ما عدل : « آثرت » .

(٥) أبو حازم الأعرج سبقت ترجمته (١ : ٣٦٤) . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٦) الأشغى : الذى تختلف زينة أسنانه بالكبر والصفر ، والدخول والخروج . وفى عيون الأخبار

(٢ : ٣٧٠) : رأى شيخنا نطا .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

قال : بالمِرْضاد . وكان الأعرابيُّ عامر بن عبد قيس (١) ، وكان ابنُ عامرٍ (٢) سيرةً إليه .

قال : وغدا أعرابيٌّ من طَيِّبٍ مع امرأةٍ له ، فاحتلبا لبناً ثم قعدا يتمججان (٣) ، فقالت امرأته : أنحن أنعم عيشاً أم بنو مروان ؟ قال : هم أطيب طعاماً منّا ، ونحن أردأُ كسوةً منهم ؛ وهم أنعمُ منّا نهاراً ، ونحن أظهرُ منهم ليلاً .
 قال : وعظُ عُمرُ بن الخطّاب رجلاً فقال : لا يُلهك الناسُ عن نفسك ؛ فإنَّ الأمرَ يصير إليك دونهم ! ولا تقطع النهارَ سادراً (٤) فإنه محفوظٌ عليك ما عملت . وإذا إسأت فأحسِن ؛ فأئني لم أر شيئاً أشدَّ طلباً ولا أسرعَ دركاً من حسنةٍ حديثةٍ لذنبٍ قديم .

قال : كان هلالُ بن مسعودٍ يقول : زاهدٌ كم راغب ، ومجتهدٌ كم مقصرٌ ، وعالمكم جاهل ، وجاهلكم معترٌّ .

مسلمة بن محارب قال : قال عامر بن عبد قيس : الدنيا والددة للموت ، ناقضة للمبرم ، مرتجعة للعطيّة ، وكلُّ من فيها يجرى إلى ما لا يدري ، وكلُّ مستقيرٍ فيها غير راضٍ بها ، وذلك شهيدٌ على أنها ليست بدارٍ قرار .

قال الحسن : مَنْ أيقنَ بالخلف جاداً بالعطيّة .
 وقال أسماء بن خارجة (٥) : إذا قَدّمت المودّة سمّجَ الثناء .

وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب (٦) القرظيُّ : عِظني . قال : لا أرضى نفسي لك ، إني لأصلّي بين الفقير والغنيّ فأميل على الفقير وأوسّع للغنيّ

(١) ترجم في (١ : ٨٣) . وانظر ما سيأتي في ص ١٧٤ .

(٢) عبد الله بن عامر ، ترجم في (١ : ٣١٨) . وكان من ولاة عثمان .

(٣) التمتع : أن يأكل التمر ويشرب عليه اللبن .

(٤) السادر : الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع .

(٥) أسماء بن خارجة ، ترجم في (٢ : ٨٢) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٥٦) .

(٦) ترجم في (٢ : ٣٤ ، ٣٠٠) . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

قال : وقال الحسن : ما أطال عبدُ الأملِ إلا أساءَ العمل .

قال : كان أبو بكر رحمه الله إذا قيل له : مات فلان ، قال « لا إله إلا الله » . وكان عثمان يقول : « فلا إله إلا الله (١) » .

وركب سليمان بن عبد الملك يوماً في زِيٍّ عجيب ، فنظرت إليه جارية له فقالت : إنك لمعنى بييتي الشاعر . قال : وما هما ؟ فأنشدته :

أنتَ نِعَمَ المتاعِ لو كنتَ تبقى غير أن لا بقاءَ للإنسانِ
ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ كان في الناس غير أنك فإن

قال : ويلك نعيبت إلي نفسي .

قال : صام رجلٌ سبعين سنة ، ثم دعا إلى الله بحاجة فلم يستجب له ، فرجع لنفسه فقال : « منك أتيثُ » . فكان اعترافه أفضل من صومه .

وقال : مَنْ تذكَّرَ قُدرةَ الله لم يستعمل قدرته في ظلم عبادِ الله .

وقال الحسن : إذا سرَّك أن تنظر إلى الدنيا بعدك فانظر إليها بعد غيرك .

وكان الحسن يقول : ليس الإيمانُ بالتحلِّي ولا التمَنِّي ، ولكن ما وقر في القلوب ، وصدَّقته الأعمال (٢) .

قال : مات ذرُّ بن أبي ذرِّ الهمداني ، من بنى مُرهبة (٣) ، وهو ذرُّ بن

عُمَر بن ذر (٤) فوقف أبوه على قبره فقال : يا ذرُّ ، والله ما بنا إليك من فاققة ، وما بنا إلى أحد سوى الله من حاجة . يا ذرُّ ، شعلنى الحزنُ لك عن الحزن

(١) زيد بعد هذا فيما عدل ، هـ : « وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيراً ما ينشد :

لا تزال تمنى ميتا حتى تكونه وقد يرجو الفتى الرجا فيموت دونه »

وهذا النص مقحم على الكتاب ، والشعر فيه محتل . وانظر الخزانة ٤ : ٤٧ - ٤٨ .

(٢) ما عدل : « وصدقه العمل » . وانظر ما سبق في ص ١٣٤ .

(٣) بنو مرهبة بن عامر بن مالك بن معاوية . الاشتقاق ٢٥٦ ونهاية الأرب (٢ : ٣٢٠) .

(٤) ل فقط : « ذر بن عمرو بن ذر » ، وأثبت ما في سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ٣١٣)

حيث ورد الخبر .

عليك . ثم قال : اللهم إنك وعدتني بالصبر على ذرِّ صلواتك ورحمتك . اللهم وقد وهبت ما جعلت لي من أجرٍ على ذرِّ لذرِّ فلا تُعرفهُ قبيحاً من عمله . اللهم وقد وهبت له إساءته إلى فهب لي إساءته إلى نفسه ؛ فإنك أجود وأكرم .
فلما انصرف عنه التفت إلى قبره وقال : يا ذرُّ ، قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك !

سُحيم بن حفص قال : قال هانيء بن قبيصة ، لحرقة بنت النعمان ، وراها تبكي : مالك تبكين ؟ قالت : رأيت لأهلك غضارة^(١) ، ولم تمتلئ داراً قطُّ فرحاً إلا امتلأت حزنًا .

قال : ونظرت امرأة أعرابية إلى امرأة حولها عشرة من بنينا كأنهم الصقور ، فقالت : لقد ولدت أممكم حزنًا طويلاً^(٢) .

وقال النبي ﷺ لأزواجه : « أسرعكن لي لحاقاً أطولكن يداً^(٣) » . فكانت عائشة تقول : أنا تلك ، أنا أطولكن يداً . فكانت زينب بنت جحش^(٤) ، وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة ، وكانت صناعاً تصنع بيديها وتبيعه وتتصدق به . قال الشاعر^(٥) :

وما إن كان أكثرهم سواماً ولكن كان أطولهم ذراعاً

قال : كان الحسن يقول : ما أنعم الله على عبدٍ نعمة إلا وعليه فيها تبعه ، إلا ما كان من نعمته على سليمان عليه السلام ؛ فإن الله عز وجل قال عند ذكره : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

(١) الغضارة : النعمة وسعة العيش . ل : « لأهل غضارة » . وسيأتي في ص ١٦١ . « غضارة في

(٢) الخير في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٣) ما عدا ل : « أسرعكن لحاقاً لي » .

(٤) أي فكانت أسرعهن لحاقاً به زينب . وانظر شروح سقط الزند ١٠٧ ص ١ .

(٥) هو أبو زياد الأعرابي الكلابي ، كما في الحماسة (٢ : ٢٦٨) .

قال : باع عبدُ الله بن عُتبة بن مسعودٍ أرضاً بثمانين ألفاً ، فقيل له : لو أتخذتَ لولدك من هذا المال ذُخراً . قال : « إنما أجعلُ هذا المالَ ذُخراً لى عند الله ، وأجعلُ الله ذُخراً لولدى » . وقسمَ المال .

وقال رجلٌ : صحبتُ الربيع بن خُثيم (١) سنتين فما كلمنى إلا كلمتين ، قال لى مرّة : أمك حيّة ؟ وقال لى مرّة أخرى : كم فى بنى تميم من مسجد ؟

وقال أبو فروة : كان طارقٌ صاحبُ شرطِ خالد بن عبد الله القسرى مرّ ١٧٢ بابن شبرمة (٢) ، وطارقٌ فى موكبه ، فقال ابن شبرمة :

فإن كانت الدنيا تُحبُّ فإنّها سحابةٌ صيفٍ عن قليلٍ تَقشَعُ (٣)

اللهم لى دينى ولهم دنياهم . فاستعمل ابنُ شبرمة بعد ذلك على القضاء فقال ابنه : أتذكرُ قولك يوم مرّ طارقٌ فى موكبه ؟ فقال : يا بنى ، إنهم يجدون مثل أبيك ، ولا يجدُ أبوك مثلهم . يا بُنى ، إن أباك أكل من حلوائهم وحطّ فى أهوائهم .

قال الحسن : من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كلّ شيء .

وقال الحسن : ما أعطى رجلٌ من الدنيا شيئاً إلا قيل له حُذِه ومثله من الحرص .

قال : مرّ مروانُ بن الحكم فى العام الذى بُويع فيه بزُرارة بن جُزَيّ (٤) الكلابيّ ، وهم على ماءٍ لهم (٥) ، فقال : كيف أنتم آل جُزَيّ ؟ قالوا : بخير

(١) التيمورية « حثيم » ، وما عداها « خثيم » ، لكن صوابه بتقديم التاء على الياء كما أثبت . وقد ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٢) عبد الله بن شبرمة ، ترجم فى (١ : ٩٨) .

(٣) هذه رواية ل . وفى سائر النسخ وكذا فى عيون الأخبار (١ : ٥٦) :

أراها وإن كانت تحب كأنها سحابة صيف عن قريب تقشع

(٤) يقال جزى ، وجزءه أيضاً ، كما فى الإصابة ٢٧٨٨ . وقد مضت ترجمة زرارة فى (١ : ١٤٧) .

(٥) ما عدل ، هـ : « على ما لهم » ، وهى صحيحة إن قرئت بالرسم القديم .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

زَرَعْنَا اللَّهَ فَأَحْسَنَ زَرْعَنَا ، وَحَصَدْنَا فَأَحْسَنَ حَصَادَنَا .
 وقال الحسن : يا ابن آدم ، إتما أنت عددٌ ، فإذا مضى يومٌ فقد مضى بعضُك .

- وقال الحسن ^(١) : يا ابن آدم ، إن كان يُغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك ، وإن كان لا يغنيك منها ما يكفيك فليس فيها شيءٌ يُغنيك .
- قال : نزل الموتُ بفتى وكان فيه رمقٌ ، فرفع رأسه فإذا أبواه يبكيان عند رأسه ، فقال : مالكما تبكيان ؟ قالا : تخوفاً عليك من الذي كان من إسرافك على نفسك . فقال : لا تبكيا ، فوالله ما يسرُّني أن الذي بيد الله بأيديكما .
- أبو الحسن ، عن علي بن عبد الله القرشي ^(٢) قال : قال قتادة : يُعطي الله العبدَ على نيّة الآخرة ما شاء من الدنيا والآخرة ^(٣) ، ولا يُعطي على نيّة الدنيا إلا الدنيا .
- عَوَانة قال : قال الحسن : قدم علينا بشرٌ بنُ مروان أخو الخليفة وأمير المصرين ، وأشبُ التّاس ، فأقام عندنا أربعين يوماً ثم طعن في قدّميه ^(٤) فمات ، فأخرجناه إلى قبره ، فلما صيرنا إلى الجبان ^(٥) إذا نحنُ بأربعةِ سُودانٍ يحملون صاحباً لهم إلى قبره ، فوضعنا السريرَ فصلينا عليه ، ووضعوا صاحبهم فصلوا عليه ، ثم حملنا بشرأ إلى قبره وحملوا صاحبهم إلى قبره ، ودفننا بشرأ ودفنوا صاحبهم ، ثم انصرفوا وانصرفنا ، ثم التفتُ التفاتةً فلم أعرف قبرَ بشرٍ من قبر الحبشي . فلم أر شيئاً قطُّ كان أعجبَ منه .

١٧٣

- (١) ما عدل : « مسلمة : قال الحسن » .
- (٢) هو علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي المدني . ولد ليلة قتل علي في رمضان سنة ٤٠ . وكان يدعى « السّجاد » لكثرة صلواته : كان يصلي كل يوم ألف ركعة فيما زعموا . وكانت وفاته باللقاء من أرض الشام سنة ١١٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٩) والخلاصة ٢٣٣ .
- (٣) هذه الكلمة من ل ، ه فقط .
- (٤) ما عدل : « في قدمه » .
- (٥) الجبان والجبانة : الصحراء ، وتسمى بهما المقابر لأنها تكون في الصحراء ، تسمية للشئ باسم موضعه . ما عدل ، ه : « الجبانة » . وكتب فوقها في ه « الجبان » .

وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ (١) :

وَالْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَنَا وَسَوَاءٌ قَبْرٌ مُثْرٍ وَمُقْبَلٌ (٢)

وتقول الحكماء : ثلاثة أشياء يستوى فيها الملوك والسُّوقَة ، وَالْعَلِيَّةُ وَالسُّفْلَةُ : الموت ، وَالطَّلَقُ ، وَالنُّزْعُ .

وقال الهيثم بن عَدِيٍّ ، عن رجاله : بينا حُدَيْفَةُ بن اليمانِ وسَلْمَانُ الفارسيُّ (٣) يتذاكران أعاجيبَ الزَّمانِ ، وتغيُّرَ الأيامِ ، وهما في عَرَصَةِ إيوانِ كِسْرَى ، وكان أعرابيٌّ من غامدٍ يرعى شَوْبَهَاتٍ له نهاراً ، فإذا كان الليلُ صَيَّرَهُنَّ إلى داخلِ العَرَصَةِ ، وفي العَرَصَةِ سريرٌ رَخَامٌ كان كِسْرَى رُبَّمَا جالسَ عليه ، فصَعِدَتْ غُنَيْمَاتُ (٤) الغامدِيِّ على سريرِ كِسْرَى ، فقال سَلْمَانُ : ومن أعجب ما تذاكرنا صعودِ غنيماتِ الغامدِيِّ على سريرِ كِسْرَى .

قال : لما انصرفَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضى اللهُ عنه من صِيْفَيْنَ مرَّ بمقابرٍ فقال :

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ المُوَحِّشَةِ ، وَالْمَحَالِّ المُقْفِرَةِ ، مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ . أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ فَارِطٌ ، وَنَحْنُ لَكِنْ تَبِيعٌ ، وَبِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ لآحِقُونَ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَهَمَّ ، وَتَجَاوَزْ بَعْفُوكَ عَنَّا وَعَنِهِمْ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الأَرْضَ كِفَاتاً (٥) ، أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَعَلَيْهَا يُحْشَرُّكُمْ ، وَمِنْهَا يَبْعَثُكُمْ ، وَطَوْبَى لِمَنْ ذَكَرَ المَعَادَ ، وَأَعَدَّ لِلْحِسَابِ ، وَقَبِيعَ بالكِفَافِ .

(١) ترجم في (١ : ١٠٨) .

(٢) انظر القصيدة في السيرة ٦١٦ جوتنجن . وبعض أبياتها في الحيوان (٥ : ٥٦٤) . وقد أنشد هذا البيت ابن فارس في المقاييس (خس) ، وقال : « ويقال هذه الأمور خساسة بينهم ، أى دول » . وضبطها صاحب القاموس ، ككتاب . ولم تذكر هذه الكلمة في اللسان .

(٣) ترجم حذيفة في (٢ : ١٤٠) وسلمان في (٢ : ١٠٢) . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧١) .

(٤) بعد هذه الكلمة سقط في التيمورية ينتهى في السطر السادس من ص ١٥٧ .

(٥) أى تكفت الناس ، تحفظهم أحياء على ظهورها في دورهم ، وأمواتاً في بطنها .

وقال عمر رحمه الله « استغزروا الدموع بالتذكّر (١) » .

وقال الشاعر (٢) :

سَمِعَن بِهَيْجَا أَوْجَفَتْ فَذَكَرْتُهُ وَلَا يَبْعُثُ الْأَحْزَانَ مِثْلَ التَّذْكَرِ (٣)

وقال أعرابي :

لا تُشْرِفَنَّ يَفَاعاً إِنَّهُ طَرَبٌ وَلَا تُغَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مَشْتاقاً (٤)

* * *

قال ابن الأعرابي : سمعتُ شيخاً أعرابياً يقول : إني لأسّر بالموت ، لا دَين

ولا بنات .

على بن الحسن قال : قال صالح المري (٥) دخلت دار المورياني (٦) ،

١٧٤

- ١٠ فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله ، استخرجتها حين ذكرت الحال ، فيها قوله عز وجل : ﴿ فِتْلِكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ ؛ وقوله : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ؛ وقوله : ﴿ فِتْلِكَ بِيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ . قال : فخرج إلى أسود من ناحية الدار فقال : يا أبا بشر ، هذه سَخْطَةُ المخلوق ، فكيف سَخْطَةُ الخالق (٧) !

١٥ (١) ومثله في عيون الأخبار (٢ : ٢٩٨) . وفي البيان (١ : ٢٩٧) : « لا تستغزروا الدموع إلا بالتذكّر » .

(٢) هو ليلي الأحملي تروى توبة بن الحمير ، من قصيدة في الأغاني (١٠ : ٧٢ - ٧٣) وقد سبق البيت في (١ : ٢٩٨) .

(٣) اقتصر في ل على إنشاد عجزه .

(٤) في اللسان : « يقال أشرفت الشيء : علوته » .

٢٠ (٥) هو صالح بن بشير المري ، المترجم في (١ : ١١٢) .

(٦) هو سليمان بن مخلد ، المكنى بأبي أيوب . ونسبته إلى « موريان » قرية من قرى الأهواز . وكان وزير المنصور العباسي بعد خالد بن برمك جد البرامكة . وكان في أول أمره مقرباً لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله . وتوفى سنة ١٥٧ . وفيات الأعيان (١ : ٢١٥ - ٢١٦) .

(٧) ما عدل ، هـ : « هذا سخط الخلق فكيف سخط الخالق » .

قال : وأصاب ناساً مطرٌ شديد وظلمة وريح (١) ، ورعدٌ وبرق ، فقال رجلٌ من التُّسَاك : اللهم إنك قد أَرَيْتَنَا قَدْرَتَكَ فَأَرِنَا رَحْمَتَكَ .

عَوَانة قال : قال عبد الله بن عمر : فَازَ عمر بن أبى ربيعة بالدُّنْيَا والآخرة : غَزَا في البحر فَأَحْرَقُوا سَفِينَتَهُ فَأَحْتَرَقَ .

قال : وطلَّق أبو الخندق امرأته أمَّ الخندق ، فقالت : أَتَطْلُقْنِي بعد طول الصُّحْبَةِ ؟ فقال : ما دهاكِ عندي غيرُه .

وكان أبو إسحاق (٢) يقول : ما الأَمَّها من كلمة .

قال : مرَّ عمر بن الخطاب رحمه الله بقوم يتمنون ، فلما رأوه سَكَنُوا ، قال : فيم كنتم ؟ قالوا : كُنَّا نَتَمَنَّى . قال : فَتَمَنُّوا وَأَنَا أَتَمَنَّى معكم (٣) . قالوا :

فتمنَّ . قال : أتمنَّى رجالاً ملءَ هذا البيت مثل أبى عبيدة بن الجراح (٤) ، وسالم مولى أبى حذيفة (٥) . إنَّ سالماً كان شديد الحُبِّ لله ، لو لم يخف الله ما عصاه (٦) . وقال رسول الله ﷺ : « لكل أمة أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

(١) ما عدل : « وريح وظلمة » .

(٢) يعنى إبراهيم بن سيار النظام .

(٣) ل : « وأنا معكم » .

(٤) أبو عبيدة بن الجراح الفهري ، أحد العشرة السابقين ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، اشتهر بكنيته والنسبة إلى جده . وقد ضرب المثل العالى في قيادته للمسلمين في فتح الشام . وتوفى في طاعون عمّواس سنة ١٨ . الإصابة ٤٣٩٣ وصفة الصفوة (١ : ١٤٢) .

(٥) هو سالم مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أحد السابقين الأولين ترجم له في الإصابة ٣٠٣٦ .

(٦) لو ، في مثل هذا الأسلوب ، هي التي يذكر النحاة أنها لتقرير الجواب وجد الشرط أو فقد ، ولكنها مع فقدته أولى . أى إن عدم عصيانه يتحقق إذا لم يكن منه خوف الله ، فما بالك إذا كان منه الخوف . وقد روى ابن هشام في المغنى (في باب لو) ، أن عمر قال : « نعم العبد (صهيب) لو لم يخف الله لم يعصه » .

شعبة ، عن عمرو بن مرة^(١) قال : قدم وفدٌ من أهل اليمن على أُمِّي بكرٍ رحمه الله ، فقرأ عليهم القرآن فبكوا ، فقال أبو بكر : هكذا كُنَّا ، حتَّى قَسَتِ القلوب .

٥ . وقال أبو بكر : « طوى لمن مات في نأنة الإسلام^(٢) » .

قال سعد بن مالك^(٣) ، أو معاذ^(٤) : « ما دخلت في صلاةٍ فَعَرَفْتُ مَنْ عن يميني ولا مَنْ عن شمالي ، وما شِيعت جنازة قطُّ إلاَّ حَدَّثْتُ نفسي بما يُقال له وما يقول^(٥) ، وما سمعت رسول الله ﷺ قال شيئاً قطُّ إلاَّ علمت أنه كما قال » .

١٧٥ قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ : أضحكني مؤمِّلُ الدنيا والموتُ يطلبه ، وغافلٌ ولا يُغفلُ عنه ، وضاحكٌ مِلءَ فيه ولا يدري أساخطُ ربه أم راضٍ . وأبكاني هَوْلُ المَطَّلَعِ^(٦) ، وانقطاعُ العَمَلِ ، وموقفى بين يدي الله لا يُدْرِي^(٧) أيأمرُ بي إلى الجنة أم إلى النار .

سُحَيْمِ بن حفص ، قال : رأى إياسُ بن قتادة العبشمي^(٨) شَيْبَةً في

(١) هو عمرو بن مرة عبد الله بن طارق الجمل المرادي ، روى عنه شعبه والثوري والأعمش وغيرهم . وفيه يقول شعبة : « ما رأيت عمرو بن مرة في صلاة قط إلا ظننت أنه لا يتنقل حتى يستجاب له » . توفي سنة ١١٦ تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٥٩) .

(٢) النأنة : العجز والضعف . يعني أول الإسلام قبل أن يقوى ويكثر أهله وناصروه والداخلون فيه ، فهو عند الناس ضعيف .

(٣) سعد بن مالك بن أهيب ترجم في (١ : ٢٦١) .

(٤) هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل ، ترجم في (١ : ٢٤) .

(٥) الجنازة ، بالفتح : الميت نفسه . وبالكسر : السرير الذي يحمل عليه . وهو يشير بالقول هنا إلى سؤال الملكين .

(٦) المطلع : ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٥٩) .

(٧) هـ : « لا أدري » .

(٨) إياس بن قتادة التميمي ، ابن أخت الأحنف بن قيس . وكذا جاءت نسبته في البيان

« العبشمي » . والصواب أنه مجاشعي تميمي . انظر الكامل ٨٢ ليسك وصفة الصفوة (٣ : ١٤٤) حيث ترجم له ابن الجوزي . ومجاشع ، هو ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

لحيته ^(١) ، فقال : « أرى الموت يطلبني ، وأراني لا أفوته . أعوذ بك من فجاءات الأمور ^(٢) وبَغْتَاتِ الحوادث . يا بني سعد ، إني قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبتي » . ولزم بيته ، فقال له أهله : تَمُوتَ هُرُلًا ^(٣) ! قال : « لَأَنْ أَمُوتَ مُؤْمِنًا مهزولا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ مُنَافِقًا سَمِينًا » .

وذكر قوم إبليس فلعنوه وتغيظوا عليه ، فقال أبو حازم الأعرج : وما إبليس ؟! لقد عُصِيَ فما ضَرَّ ، وأطِيعَ فما نَفَعَ .

قال : وقال بكر بن عبد الله المزني : الدنيا ما مَضَى منها فحُلْمٌ ، وما بَقِيَ منها فَأَمَانِي .

قال : ودخل أبو حازم مسجد دمشق ، فوسوس إليه الشيطان ، إنك قد أَحَدْتُكَ بعد وضوئك . قال : أَوْ قَدْ بَلَغَ هذا من نصيحتك !

قال بعض الطيِّاب ^(٤) :

عجبت من إبليس في كِبَرِهِ وَحَيْثُ ما أَبَدَاهُ مِنْ نَيْتِهِ
تَأَهُ عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَةٍ وَصَارَ قَوَادِمًا لِدُرِّيَّتِهِ

قال : فَأَنْشَدْتَهَا ^(٥) مِسْمَعُ بن عاصم فقال : وأبيك لقد ذَهَبَ مَذْهَبًا .

الفضل بن مُسْلِمٍ قال : قال مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشَّحْخِيرِ ^(٦) : لا تنظروا

(١) فيما عدل ، هـ : « شيبة لحيته » . والخبر في صفة الصفة بتفصيل ، وعيون الأخبار (٢) :

(٣٢٤) مع خلاف في الرواية فيهما .

(٢) ل : « أعوذ من فجأة الأمور » . وفي عيون الأخبار : « أعوذ بك يارب من فجاءات الأمور » .

(٣) الهزل ، يفتح الهاء وضما : الهزال ، نقيض السمن .

(٤) الطيِّاب ، بالكسر : جمع طيب ، مثل جيد وجياد . انظر الحيوان (٣ : ٢٦) وسيبويه (٢ :

٢٠) ، وما سبق في ص ١١٥ .

(٥) ما عدل ، هـ : « فَأَنْشَدْتَهَا » .

(٦) ترجم في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

إلى خَفَضَ عَيْشِهِمْ ، وَلَيْنَ لِبَاسِهِمْ ، وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى سُرْعَةِ ظَعْنِهِمْ وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ .
 قَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَقَدْ أَصْبَحَتْ وَإِنَّ الْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى ، وَالسُّقْمَ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصِّحَّةِ ، وَالْمَوْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ . قَالَ دَهْمٌ (١) : « لَكُنِّي
 لَا أَقُولُ ذَلِكَ . قَالَ : قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ لَا صِحَّةَ تُطْعِنِي ، وَلَا مَرَضًا
 يُضْنِيَنِي ، وَلَكِنْ بَيْنَ ذَيْنِكَ » .

١٧٦ قَالَ الْحَسَنُ : إِنْ قَوْمًا جَعَلُوا تَوَاضَعَهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ ، وَكَبَّرَهُمْ فِي صُدُورِهِمْ ،
 حَتَّى أَصَاحِبُ الْمِثْرَةَ بِمِذْرَعَتِهِ (٢) ، أَشَدُّ فَرَحًا مِنْ صَاحِبِ الْمُطْرَفِ بِمُطْرَفِهِ (٣) .

١٠ قَالَ : وَقَالَ دَاوُدُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ اللَّهَ سَطَوَاتٍ وَتَقَمَاتٍ » . فَإِذَا
 رَأَيْتُمُوهَا فِدَاؤُوا قُرُوحَكُمْ بِالْدُّعَاءِ (٤) ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « لَوْلَا رِجَالٌ
 نُحْشَعُ ، وَصِيبَانٌ رُضِّعُ ، وَبِهَائِمٌ رُتِّعُ ، لَصَبَبْتُ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ صَبًّا » .

١٠ قَالَ : اشْتَرَى صَفْوَانُ بْنُ مُحَرِّزٍ (٥) بَدَنَةً بِتِسْعَةِ دَنَانِيرٍ (٦) ، فَقِيلَ لَهُ :
 أَتَشْتَرِي بَدَنَةً بِتِسْعَةِ دَنَانِيرٍ وَلَيْسَ عِنْدَكَ غَيْرُهَا ؟ قَالَ : سَمِعْتُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 يَقُولُ : « لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ » .

وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ (٧) : تَحُجُّ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : هُوَ أَقْضَى لِلدَّيْنِ .

١٥ (١) هُوَ دَهْمٌ بِنُ قُرَّانِ الْعَكْلِيِّ . رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَيَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بِنِ عِيَّاشٍ ، وَمُرْوَانَ
 ابْنَ مَعَاوِيَةَ الْفَزَارِيَّ . تَهْذِيبُ التَهْذِيبِ . مَا عَدَلَ : « وَهَشْمٌ » تَحْرِيفٌ .
 (٢) الْمُدْرَعَةُ ، بِالْكَسْرِ : ثَوْبٌ مِنَ الصُّوفِ .
 (٣) الْمَطْرَفُ ، كَمَكْرَمٍ وَمَنْبَرٍ : رِءَاءٌ مِنْ خَزْمِ مَرْبَعٍ ، لَهُ أَعْلَامٌ . وَالْخَيْرُ بِرَوَايَةِ أُخْرَى فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ
 (٢ : ٣٧٢) .

٢٠ (٤) مَا عَدَلَ : « قَرَحَكُم » . وَالْحَدِيثُ التَّالِي سَبَقَ فِي (٢ : ٢٤) .
 (٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (١ : ٣٦٣) . مَا عَدَلَ : « مُحَرِّزُ بْنُ صَفْوَانَ » تَحْرِيفٌ .
 (٦) الْبِدَنَةُ : نَاقَةٌ أَوْ بَقْرَةٌ تَنْحَرُ بِمَكَّةَ ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونَهَا فَتِيدَنَ .
 (٧) هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُوقَةَ الْغَنَوِيُّ الْكُوفِيُّ الْعَابِدُ ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَتَقَاتِهِمْ ، رَوَى عَنْ
 أَنَسٍ وَنَافِعِ جَمَاعَةٍ ، وَرَوَى عَنْهُ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَعِظَاءُ وَغَيْرُهُمْ . قَالَ سَفِيَّانُ : « كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سُوقَةَ
 لَا يَحْسِبُنَّ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ » . تَهْذِيبُ التَهْذِيبِ وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ (٣ : ٦٥) .

قال : ولقى ناسكاً ناسكاً ومعه خُفٌّ فقال : ما تصنع بهذا ؟ قال : عُدَّةٌ للشَّيْءِ . قال : كانوا يستحيون من هذا .

قال أبو ذرٍّ : تَخْضَمُونَ وَتَقْضَمُونَ (١) ، والموعِدُ اللهُ .

قال الزُّبَيْرُ : يكفيننا من خَضْمِكُمُ الْقَضْمُ (٢) ومن نَصَّكُمْ الْعَنْقُ (٣) .

وقال أيمن بن حُرَيمٍ (٤) :

رَجَوْا بِالشَّقَاقِ الْأَكْلَ خَضْمًا فَقَدْ رَضُوا

أخيراً من أَكَلِ الخَضْمِ أن يَأْكُلُوا قَضْمًا (٥)

وقال عمرو لمعاوية : مَنْ أَصْبَرُ النَّاسِ ؟ قال : مَنْ كَانَ رَأْيَهُ رَادًّا لِهَوَاهُ .

وتواصَّفُوا حَالَ الرَّاهِدِ بِحَضْرَةِ الزُّهْرِيِّ ، فقال الزُّهْرِيُّ : « الرَّاهِدُ مَنْ لَمْ

يَغْلِبَ الْحَرَامُ صَبْرَهُ ، وَلَا الْحَلَالُ شُكْرَهُ (٦) » .

قال : وَذُكِرَ عِنْدَ أَعْرَابِيٍّ رَجُلٌ بِشِدَّةِ الاجْتِهَادِ ، وَكَثْرَةِ الصَّوْمِ ، وَطُولِ

الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ سَوِيٌّ ، أَوْ مَا يَظُنُّ هَذَا أَنَّ اللَّهَ يَرِحُّهُ حَتَّى يَعْذَبَ

نَفْسَهُ هَذَا التَّعْذِيبَ .

قال أبو بكر (٧) : ما ظنُّكَ بِمَخَالِقِ الْكِرَامَةِ لِمَنْ يَرِيدُ كِرَامَتَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ قَادِرٌ ؟

وما ظنُّكَ بِمَخَالِقِ الْهَوَانِ لِمَنْ يَرِيدُ هَوَانَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ قَادِرٌ ؟

(١) الخضم : الأكل بجميع الفم ، والقضم بأطراف الأسنان . وفي اللسان (خضم) : وفي حديث

أبي هريرة أنه مر بمروان وهو يبني بنياناً له ، فقال : ابنوا شديداً ، وأملوا بعيداً ، واخضموا فستقضم » .

(٢) من خضمكم ، أى بدل خضمكم .

(٣) النص : أن تستخرج من الدابة أقصى سيرها . والعنق : ضرب من السير .

(٤) هو أيمن بن حريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك ، من شعراء الدولة الأموية ، ولأبيه صحبة برسول

الله ورواية عنه . وقد جعله أبو الفرج في الأغاني (٢١ : ٥) شيعياً ، ولكن المسعودي في التنبيه والإشراف

٢٥٣ عدة عثمانياً . وبذلك يكون قد اضطرب بين التيارين .

(٥) ما عدل : « القضم » .

(٦) سبق هذا الخبر والذي قبله في (٢ : ١٨٨) .

(٧) لعله أبو بكر الهذلي الخطيب القاص . انظر ترجمته في (١ : ٣٥٧) .

وزعم أبو عمرو الرّعفرانيّ ، قال : كان عمرو بن عُبيد عند حَفْص بن سالم ، فلم يسأله أحدٌ من أهله وحَشَمه حاجةً إلا قال : لا . فقال عمرو : أقلّ من قولٍ لا ، فإنه ليس في الجنة لا (١) .

قال : وقال عمرو : كان رسول الله ﷺ إذا سئل ما يجدُ أعطى ، وإذا سئل ما لا يجد قال : يصنع الله (٢) .

قال : وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « أَكْثَرُوا لَهُنَّ مِنْ قَوْلٍ لَا ، فَإِنَّ نَعْمَ يُضْمَرُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ » . قال : وإنما يخصُّ بذلك عُمر النساء (٣) .

قال الحسن : أدركتُ أقواماً كانوا من حسناتهم أشفقَ من أن تُردَّ عليهم ، منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها (٤) .

قال أبو الدرداء : من يشتري مني عاداً وأموالها بدرهم (٥) .

ودخل عليُّ بن أبي طالب رضى الله عنه المقابرَ فقال : « أُمَّ الْمَنَازِلِ فَقَدْ سَكِنَتْ ، وَأُمَّ الْأَمْوَالِ فَقَدْ قَسِمَتْ ، وَأُمَّ الْأَزْوَاجِ فَقَدْ نُكِحَتْ . هَذَا خَيْرٌ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَيْرٌ مَا عِنْدَكُمْ ؟ » ثم قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لِأَخْبِرُوا أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » .

قال أبو سعيد الزاهد : عيّرت اليهود عيسى بن مريم ﷺ الْفَقْرَ فقال : « مِنْ الْغِنَى أُتِيْتُمْ » .

وقال آخر : لو لم يُعرَف من شرف الفقر إلا أنك لا ترى أحداً يعصبي الله ليفتقر (٦) . وهذا الكلام بعينه مدخول .

(١) في عيون الأخبار (٣ : ١٣٧) : « فَإِنَّ لَا لَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ » .

(٢) كلمة طيبة يرد بها السائل . والصنع : الرزق . اللسان (صنع ٨٠) . وانظر عيون الأخبار

(٣ : ١٣٧) وما سبق في (٢ : ١٩٠) . وعمرو هذا هو عمرو بن عبّيد .

(٣) مضى الخبر في (٢ : ١٩٠) .

(٤) سبق هذا القول في ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٥) انظر النصَّ بكماله وصحته في خطبته في عيون الأخبار (٢ : ٣٣١) .

(٦) كذا ورد القول في جميع النسخ . أى لكفاه ذلك شرفاً .

قال : سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه محمد بن يوسف ، كيف تركته ؟
فقال : تركته بَصْطاً عظيماً سمينا . قال : لستُ عن هذا أسألك : قال تركته ظَـلُوماً
غَشوماً . قال : أو ما علمت أنه أخى ؟ قال : أتراه بك أعزَّ مني بالله !
وقال بعضهم : نجد في زُبُور داود : « من بَلَغَ السَّبْعِينَ اشتكى من غير
عِلَّة (١) » .

جعفر بن سليمان قال : قال محمد بن حَسَّان النبطي : لا تسأل نفسك
العامَ ما أعطتك في العام الماضي (٢) .

أبو إسحاق بن المبارك قال : قيل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقربُ شيء ؟
قال : الأجل . قيل : فما أبعدُ شيء ؟ قال : الأمل . قيل : فما أَوْحَشُ شيء ؟
قال : الميت . قيل : فما آنسُ شيء ؟ قال : الصَّاحِبُ المواتي .

وقال آخر : نَسِيََ عامرُ بن عبد الله بن الزبير عطاءه في المسجد ، فقيل
له : قد أخذ . فقال : سُبْحَانَ الله ، وهل يأخذ أحدٌ ما ليس له (٣) .

جرير بن عبد الحميد (٤) ، عن عطاء بن السائب ، عن عبدة الثقفي (٥)
قال : لا يشهد على الليلِ بنوم أبداً ، ولا يشهد على النهارِ بأكل أبداً (٦) . فبلغ
ذلك عُمرَ بن الخطاب فعزم عليه ، فكان يُفِطِرُ في العيدين وأيام التشريق .

وقال الحسن بن أبي الحسن : يكون الرجلُ عالماً ولا يكون عابداً ، ويكون

(١) عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) .

(٢) عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) .

(٣) ل : « يأخذ أحد » . وقد سبق الخبر في (٢ : ٣٤٩) .

(٤) هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي الرازي القاضي ، وكان من الثقات العباد أصحاب

الليل . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٦٨) .

(٥) عبدة بن هلال الثقفي ، ذكره في وصفة الصفوة (٣ : ٣٠) ، وروى له الخبر التالي .

(٦) في وصفة الصفوة : « لله على أن لا يشهد على ليل بنوم ، ولا شمس بأكل » .

- ١٧٨ عابداً ولا يكون عاقلاً . وكان مسلم بن يسار^(١) عالماً عابداً عاقلاً^(٢) .
- وقال عبادة بن الصامت : من الناس من أوتى علماً ولم يُؤتِ حِلماً .
وشَدَّاد بن أوس^(٣) أوتى علماً وحلماً .
- قال إبراهيم : كان عمرو بن عُبيد عالماً عاقلاً عابداً ، وكان ذا بيان ،
وصاحبَ قرآن .
- إبراهيم بن سعد ، عن^(٤) أوى عبد الله القيسى قال : قال أبو الدرداء :
لا يُحرز المؤمن من شرار الناس إلا قبره .
- وقال عيسى بن مريم صلوات الله عليه : « الدنيا لإبليس مزرعة ، وأهلها له
حَرَاثون » .
- ١٠ عبد الملك بن عمير^(٥) ، عن قبيصة بن جابر^(٦) قال : « ما الدنيا في
الآخرة إلا كنفجة أرنب^(٧) » .
- قال عمر رحمه الله : « لولا أن أسير في سبيل الله ، وأضع جبهتى لله ، وأجالس
حرفاء » .

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣٤٢) . ما عدل : « مسلم بن بدر » تحريف .

(٢) مضى الخبر في (١ : ٢٣٢) .

(٣) سبقت ترجمته وخبر له مع عبادة بن الصامت في (١ : ١٩١) .

(٤) إلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى ص ١٤٨ س ٩ .

(٥) سبقت ترجمته في (١ : ٥٦) . وفى النسخ « عبد الله بن عمير » تحريف صوابه فى الحيوان

(٦ : ٣٥٢) حيث الخبر .

(٦) هو قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة الأسدى ، روى عن جماعة من الصحابة .

وعنه : الشعبى ، وعبد الملك بن عمير ، والعريان بن الهيثم وغيرهم . وفى تهذيب التهذيب : « قال

٢٠ عبد الملك بن عمير : عن قبيصة بن جابر ، ألا أخيركم بمن صحبت ؟ صحبت عمرو بن العاص فما رأيت

أتم ظرفاً منه ، وصحبت معاوية فما رأيت أكثر حلماً منه ، وصحبت زياداً فلم أر أكرم جليسا منه ،

وصحبت المغيرة فلو أن مدينة لها أبواب لا يخرج من كل باب منها إلا بالكر للخرج من أبوابها كلها » .

(٧) فيما عدل : « الأرنب » . وفى اللسان : « نفع الأرنب ، إذا نثر » . وقد روى هذا الحديث

فيه بلفظ « عند الآخرة » . وعقب عليه بقوله : « أى كوثبه من مجثمه يريد تقليل مدتهم » .

أقواماً ينتقون أحسنَ الحديثِ كما يُنتقى أطايبُ الثَّمَرِ ، لم أبالِ أن أكون قد مُتُّ (١) .
 قال عامرُ بنُ عبدِ قيسٍ (٢) : ما آسى من العراقِ إلا على ثلاثٍ : ظمياً
 الهواجر ، وتجاوبِ المؤذنين ، وإخوانٍ لى منهم الأسود بن كلثوم (٣) .
 قال مُورِقُ العَجَلِي (٤) : ضاحكٌ معترفٌ بذنبه خيرٌ من بالكِ مُدَلِّ على ربِّه
 وقال : خيرٌ من العُجْبِ بالطاعة ، أن لا تأتي بطاعة .
 قالوا : كان الربيع بن خثيم (٥) يقول : لا تطعمُ إلاً صحيحاً ، ولا تكسُ
 إلاً جديداً ، ولا تُعتقِ إلاً سويّاً .

قال بعضُ الملوكِ لبعضِ العلماءِ : ذمَّ لى الدنيا . فقال : أيها الملك ،
 الآخذةُ لما تعطى ، المُورِثَةُ بعد ذلك التدم ، السَّالِبَةُ ما تكسو ، المُعقِبَةُ بعد
 ذلك الفُضوح ، تُسدُّ بالأراذلِ مكانَ الأفاضلِ ، وبالعَجْزَةِ مكانَ الحَزْمَةِ . تجد
 فى كليلٍ من كليلٍ خلفاً ، وترضى من كليلٍ بكليلٍ بدلاً . تُسكن دارَ كلِّ قرينِ قرناً ،
 وتطعم سُورَ كلِّ قومٍ قوماً .

وكان سعيد بن أبى عروبة (٦) يُطعمُ المساكينَ السُّكَّرَ (٧) ، ويتأولُ قوله عزَّ
 وجلَّ : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ .

قال . وكان محمد بن عليّ (٨) إذا رأى مبتلىً أخفى الاستعاذة . وكان

(١) الخبر فى عيون الأخبار : (١ : ٣٠٨) .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٨٣) . والخبر فى عيون الأخبار : (١ : ٣٠٨) .

(٣) مضت ترجمته فى (١ : ٣٦٣) كما سبق الخبر فى (٢ : ١٩٦) .

(٤) ترجم فى (١ : ٣٥٣) ومضى قول مورق فى (٢ : ١٩٨) .

(٥) ترجم فى (١ : ٣٦٣) . وفى الأصل : « خثيم » ، وصواب اسمه « خثيم » .

(٦) سعيد بن أبى عروبة ، ترجم فى (١ : ٣٦٩) .

(٧) مثله ما روى عن الربيع بن خثيم ، أنه كان إذا أتاه سائل قال : أطعموه سكرًا فإنى أحب

السكر صفة الصفة (٣ : ٣٥) .

(٨) محمد بن على بن الحسين بن على أبو جعفر الباقر ، ترجم فى (٢ : ٢٦٢) ، والخبر فى عيون

الأخبار : (٢ : ٢٠٨) .

لا يُسَمَع من داره : يا سائل^(١) بُورِكَ فيكَ ، ولا ياسائلُ تُحَدِّ هذا . وكان يقول :
سَمُوهم بأحسنِ أسمائهم^(٢) .

- قال : وَتَمَّتْ قومٌ عند يزيدِ الرَّقَاشِيِّ^(٣) ، فقال يزيد : سأمتني كما تمنيتم .
١٧٩ قالوا : تَمَنَّ . قال : ليتنا لم نُحَلِّقْ ، وليتنا إذ نُحَلِّقنا لم نَمِتْ ، وليتنا إذ مُتُّنا لم نُبَعَثْ ،
وليتنا إذ بُعِثنا لم نُحَاسَبْ ، وليتنا إذ حُوسِبنا لم نُعَذَّبْ ، وليتنا إذ عُذِّبنا لم نُحَلِّدْ .
قال : وقال رَجُلٌ لَأُمِّ الدَّرَداءِ^(٤) : إني أجد في قلبي داءً لا أجد له دواءً ،
وأجد قسوةً شديدةً ، وأملاً بعيداً . قالت : اطلِّع القُبورَ ، واشهد الموتى .
ابن عَوْن قال : قلت للشَّعْبِيِّ : أين كان علقمة^(٥) من الأسود^(٦) ؟
قال : كان الأسود صَوَّاماً قَوَّاماً ، وكان علقمة مع البطيء وهو يسبق السريع^(٧) .
١٠ قال : وقيل لغالب بن عبد الله الجَهْضَمِيِّ : إِنَّا نَخَافُ على عينيك العمى
من طُول البكاء . قال : هو لهما شهادة^(٨) .

(١) ما عدل ، هـ : « للسائل » .

(٢) في عيون الأخبار : « ويقول : سموهم بالحسن الجميل عباد الله . فتقولون يا عبد الله بورك فيك » .

(٣) يزيد بن أبان الرقاشي ، المترجم في (١ : ٢٠٤) .

(٤) سبقت ترجمتها في (١ : ٣٦٥) .

(٥) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ، ولد في حياة الرسول ، وكان ناس من الصحابة يسألونه ويستفتونه . ويروى أنه قرأ القرآن في ليلة . وقد شهد صفين وغزا خراسان وأقام بخوارزم سنتين ، ودخل مرو فأقام بها مدة . وهو عم الأسود وعبد الرحمن ابني يزيد بن قيس ، وكانا أسن منه . توفي سنة ٦٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٣ - ١٤) والإصابة ٦٤٤٨ .

(٦) الأسود بن يزيد بن قيس ، وهو ابن أخي علقمة ، كما سبق القول . وكان من العباد ، يروى أنه كان يصوم الدهر ، وذهبت إحدى عينيه من الصوم . توفي سنة ٧٤ . الإصابة ٤٥٧ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١١) .

(٧) انظر مفاضلة أخرى بينهما في تهذيب التهذيب (٧ : ٢٧٧) .

(٨) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٢٩٦) .

محمد بن طلحة بن مُصَرِّف^(١) ، عن محمد بن جُحَادَةَ^(٢) ، قال : لَمَّا قُتِلَ الحسين رضى الله عنه أتى قومُ الربيع بن خُثَيْم فقالوا : لنستخرجنَّ اليومَ منه كلاماً . فقالوا : قُتِلَ الحُسَيْن . قال : الله يحكم بينهم يومَ القيامة فيما كانوا فيه يَحْتَلِفُونَ . وأتته بُنَيَّةٌ له فقالت : يا أبة ، أذهبُ أَلعب ؟ قال : اذهبي فقولى خيراً وافعلى خيراً .

وقال أبو عُبيدة : استقبل عامر بن عبد قيس رجل في يوم حَلْبِيَّة ، فقال : مَنْ سَبَقَ يا شيخ ؟ قال : المقربون^(٣) .
على بن سُلَيْم ، قال : قيل للربيع بن خُثَيْم^(٤) : لو أرحتَ نفسك ؟ قال : راحتها أريد ، إنَّ عمرَ كان كَيْساً^(٥) .

وقال أبو حازم : لِيَتَّقِ اللهُ أحدكم على دينه ، كما يَتَّقَى على نَعْلِهِ .

جعفر بن سليمان الضُّبَعِيُّ^(٦) ، قال : أتى مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير ، فجلس مجلسَ مالك بن دينار وقد قام ، فقال أصحابه : لو تكلمت ؟ قال : هذا ظاهرٌ حسن ، فإن تكوثوا صالحين فإنه كان لِلأَوَابِينَ غُفُوراً .

- ١٥ (١) ما عدال : « بن مضرب » تحريف . وهو محمد بن طلحة بن مصرف الياى الكوفى ، روى عن الأعمش وحيد الطويل . توفى سنة ١٧٦ . تهذيب التهذيب ، و خلاصة التهذيب ٢٨٢ والسمعانى ٥٩٧ .
(٢) محمد بن جحادَةَ الإيامى الكوفى ، روى عن أنس وعطاء ونافع ، وكان زاهداً يلبس الخلقان يغسلها ، وكان يفلو فى التشيع . توفى سنة ١٣١ . تهذيب التهذيب و خلاصة التهذيب ٢٨١ والسمعانى ٥٤ . والإيامى نسبة إلى إيام : وهو بطن من همدان ، ويقال لهم أيضاً « يام » كما نص السمعانى . وإيام ، ضبط فى القاموس ككذاب ، أى بكسر الهمة وتشديد الياء .
٢٠ (٣) وكذا نسب الخير فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) إلى عامر بن عبد قيس ، لكن سبقت نسبته فى (٢ : ٢٨٢) إلى بلال مولى أنى بكر .
(٤) ما عدا هـ : « خيثم » وكذا خلاصة التهذيب . والصواب « خثيم » . قال ابن دريد فى الاشتقاق ١١٢ : « وخثيم تصغير أخثم - يريد تصغير ترخيم - والأخثم : العريض الأنف . ومنه اشتقاق خيثمة » . وقد ضبطه كذلك ابن حجر فى تقريب التهذيب .
(٥) الخير فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧١) .
٢٥ (٦) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٧٣) .

وقال رجلٌ لآخرٍ وباع ضيعةً له :أما والله لقد أخذتها ثقيلةً المُعونة قليلةً
المُعونة . فقال الآخر : وأنت والله لقد أخذتها بطيئةً الاجتماع ، سريعة التفرُّق .
واشترى رجلٌ من رجلٍ داراً فقال لصاحبه : لو صبرت لاشتريت منك
الدُّرَاعَ بعشرةً دنانير . قال : وأنت لو صبرت لبعثك الدُّرَاعَ بدرهم .

ورأى ناسكٌ ناسكاً في المنام فقال له : كيف وجدت الأمر يا أخي ؟
١٨٠ قال : وجدنا ما قدّمنا ، ورَبِحنا ما أنفقنا ، وخسرنا ما خلّفنا .

وقال بكرٌ بن عبد الله المُزَنِّي : اجتهدوا في العمل ، فإن قصرَ بكم
ضعف فكفُّوا عن المعاصي .

قال : وقال أعرابيٌّ : إنه ليقُتل الحُبَارَى جوعاً ظلّم الناس بعضهم
لبعض (١) .

قال : قيل لمُحمَّد بن عليّ (٢) : من أشدُّ الناس زهداً ؟ قال : من لا يُبالي
الدُّنيا في يدٍ من كانت .

وقيل له : من أخسرُ الناس صَفَقَةً ؟ قال : من باعَ الباقيَ بالفاني .

وقيل له : من أعظمُ الناس قدراً ؟ قال : من لا يرى الدُّنيا لنفسه قدراً .

الأصمعيّ ، عن شيخٍ من بكر بن وائل ، أن هانيءَ بنَ قبيصة (٣) ، أتى

حُرقة بنتَ الثُّعْمان وهي باكية ، فقال لها : لعلّ أحداً آذاك ؟ قالت : لا ، ولكنني

رأيتُ غَضارةً في أهلِكُم (٤) ، وقلّما امتلأت دارُ سروراً إلّا امتلأت حزناً .

وقالوا : يهَرَم ابنُ آدمَ وتَشِبُّ لهُ حَصَلتان (٥) : الحِرْصُ والأملُ .

(١) في الحيوان (٥ : ٤٤٤) : « هزلاً » بدل « جوعاً » . وقد فسر الجاحظ الخبر بقوله : « يقول :

٢٠ إذا كثرت الخطايا منع الله عز وجل در السحاب . وإنما تصيب الطير من الحب ومن الثمر على قدر المطر » .

(٢) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي ، أبو جعفر الباقر ، المترجم في (٢ : ٢٦٢) .

(٣) هانيء بن قبيصة الشيباني ، كان شريفاً عظيماً القدر ، وكان نصرانياً ، وأدرك الإسلام فلم يسلم ،

ومات بالكوفة . الاشتقاق ٢١٦ .

(٤) الغضارة : النعمة والسعة في العيش . وقد سبق الخبر في ١٤٥ ، برواية : « رأيت لأهلك غضارة » .

٢٥

(٥) هـ : « خلتان » .

الأصمعي ، قال : قال محمد بن واسع (١) : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : بُلغَةَ من عيشٍ ليس لأحد فيها على مَنَّة ولا لله فيها على تبعه ، وصلاة في جَمْع (٢) أَكْفَى سَهْوَهَا وَيُدْخِر لِي أَجْرَهَا ، وَأَجَّ فِي اللَّهِ إِذَا مَا اعْوَجَّجْتُ قَوْمَنِي .
وقال آخر : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : ليل الحزير (٣) ، ورطب السُّكَّر ، وحديث ابن أبي بكرة (٤) .

وقال آخر : إذا سمعتَ حديثَ أبى نُضْرَةَ (٥) ، وكلامَ ابن أبي بكرة ، فكأنك مع ابن لسانِ الحُمْرَةِ (٦) .

وقال أبو يعقوب الخريزمي الأعمور (٧) : تَلَقَّانِي مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ سَعِيدٌ

(١) محمد بن واسع الأزدي ، ترجم في (١ : ٣٥٣) .

(٢) يعني صلاة الجماعة . وفي صفة الصفوة ٣ : ١٩٤ : « وصلاة في جماعة يحمل عنى سهوها ، وأفوز بفضلها » .

(٣) ما عدل : « الحريق » تحريف . وفي هامش هـ ، ب والتميمورية : « حكى الجاحظ في كتاب الأمثال : بالبصرة موضع يقال له الحريق (صوابه الحزير) لم ير الناس قط هواء أعدل ، ولا نسيما أرق ، ولا سماء أطيب من ذلك الموضع » .

(٤) سبق الخبر في (٢ : ١٩٦) . وقد أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) . وابن أبي بكرة هذا ، هو عبيد الله ، المترجم في (١ : ١٧٣) حيث قال الجاحظ عند الكلام على ابن الزبير : « وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه كان من أحسن الناس حديثاً ، وأن أبا نضرة وعبيد الله بن أبي بكرة إنما كانا بحكياته » .

(٥) أبو نضرة ، سبقت ترجمته في (١ : ١٧٣) .

(٦) ابن لسان الحمرة ، اسمه عبيد الله بن الحصين ، أو وراق بن الأشعر ، كما في القاموس والمعارف ٢٣٣ . وفي الفهرست ١٣٢ : « وقاء » وهو تحريف . وكان يكنى أبا كلاب ، كما في الحيوان (٢ : ٢٠٠) . وهو أعزاني من بني تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه . قال ابن قتيبة : « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصرًا » . دخل الكوفة وعليها المغيرة بن شعبة ، فسأله المغيرة عن طبائع قبائل من العرب ، وعن خلق النساء ، فأجاب أجوبة متمعة ، سردها أبو الفرج في الأغاني (١٤ : ١٣٨) . وسأله معاوية يوماً فقال له : بم نلت العلم ؟ قال : بلسان سئول ، وقلب عقول . انظر حياة الحيوان للدميري في ترجمته « الحمرة » .
والحمرة : طائر يشبه العصفور .

(٧) ترجم أبو يعقوب الخريزمي في (١ : ١١ ، ١١٥) . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ١٢٨) .

ابن وهب ، فقلت : أين تريد ؟ قال : أدور على المجالس فلعلني أسمع حديثاً حسناً .
ثم لم أجاوز بعيداً حتى تلقاني أنس بن أبي شيخ (١) ، فقلت له : أين تريد ؟
قال : عندي حديثٌ حسنٌ فأنا أطلب له إنساناً حسنَ الفهم ، حسنَ الاستماع .
قال : قلت : حدّثني فأنا كذلك (٢) . قال : أنت حسن الفهم رديء الاستماع ،
وما أرى لهذا الحديث إلا إسماعيل بن غزوان (٣) .

هشام ، قال : أخبرني رجلٌ من أهل البصرة قال : وُلد للحسن بن أبي
الحسن غلامٌ ، فقال له بعضُ جلسائه : بارك الله لك في هبته ، وزادك في
أحسنِ نعمته . فقال الحسن : الحمد لله على كلِّ حسنة ، وأسأل الله الزيادةَ في
كلِّ نعمة ، ولا مرحباً بمن إن كنت عائلاً أنصبتني (٤) ، وإن كنت غنياً أذهلني ،
لا أرضني بسعيي له سعياً ، ولا بكدي له في الحياة كدًا ، حتى أشفق عليه
من الفاقة بعد وفاتي ، وأنا في حالٍ لا يصل إلى من همّه حزنٌ ، ولا من فرحه
سرور .

قال الحسن للمغيرة بن مخرّاش التميمي : إنَّ من خوّفك حتى تلقى
الأمن ، خيرٌ لك ممّن أمنتك حتى تلقى الخوف .

وقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : ما أحسنَ الحسنَةَ في إثر
الحسنة ، وأقبحَ السيئةَ في إثر السيئة .

الحسن قال : ما رأيتُ يقيناً لا شكٌّ فيه أشبهَ بشكِّ لا يقينَ فيه من أمرٍ
نحن فيه .

(١) ترجم في (٢ : ٢٥٢) .

(٢) ل : « كذلك » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا ممن ردد الجاحظ ذكرهم في كتابه « البخلاء » وكثيراً ما يقترنه بسهولة
ابن هارون . وكان ممسكاً شديد البخل . انظر البخلاء ١٣٠ .

(٤) العائل : الفقير . والعيلة : الحاجة والفقير . ل : « أتعني » . أنصبه : أتعبه .

قال : وكان الحسن إذا ذكر الحجاج قال : يتلو كتاب الله على لخم
 وجذام ، ويعظ عظة الأزاقة ، ويبطش بطش الجبارين .
 وكان يقول : اتقوا الله ؛ فإن عند الله حجاجين كثيراً .
 وقال سنان بن سلمة بن قيس (١) : اتقوا الله ؛ فإن عند الله أياماً مثل
 شوال (٢) .

وقال خالد بن صفوان : بث ليلتي كلها أمتي ، فكبست (٣) البحر
 الأخضر بالذهب الأحمر ، فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيان ، وكوزان ،
 وطمران (٤) .

وكان الحسن يقول : إنكم لا تنالون ماتحبون إلا بتك ماتشتمون ،
 ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون .

ودخل قوم على عوف بن أبي جميلة (٥) في مرضه ، فأقبلوا يشنون عليه ،
 فقال : دعونا من الثناء ، وأمدونا بالدعاء .

وقال أبو حازم : نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى
 نموت .

وكان الحسن يقول : يا ابن آدم ، نهارك ضيفك فأحسب إليه ؛ فإنك إن
 أحسنت إليه ارتحل بحمدك ، وإن أنت أسأت إليه ارتحل بدمك . وكذلك ليلاك .

وقيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالاً ؟ قال : عبد الله بن عبد الأعلى ١٨٢

(١) ما عدل : « وكان سنان بن سلمة بن قيس يقول » .

(٢) إشارة خاصة إلى الطاعون الجارف الذي حصل بالعراق في شوال سنة تسع وستين . النجوم
 الزاهرة ١ : ١٨٢ - ١٨٣ والمعارف ٢٥٩ - ٢٦٠ . وجاء في كتاب التعازي والمراني للمبرد بعد أن تكلم
 على الطاعون الجارف في شوال سنة ٦٩ : ثم خف الطاعون وخليفة مصعب بن الزبير على البصرة سنان بن
 سلمة الهمداني ، فخطب الناس فقال : اتقوا الله أيها الناس فإن عند الله أياماً مثل شوال » .

(٣) هـ : « فكسبت » وفي سائر النسخ ما عدل : « فكسبت » تحريف ، وفي هامش التيمورية :
 « فملاّت . نسخة ، فكسوت . نسخة » .

(٤) الطمر ، بالكسر : الثوب الخلق .

(٥) ترجم في (٢ : ٣٧) .

الشَّيْبَانِيَّ ، القائلُ عند موته : دخلتُها جاهلاً ، وأقمتُ فيها حائراً ، وأُخرجتُ مِنْهَا كارهاً - يعنى الدنيا .

وقيل لآخر : مَنْ أسوأُ النَّاسِ حالاً ؟ قال : مَنْ قويتُ شهوتهُ وبعُدتُ همتهُ ، واتَّسعتُ معرفتهُ وضاقَتُ مقدرتهُ .

وقيل لآخر : مَنْ شرُّ النَّاسِ ؟ قال : مَنْ لا يبالي أن يراه النَّاسُ مسيئاً .
وقيل لآخر : مَنْ شرُّ النَّاسِ ؟ قال : القاسى . فقيل : أيُّما شرُّ ،
الْوَقَاحُ ^(١) أم الجاهل ، أم القاسى ؟ قال : القاسى .

وذكر أبو صفوان ، عن البَطَّالِ أبى العلاء ، من بنى عمرو بن تميم قال :
قيل له قبل موته : كيف تَجِدُكَ يا أبأ العلاء ؟ قال : أَجِدُنِي مغفوراً لِي . قالوا :
قُلْ إن شاء الله . قال : قد شاء الله . ثم قال :

أوصيكمُ بِالجِلَّةِ التَّلادِ ^(٢) فَإِنَّمَا حَوْلَكُمُ الأَعَادِي

قال ابن الأعرابى : كان العباس بن زفر ^(٣) لا يكلم أحداً حتى تنبسط
الشمس ، فإذا انفتل عن مُصَلَّاهُ ضَرَبَ الأَعناقَ ، وقَطَعَ الأيدي والأرجل . وكان
جريرُ بن الحُطَمي لا يتكلم حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قَذَفَ المحصنات .
قال : ومَرَّتْ به جنازةٌ فبكى وقال : أحرقتنى هذه الجنائز ^(٤) ! قيل : فلم
تَقذِفِ المحصنات ؟ قال : يبدو لى ولا أصبر .
وكان يقول : أنا لا أبتدى ولكن أعتدى ^(٥) .

(١) الوقاح ، كسحاب : القليل الحياء .

(٢) الجلة : المسان من الإبل . والتلاد : كل مال قديم يورث عن الآباء .

(٣) كان للعباس بن زفر صلة بالمؤمن قبل الخلافة . انظر الأغاني (١٢ : ٢٠ - ٢١) .

(٤) ما عدل ، هـ : « الجنائز » بالإنفراد .

(٥) فى الحيوان (٣ : ٩٩) . « ولكنى أعتدى » . والنص فى الحيوان مسبوقة بقوله : « وقيل لجرير :

إلى كم تهجو الناس ؟ » . والاعتداء هنا بمعنى المجازاة ، مثله فى قوله الله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

بمثل ما اعتدى عليكم » . وفى العقد ٥ : ٢٩٦ : « لست بمبتدىء » ولكنى معتد . يريد أنه يسرف فى

الحسن بن الربيع الكِندي بإسنادٍ له ، قال : قال رجلٌ للنبي ﷺ وسلم :
 دُنِّني على عملي إذا أنا عملتُه أحببني الله وأحببني الناس . قال : « ازهد في الدنيا
 يُحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » .

قال : وبلغني عن القاسم بن مُحَيَّرَةَ الهمداني (١) ، أنه قال : إني لأغلق
 بابي فما يُجاوِزُه همِّي (٢) .

وقال أبو الحسن : وُجد في حجرٍ مكتوبٍ : يا ابن آدم ، لو أنك رأيتَ
 يسيرَ ما بقى من أجلك لزهدتَ في طول ما ترجو من أملك ، ولرغبتَ في الزيادة
 في عملك ، ولقصرتَ من حرصك وجحيلك . وإتما يلقاك غداً ندُمتُك ١٨٣
 لو قد زلتُ بك قدمك ، وأسلمتُك أهلك وحشمتُك ، وتبرأ منك القريب ،
 وانصرفتَ عنك الحبيب ، فلا أنتَ إلى أهلك بعائدٍ ، ولا في عملك بزائدٍ . ١٠

وقال عيسى بنُ مريم صلوات الله عليه : « تعملون للدنيا وأنتم تُرزقون فيها
 بغير العمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل » .

قال : أوحى الله تبارك وتعالى إلى الدنيا : من خدمني فاحدمني ، ومن
 خدمتك فاستخدمني (٣) .

وقال : من هوان الدنيا على الله أنه لا يُعصى إلا فيها ، ولا يُنال ما عنده
 إلا بتركها . ١٥

(١) مخيمرة ، ضبطه في الخلاصة بضم الميم الأولى وفتح الثانية . لكن قواعد التصغير تقتضي كسر
 ما بعد الياء في مثله . وهو بالخاء المعجمة . وفيما عدل : « مخيمرة » بالهملة ، تحريف . وهو أبو عروة
 القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي ، كان معلماً بالكوفة ثم سكن الشام . روى عن عبيد الله بن عمرو بن
 العاص ، وأبي سعيد الخدري ، وشریح بن هانيء وغيرهم . وتوفى سنة مائة . تهذيب التهذيب ، وخلاصة
 التهذيب ٢٦٧ وصفة الصفوة (٣ : ٥٢) . ٢٠

(٢) في صفة الصفوة : « قال القاسم بن مخيمرة : ما اجتمع على مائدتي لوان من طعام واحد ،
 ولا أغلقت بابي ولي خلفه هم » .

(٣) انظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢٩) .

قال : مرَّ عيسى بن مريم عليه السلام بقوم يبكون ، فقال : ما بالهم
يبكون ؟ فقالوا : على ذنوبهم . قال : « اتركوها يُغفَرْ لكم ^(١) » .

قال : وقال زياد بن أبي زياد ، مولى [عبد الله بن] عَيَّاش بن أبي
ربيعة ^(٢) : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما رأني تَزَجَّلَ عن مجلسه ^(٣)
وقال : إذا دخل عليك رجلٌ لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخُذْ عليه شرفَ المجلس .

وقال الحسن : « إنَّ أهل الدنيا وإنَّ دقدقت بهم الهماليج ^(٤) ، ووطىءَ
الناسُ أعقابهم ، فإنَّ ذُلَّ المعصية في قلوبهم » .

قالوا : وكان الحجاج يقول إذا خطب : « إِنَّا وَاللَّهِ مَا خُلِقْنَا لِلْفَنَاءِ ، وَإِنَّمَا
خُلِقْنَا لِلْبَقَاءِ ، وَإِنَّمَا نَنْقُلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ » . وهذا من كلام الحسن .

١٠ . ولما ضَرَبَ عبد الله بن عليّ ^(٥) تلك الأعناق قال له قائل : هذا والله جَهْدُ

(١) ما عدال : « تغفر لكم » .

(٢) التكملة مما سبق من التحقيق في ص ١٢٦ . وفيما عدال ، ه : « بن ربيعة » تحريف والخبر في
عيون الأخبار (١ : ٣٠٧) .

(٣) ترجل عن مجلسه : تنحى وتباعد . ل : « ترجل » وفي التيمورية « ترخل » صوابهما ما أثبت من
ه ، ب ، ح . وفي عيون الأخبار : « رحل » .

(٤) الددقة : حكاية أصوات حوافر الدواب في سرعة ترددها . والهماليج : جمع هملاج ، وهو
البرذون الحسن السير في سرعة وبخبرة .

(٥) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، عم أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور . ولاة
أبو العباس حرب مروان بن محمد ، فسار إليه حتى قتله واستولى على بلاد الشام . ولم يزل أمراً عليها مدة
٢٠ . خلافة السفاح ، فلما ولي المنصور خالف عليه ودعا إلى نفسه ، فوجه إليه المنصور أبا مسلم صاحب الدولة
فحاربه بنصيبين ، فانهزم عبد الله بن علي واختفى وصار إلى البصرة ، فأشخصه سليمان بن علي وإلى البصرة
إلى بغداد ، فحبسه جعفر ، ولم يزل في حبسه ببغداد حتى وقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله ، وذلك
سنة ١٤٧ . تاريخ بغداد ٥١١٨ - ١٦٣ - ١٦٤ . وذكر المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٨٥ أن
عبد الله بن علي قتل من الأمويين على نهر أبي فطرس بفلسطين نحواً من ثمانين رجلاً مُثَلَّةً ، واحتذى أخوه داود
٢٥ ابن علي بالحجاز فعله ، قتل نحواً من هذا العدد بأنواع المُثَلِّ .

البلاء؟ فقال عبد الله: ما هذا وشُرْطَةُ الْحَجَّامِ إِلَّا سَوَاءٌ: وَإِنَّمَا جَهْدُ الْبِلَاءِ فَقَرٌّ مُدَقِّعٌ بَعْدَ غِنَى مُوسَى .

وقال آخر: أشدُّ من الخوف الشيء الذي من أجله يَشْتَدُّ الخوف .
وقال آخر: أشدُّ من الموت ما يُتَمَنَّى له الموت ، وخيرٌ من الحياة ما إذا فَقَدْتَهُ أَبْغَضْتَ له الحياة .

وقال أهل النار: ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْثَكَ ﴾ ، فَلَمَّا لَمْ يُجَابُوا إِلَى الْمَوْتِ قَالُوا: ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ .

وقالوا: ليس في النار عذابٌ أشدُّ على أهله من علمهم بأنَّه ليس لكرهم تَنْفِيسٌ ، ولا لِضَيْقِهِمْ تَرْفِيهٌ ، ولا لَعَذَابِهِمْ غَايَةٌ . ولا في الجنة نعيمٌ أبلغ من علمهم أَنَّ ذَلِكَ الْمُلْكُ لَا يَزُولُ .

قالوا: قارف الزُّهْرِيُّ ذَنْباً ، فَاسْتَوْحَشَ مِنَ النَّاسِ وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَقَالَ ١٨٤
له زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ : يَا زُهْرِيُّ ، لَقُنُوطُكَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْ ذَنْبِكَ ! فَقَالَ الزُّهْرِيُّ : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ^(١) ﴾ .
فَرَجَعَ إِلَى مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ .

قال ابن المبارك: أفضلُ الزهد أخفاه .

الأَوْزَاعِيُّ ، عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ : إِنْ كَانَ فِي الْجَمَاعَةِ الْفَضِيلَةُ فَإِنَّ فِي الْعَزَلَةِ السَّلَامَةَ .

إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمِيَّاشٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ ^(٢) ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
« إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ الْعَبَثَ فِي الصَّلَاةِ ، وَالرَّفَثَ فِي الصِّيَامِ ، وَالضَّحِكَ فِي الْمَقَابِرِ » .

(١) من الآية ١٢٤ في الأنعام . وهذه قراءة جمهور القراء . وقرأ ابن كثير وحفص وابن محيصن :
(رسالته) بالإفراد . إتحاف فضلاء البشر ٢١٦ .

(٢) سبق ترجمته وترجمة إسماعيل في (٢ : ٢٣) حيث سلف الخبر .

وقال أَرْدَشِيرُ حُرَّةٌ^(١) : اَحْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ ، وَاللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ .

قال واصل بن عطاء : الْمُؤْمِنُ إِذَا جَاعَ صَبَّرَ ، وَإِذَا شَبِعَ شَكَرَ .

وقيل لعامر بن عبد قيس : مَا تَقُولُ فِي الْإِنْسَانِ ؟ قَالَ : مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ

فِيمَنْ إِذَا جَاعَ ضَرَعَ ، وَإِذَا شَبِعَ طَغَى .

قال : وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ فِي سَفَرِهِ إِلَى شَيْخٍ قَدْ صَبَّحَهُ ، فَرَأَاهُ يَصَلِّي فَسَكَنَ

إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَالَ : أَنَا صَائِمٌ ، ارْتَابَ بِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

صَلَّى فَأَعْجَبَنِي وَصَامَ فَرَأَيْتَنِي نَحَّ الْقُلُوصَ عَنِ الْمَصَلَّى الصَّائِمِ^(٢)

وهو الذي يقول :

لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مَسْجُونًا تُسَأَلُهُ مَا بَالُ سَجْنِكَ إِلَّا قَالَ : مَظْلُومٌ^(٣)

١٠

* * *

الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت^(٤) ، عن يحيى بن جَعْدَةَ^(٥) ، قال :

كَانَ يُقَالُ : اِعْمَلْ وَأَنْتَ مُشْفِقٌ ، وَدَعْ الْعَمَلَ وَأَنْتَ تَحْبُهُ .

(١) كذا . والمعروف أن « أَرْدَشِيرُ حُرَّةٌ » اسم كورة من كور فارس ، ومعناه بهاء أَرْدَشِيرِ . معجم

البلدان ، واستينجاس ٣٥ . فلعل كلمة « حُرَّةٌ » مقحمة ، أو محرفة عن كلمة « مَرَّةٌ » . وأردشير بن بابك

١٥

معروف بالحكمة ، وقد اختار ابن قتيبة طائفة من أقواله في عيون الأخبار .

(٢) القلوص : الفتية من الإبل . ما عدل : « عَدَّ الْقُلُوصَ » . وانظر الأشرية لابن قتيبة ٧٧ .

(٣) وكذا في الحيوان (٢ : ١٠٦) . وفي عيون الأخبار (١ : ٧٩ / ٢ : ١١٦) .

ما يدخل السجن إنسان فتسأله ما بال سجنك إلا قال مظلوم

(٤) هو حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي الكوفي . روى عن ابن عمر ، وابن عباس ،

وأنس وغيرهم ، وروى عنه : الأعمش ، والثوري ، وشعبة وغيرهم . توفي سنة ١١٩ . تهذيب التهذيب

٢٠

وصفة الصفوة (٣ : ٥٩) .

(٥) يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي .

روى عن أبي الدرداء ، وابن مسعود ، وأبي هريرة وغيرهم .

قال : وقيل لرابعة القيسية (١) : هل عملت عملاً قط تُرَيْنَ أنه يُقبَلُ منك ؟ قالت : إن كان شيءٌ فخوفى من أن يُردَّ عليّ .

وقال محمد بن كعب القرظي (٢) ، لعمرو بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين لا تنظرَنَّ إلى سِلعةٍ قد بارت على مَنْ كان قبلك تريد أن تُجوزَ عنك (٣) .

الحسن قال : كان مَنْ كان قبلكم أرقُّ منكم قلوباً وأصفقَ ثياباً ، وأنتم أرقُّ منهم ثياباً وأصفقَ منهم قلوباً (٤) .

عبد الله بن المبارك قال : كتب عمرو بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد الله الحَكَمي :

« إن استطعت أن تدعَ مما أحلَّ الله لك ما يكون حاجزاً بينك وبين ما حرَّم الله عليك فافعلْ ؛ فإنه من استوعب الحلال كلَّه تاقَت نفسه إلى الحرام » .

وقال أبو بكر الصديق رحمه الله لخالد بن الوليد حين وجَّهه : « احرصْ على الموت تُوهب لك الحياة » .

وقال رجل : أنا أحبُّ الشهادة . فقال رجل من التُّسَّاك : أحبُّها إن وقعتَ عليك ، ولا تحبُّها حُبَّ مَنْ يريدُ أن يَقَعَ عليها .

وقال رجلٌ (٥) لداوُدَ بنِ نُصيرِ الطائِي العابد (٦) : أوصني . قال : اجعل

(١) مضت ترجمتها في (١ : ٣٦٤) .

(٢) ترجم في (٢ : ٣٤ ، ٣٠٠) .

(٣) في عيون الأخبار (٢ : ٣٤٣) : « ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على غيرك ترجو جوارها عنك » .

(٤) ما عدل : « وأصفق قلوباً » .

(٥) هو عبد الله بن إدريس ، كما في صفة الصفوة (٣ : ٧٥) .

(٦) داود بن نصير الطائي الكوفي الفقيه الزاهد . ومما يروى من أخباره أنه دفن كتيبه . توفي سنة

الدنيا كيومِ صُمتَه ، واجعل فِطْرَكَ الموت ، فكأنْ قَدْ ، والسلام . قال : زدني .
قال : لا يرك الله عند ما نهاك عنه ، ولا يَفْقِدُكَ عند ما أمرك به . قال : زدني .
قال : ارضَ باليسير مع سلامة دينك ، كما رضى قومٌ بالكثير مع هلاك دينهم .

قال رجل ليونس بن عبيد ^(١) : أتعلم أحداً يعمل بعمل الحسن ؟ قال :
والله ما أعرفُ أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل بمثل عمله ؟ قال : صِفْه لنا .
قال : كان إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه ، وكان إذا جلس فكأنه أسير قد
أمر بضرب عنقه ، وكان إذا ذُكِرَت النار عنده فكأنها لم تُخلق إلا له .

وهيب بن الورد ^(٢) قال : بينا أنا أدور في السوق إذ أخذ أخذ بقفاي
فقال لي : يا وهيب ، أتق الله في قدرته عليك ، واستحى الله في قربه منك ^(٣) .

وقال عبد الواحد بن زيد ^(٤) لأصحابه : ألا تستحيون من طول مالا
تستحيون !

الهيثم قال : كان شيخٌ من أعرابِ طييءٍ كثيرَ الدعاءِ بالمغفرة ، فقيل له في
ذلك ، فقال : والله إن دعائي بالمغفرة مع قُبْحِ إصراري للثوم ، وإن تركي الدعاء
مع قوّة طمعي لَعَجَز .

قال أبو بشر صالح المُرِّي ^(٥) : إن تكن مصيبتك في أخيك أحدثت لك

(١) ترجم في (٢ : ٢٢٠) . وكان من أثبت الناس في الحسن . والخبر في عيون الأخبار (٢ :
٣٥٥ - ٣٥٦) .

(٢) وهيب لقب له ، واسمه عبد الوهاب بن الورد بن أبي الورد القرشي . كان من العباد
المتجردين لترك الدنيا . توفي سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ١٢٣ - ١٢٨) .

(٣) في صفة الصفوة : قال : بينا أنا واقف في بطن الوادي إذا أنا برجل قد أخذ بمنكي فقال :
يا وهيب ، خف الله لقدرتك عليك ، واستحى منه لقربه منك . قال : فالتفت فلم أر أحداً .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٣٦٤) .

(٥) ترجم في (١ : ١١٣) . ما عدال ، هـ : «أبو بشر» تحريف .

خشيةً فنعم المصيبة مصيبتك ، وإن تكن مصيبتك بأخيك أحدثت لك جزعاً
فبئس المصيبة مصيبتك (١) .

١٨٦

وقال عمرو بن عبيدٍ لرجلٍ يعزبه : كان أبوك أصلك ، وابنتك فرعك ، فما
بقاء شيءٍ ذهب أصله ولم يبق فرعُه .

وقال الحسن : إن امرأً ليس بينه وبين آدم إلا أبٌ ميّت (٢) لمُعزّقٍ في
الموت (٣) .

وقالوا : أعظمُ من الذنبِ اليأسُ من الرحمة ، وأشدُّ من الذنبِ المماطلةُ بالتوبة .

ابن لهيعة (٤) ، عن سيّار بن عبد الرحمن (٥) ، قال : قال لي بُكيرٌ بن
الأشجّ (٦) : ما فعل خالك ؟ قلت : لزم بيته . فقال : أما لئن فعل لقد لزم قومٌ
من أهل بدرٍ بيوتهم بعد مقتل عثمان رحمه الله ، فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم .

وقال الحسن : إن الله ترائك في خلقه ، لولا ذلك لم ينتفع النبيون وأهلُ
الانقطاع إلى الله بشيءٍ من أمر الدنيا : وهي الأمل ، والأجل ، والتسنيان .

وقال مطرفٌ بن عبد الله (٧) لابنه : يا بني لا يلهيتك الناسُ عن نفسك ؛
فإن الأمر خالصٌ إليك دونهم . إنك لم تر شيئاً هو أشدَّ طلباً ولا أسرعُ ذرّكاً من
توبةٍ حديثةٍ لذنبٍ قديمٍ .

وفي الحديث أن أبا هريرة مرَّ بمروان (٨) وهو يبني داره ، فقال:

(١) الخبر برواية أخرى في عيون الأخبار (٣ : ٥٣) .

(٢) ما عدل : « إلا أب قد مات » .

(٣) في اللسان (عرق ١١٢) : « لمعرق له في الموت ، أي إن له فيه عرقا ، وإنه أصل في الموت » .

(٤) هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة ، المترجم في (١ : ٣٦٢) .

(٥) سيّار بن عبد الرحمن الصدقي المصري . روى عن عكرمة ، وحنش ، وبكير وغيرهم .

وروى عنه الليث ، وابن لهيعة ، وحيوة بن شريح . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التهذيب ١٣٦ .

(٦) هو بكير بن عبد الله بن الأشجّ القرشي مولاهم ، نزل مصر . قالوا : لم يكن بالمدينة بعد كبار

التابعين أعلم من ابن شهاب ، ويحيى بن سعيد ، وبكير بن عبد الله بن الأشجّ . خرج قديماً إلى مصر فنزل

بها . وتوفي سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب وخلاصة تهذيب الكمال ٤٤ .

(٧) مطرف بن عبد الله بن الشخير ، ترجم في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

(٨) هو مروان بن الحكم ، المترجم في (١ : ٣٧٧) .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

يا أبا عبد القدوس^(١) ، ابن شديداً وأمل بعيداً ، وعيش قليلاً وكل خضماً ،
والموعدُ الله^(٢) .

قال : كان عمرو بن حوثة ، أبو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص -
وأمه حوثة من المسامعة^(٣) - وكان ناسكاً يجتمع إليه القراء والعلماء يوم
الخميس ، وقال الشاعر فيه :

وأصبح زورك زورُ الخميس إليك كمرعية وأرده

وقال الآخر في ابن سيرين :

فأنت بالليل ذئب لا حريم له وبالنهار على سميت ابن سيرين^(٤)

وقال ابن الأعرابي : قال بعض الحكماء : لا يغلبن جهل غيرك بك علمك
بتفسك .

قال : وصلى محمد بن المنكدر^(٥) ، على عمران بقرة^(٦) ، فقيل له في
ذلك ، فقال : إني لأستحي من الله أن أرى أن رحمته تعجز عن عمران بقرة . ١٨٧

(١) لم يعرف من أولاد مروان من يدعى « عبد القدوس » . انظر المعارف لابن قتيبة ومروج
الذهب (٣ : ٩٨) . وقد ذكر فيهما أنه كان له من الولد أحد عشر ذكراً وثلاث بنات ، ليس من بينهم
عبد القدوس .

(٢) الخضم : الأكل بجميع الفم . انظر ما سبق في ص ١٥٤ . وقد روى هذا الخبر في اللسان
(خضم) برواية : « فقال ابنا شديدا ، وأملوا بعيدا ، واخضموا فسقطضم » .

(٣) المسامعة ، أبوهم مسمع بن شهاب بن عمرو بن عياد بن ربيعة بن جحدر بن ربيعة بن
ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب على بن بكر بن وائل . وقيل فهم مسامعة ، كما قيل في
المهلبين مهالبة . وللمسامعة محلة بالبصرة . انظر معجم البلدان .

(٤) أنشده الجاحظ في الحيوان (٣ : ٤٩١) والثعالبي في ثمار القلوب ٧٠ والسمت : الطريق وهيئة
أهل الخير . قال الثعالبي : « لما لم يستقم له أن يقول : على ورع ابن سيرين ، أقام السمت مقامه وأحسن » .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزيز التيمي ، من جلة التابعين ،
وكان من سادات القراء والمحدثين . توفي سنة ١٣٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٧٩) .

(٦) في هامش هـ والتيمورية : « عمران بقرة : لقب لرجل كان مسرفاً على نفسه » .

وقال محمد بن يسير :

كأنه قد قيل في مجلس
محمد صار إلى ربه
قد كنت آتية وأغشاه
يرحمنا الله وإياه

وقال الآخر :

لَقَلَّ عَاراً إِذَا ضَيَّفَ تَضَيَّفَنِي مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مَجْهُودِي (١)
فَضَّلَ الْمَقِيلَ إِذَا أُعْطَاهُ مَصْطَبِراً وَمُكْتَبِرٌ فِي الْغَنَى سَيَّانٌ فِي الْجُودِ (٢)
لَا يَعْلَمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا تَوَالِي وَآمَّا حُسْنَ مَرُودِي

وكان الربيع بن حكيم ، إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا يزيد ؟ قال :
أصبحنا ضعفاءً مذنبين ، نأكل أرزاقنا ، ونتنظر آجالنا .

وقال ابن المقفع : الجود بالمجهود مُنتهى الجود .

قال مطرف بن عبد الله : كان يُقال : لم يلتق مؤمنان إلا كان أحدهما
أشدَّهما حباً لصاحبه . وكنت أرى إني أشدُّ حباً لمذعور بن طفيل (٣) منه لي ،
فلما سيرَ لِقينِي ليلاً فحدَّثني فقلت : ذهب الليل ! قال : ساعة . ثم قلت :
ذهب الليل ! فقال : ساعة . فعلمتُ أنه أشدُّ حباً لي مني . فلما أصبح سيره
ابنُ عامرٍ مع عامرٍ (٤) .

(١) في عيون الأخبار (٣ : ١٧٩) : « وما أبالي إذا ضيف تضيفني » .

(٢) في عيون الأخبار : « جهد المقل » . والشعر لابن يسير كما سيأتي في ص ٣٣٣ .

(٣) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣ : ١٧٦) ولم يذكر والده ، ولكنه مع ذلك روى

خبره مع مطرف بن عبد الله .

(٤) ابن عامر ، هو عبد الله بن عامر المترجم في (١ : ٣١٨) . و عامر ، هو عامر بن عبد قيس

المترجم في (١ : ٨٣) . وقد سير مذعور من العراق إلى الشام كما في صفة الصفوة . وسير عامر بن

عبد قيس أيضاً إليها حين وشى به إلى عثمان ، فأمر أن ينفي إلى الشام على قتب ، فأنزله معاوية الخضراء
فرأى منه خيراً ، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدينه . الإصابة ٦٢٨٠ . وقد سبق في

١٤٣ خبر تسيير ابن عامر لعامر بن عبد قيس إلى عثمان بن عفان .

قال : وقالوا لعيسى بن مريم : من نُجَالِس ؟ قال : مَنْ يُدَكِّرُكَمُ اللهُ رُؤْيَتَهُ ،
ويزيد في علمكم منطوقه ، ويرغبكم في الآخرة عمله .

إسحاق بن إبراهيم قال : دخلنا على كَهْمَسِ العابد (١) ، فجاءنا بإحدى
عشرة بسرة حمراء . فقال : هذا الجُهد من أحيكم ، والله المستعان .

- ٥ . الأَصْمَعِيُّ ، عن السُّكْنِ الحَرَشِيِّ (٢) قال : اشتريتُ من أبي المنهال سَيَّار
ابن سلامة ، شاةً بِسْتَيْنِ درهماً ، فقلت : تكون عندك حتَّى آتِيكَ بالثَّمَنِ . قال :
أَلَسْتُ مُسْلِماً ؟ قلت : بَلَى . قال : فخذها . فأخذتها ثم انطلقتُ بها ، ثم أتيتها
بالسُّتَيْنِ ، فأخرج منها خمسة دراهم وقال لي : اعلفها بهذه .

١٨٨

وقال مساورُ الورَّاق لابنه (٣) :

- ١٠ . شَمَّرَ قَمِيصَكَ واستَعِدَّ لِقَائِلِ واحككُ جيبينكَ للقضاءِ بثُومِ (٤)
واجعلْ صحابِكَ كلَّ حَبِيرِ ناسِكِ حَسَنَ التَّعَهُدِ للصَّلَاةِ صُومِ (٥)

(١) هو أبو عبد الله كهمس بن الحسن التميمي البصري ، أحد الثقات الزهاد . توفي سنة ١٤٩
بمكة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣٢٤) . والخبر في صفة الصفوة .

(٢) ل : « الحريشي » .

- (٣) وكذا جاءت النسبة في العقد (٣ : ٢١٦ ، ٦ : ٣٦٦ لجنة التأليف) والأغاني (١٦ : ١٦٢) .
ونسب في شرح الشريشي لمقامات الحريري (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق يقوله لابن أخيه . وورد في
الحيوان (٣ : ٤٦٧) بلون نسبة . ومساور هذا ، هو مساور بن سوار بن عبد الحميد ، من آل قيس بن
مضر ، ويقال إنه مولى جديلة من عدوان ، كوفي قليل الشعر ، من أصحاب الحديث ورواته . وقد روى
عن صدر من التابعين ، وروى عنه وجوه أصحاب الحديث . وهو القائل في أبي حنيفة وأصحابه :

- ٢٠ . كنا من الدين قبل اليوم في سعة حتى بلينا بأصحاب المقائيس
قوم إذا اجتمعوا ضجوا كأنهم تعالُب ضبحت بين النواويس

وله أخبار أخرى مع أبي حنيفة . الأغاني وتهذيب التهذيب .

(٤) لقائل ، أي لمن يمدحك أو يذمك . وفي الأغاني . « للعهد » بدل « للقضاء » . والجبين إذا
حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغرار أن صاحبها عريق في التقوى ، كثير السجود . ولا يزال
بعض المتظاهرين بالتقوى يفعلون ذلك في عصرنا .

- ٢٥ . (٥) الصحاب ، بالكسر : جمع صاحب . والخبر ، بكسر الحاء وفتحها : العالم ، أو الصالح .

صُوم : كثير الصوم .

مِنْ ضَرْبِ حَمَادٍ هُنَاكَ وَمِسْعَرٍ وَسِمَاكِ الْعَبْسِيِّ ، وَابْنِ حَكِيمٍ (١)
وعليك بالعنوي فاجلس عنده حتى تصيب وديعةً ليتيم

وقال : بينا سليمان بن عبد الملك يتوضأ ، ليس عنده غير خاله والغلام
يصب عليه الماء ، إذ خر الغلام ميتاً ، فقال سليمان :

قُرْبٌ وَضُوءٌ يَا حَصِينُ فَإِنَّمَا هَذِي الْحَيَاةُ نَعْلَةٌ وَمَتَاعٌ (٢)

ونظر سليمان في مرآة فقال : أنا الملك الشاب ! فقالت جارية له :
أنت نعيم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان (٣) !

قال : قيل لسعيد بن المسيب : إن محمد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ،
سقط عليه حائط فقتله . فقال : إن كان لوصولاً لرجيمه ، فكيف يموت ميتة سوء !
وقال أسماء بن خارجة :

عَيَّرْتَنِي خَلَقًا أَبْلِيْتُ جِدَّتَهُ وَهَلْ رَأَيْتَ جَدِيدًا لَمْ يُعُدْ خَلَقًا
قال : وتمثل عبد الملك بن مروان :
وكلُّ جديدٍ يا أُمَيْمَ إِلَى بِلَى وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانٍ (٤)

فَاعْمَلْ عَلَى مَهْلٍ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَكَادَخَ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
فَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكْ إِذْ مَضَى وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ قَدْ كَانَ

قال : وكان عثمان بن عفان رحمه الله يقول : « إني لأكره أن يأتي عليَّ يومٌ ١٨٩
لا أنظر فيه إلى عهد الله » ، يعنى المصحف .

(١) الضرب : المثل والنظير . ومسعر ، هو مسعر بن كدام ، المترجم في (١ : ٤٠٠) وفيه يقول ابن المبارك :
من كان ملتسماً جليساً صالحاً فليأت حلقة مسعر بن كدام

ما عدال : « وسمع » تحريف وأشير في هـ إلى رواية « مسعر » . و « العبسي » هي في الأغاني
« العنكي » .

(٢) التعلية : ما يتعلل به ويتلهى .

(٣) بعده في الأغاني (٩ : ٩٤) : « فأعرض بوجهه ، فلم تدز عليه الجمعة إلا وهو في قبره » .

(٤) ل : « وكل فتى يوماً يصير إلى كانا » . وانظر الطبري ٧ : ١٩١ .

قال : وكان عثمانُ حافظاً ، وكان حجّره لا يكادُ يفارقُ المصحفَ ، فقيل له في ذلك فقال : « إته مُبارك جاء به مبارك ! » .

ولما مات الحجاج خرجت عجزو من داره وهي تقول :

اليوم يرحمنا من كان يعطينا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا (١)

- ٥ . حدّثني بكر بن المعتمر (٢) ، عن بعض أصحابه قال أبو عثمان النهدي (٣) : أنت على ثلاثون ومائة سنة ، ما متي شيء إلا وقد أنكرته ، إلا أملئ فإته يزيد (٤) . قال مسور بن مخرمة (٥) لجلسائه : لقد وارت الأرض أقواماً لو رأوني معكم لاستحييت منهم .

وأشدني أعرابي :

- ١٠ . ما منع الناس شيئاً جئت أطلبه إلا أرى الله يكفى فقد ما منعوا

قال : جزع بكر بن عبد الله (٦) على امرأته ، فوعظهُ الحسنُ ، فجعل يصِفُ فضلها ، فقال الحسن : عند الله خيرٌ منها ، فتزوج أختها ! فلقية بعد ذلك فقال : هي يا أبا سعيدٍ خيرٌ منها ! وأنشده :

(١) انظر رسائل الجاحظ (١ : ٣٧٢) . وفيها : « من كان يحسنا » .

- (٢) بكر بن المعتمر : أحد كتاب الأمين ، كتب له كتابا إلى المأمون سنة ١٩٣ . انظر تاريخ الطبری .
 (٣) هو أبو عثمان عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدى النهدي ، عاش في الجاهلية ستين سنة ، وسكن الكوفة ، ولما قتل الحسين تحول إلى البصرة وقال : لا أسكن بلداً قتل فيه ابن بنت رسول الله . وقد أسلم على عهد الرسول ولم يلقه ، وحج ستين ما بين حج وعمرة . وروى عنه أنه قال : « كنا في الجاهلية إذا حملنا حملنا حجراً على بعير ، فإذا رأينا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا سقط عن البعير قلنا : سقط إلكم فالتمسوا غيره » . توفي أبو عثمان سنة ١٠٠ . ومل ، بفتح الميم ويجوز ضمها وكسرها ، ولامه مشددة . الإصابة ٦٣٧٥ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٢٥) .

- (٤) الخبر في تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ، وصدرة في الإصابة .
 (٥) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري . كان مولده بعد الهجرة بستين ، وقتل في حصار ابن الزبير الأول من الجيش الذي أرسله يزيد بن معاوية سنة ٦٥ . الإصابة ٧٩٨٧ وتهذيب التهذيب .
 (٦) بكر بن عبد الله المزني ، ترجم في (١ : ١٠٠) .

يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمَرَ نُوحٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ (١)

* * *

عوف (٢) ، عن الحسن قال : قال ﷺ : « للمسلم على أخيه ست خصال : يسلم عليه إذا لقيه ، وينصح له إذا غاب ، ويعوده إذا مرض ، ويشيع جنازته إذا مات ، ويحيه إذا دعاه ، ويشمته إذا عطس » .

وقال أعرابي :

تُبَصِّرَنِي بِالْعَيْشِ عِرْسِي كَأَنَّمَا تَبَصَّرَنِي الْأَمْرَ الَّذِي أَنَا جَاهِلُهُ
يَعِيشُ الْفَتَى بِالْفَقْرِ يَوْمًا وَبِالْغِنَى وَكُلًّا كَأَنَّ لَمْ يَلْقَ حِينَ يُرَائِلُهُ

وأنشد أبو صالح (٣) :

ومشيّد داراً ليسكن داره سكن القبور ، وداره لم يسكن
وكان صالح المرّي أبو بشر (٤) ينشد في قصصه :

وبات يروى أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل (٥)

وقال الآخر :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر

(١) البيت مع سابق له في الحيوان (٣ : ١١٣) وعميون الأخبار (١ : ٢١١ ، ٣١٤) والأغاني (١٨ : ٢٠٦) . وهو :

ألم تر حوشياً أضحي يئى قصوراً نفعها لبنى بقيله

ل : « تؤمل أن نمر » ، والوجه ما في سائر النسخ . ما عدل : « يطرق كل ليلة » . وسائر المصادر على الرواية المثبتة .

(٢) هو عوف بن أبي جميلة ، المترجم في (٢ : ٣٧) .

(٣) هو أبو صالح مسعود بن قند الفزاري . روى عنه الجاحظ في الحيوان (٥ : ١٥٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ١١٣) .

(٥) أنشده في الحيوان (٦ : ٥٠٨) . والفسيل : جمع فسيلة ، وهي الصغرة من النخل . وفي

الحيوان وما عدل : « فبات يروى » بالفاء .

فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة
ولا وزن زف من جناح لطائر^(١)
فما رضيت الدنيا ثواباً لمؤمن
ولا رضيت الدنيا عقاباً لكافر^(٢)

وقال الآخر (٣) :

أبعد بشر أسيراً في بيوتهم
فلن أصالحهم مادمتُ ذا فرس
فإنما الناس ، يا لله أمهم
هم يهلكون ويتقى بعد ما صنعوا
يرجو الحفارة مني آل ظلام^(٤)
واشتد قبضاً على السيلان إبهامى^(٥)
أكائل الطير أو حشو آرام^(٦)
كان آثارهم حطت بأقلام

وأنشد لمحمد بن يسير :

عجباً لى ومن رضائى بحال
عالملاً لا أشك أنى إلى عد
كلما مررت على أهل ناد
قيل : من ذا على سرير المنايا
أنا منها على شفا تغير
ن إذا مت أو عذاب السعير^(٧)
كنت حيناً بهم كثير المرور
قيل : هذا محمد بن يسير

وأنشد :

لكل أناس مقبر بفنائهم
فهم ينقصون والقبور تزيد^(٨)

١٥

(١) الزف ، بالكسر : الصغير من الريش .

(٢) أى ما رضى الله ذاك .

(٣) هو الزبيرقان بن بدر السعدى ، كما فى حماسة البحرى ٣٦ . والبيت الثانى من هذه المقطوعة
أنشده صاحب اللسان فى (سيل) منسوباً إليه .

(٤) الحفارة ، بثلاث الحاء : الأمان .

٢٠

(٥) السيلان ، بالكسر : ما يدخل من السيف والسكين فى النصاب .

(٦) أكائل : جمع أكيلة ، وهى الفريسة . والآرام : جمع إرم ، مثل ضلع وأضلاع ، وهى حجارة
تنصب علماً فى المغازة ، عنى بها رجم القبر . ويروى : « أريام » كما فى حواشى هـ ، جمع ريم ، وهو القبر .

(٧) ما عدال : « أنى إذا مت إلى عدن » .

(٨) المقير : موضع القبر ، وهو الدفن . والشعر لعبد الله بن ثعلبة الحنفى ، كما فى اللسان (قبر)

٢٥

والحماسة (١ : ٣٦٨) . وأنشده فى عيون الأخبار (٣ : ٦٦) بدون نسبة =

فدانٍ ولكنَّ اللقاءَ بعيدٌ (١)

هُم جيرة الأحياء أمَّا محلُّهم

وقال أبو العتاهية :

مَخَضَتْ بِوَجْهِ صَبَاحِ يَوْمِ الْمَوْقِفِ (٢)

سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ آيَةً لَيْلَةَ

مَا فِي الْفِرَاقِ مُصَوَّرًا لَمْ تَطْرِفِ (٣)

لَوْ أَنَّ عَيْنًا وَهَمَّتْهَا نَفْسُهَا

وقال أبو العتاهية أيضاً :

تَنَحَّ عَنْ خِطْبَتِهَا تَسْلَمُ (٤)

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهَا

قَرِيْبَةُ الْعُرْسِ مِنَ الْمَأْتِمِ (٥)

إِنَّ الَّتِي تَحْطُبُ عَرَّارَةَ

وقال الآخر :

سِنِيهِمَا الزَّوْمَانُ فَأَسْرَعَا (٦)

نَادَاهُمَا بِفِرَاقٍ يَبِي

نُ مُفْرَقًا مَا جَمَعَا

وَكَذَلِكَ لَمْ يَزَلِ الزَّوْمَا

وقال آخر :

أَكَلَّ حَيَّ فَوْقَهَا تَصْرَعُ

يَا وَيْحَ هَذِي الْأَرْضُ مَا تَصْنَعُ

= وقبل هذا البيت في اللسان :

سوى رمس أحجار عليه ركود

أزور وأعتاد القبور ولا أرى

وبين هذا البيت وتاليه في الحماسة وعيون الأخبار :

وبيت لميت بالفناء جديد

وما إن يزال رسم دار قد اخلقت

(١) ل فقط : « وهم جيرة الأحياء » . وفي الحماسة وعيون الأخبار : « وأما الملتقى فبعيد » .

(٢) أراد موقف القيامة . وفي الديوان ١٦٥ :

مخضت صبيحتها بيوم الموقف

لله در أبيك آية ليلة

(٣) أراد بالتوهم التخيل وتوجيه الوهم . وفي الديوان :

يوم الحساب تمثلا لم تطرف

لو أن عينا شاهدت من نفسها

(٤) البيتان لم يرويا في ديوان أبي العتاهية .

(٥) ما عدل : « سريعة العرس » تحريف .

(٦) ل : « فأسرعا » . والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

تَزْرَعُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَوْا عَادَتْ لَهُمْ تَحْصِيدُ مَا تَزْرَعُ (١)
وقال الآخر (٢) :

ذَكَرْتُ أَبَا أُرْوَى فَبِتُّ كَأَنْتَى بَرَدُ الْأُمُورِ الْمَاضِيَاتِ وَكَيْلُ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَكُلُّ الَّذِي قَبْلَ الْفِرَاقِ قَلِيلُ (٣)
وَإِنَّ افْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومُ خَلِيلُ

وقال محمد بن المنتشر (٤) : « إِذَا أُيسَّرَ الرَّجُلُ ابْتُلِيَ بِهِ أَرْبَعَةٌ : مَوْلَاهُ

١٩٢ الْقَدِيمُ يَنْتَفِي مِنْهُ ، وَامْرَأَتُهُ يَتَسَرَّى عَلَيْهَا ، وَدَارُهُ يَهْدُمُهَا وَيَبْنِي غَيْرَهَا ، وَدَابَّتُهُ
يَسْتَبْدِلُ بِهَا » . وقال الآخر :

يَجْدُدُ أَحْزَانَنَا لَنَا كُلُّ هَالِكٍ وَنُسِرِعُ نِسْيَانَنَا وَلَمْ يَأْتِنَا أَمْنٌ
فَأِنَّا ، وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ رَبِّنَا لِكَالْبُدْنِ مَا تَدْرِي مَتَى يَوْمُهَا الْبُدْنُ

الأوزاعي (٥) ، عن مكحول (٦) قال : « إِنْ كَانَ فِي الْجَمَاعَةِ فَضْلٌ فَإِنَّ فِي

العزلة سلامة » .

(١) ما عدل : « حتى إذا ما أتوا » . وأشير في حواشي هـ إلى رواية « إذا أُنِعُوا » .

(٢) في هامش هـ ، والتميمورية : « ذكر ابن الأنباري أن هذه الأبيات لعلي بن أبي طالب كرم الله
١٥ وجهه ، حين دفن فاطمة رضي الله عنهما . وقال ابن الأعرابي : إنها لشقران السلمي » . وفي الكامل
٧٢٤ ليسك أن الشعر تمثل به علي بن أبي طالب عند قبر فاطمة . وقد روى البحترى في حماسه ٢٣٣
البيتين الأخيرين .

(٣) ما عدل : « دون الممات » . وفي الكامل : « وإن الذي دون الفراق » . وفي حماسة

البحترى : « وكل الذي دون الفراق » .

(٤) هو محمد بن المنتشر بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي ، روى عن عمه مسروق وابن
٢٠ عمر وعائشة ، وكان من ثقات المحدثين . تهذيب التهذيب .

(٥) الأوزاعي : نسبة إلى الأوزاع ، وهم بنو مرثد بن زيد ، من همدان . وقيل الأوزاع قرية بدمشق ،

أو موضع مشهور بدمشق سكنه في صدر الإسلام بقايا من قبائل شتى . وهو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي
عمرو الشامي الفقيه . ولد سنة ٨٨ . وكان من فقهاء أهل الشام وقرائهم وزهادهم ، ونزل بيروت في آخر

٢٥ عمره فمات بها مرابطا . وكانت الفتيا تلدور بالأندلس على رأي الأوزاعي إلى زمن الحكم بن هشام المتوفى سنة

٢٥٦ . وكان فصيحا ذا رسائل مأثورة . توفي سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصغوة (٤ : ٢٢٨) .

(٦) مكحول الشامي سبقت ترجمته في (٢ : ٣٦) .

أبو جَنَابِ الكَلْبِيِّ (١) ، عن أبي المحجَّل (٢) ، عن ابن مسعود قال :
 « ثلاثٌ من كنَّ فيه دَخَلَ الجنةَ : مَنْ إذا عَرَفَ حقَّ الله عليه لم يُؤخِّره ، وكان
 عمله الصَّالِحُ في العلانية على قِوامٍ من السَّريَّة (٣) ، وكان قد جَمَعَ ما قد عَمِلَ
 صلاحَ ما يُؤمَّلُ » .

وقال : « كفى موعظةً أنَّك لا تحيا إلا بموت ، ولا تموتُ إلا بحياة » .

وقال أبو نُؤاس :

شاع في الفناء سُفلاً وعلواً وأراني أموتُ عُضواً فعضواً
 ذهبَتْ جِدَّتِي بطاعةِ نفسي وتذكَّرتُ طاعةَ الله نِضواً (٤)

وقال الآخر :

وكم من أكلةٍ منعتُ أحاها وبلدَّةٍ ساعةٍ أكلاتٍ دهر
 وكم من طالبٍ يسعَى لشيءٍ وفيه هلاكُه لو كان يدرى

وقال الآخر :

كُلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أهله (٥) والموتُ أدنى من شريكِ نَعْلِهِ

وقال الآخر :

استيقنِي في ظَلَمِ البيوتِ أنَّك إن لم تُقتلِ تموتِ

(١) هو أبو جناب يحيى بن أبي حبة الكلبي الكوفي ، روى عن أبيه والضحاك ابن مزاحم والحسن البصري وجماعة ، وعنه السفينان ، والحسن بن صالح ، ووكيعة وغيرهم توفي سنة ١٤٧ . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٢) لم أعتز له على ترجمة فيما لدى .

(٣) قوام الأمر بالكسر : نظامه .

(٤) النضو ، بالكسر : البعر المهزول من كثرة السير ، شبه نفسه به .

(٥) مصبح : مأتى بالموت صباحاً . وقد أنشده في اللسان (صبح) مسبوقاً بقوله : « وفي حديث

أبي بكر ، .

وقال عنترة بن شداد :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الْحَتُوفَ كَأَنِّي
فَأَجَبْتُهَا إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنَهْلٌ
فَأَقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَاعْلَمِي
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ تُصَوِّرُ صَوَّرَتْ

١٩٣

وقال أبو العتاهية (٢) :

أُذِّنْ حَيَّ تَسْمَعِي
عِشْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً
أَنَا رَهْنٌ بِمَصْرَعِي
لَيْسَ زَادٌ سِوَى التُّقَى

واسمعي ثم عي وعي
ثم وافيت مضجعي (٣)
فاحذري مثل مصرعي
فخذي منه أو دعي (٤)

١٠

وقال الخليل بن أحمد :

عَشْ مَا بَدَا لَكَ قَصْرُكَ الْمَوْتِ
بَيْنَا غِنَى بَيْتٍ وَبَهْجَتِهِ

لَا مَهْرَبٌ مِنْهُ وَلَا قَوْتُ (٥)
زَالَ الْغِنَى وَتَقَوَّضَ الْبَيْتُ (٦)

وقال أبو العتاهية :

اسْمَعْ فَقَدْ أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ
نَيْلُ كُلِّ مَا شِيبَتْ وَعَشْ نَاعِمًا

١٥

إِنْ لَمْ تَبَادِرْ فَهُوَ الْفَوْتُ
آخِرُ هَذَا كُلِّهِ الْمَوْتُ

(١) قنَى الحياء ، بكسر النون ، يقناه قنياناً بضم القاف : لزمه وحفظه . والأبيات في ديوان عنترة ١٨٠ .

(٢) الأبيات التالية أمر أبو العتاهية أن تكتب على قبره . انظر الأغاني (٣ : ١٧٥) والعقد (٣ : ٢٤٨) .

(٣) في الأغاني : « اسلمتني لمضجعي » .

(٤) قبل هذا البيت في الأغاني :

٢٠

كَمْ تَرَى الْحَى ثَابِتًا فِي دِهَارِ التَّرْعُزِ

(٥) البيتان في اللسان (قصر) بدون نسبة . والقصر ، بالفتح : الغاية .

(٦) ما عدل : « آل الغنى » .

وقال الوزيرُ :

وأعلَمُ أُنْتى سَأصِيرُ مَيْتَا إذا سارَ التَّوَجُّعُ لا أَسِيرُ (١)
وقال السَّائِلونَ مِنَ المُسَجِّى فقال المُخْبِرُونَ لَهُم : وَزِيرُ (٢)

وقال أبو العتاهية :

الحقُّ أوسعُ من مُعَا لَجِةِ الهوى وَمَضِيقِهِ
لا تعرِضَنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ بِرِ أَنْتِ غَيْرِ مُطِيقِهِ
والعِشُّ يصلحُ إن مَزَّ جِئَتْ غَلِيظُهُ بِرِيقِهِ
لا يَخْدَعَنَّكَ زُخْرُفُ الـ لُدُنِيَا بِحُسْنِ بِرِيقِهِ
وإذا رأيتَ الرأى مضى طَرِيقاً فَخُذْ بِوَيْتِيقِهِ
ولرُبِّمَا غَصَّ البَخيـ لُ إذا اسْتَبِيلَ بِرِيقِهِ (٣)

وقال أيضاً :

مَنْ أَجَابَ الهوى إلى كُلِّ ما يَدُ عُوهُ مِمَّا يَضِلُّ ضَلُّ وَتَاهَا
مَنْ رَأى عِبْرَةً فَفَكَّرَ فِيهَا آذَنَتَهُ بِالْيَتِيمِ حِينَ يَرَاهَا (٤)
رُبِّمَا اسْتَغْلَقَتْ أُمُورَ عَلى مَنْ كانَ يَأْتى الأُمُورَ مِنْ مَاتَاهَا
وسِياوَى إلى يَدِ كُلِّ ما تَأُ تَبى وَتَأوى إلى يَدِ حُسْنَاهَا (٥)
قد تكونُ النَّجاةُ تَكَرَّهَها النَّفـ سٌ وَتَأْتى ما كانَ فِيها أَذاها (٦)

(١) التَّوَجُّعُ : جَمْعُ نَاجِعٍ ، فَهُوَ مِنْ إِخْوانِ الفُوارِسِ . يُقالُ نَجِعَ الرَّاعى الأَرْضَ : طَلَبَ كَلأها وَمَساقَطَ الفَيْثِ فِيها .

(٢) المُسَجِّى : المِيتَ يَسجى عَلِيةِ الثُوبِ ، أى يَمُدُّ .

(٣) اسْتَبِيلَ : طَلَبَ نِوَالَهُ . لَهُ : « إِذا اسْتَبِيلَ » .

(٤) لُ : « آذَنَتَهُ بِالشَّيْءِ » .

(٥) ما عَدال ، هـ : « وَهِيادى إلى يَدِ كُلِّ ما » ، تَحْرِيفٌ .

(٦) ما عَدال : « وَفِيهِ رِداها » .

وقال أيضا :

لو أن عبداً له خزانٌ ما في الأرض ماعاشَ خَوْفَ إِمْلَاقٍ
يا عجباً كلنا يَحِيدُ عن الحَيِّ
من وكلُّ لِحِينِهِ لاقِي
كأنَّ حَيًّا قد قام نادِبُهُ
والتفت السَّاقُ مِنْهُ بالسَّاقِ (١)
ت خفياً وقيل : مَنْ رَاقٍ (٢)

وقال السَّمَوَالُ بن عاديءَ اليهودي :

تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
وما قَلٌّ مَن كانت بقاياها مثلنَا
فقلتُ لها : إنَّ الكرامَ قَلِيلٌ (٣)
وما ضَرَبْنَا أَنَا قَلِيلٌ وجارُنَا
شبابٌ تَسَامَى للعلَى وكُهول
فنحنُ كإماءِ المُرْنِ مافي نِصابنا
عزیزٌ وجارُ الأَكثَرينَ ذَلِيلٌ (٤)
وأسيافنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ
كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بِخَيْلٍ (٥)
بها من قِراعِ الدَّارعينَ قُلُولٌ (٦)

١٩٥

(١) اقتباس من الآية ٢٩ من سورة القيامة . وهو كناية عن شدة كرب الدنيا في آخر يوم منها ، وشدة كرب الآخرة في أول يومٍ منها . وقال ابن المسيب والحسن : هي حقيقة ، والمراد ساقا الميت عند مالفا في الكفن . وقال الشعبي وقتادة : التفاهما لشدة المرض لأنه يقبض وييسط ، ويركب هذه على هذه . تفسير أن حيان (٨ : ٣٩٠) .

(٢) اقتباس من الآية ٢٧ من سورة القيامة . وذلك إذا مرض الرجل طلبوا له من يرق ويطب ويشفى ، وهو استفهام حقيقة ، أو استفهام إبعاد وإنكار ، وذلك حين اليأس من حياته . ومن المحتمل أن يكون القائل الملائكة ، أي من يرق بروحه إلى السماء ، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب . وقد وقف حفص على « من » سكتنا لطيفاً ، كما وقف في « بل ران » ولم يدر وجه قراءته إلا أن يكون أراد أن يشعر أنهما كلمتان .

(٣) الأبيات في ديوان الحماسة (١ : ٢٧) ، والأغاني (٦ : ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠) ، وأملأ القائل (١ : ٢٦٩ - ٢٧٠) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ١٧٣) حيث نسب بيتين من القصيدة إلى دكين الراجز .
(٤) الأكترون : الذين كثر عددهم .

(٥) النصاب : الأصل ، وقد أراد به العدد ، ولم تصرح المعاجم بهذا المعنى . وإنما ذكرت نصاب الزكاة ، وهو استعمال إسلامي . والنصاب : القدر الذي تجب فيه الزكاة . والكهام ، كسحاب : البطيء عن النصره والحرب .

(٦) الدارع : لابس الدرع . والقلول : جمع قل ، وهو الثلم .

مَعُودَةٌ أَلَّا تُسَلَّ نَصَالُهَا فُتْغَمَدَ حَتَّى يَسْتَبَاحَ قَتِيلُ
سَلِي، إِنْ جَهَلْتِ، النَّاسَ عَنَّا وَعَنَهُمْ وَلَيْسَ سِوَاءَ عَالِمٍ وَجْهَسُؤْلٍ

وقال الربيع بن أبي الحقيق (١) :

وَمَنْ يَكُ غَافِلًا لَمْ يَلْقَ بُوسًا يُنْخَ يَوْمًا بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ (٢)
تَعَاوَرَهُ بِنَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى تُثْلِمَهُ كَمَا تُثْلِمُ الْإِنَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سِيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رِخَاءُ
وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ (٣)

وَأَنشُد :

قَدْ حَالَ مِنْ دُونِ لَيْلٍ مَعْشَرٌ قَزَمَ وَهَمَّ عَلَى ذَاكَ مِنْ دُونِ مَوَالِيهَا (٤)
وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي إِنْ نَأَتْ حِجَجَا أَوْ حِيلَ مِنْ دُونِهَا أَنْ لَسْتُ نَاسِيهَا (٥)

وَأَنشُد :

وَلَيْلٌ يَقُولُ النَّاسُ مِنْ ظُلْمَاتِهِ سِوَاءَ بَصِيرَاتِ الْعُيُونِ وَغُورِهَا (٦)
كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بِيوتًا حَصِينَةً مُسُوْحٌ أَعَالِيهَا وَسَاجٌ كُسُورُهَا (٧)

(١) سبقت ترجمته في (٢١٣ : ١) . والبيت الأخير في الحيوان (٣ : ٦٨) .

(٢) في الأصول : « ومن يك غافلا » .

(٣) في حواشي هـ : « كداء البطن » في نسخة . وبعده في الحيوان :

وبعض القول ليس له عتاج كمنخض الماء وليس له إثناء

(٤) القزم ، بفتحتين ، وصف يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث ، ومصدره القزم أيضا ، وهو في الناس : صغر الأخلاق ، وفي المال : صغر الجسم . موالها ، أى عصباتها وأنصارها .
(٥) ب ، ج : « أتت حجج » مع أثر تصحيح في ب لكلمة « حجج » . وفي التيمورية « أتت حججا » وهذه الأخيرة محرفة .

(٦) البيتان لمضرس بن ربيع الأسدي ، كما في حماسة ابن الشجرى ٢١٠ .

(٧) ما عدل : « مسوحا أعاليها وساجا » ، وية رواية صحيحة نص عليها في اللسان (سوج) عند إنشاد البيتين ، قال : « إنما نعت بالاسمين لأنه صيرهما في معنى الصفة ، كأنه قال : مسودة أعاليها مخضرة كسورها . كما قالوا : مررت بسرج خز ، نعت بالخز وإن كان جوهرًا لما كان في معنى لين » .
والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو كساء من شعر . والساج : الطيلسان الأخضر . والكسور : جمع كسر ، بكسر الكاف ، وهو جانب البيت .

وقالوا : أتى سعيدُ بنُ عبد الرحمن بن حسان ، أبا بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم^(١) ، وهو عامل سليمان بن عبد الملك ، فسأله أن يكلم سليمان في حاجة له فوعده أن يقضيها ولم يفعل ، وأتى عمر بن عبد العزيز فكلّمه فقضى حاجته ، فقال سعيد :

- ١٩٦ ذُمِمْتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ شُكْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا^(٢)
- أَيُّ لَكَ فَعَلَ الْخَيْرِ رَأَى مُقْصِرٌ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ بَاعَهَا
- إِذَا هِيَ حَاشَتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا
- سَتَكْفِيكَ مَا ضَيَّعْتَ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا يُضَيِّعُ الْأُمُورَ سَادِرًا مِنْ أَضَاعَهَا^(٣)
- وَلَايَةٌ مَنْ وَلَاكَ سُوءَ بَلَائِهَا وَوَلَّى سِوَاكَ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
- وَأُنشِدُ :

١٠

إِذَا مَا أَطَعْتَ النَّفْسَ مَالَ بِهَا الْهَوَى إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ^(٤)

وَأُنشِدُ :

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ زَادَ يَبْلُغُهُ الْحَمْلَاءُ

تُحْبِزُ وَمَاءٌ بَارِدٌ وَالظَّلُّ حِينَ يَرِيدُ ظِلًّا

- ١٥ (١) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي القاضي ، وكان واليا لعمر بن عبد العزيز من قبل ، وكان عظيم المروعة ، كثير العبادة كثير الحديث . توفي سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٧٥) . ل : « بن عمر بن حزم » ، تحريف صوابه في المصادر السابقة وتاريخ الطبري (٨ : ١٠٢) والأغانى (٧ : ١٥٨) حيث ورد الخبر في الأخير .
- (٢) في الأغاني :

- ٢٠ سَلَّتْ فَلَمْ تَفْعَلْ وَأَدْرَكْتَ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ حَمْدَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
- (٣) ما عدل ل : « سيكفيك ما ضيعت منها » .
- (٤) ما عدل ل : « مال بك الهوى » .

وَأُنشَد :

وما العيش إلا شَبَعَةٌ وتَشْرِقُ وتَمْر كأخفاف الرِّبَاعِ وماءٌ (١)

* * *

قالوا : استبطأ عبدُ الملك بن مروان ، ابنه مَسْلَمَةَ في مسيره إلى الرُّومِ ،

وكتب إليه :

لَمَنْ الظَّعَانُ سَيْرُهُنَّ تَرْحُفُ سَيْرِ السَّفِينِ إِذَا تَقَاعَسَ يُجَذَّفُ (٢)

فلما قرأ الكتاب مَسْلَمَةَ (٣) كتب إليه :

ومستعجبٍ مما يرى من أناتِنَا ولو زينتَه الحَرْبُ لم يترَمِّم (٤)

ومَسْلَمَةُ هو القائل عندما دُلِّي بعضهم في قبره (٥) ، فتمثَّل بعضُ مَنْ

حَضَرَ فقال :

فما كان قيسٌ هلكُهُ هُلُكٌ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بِنِيَانٍ قَوْمٌ تَهْدَمَا (٦)

(١) سبق هذا البيت والبيتان اللذان قبله في (٢ : ١٨٩) .

(٢) الترحف : السير في ببطء وكلال . تقاعس : تأخر ورجع إلى خلف . ويقال جذف الملاح السفينة : حركها بالمجذاف . ماعدا ل : « يجذف » بالمهملة ، وكلامها صحيح .

(٣) ماعدا ل : « فما قرأ مسلمة الكتاب » .

(٤) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ٢٨ واللسان (رم) ومقاييس اللغة (٣ : ٣٨٠) . زينته

الحرب : صدمته ، ومنه حرب زبون . ل : « زنفته » تحريف . لم يترمم : لم يحرك فاه بالكلام .

(٥) هو عبد الملك بن مروان ، والخبر برواية أخرى في الأغاني (١٢ : ١٤٨) قال : « لما مات

عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله ، فبكى هشام حتى اختلقت أضلعه ثم قال : رحمك الله يا أمير

المؤمنين ، فأنت والله كما قال عبدة بن الطبيب :

وما كان قيسٌ هلكه هلك واحد ولكنّه بنيان قوم تهديما

قال له الوليد : كذبت يا أحول يا مشعوم ، لسنا كذلك ، ولكننا كما قال الآخر :

إذا مرقم منا ذرا حد نابه تخمط منا ناب آخر مرقم »

(٦) البيت لعبدة بن الطبيب ، المترجم في (١ : ١٢٢) من أبيات يرقى بها قيس بن عاصم

المترجم في (١ : ٢١٨) . انظر الحماسة (١ : ٣٢٨) والأغاني (٩ : ٩٣ / ١٢ : ١٤٨) وعيون

الأخبار (١ : ٢٨٧) : « ومن تمثل بهذا الشعر أحمد بن أبي دُوَاد ، تمثل به في حضرة المأمون ، حين توفي

أخوه أبو عيسى صالح بن الرشيد . الأغاني (٩ : ٩٣) .

فقال مَسْلَمَة : لقد تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةِ شَيْطَانٍ ، هَلَّا قَلْتُ (١) :

إِذَا مُقَرَّمٌ مِّنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ تَخَمَّطَ فِينَا نَابٌ آخَرَ مُقَرَّمٌ (٢)

وكان مَسْلَمَةُ شجاعاً خطيباً ، وبارعَ اللسانَ جَواداً ، ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ومثل هِشامٍ بعده (٣) .

* * *

وقال بعضُ الأعرابِ يهجو قوماً :

تَصَبَّرَ لِلْبَلَاءِ الْحَتِيمِ صَبْرًا إِذَا جَاوَزْتَ حَيَّ بَنِي أَبَانَ (٤)

أَقَامُوا الدَّيْدَبَانَ عَلَى يَفَاعٍ وَقَالُوا : يَا أَحْتَرِسْ ، لِلدَّيْدَبَانَ (٥)

(١) ل : « لم لا قلت » .

(٢) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ٢٧ واللسان (قمر ، ذرا ، خمط) ومقاييس اللغة (ذرو) .
والمقرم : السيد الرئيس من الرجال ، شبه بالمقرم من الإبل ، وهو المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل .
ذرا حد نابه : انكسر أو وقع . والتخمط ، أصله للفحل ، وهو أن يهدر ويثور ويشتد غضبه . جعل التخمط للأنياب .

(٣) ترجم مَسْلَمَة بن عبد الملك في (١ : ٢٩٢) . وأما هشام بن عبد الملك فقد ولى الخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢ ، وكان أحول شديد انقلاب العين ، جامعا للأموال قليل البذل للنوال ، متيقظا في سلطانه ، سائسا لرعيته . وفي أيامه ظهر زيد بن علي بن الحسين بن علي بالكوفة ، وعلى الكوفة يومئذ يوسف بن عمر الثقفي ، فلقبه يوسف في جموع عظيمة ، وكان القتال شديدا قتل فيه زيد ومن معه ، ثم صلب بالكناسة . وذلك سنة ١٢٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٩ والطبرى سنة ١٢٢ .
(٤) هم بنو أبان بن عدى بن سنبس . نهاية الأرب (٢ : ٣٠٠) . والآيات الثلاثة بعده في عيون الأخبار (٣ : ٢٤١) .

(٥) في عيون الأخبار : « وقالوا لا تنم للدديبان » . وفي الأصول هنا : « وقالوا لي احترس بالدديبان » وفي هـ : « احترس للدديبان » ، تحريف . والدديبان بفتح الدالين : الرينة يربأ للقوم ، وهو فارسي معرب . قال ابن دريد : « ولا أحسب العرب تكلمت به » . المغرب ١٤١ والجمهرة (٣ : ٤١٣ ، ٥٠٠) . وهو بالفارسية : « ديده بان » . مكون من « ديده » بمعنى العين ، أو النظر . و « بان » وهى من اللواحق الفارسية التى تفيد المحافظة والولاية والحراسة ، مثل مرزبان ، وشربان ، ودربان . اللسان (درب) ومعجم استنجاس ٥٥٢ . واليفاع ، كسحاب : ما أشرف من الأرض وارتفع .

فإن أبصرت شخصاً من بعيد فصقّ بالبنان على البنان ١٩٧
تراهم خشية الأضياف حرساً يقيمون الصلاة بلا أذان

وقال بعض الأعراب يمدح قوماً :

وسارَ تَعْنَاهُ المَبِيثُ فلم يَدْعُ له حابِسُ الظلماءِ واللَّيْلِ مَذْهَبًا
رأى نَارَ زَيْدٍ من بَعِيدٍ فخالها وقد كَذَبَتْهُ النفسُ والظنُّ كوكبا ٥
رَفَعْتُ لَهُ بالكُفِّ نَارًا تشبُّها شَامِيَّةً نكباءُ أو عارضٌ صَبَا (١)
وقلت: ارفعوها بالصَّعِيدِ كَفَى بها مُشِيرًا لسارى ليلةٍ إن تَأَوَّبا (٢)
فلما أَنَا أَنَا والسَّمَاءُ تُبْلُهُ نقولُ له: أهلاً وسهلاً ومَرْحَبًا
وقمْتُ إلى البَرَكِ الهواجِدِ فَأَتَقْتُ بكوماءٍ لم يترك لها النَّيُّ مَهْرَبًا (٣)
فرحبتُ أعلى الجَنبِ منها بطعنة ١٠

دَعَتُ مُسْتَكَنَّ الجوفِ حَتَّى تصبِّبا (٤)

وقال الآخر :

واستيقنى في ظلم البيوت أنك إن لم ثققتلى ثموتى

وقال أبو سعيد الزاهد : « من عمل بالعافية فيمن دونه رزق العافية ممن

فوقه (٥) » . ١٥

(١) شامية : ربح تهب من قبل الشام . والنكباء : الريح بين ربحين . والصبا : ربح تهب من مطلع الشمس .

(٢) الصعيد : المرتفع من الأرض . بها ، بالنار . ما عدل : « بنا » تحريف . وتأوب : رجع .

(٣) البرك ، بالفتح : الإبل البوارك ، الواحد برك والواحدة باركة . والهواجد : النوام .

والكوماء : الناقة العالية السنام . والتي يفتح النون وكسرها : الشحم . يقول : قد أغراه بها كثرة الشحم فنحراها ، فوقت بذلك سائر البرك . ٢٠

(٤) أراد بالترحيب التوسيع . وقد نصت المعاجم على الإرحاب فحسب ، ومنه قول الحجاج

حين قتل ابن القرية : « أرجب يا غلام جرحه » .

(٥) ما عدل : « أعطى العافية ممن فوقه » . والعافية : صرف الأذى .

قال : وقال عيسى بن مريم عليه السلام : « في المال ثلاث خصال ، أو بعضها » . قالوا : وما هي يا رُوح الله ؟ قال : « يكسبه من غير حِلِّه » . قالوا : فإن كسبه من حِلِّه ؟ قال : « يمنع من حَقِّه » . قالوا : فإن وضعه في حَقِّه ؟ قال : « يشغله إصلاحه عن عبادة ربه » .

٥ قال : قيل لرجل مريض : كيف تجددك ؟ قال : أجدني لم أرض حياتي لموتى .

سعيد بن بشير ^(١) ، عن أبيه ، أن عبد الملك قال حين نُقِلَ ورأى غَسَّالاً يلوى ثوباً بيده : « وِدِدْتُ أَنْ كُنْتُ غَسَّالاً ^(٢) لَا أَعِيشُ إِلَّا مَا أَكْتَسَبْتُ يَوْمَ بِيَوْمِ ^(٣) » . فذَكَرَ ذَلِكَ لِأَبِي حَازِمٍ ^(٤) فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ يَتَمَنُّونَ مَا نَحْنُ فِيهِ ، وَلَا تَتَمَنَّى عِنْدَ الْمَوْتِ مَا هُمْ فِيهِ .

١٩٨

١٠ الهيثم قال : أخبرني موسى بن عبيدة الرِّبْدِيُّ ^(٥) عن عبد الله بن خَدَّاشِ الْغِفَارِيِّ قال : قال أبو ذَرٍّ : فارقت رسول الله ﷺ وَقُوتِي مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ مُدًّا ^(٦) ، وَلَا وَاللَّهِ لَا أَزْدَادُ عَلَيْهِ حَتَّى أَلْقَاهُ .

قال : وكان يقول : إِنَّمَا مَالِكَ لَكَ ، أَوْ لِلجَائِحَةِ ، أَوْ لِلوَارِثِ . فَأَغْرَنُ وَلَا تَكُنْ أَعْجَزَ الثَّلَاثَةِ .

١٥ (١) هو أبو عبد الرحمن سعيد بن بشير الأزدي البصري ، روى عن قتادة والزهرى والأعمش ، وعنه : وكيع وهشيم وبقية وغيرهم . وكان أبوه بشير قد أقدمه البصرة ، فبقى يطلب الحديث مع سعيد ابن أبي غروبة . توفي سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) ما عدال : « أنى كنت غسالا » .

(٣) ما عدال : « يوماً فيوما » .

٢٠ (٤) أبو حازم الأعرج ، ترجم في (١ : ٣٦٤) .

(٥) ما عدال ، هـ : « الربدى » تحريف . والربدى : نسبة إلى الربدة ، بفتح الراء والباء ، وهى من قرى المدينة على ثلاثة أميال ، وبها قبر أبى ذر الغفارى . وموسى بن عبيدة بن نشيط بن عمرو بن الحارث الربدى ، قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، وضعفه آخرون . توفي سنة ١٥٢ . تهذيب التهذيب . ومعجم البلدان (الربدة) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر مخطوط التيمورية .

٢٥ (٦) المد ، بضم الميم ، ضرب من المكاييل ، وهو ربع صاع .

فُضِّلُ بن عياضٍ ، عن المُطَّرِحِ بن يزيد^(١) ، عن عُبيد الله بن زُحْرٍ^(٢) ، عن علي بن يزيد^(٣) عن القاسم^(٤) مولى يزيد بن معاوية ، عن أنى أسامة الباهلي^(٥) قال : قال عمر رحمه الله :

« أدبوا الخيل ، وتسوَّكوا ، واقعدوا في الشمس ، ولا تُجَاوِرَنَّكُمْ الخنازير ، ولا يُرَفَعَنَّ فيكم صليب ، ولا تأكلوا على مائدة يُشْرَبُ عليها خمر^(٦) ، وإيَّامكم وأخلاق العجم ، ولا يحلُّ لمؤمن أن يدخل الحمامَ إلا بمطرر ، ولا لامرأة إلا من سُقِمَ ؛ فَإِنَّ عائشة حَدَّثَتْنِي قالت : حَدَّثَتْنِي خليلي عَلِيٌّ مِفْرَشِي هذا^(٧) : إِذَا وَضَعَتِ المرأةُ خمارها في غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله فلم يتناهَ دون العرش » .

- ١٠ (١) المطرح ، بضم الميم وتشديد الطاء المفتوحة وكسر الراء . وهو المطرح بن يزيد الأسدي الكنانى الكوفي ، روى عن عبيد الله بن زُحْر ، وبشر بن نمير ، وأنى طاهر وجماعة . وروى عنه عاصم بن أنى النجود ومات قبله ، والأعمش ، والحسن بن صالح وغيرهم . وذكروا أنه كان ضعيف الحديث . تهذيب التهذيب ، والتقريب .
- ١٥ (٢) هو عبيد الله بن زُحْر الضمري مولاهم الإفريقي . ولد بإفريقية ودخل العراق في طلب العلم ، فكان من شيوخه على بن يزيد الألهاني ، وخالد بن أنى عمران ، والأعمش . قال ابن حبان : إذا روى عن على بن يزيد أنى بالطامات . وزحر ، بفتح الزاى وسكون الحاء . تهذيب التهذيب ، والخلاصة .
- (٣) هو على بن يزيد بن أنى هلال الألهاني الدمشقي . والألهاني : نسبة إلى الهان بن مالك ، وهو أخو همدان بن مالك . وكان على فاضلا ، أدرك أربعين من المهاجرين والأنصار ، وقد تكلم فيه علماء الرجال وضعفوه . توفي في العشر الثاني بعد المائة . تهذيب التهذيب والخلاصة .
- (٤) هو أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي ، مولى آل أنى سفيان بن حرب ، وقيل كان مولى لجويرية بنت أنى سفيان فورث بنو يزيد بن معاوية ولاءه ، فلذلك يقال : مولى بنى يزيد بن معاوية . وكان ممن رحل إلى القسطنطينية . قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : ما رأيت أحدا أفضل من القاسم ، كنا بالقسطنطينية فكان الناس يُرْزِقُونَ رغيفين رغيفين في كل يوم ، فكان يتصدق برغيف ، ويصوم ويفطر على رغيف . توفي سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب .
- (٥) هو الصحابي الجليل أبو أمامة صُدِّي بن عجلان بن وهب الباهلي . وصدى بهيئة التصغير . وكان أبو أمامة ممن بايع تحت الشجرة ، وشهد أحدا وصفين مع على . وكان آخر صحابي مات بالشام . توفي سنة ٨٦ . الإصابة ٤٠٥٤ وتهذيب التهذيب .
- (٦) ما عدل : « الخمر » .
- (٧) المفرش ، بكسر الميم . وفي اللسان : « المفرش شيء كالشاذكونة » . والشاذكونة بالفارسية كل ما يتكأ عليه . استنجاس ٧٢٢ . وفي اللسان أيضاً : « المفرشة : شيء يكون على الرجل يقعد عليها الرجل ، وهى أصغر من المفرش » .

ومن نساك البصرة وزهادهم

- عامر بن عبد قيس ، وَبِجَالَةَ بن عَبْدَةَ العنبريَّان (١) ، وعثمان بن الأدهم والأُسود بن كلثوم (٢) ، وَصِلَّةُ بن أَشِيم (٣) ، ومذعور بن الطُّفَيْل (٤) .
- ومن بنى مَنَقَر : جعفر (٥) وحرب ابنا جِرْفاس . وكان الحسن يقول : إني لا أرى كالجعفرين جعفرأ . يعنى جعفر بن جرفاس ، وجعفر بن زيد العبيدى .
- ومن النساء . مُعَاذَةُ العَدَوِيَّةُ ، امرأة صِلَّةُ بن أَشِيم ، ورابعة القيسيَّة (٦) .

زهاد الكوفة

- عمرو بن عُتْبَةَ (٧) ، وهَمَّامُ بن الحارث (٨) ، والرَّبيع بن خُثَيْم (٩) ، وأُوَيْسُ القَرْنِيُّ (١٠) .

- ١٠ (١) عامر بن عبد قيس ترجم في (١ : ٨٣) . وأما بجالة فهو بجالة بن عبدة التميمي العنبري البصري ، كاتب جزء بن معاوية في خلافة عمر ، وقد أدرك النبي ﷺ ولم يره . وبجالة كسحابة ، وعبدة بالتحريك . الإصابة ٧٥٧ وتهذيب التهذيب .
- (٢) ترجم في (١ : ٣٦٣) .
- (٣) ترجم في (١ : ٣٦٣) .
- ١٥ (٤) سبقت ترجمته في ص ١٧٤ من هذا الجزء .
- (٥) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ١٥٤ . وقال : « كان من عباد أهل البصرة المعدادين » ، ثم ساق خير الحسن التالي . والجرفاس ، بكسر الجيم ، معناه الأسد . وأما حرب فلم أجد له ترجمة .
- (٦) ترجمت معاذة ورابعة في (١ : ٣٦٤) .
- (٧) عمرو بن عتبة بن فرقد ، ترجم في (١ : ٣٦٣) .
- ٢٠ (٨) هو همام بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ربيعة بن حارثة النخعي الكوفي العابد . قالوا : كان لا ينام إلا قاعداً ، وكان يدعو ويقول : « اللهم اكفني من النوم باليسير ، وارزقني سهرأ في طاعتك » . توفي في إمارة عبد الله بن يزيد الخطمي على الكوفة سنة ٦٥ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٨) .
- (٩) ترجم في (١ : ٣٦٣) . ما عدل ، ه : « خيثم » ، والأوفق ما أثبت .
- (١٠) هو أويس بن عامر القرني ، بفتح القاف والراء ، نسبة إلى قرن بن رذمان ، وهم حتى من مراد بن مذحج . أدرك أويس حياة الرسول ، وشهد صفين مع علي ، وفيها قتل . الإصابة ٤٩٧ وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٣) .

قال الراجز :

١٩٩ من عاشَ دهرًا فسيأتيه الأجلُ والمرءُ تَوَاقٍ إلى ما لم يَتَنَلْ
الموتُ يتلوهُ ويُلهيه الأملُ

وقال الآخر (١) :

كَلْنَا يَأْمُلُ مَدًّا فِي الأَجَلِ وَالْمَنَايَا هِيَ آفَاكُ الأَمَلِ
وقال الآخر :

لا يَغْرُثُكَ مَسَاءً سَاكِنٌ قَدْ يُوَافِي بِالمَنِيَّاتِ السَّحَرَ (٢)
وقال الآخر :

أنت وَهَبْتَ الفَتِيَةَ السَّلَاحِبَ (٣) وَهَجْمَةً يَحَارُ فِيهَا الحَالِبُ (٤)
وَعَنَمًا مِثْلَ الجِرَادِ السَّارِبِ (٥) مَتَاعَ أَيَّامٍ ، وَكُلُّ ذَاهِبٍ

وقال المسعودي :

إِنَّ الكِرَامَ مُنَاهِبُو كَ المَجْدِ كُلُّهُمُ فَنَاهِبُ
أَخْلِيفَ وَأَتْلِفَ ، كُلُّ شَيْءٍ زِعْزَعَتُهُ الرِّيحُ ذَاهِبٌ (٦)

(١) هو أبو النجم العجلي ، كما في الحيوان (٦ : ٥٠٨ - ٥٠٩) .
(٢) ما عدل : « عشاء ساكن » و « بالنيات الأجل » . ونحو هذا في المعنى قول القائل في
ص ٢٠٢ وقد سبق في الحيوان (٦ : ٥٠٨) :

يا راقدا الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

(٣) الفتية ، كذا وردت في جميع النسخ والحيوان (٣ : ٧٥) . وظنى أنها الفتية ، وهي
بالكسر : كل ما اكتسب . والسلاهب : جمع سلهب ، وهو من الخيل الطويل على وجه الأرض .

(٤) المهجمة ، بالفتح : عدد عظيم من الإبل .

(٥) السارب : الذاهب على وجهه في الأرض .

(٦) البيت في الحيوان (٣ : ٧٦) . وسيعيد إنشاد البيتين في ص ٢٥٢ و ٤ : ٦٩ .

وقال التيمي (١) :

إذا كانت السبعون سنك لم يكن
وإنَّ امرأً قد سار سبعين حجةً
إذا ما مضى القرن الذي كنتَ فيهم
إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
لدائك إلا أن تموتَ طيباً
إلى منهلٍ من وردهٍ لقريب (٢)
وخلفتَ في قرنٍ فأنتَ غريب (٣)
خلوتُ ولكن قل : علىَّ رقيب

وقال غسانُ خالَ العَدَّارِ :

ابيضَ منى الرأسُ بعد سوادِ
واستحصدَ القرنُ الذي أنا منهمُ
ودعا المَشيبُ حليلتي لِبِعادِ (٤)
وكفى بذاك علامةً لِحِصادِ (٥)

* * *

- ١٠ قال : كان علي بن عيسى بن ماهان (٦) ، كثيراً ما يقول : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ
علينا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٧) .
وكان كثيراً ما يقول : ويلٌ للظالمين من الله !

٢٠٠

(١) جعله ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) « الحجاج بن يوسف التيمي » . وأراه تحريف

ناسخ .

(٢) في أمالي القائل (٢ : ١) : « خمسين حجة » . قال : « كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة
ابن مسلم : إني نظرت في عمري فإذا أنا قد بلغت خمسين سنة ، وأنت نجوى في السن ، وإن امرأً قد سار
إلى منهل خمسين عاما لَقِيمٌ أن يكون دنا منه . فسمع التيمي منه هذا فقال :
وإن امرأً قد سار خمسين حجة إلى منهل من ورده لقريب »

وقد رويت القصة والأبيات الأربعة في عيون الأخبار ، برواية : « سبعين حجة » .

(٣) القرن بالفتح : مثلك في السن . وبالكسر : نظيرك في الشجاعة والشدة .

(٤) الخليفة : الزوجة . ما عدل : « ببعاد » .

(٥) استحصد البت : حان حصاده ، مثل أحصد .

(٦) كان علي بن عيسى بن ماهان هو والفضل بن الربيع من رجال الأمين ، وكان علي بن عيسى
صاحب أمره كله . وعقد له في سنة ١٩٥ على كور الجبل كلها : نهاوند وهمدان وقم وأصفهان ، حربها

وخراجها . وقد شُخص في هذه السنة إلى حرب المأمون حتى بلغ الرى ، فلقبه طاهر بن الحسين ،
واستمر القتال بينهما إلى أن قتل علي سنة ١٩٥ . تاريخ الطبرى (١٠ : ١٣٨ - ١٤١) .

(٧) من الآية ١٢٦ في سورة الأعراف .

وقال محمد بن واسع (١) الإبقاء على العمل أشد من العمل (٢) .

وكان أبو وائل النهشلي يقول في أول كلامه : إِنَّ الدَّهْرَ لَا يَذُوقُ طَعْمَ أَلْمِ
الفراق وَلَا يُذِيقُهُ أَهْلَهُ ، وَإِنَّمَا يَعْتَمِسُونَ فِي لَيْلٍ (٣) ، وَيَطْفُونَ فِي نَهَارٍ ، فَيُوشِكُ
شَاهِدُ الدُّنْيَا أَنْ يَغِيبَ ، وَغَائِبُ الآخِرَةِ أَنْ يَشْهَدَ .

قال : وسأل رجل رجلاً ، فقال المسئول : اذهب بسلام ! فقال السائل :
قد أنصفنا من ردنا إلى الله .

الحزامي (٤) ، عن سفيان بن حمزة (٥) عن كثير بن الصلت (٦) أن حكيم
ابن حزام (٧) باع داره من معاوية بستين ألف درهم ، فقيل له : غبتك والله
معاوية ! فقال : والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق من خمير ، أشهدكم أنها في
سبيل الله ، فانظروا أيُّنا المغبون !؟ (٨) .

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣٥٣) .

(٢) في الأصول : « الاتقاء » تحريف . ومثل هذا التحريف ما ورد في عيون الأخبار (٢ :

٣٦١) من قول أبي حازم : « إني لأرضى أن يتقى أحدكم على دينه . كما يتقى على فعله » .

(٣) ما عدل : « تنغمسون » وفي هـ : « تنغمسون » و « تطفون » وكله صحيح ، يقال غمسه

فانغمس وانغمس .

(٤) ب ، ج . « الحزامي » .

(٥) هو سفيان بن حمزة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، روى أيضاً عن كثير بن زيد الأسلمي ،

وعروة بن سفيان ، وكان صالح الحديث . تهذيب التهذيب .

(٦) كثير بن الصلت بن معديكرب بن وليعة شرحبيل بن معاوية الكندي قيل : له إدراك ، روى

عن جمع من كبار الصحابة ، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة ، وقيل كان اسمه

قليلاً فسماه عمر كثيراً . وكان له شرف وحال جميلة ، وإليه اختصم الشماخ وزوجه وكان عثمان قد

أقعده للنظر بين الناس . الإصابة ٧٤٧٣ وتهذيب التهذيب .

(٧) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي ، وهو ابن أخي

خديجة بنت خويلد زوج رسول الله . ولد قبل الفيل بثلاث عشرة سنة . وفيه ورد الحديث : « من دخل

دار حكيم بن حزام فهو آمن » . وكان من المؤلفة قلوبهم ، وشهد حنيناً وأعطى من غنائمها مائة بعير ، ثم

حسن إسلامه . الإصابة ١٦٩٥ .

(٨) الخبر روى بوجه آخر في الإصابة . قال : « وكانت دار الندوة بيده ، فباعها بعد من معاوية

بمائة ألف درهم ، فلامه ابن الزبير فقال له : يا ابن أخي ، اشتريت بها داراً في الجنة ! فتصدق

بالدراهم » . ما عدا هـ : « فانظر » .

قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : لَيْسَ مِنْ ضَلَالَةٍ إِلَّا عَلَيْهَا زِينَةٌ ، فَلَا تَعْرُضَنَّ دِينَكَ لِمَنْ يُبَغِّضُهُ إِلَيْكَ .

وقال عمر بن عبد العزيز : مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنْقُلِ .
وَأَتَى مُسْلِمًا نَصْرَانِيًّا يُعْزِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : مِثْلِي لَا يُعْرَى مِثْلَكَ ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى مَا زَهَّدَ فِيهِ الْجَاهِلُ فَارْغَبْ فِيهِ .

وكان الحسنُ بن زيد بن علي بن الحسين بن علي يُلقبُ ذا الدِّمعة (١) ،
فإذا غُوتِبَ في كثرة البكاء قال : وهل تركتِ النارُ والسَّهْمَانِ لِي مَضْحَكًا ! يُرِيدُ قتل زيد بن علي ، ويحیی بن زيد (٢) .

وقيل لشيخ من الأعراب : قُمتَ مقاماً خِفتنا عليك منه ! قال : آلموتُ أخاف ، شيخ كبيرٌ وربُّ غفورٌ ، ولا دَينَ ولا بنات .

وقال أبو العتاهية :

وكا تبلى وجوهٌ في الثرى فكذا يئلى عليهم الحزنُ

وقال بشار :

كيف يبكي لمخيس في طولٍ من سيفضي لحبس يوم طويل (٣)
إن في البعث والحساب لشغلاً عن وقوف برسم دارٍ محجّل

وقال محمود الوراق (٤) :

أليس عجبياً بأنّ الفتى يُصَاب ببعض الذي في يديه

(١) ل : « الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي كان يلقب ذا الدمعة » .

(٢) زيد بعدها فيما عدا ل : « أخاه » والوجه « أخيه » .

(٣) المحبس ، بكسر الباء : اسم لموضع الحبس ، ويكون أيضاً المصدر كقوله تعالى : (إلى الله مرجعكم) أي رجوعكم ؛ وقوله : (ويستلونك عن المحيض) ، أي الحيض .

(٤) ل : « محمود الوراق النحاس » .

فمن بين باكِ له مُوجِع
ويسلُّهُ الشَّيْبُ شرَحَ الشَّبَابِ
وبين مُعزُّ مُعَدِّ إِلَيْهِ (١)
فليس يعزِّيه خلقٌ عليه (٢)

وقال أيضاً :

بكيْتُ لِقُرْبِ الأَجَلِ
ووافِدِ شَيْبِ طَرَا
وَبَعَثَ شَبَابِ رَحَلِ
شَبَابٌ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ
وَشَيْبٌ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ
طَوَاكُ بَشِيرُ البَقَاءِ
وَحَلٌّ بِشِيرُ الأَجَلِ
كَذَاكَ اِخْتِلَافُ الدُّوَلِ
طَوَى صَاحِبٌ صَاحِباً

وقال (٤) :

رَأَيْتُ صَلاَحَ المَرءِ يُصَلِّحُ أَهْلَهُ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا بِفَضْلِ صَلاَحِهِ
وَيُعَدِّهِمْ دَاءً الفَسَادِ إِذَا فَسَدَ
وَيُحَفِّظُ بَعْدَ المَوْتِ فِي الأَهْلِ وَالوَلَدِ

وقال الحسن بن هانئ :

أَيَّةَ نَارٍ قَدَحَ القَادِحُ
لِللَّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظِ
وَأَيُّ جِدِّ بَلَغَ المَازِحُ
يَأْتِي الفَتَى إِلاَّ أَتْبَاعَ الهَوَى
وَنَاصِحٌ لَوْ حَظَّتْ النَاصِحُ
فَاسْمٌ بَعِينِكَ إِلى نَسْوَةٍ
وَمَنْهَجُ الحَقِّ لَهُ وَاضِحٌ
لَا يَجْتَلِي الحَسَنَاءَ مِنْ خَدْرِهَا
مُهورُهُنَّ العَمَلُ الصَّالِحُ
إِلاَّ امْرُؤٌ مِيزَانُهُ رَاجِحٌ (٥)

(١) المغذ : المسرع . والإغذاذ : الإسراع في السير .

(٢) شرح الشباب : أوله ونضارته وقوته .

(٣) في الشعراء ٨٤٣ أن الشعر لعل بن جبلة وانظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢٦) .

(٤) ما عدل : « وقال محمود أيضاً » .

(٥) هـ : « العذراء » . الديوان ١٩٢ . « الحوراء » . ل : « لن يجتلي الحسناء » .

من اتقى الله فذاك الذى سيق إليه المتجر الربيع

٢٠٢ وقال أيضاً :

خَلَّ جنِيكَ لِرَامٍ وَاَمْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ
مُتَّ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّلَامُ مَنْ أَلَّ حَجَمَ فَاهُ بِلِجَامٍ
رُبَّمَا اسْتَفْتَحَتْ بِالْقَوِ لَ مَغَالِيْقَ الْحَمَامِ (١)
رُبَّ لَفِظٍ سَأَقِ آجَا لَ فِغَامٍ وَفِغَامٍ (٢)
فَالْبَسَ النَّاسَ عَلَى الصِّدِّ حَجَّةَ مِنْهُمْ وَالسَّقَامِ (٣)
وَالْمَنَايَا آكَلَاتٌ شَارِبَاتٌ لِلْأَنَامِ
شَبَّتَ يَاهَذَا وَمَا تَدَّ رُكُّ أَحْلَاقِ الْغَلَامِ

وقال أيضاً :

كُنْ مِنْ اللَّهِ يَكُنْ لَكَ وَأَتَّقِ اللَّهَ لَعَلَّكَ
لَا تَكُنْ إِلَّا مُعِدًّا لِلْمَنَايَا فَكَأَنَّكَ
إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَهْمًا وَأَقْعًا دُونِكَ أَوْ بَكَ
نَحْنُ نَجْرِي فِي أَفَا نِينَ سُكُونٍ وَتَحْرُكٍ
فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ وَبِتَقْوَاهُ تَمَسَّكَ

وله أيضاً :

يَا نُؤَاسِي تَفَكَّرْ وَتَعَزَّزْ وَتَصَبَّرْ (٤)

(١) ما عدل : « بالزح » . والمغاليق : جمع مغلاق ، وهو المرتاج ، وهو ما يعلق به الباب .

(٢) حد : « لفغام » وبذلك غيرت في ب . والفغام : الجماعة الكثيرة من الناس .

(٣) بدله فيما عدل :

« فالزم الصمت فإن الد - صمت أبقى للجمام »

(٤) فى الديوان ١٩٦ : « يا نواسى توقر » .

سَاءَكَ الدَّهْرُ بِشَيْءٍ وَلَمَّا سَرَكَ أَكْثَرَ
يا كَبِيرَ الذَّنْبِ عَفُو لَهِ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْثَرَ
أَكْبَرِ الْأَشْيَاءِ فِي أَصْ عَرِ عَفْوِ اللَّهِ يَصْغُرُ (١)

وقال سعد (٢) بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم :

أَلَا إِنَّمَا هَذَا الْمُلَالُ الَّذِي تَرَى وَإِذْ بَارَ جَسْمِي مِنْ رَذَى الْعَثَرَاتِ (٣)
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَدْ تَجَلَّدَتْ بَعْدَهُ تَقَطَّعَ نَفْسِي دُونَهُ حَسَرَاتِ (٤)
وهذا من قديم الشعر :

وقال الطرماح بن حكيم (٥) ، في هذا المعنى :
وَشَيْئِي أَنْ لَا أُرْأَلَ مُنَاهِضاً بِغَيْرِ قُوَى أَنْزُو بِهَا وَأَبْوَعُ (٦)
وَأَنَّ رَجَالَ الْمَالِ أَضْحَوْا وَمَالَهُمْ لَهُمْ عِنْدَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ شَفِيعُ
أَمْخَرِمِي رَبِّبُ الْمَنُونِ وَلَمْ أُنَلْ مِنَ الْمَالِ مَا أَعْصَى بِهِ وَأَطَعُ (٧)

ومن قديم الشعر قول الحارث بن يزيد ، وهو جد الأحمير اللصّ

السعدى : (٨)

لَا لَا أَعُقُّ وَلَا أَحُو بٌ وَلَا أُغَيِّرُ عَلَى مُضَرِّ (٩)

(١) البيت من ل ، ه فقط ، وأثبت في هامش التيمورية ، وفي الديوان : « عن أصغر عفو الله أصغر » ، صواب هذا « من أصغر » .

(٢) ما عدل ه : « سعيد » .

(٣) في حواشي ه : « مأخوذ من الملة يعنى الحرارة وهى الحمى » .

(٤) ما عدل : « بعده حسرات » .

(٥) « بن حكيم » من ل فقط . وسبقت ترجمته في (١ : ٤٦) .

(٦) باع يوع : بسط باعه فى المشى . والباع : قدر مد اليدىن ، أصله فى الدابة .

(٧) اخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته من بينهم .

(٨) الأحمير السعدى ، شاعر من لصوص العرب ، مثل عبيد بن أيوب العنبرى ، ترجم له ابن

قتيبة فى الشعر والشعراء . وقال : « وهو متأخر ، وقد رآه شيوخنا » . وهو القائل :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكادت أطيّر

(٩) أحوب ، من الحوب ، وهو الإثم . المصدر بفتح الحاء ، والاسم بضمها .

لَكِنَّمَا عَزَوِي إِذَا ضَجَّ الْمَطِيُّ مِنَ الدَّبْرِ (١)

وقال آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز (٢) :

وإن قالت رجالٌ قد تولَّى زمانكُم وذا زمنٍ جديدٍ

فما ذهبَ الزَّمانُ لنا بمجدٍ ولا حسبٍ إذا ذُكِرَ الجُدودُ

وما كُنَّا لنخلدُ إذْ مَلَكْنَا وأى الناسِ دام له الخلودُ

وقيل لأخيه بعد أن رأوه حمّالاً : لقد حطَّكَ الزَّمان ، وعضَّكَ الحدَّتان ،

فقال : ما فقَدْنَا مِن عيشِنَا إلاَّ الفضول !

وقال غرورة بن أذينة الكنانيُّ :

نُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا وَيَحْزُنُنَا بكَاءُ الْبَاكِيَاتِ (٣)

كَرْوَعَةٍ ثَلَّةٍ لِمُغَارِ ذَيْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتِ رَاتِعَاتِ (٤)

وقالت خنساء بنت عمرو :

تَرْبَعُ مَا غَفَلْتَ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتَ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ (٥)

(١) أنشد الجاحظ البيتين في الحيوان (١ : ١٣٣) ، وعقب بقوله : « إنما فخر بالغرور في ذلك الزمان » . وأنشدهما كذلك في (٣ : ٥/٧٧ : ٢٣) المطى : جمع مطية . ضج : صاح ، والمراد اشتد إليه . والدبر ، بالتحريك : جمع دبيرة ، وهي قرحة الدابة .

(٢) ما عدال ، هـ : آدم بن عبد العزيز بن عبد العزيز ، تحريف . وهو حفيد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . وهو أحد من منَّ عليه أبو العباس السفاح من بنى أمية . وكان في أول أمره خليعاً ماجناً منهمكاً في الشراب ، ثم نسك بعد ما عمَّر ، ومات على توبة ومذهب جميل ، وكان المهدي يقربه ويصطفيه . الأغاني (١٤ : ٥٨ - ٦٠) . وانظر تاريخ بغداد (٧ : ٢٧) .

(٣) البيتان في الحيوان (٦ : ٥٠٧) وعيون الأخبار (٣ : ٦٢) . وفي عيون الأخبار : « ونلهو حين تخفى ذاهبات » .

(٤) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمغار : مصدر ميمي من أغار . الحيوان : « لمغار سبع » .

(٥) من مرثية لها في أخيها صخر . والبيت في صفة ناقة ثكلت ولدها . وقيله :

فما عجول على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنن أطآر

ما غفلت ، أى عن ذكر ولدها . جعلتها لكثرة ماتقبل وتدير كأنها تجسَّمت من الإقبال والإدبار . انظر

وقال أبو النجم :

٢٠٤

فلو ترى الثيوسَ مُضْجَعَاتٍ عَرَفْتَ أَنْ لَسْنَ بِسَالِمَاتٍ
أقول إذ جئن مُذْبَحَاتٍ ألم تكن من قبل راتعَاتٍ (١)
ما أقرب الموت من الحياة

وقال سليمان بن الوليد (٢) :

رُبَّ مَعْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ عَدِمَتُهُ كَفَّ مَغْتَرِبِهِ (٣)
وكذاك الدهرُ مَأْتَمُهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

وقال آخر :

يا راقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُوراً بِأَوَّلِهِ إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقُنَّ أَسْحَاراً (٤)
وقالت امرأة في بعض الملوك (٥) :

أبْكَيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأَنْسِ بِلِ الْمَعَالِي وَالرَّحْمِ وَالْفَرَسِ
أبْكَى عَلَى فَارِسٍ فَجِئْتُ بِهِ أَرْمِلُنِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ

(١) ما عدل : « رايعات » . وفي سائر النسخ : « واقعات » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٢) هو سليمان بن الوليد الأعمى ، أخو مسلم بن الوليد الأنصاري . قال الجاحظ في الحيوان

(٤ : ١٩٥) حيث أنشد الشعر : « وكانوا لا يشكون بأن سليمان هذا الأعمى كان من مستجيبى بشار

الأعمى ، وأنه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدين » . وقد جعله ياقوت في إرشاد الأديب

(١١ : ٢٥٥) والصفدي في نكت الهميان ١٦٠ ابناً لمسلم . قال ياقوت : « وهو ابن مسلم بن الوليد

المعروف بصريع الغواني ، الشاعر المعروف . كان كأييه شاعراً مجيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ

عنه ، ولذا كان متهماً بدينه . مات سنة ١٧٩ هـ . والشعر في المرجعين المتقدمين وعيون الأخبار (٣ :

٦١) وفيها أنه « سليمان الأعجمي » . و « الأعجمي » تحريف « الأعمى » .

(٣) ل فقط : « عدمته عين مفترسه » .

(٤) ل : « مسروراً برفدته » ، وأثبت ما في سائر النسخ والحيوان (٦ : ٥٠٨) . والبيت لأبي العتاهية

في ديوانه ١٢٠ ، وقد نسب مع قرين له في تفسير القرطبي إلى ابن الرومي . وذلك في سورة الطارق .

(٥) المرأة ، هي بيت عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وكانت مملكة ، أى معقوداً عليها ،

للأمين بن هارون الرشيد ، فقالت الشعر التالي ترثيه به حين قتل . الحيوان (٣ : ٨٩) والطبرى (١٠ :

٢١٠) . وفي العقد (٣ : ٢٧٧) أنها لبابة بنت علي بن ربيعة . ترضى زوجها المأمون ، وكان قتل عنها ولم

يبين بها . وفي الطبرى أيضاً (١٠ : ٢١٠) أنها لبابة بنت علي بن المهدي .

أخلاق من شعر ونوادر وأحاديث

قال هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ الْخَزْرُمِيُّ (١) :

وإنَّ مقالَ المرءِ في غيرِ كُنْهِهِ لَكَالتَّبِيلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا (٢)

وقال الرَّاجِزُ :

وَالقَوْلُ لَا تَمْلِكُهُ إِذَا نَمَا كَالسَّهْمِ لَا يَرْجِعُهُ رِمْ رَمَى

وإلى هذا ذهبَ عَامِرُ الشَّعْبِيُّ حَيْثُ يَقُولُ : « وَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أَوْقَعْتَ » .

وَأَنشَدُ :

فِدَاوِيئُهُ بِالْحِلْمِ وَالمرءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ (٣)

وقال الأَنْصَارِيُّ (٤) :

وَبَعْضُ القَوْلِ لَيْسَ لَهُ حِصَاةٌ كَمَحْضِ المَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءٌ (٥)

وَبَعْضُ خِلَاقِ الأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ (٦)

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣١٩) .

(٢) في غير كنهه ، أى في غير وجهه . وقد سبق البيت في (٢ : ٢٩١) .

(٣) البيت لمن بن أوس الزرقى في ديوانه ٦ لبيسك ، وحماسة البحرى ٣٨٢ ، برواية : « فبادرت منه النأى » .

(٤) هو قيس بن الخطيم الأنصارى . ديوانه ٢٧ - ٢٨ ، والبيان (٢ : ٢٧٩) . وانظر ماسبق في ص ١٨٦ من نسبة بعض الشعر إلى الربيع بن أبي الحقيق . والبيتان في الحيوان (٣ : ٦٨) مع نسبتها إلى بعض الأنصار .

(٥) الحصاة ، ها هنا : العقل . قال كعب بن سعد الغنوى :

وإن لسان المرء ما لم يكن له حصاة ، على عوراته لدليل

والإتاء ، بالكسر : الريد .

(٦) في ١٨٦ : « ليس له شفاء » . وفي هامش هـ : « كداء البطن » .

وقال الآخر :

وَمَوْلَى كِدَاءِ الْبَطْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ فَحِلْمٌ وَأَمَّا غِيْبُهُ فَظَنُّونُ (١)

وقال الآخر :

تَقَسَّمْ أَوْلَادُ الْمَلِيْمَةِ مَغْنَمِي جِهَارًا ، وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلَ مُغْلَبٍ (٢)

وقال الثُّلُبُ اليماني :

* وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غُلِبَ *

وقال النبي ﷺ : « إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَرَبَّ كِتَابَهُ ، فَإِنَّ التُّرَابَ مِبَارَكٌ ، وَهُوَ أَنْجَحٌ لِلْحَاجَةِ » .

وذكر الله آدَمَ الذي هو أَصْلُ الْبَشَرِ فقال : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ . ولذلك كَتَبَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِيًّا أَبَا تُرَابٍ . قالوا : وكانت أَحَبَّ الْكُنَى إِلَيْهِ .

وقال الآخر :

وَإِنْ جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فلي غَرِيمٌ
لَهُ أَلْفٌ عَلَيَّ وَنِصْفُ أَلْفٍ
وَنِصْفُ النِّصْفِ فِي صَدِّكَ قَدِيمٌ
دِرَاهِمٌ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ
وَصَلَّتْ بِهَا شَيْوِخُ بَنِي تَمِيمٍ

وقال الكمي (٣) :

(١) الظنون : المتهم ومن لا يوثق به .

(٢) الملمة ، من الإلام ، أى التى تلم بالرجال تزورهم وتحرص عليهم . والمغلب : المغلوب . انظر

مامضى فى ص ١١ من هذا الجزء .

(٣) كان من قصة الشعر ما رواه أبو الفرج قال : « خرجت الجعفرية على خالد بن عبد الله

القسرى وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم ، فخرجوا فى التباين ينادون : لبيك جعفر ، لبيك

جعفر ! وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر ، فدهش فلم يعلم ما يقول فرعا ، فقال : أطعمونى

ماء ! ثم خرج الناس إليهم فأخذوا ، فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويؤخذ طن قصب ، =

حَلَفْتُ بِرَبِّ النَّاسِ : مَا أُمُّ خَالِدٍ
بِأَمِّكَ إِذْ أَصَوَّأْنَا الْهَلْ وَالْهَبَّ (١)
وَلَا خَالِدٌ يَسْتَطْعِمُ الْمَاءَ قَائِماً
بِعَدْلِكَ وَالذَّاعِي إِلَى الْمَوْتِ يَنْعَبُ (٢)

وقال ابن توفيل (٣) :

تُقُولُ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعَمُونِي
لَأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخِ
كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ (٤)

وقال ابن هَرَمَةَ (٥) :

تَرَاهُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ كَلْبُهُ
يَكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ (٦)

قال : وقال المهلبُ : « عجبت لمن يشتري الممالك بماله ولا يشتري

الأحرارَ بمعروفه » .

- ١٠ = فيطلى بالنفط ويقال للرجل : احتضنه . ويضرب حتى يفعل ثم يحرق ، فحرقهم جميعاً ، فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميث وقد مدحه بعد قتله زيد بن علي ، فأنشده قوله فيه :
خَرَجَتْ لَهُمْ تَمْشِي الْبِرَاحُ وَلَمْ تَكُنْ
وَمَا خَالِدٌ يَسْتَطْعِمُ الْمَاءَ فَاغْرَا
كَمَنْ حِصْنُهُ فِيهِ الرَّتَاجُ الْمُضَيَّبُ
بِعَدْلِكَ وَالذَّاعِي إِلَى الْمَوْتِ يَنْعَبُ

- قال : والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، وهم يمانية ، فتعصبوا لخالد فوضوا ذباب سيوفهم في بطن الكميث فوجئوه بها وقالوا : أتشد الأمير ولم تستأمره . فلم يزل ينزفه الدم حتى مات . الأغانى (١٥ : ١١٦) .

- (١) خالد ، هو ابن عبد الله القسرى كما سبق في الخبر . والأم بفتح الهزرة وكسرها : الشكل والأمر والقصد . انظر اللسان (١٤ : ٢٨٩) ومجالس نعلب ٤٦٦ والمزهر (١ : ٥١٣) . يقول : ليس يكون خالد مثلك في الثبات والشجاعة حين تشتد الغارة ويصاح فيها بالحيل : هَلَا ، وهَيَّي .
(٢) العدل ، بالكسر : المثل والنظير . ما عدال : هـ : « بعذلك » تحريف . ينعب : يصيح . ل : « يسغب » صوابه في سائر النسخ والأغانى . وانظر لاستطعام خالد الماء ما سبق من الخبر في الحواشي .

(٣) هو يحيى بن نوفل المترجم في (٢ : ٢٦٦) .

(٤) سبق الكلام على البيتين في (٢ : ٢٦٧) .

(٥) هو إبراهيم بن هرمة ، المترجم في (١ : ١١١) .

- (٦) البيت من أبيات سبقت بدون نسبة في الحيوان (١ : ٣٧٧ - ٣٧٨) . وهى كذلك عارية من النسبة في الحماسة (١ : ٢٦٠ - ٢٦١) . وفيهما : « يكاد إذا ما أبصر الضيف » .

وقال الشاعر :

رُزِقْتُ نُبًا ولم أرزُقْ مُرُوَّةً وما المُرُوَّةَ إِلَّا كَثْرَةُ المَالِ (١)
إذا أردتْ مُسَامَاةً تُفَعِّدُنِي عَمَّا يُنَوُّهُ بِاسْمِي رَقَّةَ الحَالِ (٢)

٢٠٦

وقال الأحنف :

فلَوْ مُدُّ سَرْوَى بِمَالٍ كَثِيرٍ لَجُدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِإِذِلَا (٣)
فَإِنَّ المُرُوَّةَ لَا تُسْتَطَاعُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالُهَا فَاضِلًا

وقال جرير بن يزيد (٤) :

خَيْرٌ مِنَ البُحْلِ للفتى عَدْمُهُ وَمِنَ بَيْنِ أَعْقِيَةِ عَقْمُهُ (٥)

قال : ومشي رجال من تميم إلى عتاب بن ورقاء ، ومحمد بن عمير (٦) ،
في عشر ديات فقال محمد بن عمير : عَلِيٌّ دِيَّةٌ . فقال عتاب : عَلِيٌّ البَاقِيَةُ .
فقال محمد : نِعْمَ العَوْنُ عَلَى المُرُوَّةِ المَالِ (٧) .

وقال الآخر :

ولا خَيْرَ فِي وَصْلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى طَوْلِ مَرِّ الحَادِثَاتِ بَقَاءُ

وقال الآخر :

شَفَاءُ الحُبِّ تَقْبِيلٌ وَضَمٌّ وَجَرٌّ بِالبُطُونِ عَلَى البُطُونِ (٨)

(١) البيتان في عيون الأخبار (١ : ٢٣٩) .

(٢) في اللسان (قعد) : « ابن السكيت : يقال : ما تفعدني عن ذلك الأمر إلا شغل ، أي ما حبسني » . ما عدال : « تفاعدني » تحريف .

(٣) سبق البيتان في (٢ : ٢٩٢) .

(٤) ذكره الجاحظ في الحيوان (٧ : ٨٤) .

(٥) يقال بضم العين وفتحها وبالتحريك .

(٦) عتاب بن ورقاء الرياحي ، ترجم في (٢ : ٢٣٥) . ومحمد بن عمير بن عطار ترجم في

(٢ : ٢٩٢) ، حيث سبق الخبر .

(٧) في (٢ : ٢٩٢) : « اليسار » بدل « المال » .

(٨) ما عدال : « وشم وضم بالبطون » .

وأنشد (١) :

والله لا أرضى بطول ضممٍ ولا بتقبيلٍ ولا بشمٍ
إلا بهزاهزٍ يسلى همى يسقط منه فتخى فى كفى
لمثل هذا ولدتنى أُمى

وأنشد :

لا ينفع الجارية الخضاب ولا الوشاحان ولا الجلباب
من دون أن تصطفق الأركاب (٢) وتلتقى الأسباب والأساب
ويخرج الزب له لعاب

وقال الآخر :

ولقد بدا لى أن قلبك ذاهل عنى وقلبي لو بدا لك أذهل (٣)
كلُّ يُجامِلُ وهو يُخفى بَعْضُهُ إنَّ الكرىمَ على القلى يتجمل

وقال الآخر :

وحظك زورة فى كلِّ عام موافقة على ظهر الطريق (٤)
سلاماً خالياً من كلِّ شىء يعود به الصديق على الصديق

وقال الآخر :

وزعمت أنى قد كذبتك مرّة بعض الحديث فما صدقتك أكثر (٥)

(١) الرجز للدهناء بنت مسحل زوج العجاج . انظر حواشى (٢ : ٣٥١) . والفتح : جمع فنخة ، بالتحريك ، وهى حلقة تلبس فى الإصبع كالحاتم لا فص فيها ، فإذا كان فيها فص فهى الحاتم ، وحقيقتها أن تلبس فى أصابع الرجلين ، وتلبس أيضاً فى أصابع اليدين .

(٢) الأركاب : جمع ركب ، بالتحريك ، وهو منبت العانة والرجز فى اللسان والمقاييس (ركب) .

(٣) البيتان لمعن بن أوس ، كما سبق فى (٢ : ٣٥٤) . وليسا فى ديوانه .

(٤) سبق البيتان فى (٢ : ٣٦٢) .

(٥) ل : « بعد الحديث » ، تحريف .

وقال الآخر :

أهينوا مطاياكم فإني وجدته

يهونُ على البرذون موث الفتى التذب (١)

وقال الآخر :

لا يحفلُ البردُ من يُبلى حواشيه ولا تُبالي على من راحت الإبل

وقال الآخر :

ألا لا يُبالي البردُ من جرَّ فضله كما لا تُبالي مُهرةٌ من يقودها

وقال الآخر (٢) :

وإني لأرثي للكرم إذا غدا على حاجةٍ عند اللئيم يُطالبه
وأرثي له من مجلسٍ عند بابه كمرثيتي للطرف والعليج راكمه (٣)

وقال الفرزدق :

أترجو ربيعاً أن تحبَّ صغارها بخيرٍ وقد أعيأ ربيعاً كبارها (٤)

وقال الشاعر :

ألم تر أن سيرَ الخيرِ ريثٌ وأن الشرَّ راكمه يطيرُ (٥)

(١) التذب : الخفيف في الحاجة الظريف النجيب .

(٢) هو عبيد الله بن عكراش ، كما في عيون الأخبار (١ : ٨٩) .

(٣) مجلس ، أى جلوس . والطرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين ، أى الأيوين . والعليج :

الرجل من كفار العجم . وانظر لهذا الشعر وماقبله رسائل الجاحظ (٢ : ٢٥٢ - ٢٥٣) .

(٤) ربيع بالتصغير ، من بنى الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الاشتقاق

١٥١ والقاموس (ربيع) . والبيت لم يرو في ديوانه ، لكنه منسوب إليه في الأغاني (١٩ : ١٥) وابن

سلام ١٣٧ . قال ابن سلام : « وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلداً . والمقلد : البيت المستغنى بنفسه ،

المشهور ، الذى يضرب به المثل » . وللفرزدق في هذا المعنى قوله في الديوان ٣٨٤ :

ترجى أن تزيد بنو فقيم صغارهم وقد أعيوا كبارا

(٥) الريث : البطء . يطير : يسرع .

وقال ابن يسير^(١) :

تأتى المكاره حين تأتى جملة وترى السُرورَ يجى مع الفلتات^(٢)

قيل لبلال بن أبى بُرْدَة : لم لا تُؤلى أبا العجوزِ بن أبى شيخ العراف^(٣)

- وكان بلالٌ مسترضعاً فيهم ، وهو من بلهَجيم^(٤) – قال : لأنى رأيتُ منه ثلاثاً : رأيتُه يَحْتَجِمُ في بُيوتِ إخوانه ، ورأيتُ عليه مظلةً وهو في الظلِّ ، ورأيتُه يُبادِرُ بيضَ البَقيلة^(٥) .

وكان عندى شيخٌ عظيمُ البدنِ جَهِير الصَّوتِ ، يستَقصِي الإعرابَ ، وقد ولَّده رجلٌ من أهلِ الشُّورى ، وكان بقرى عبدِ أسودٍ دقيقِ العَظْمِ دَمِيمِ الوجهِ^(٦) ، ورأى أُكْبِرُهُ ، فقال لى حينَ نَهَضَ ورأى عَظْماً : يا أبا عُثمانَ ، لا واللهِ إنَّ يُساوِي ذلكَ العَظْمَ البالى ، بصُرْتُ عيني به فى الحمامِ وتناولَ قطعةً

(١) محمد بن يسير الرياشى المترجم فى (١ : ٦٥) . ما عدل : « بشير » تحريف .

(٢) ما عدل : « بجىء فى الفلتات » .

(٣) هذا ما فى هـ . وفى ل « العراف » . وفى سائر النسخ : « العرف » بالعين المهملة .

(٤) بلهَجيم ، أى بنو الهَجيم ، وهو الهَجيم بن عمرو بن تميم بن مر . المعارف ٣٥ والاشتقاق ١٢٤ . ونظيره قولهم فى بنى الحارث وبنى القين : بلحارث ، وبلقين . وفى اللسان (حرث) : « وقولهم بلحارث لبنى الحارث بن كعب من شواذ الإدغام ، لأن النون واللام قريباً المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام حذفوا النون كما قالوا : مسنت وظلت . وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل بلعنبر وبلهَجيم ، فإذا لم تظهر اللام فلا يكون ذلك » .

(٥) بيضة البَقيلة ، قال الثعالبي فى ثمار القلوب ٣٩٣ : « تذكر فى عيون الأَطعمة : ولا يستحسن المبادرة إليها » ، ولم يفسرها بأكثر من هذا . ثم نقل عن الجاحظ فى البخلاء قوله ، « فإن كان لابد من المؤاكلة ولا بد من المشاركة ، فمع من لا يستأثر على بالملخ ، ولا ينتهز بيض البَقيلة ، ولا يلتهم كبد الدجاجة ، ولا يبادر إلى دماغ رأس السلاء ، ولا يختطف كلية الجدوى ، ولا يزدرد قانصة الكركى » . فيفهم من سوقها مع هذه النظائر أنها قطعة من متخير اللحم ، تشبه البيض .

(٦) الدميم : القبيح . ما عدل ، هـ : « ذميم » تحريف .

من فحارٍ فأعطاها رجلاً وقال له : حُكَّ بها ظهري ! أفتظنُّ هذا يا أبا عُثمان يُفْلح أبداً .

قال أبو الحسن : سألت الحجاجُ غلاماً فقال له : غلامٌ من أنت ؟ قال : غلامٌ سيِّد قيس . قال : ومن ذاك ؟ قال : زُرارةُ بنُ أوفى^(١) . قال : وكيف يكون سيِّد قيس وفي داره التي ينزلُ فيها^(٢) سكَانٌ ؟

قال : وقال رجل لابنه : إذا أردت أن تُعرِّفَ عيِّبك فخاصِّمْ شيخاً من قُدماءِ جيرانك . قال : يا أبت لو كنتُ إذا خاصَّمتُ جاري لم يُعرِّفَ عيبي ٢٠٨
غيري كان ذلك رأياً ، ولكن جاري لا يُعرِّفني عيبي حتى يُعرِّفه عدوِّي .
وقد أخطأ الذي وَضَعَ هذا الحديث لأنَّ أباه نهاه ولم يأمره .

وقال الآخر :

اصْطَبَنْعَنِي وَأَقْلَنِي عَشْرَتِي لِأَنَّهَا قَدْ وَقَعَتْ مِنِّي بِقَرٍّ^(٣)
وَأَعْلَمَنْ أَنْ لَيْسَ أَلْفَا دِرْهَمٍ لَمَدِيحِي وَهَجَائِي بِحَطَرٍ^(٤)
يَذْهَبُ الْمَالُ وَيَبْقَى مَنْطِقُ شَائِعٍ يَأْتِيهِ أَهْلُ الْخَبْرِ
ثُمَّ أَرْمِيكُمْ بِوَجْهِ بَارِزٍ لَسْتُ أَمْشِي لَعْدُوِّي بِخَمَرٍ^(٥)

(١) هو أبو حاجب زرارة بن أوفى العامري الحرشي القاضي ، كان فقيهاً محدثاً من التابعين ، وكان من العباد ، توفي سنة ٩٣ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٥٢) . وكان الفرزدق يشبب بينته ملاءة ، وبينتها عاتكة ، وبينت بنتها نائلة . قال أبو الفرج في (١٢ : ٧٤) عن ابن سلام : « لا أعلم أن امرأة شُيِّبَ بها وبأُمها وجدتها غير نائلة » .

(٢) ما عدل : « ينزلها » .

(٣) أقاله عثرته : عفا عنه . وقعت بقر ، أى صارت الشدة إلى قرارها .

(٤) الخطر ، هنا : مثل الشيء وعِدْلُهُ ومساويه .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما وارك من الشجر والجبال ونحوها . والمعروف في مثل هذا المعنى :

« مشى له الخمر » بنزع الباء ، يقال ذلك الرجل إذا ختل صاحبه .

وقال أشهبُ بن رُمَيْلةَ (١) يومَ صُفِينِ : إلى أينَ يا بنى تميم ؟ قالوا : قد ذهب الناسُ . قال : تَفْرُونَ وتعتذرون !؟

قال : ونهض الحارث بن حَوِيطِ اللَّيْثِي إلى عليّ بن أبي طالب ، وهو على المنبر ، فقال : أتظنُّ أنا نَظُنُّ أنَّ طلحةَ والزُّبيرَ كانا على ضلالٍ ؟ قال : « يا حَارِ ، إنه ملبوسٌ عليك ، إنَّ الحقَّ لا يُعرَفُ بالرجالِ . فاعرفِ الحقَّ تَعْرِفِ أهله ! » .
وقال عمر بنُ الخطابِ رحمه الله : « لا أدركتُ أنا ولا أنتَ زماناً يتغيَّرُ الناسُ فيه (٢) على العِلْمِ كما يتغيرونَ على الأزواجِ » .

قال : وبَعَثَ قَسامَةَ بن زُهَيْرِ العنبرِيُّ إلى أهله بثلاثينَ شاةً ونِخْيَ صغيرٍ فيه سَمْنٌ ، فسَرَقَ الرسولُ شاةً ، وأخذ من رأسِ النُخْيِ شيئاً من السمنِ ، فقال لهمُ الرسولُ : ألكمُ إليه حاجةٌ أُخْبِرُهُ بها ؟ قالت له امرأته : أُخْبِرُهُ أنَّ الشهرَ محاقٌ ، وأنَّ جَدَيْنَا الذي كان يُطالِعنا وجدناهُ مرثوماً (٣) . فاسترَجَعَ منه الشاةَ والسَّمْنَ .

قال عليّ بن سليمان لرؤبئةَ : ما بقى من باهكٍ يا أبا الجحّاف ؟ قال : يمتدُّ ولا يَشْتدُّ ، وأستعينُ بيدي ثم لا أورد ، وأطيلُ الظَّمَّ ثم أقصرُّ . قال : ذاك الكِبرِ (٤) . قال : لا ، ولكنّه طولُ الرُّغاثِ (٥) .

(١) الأشهبُ بن رُمَيْلةَ : شاعر إسلامي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ولم تعرف له صحة . الإصابة ٤٦٤ . ورُمَيْلةُ أمه ، فهو ممن نسب إلى أمه من الشعراء ، ولم يذكره ابن حبيب في كتابه . وأبوه ثور بن أبي حارثة ينتهي نسبه إلى تميم . وكان الأشهبُ ممن هاجى الفرزدق . انظر الحيوان (١ : ٣١٥) والخزّانة (٤ : ٥١٠) .

(٢) ما عدال : « يتغيرون فيه » .

(٣) المرثوم : المكسور .

(٤) ما عدال ، ه : « الكبير » تحريف .

(٥) في هامش ه : « الرغاث ، الرضاع ، يقال رغثها ، إذا رضعها . ورغث الرجل بالرمح ، إذا طعنه . وكنى بطول الرغاث هنا عن كثرة الجماع » . ولم أجد الرغاث ولا راغث في معجم .

وقيل لأعرابي : أئى الدوابِ آكل ؟ قال : بِرِدْوَنَةِ رَعُوْثٍ (١) .

وقيل لغيره : لم صارتِ اللَّبْوَةُ أَتْرَقَ ، وعلى اللحمِ أُحْرَصَ ؟ قال : هى الرَّعُوْثُ .

قال : وقال عُبيدُ اللهِ بنُ عمر : اتَّقُوا مَنْ تَبَغَضَهُ قَلْبُكُمْ . ٢٠٩

وقال إسماعيل بن غزوان : لا تُنْفِقْ درهما حتى تراه (٢) ، ولا تُنِثِقْ بِشُكْرٍ مِنْ تُعْطِيهِ حَتَّى تَمْنَعَهُ ، فالصَّابِرُ هو الذى يشكُر ، والجازِعُ هو الذى يكفُر .

عامر بن يحيى بن أبى كثير (٣) قال : لا تشهَدُ لمن لا تُعرِفُ ، ولا تشهَدُ على مَنْ لا تُعرِفُ ، ولا تشهَدُ بما لا تُعرِفُ .

أبو عبد الرحمن الضريز ، عن على بن زيد بن جدعان (٤) ، عن سعيد بن المُسيَّبِ قال : قال النبى ﷺ : « رأسُ العقلِ بعد الإيمانِ باللهِ التَّوَدُّدُ إلى الناسِ » . ١٠

وقالت عائشة : لا سمرَ إلا لثلاثة : مسافرٍ ، ومُصَلِّ ، وعَرُوسٍ .

قال : وقال معاوية يوماً : مَنْ أَفْصَحُ الناسِ ؟ فقال قائل : قوم ارتفعوا عن لُحْلُخَانِيَةِ الفُراتِ (٥) ، وَتَيَّامُنُوا عن عَنَعَنَةِ تَمِيمِ (٦) وَتَيَّاسَرُوا عن كَسْكَسَةِ

(١) رعوث : مرضعة . انظر الخبر في الحيوان (١ : ١١٢) والبيغال (٢ : ٣٤٠) .

(٢) ل وحواشى ه : « حتى ترده » ، تحريف .

(٣) لم أجد لعامر ترجمة ، وأما يحيى بن أبى كثير الطائى ، فهو ممن روى عن أنس وعكرمة وعطاء . وكان أعلم الناس بحديث أهل المدينة . وتوفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٤) هو على بن زيد بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التميمى البصرى . روى عن أنس بن مالك بن ربيعة بن مسعود بن المسيب . ولد أعمى ، وكان كثير الحديث غالباً فى التشيع . توفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب والخلاصة ونكت الهميان ٢١٢ .

(٥) ويروى : « عن لُحْلُخَانِيَةِ العراقِ » كما فى اللسان (لُحْخ) . واللُحْلُخَانِيَةِ : المعجمة فى المنطق .

(٦) عننة تميم : قولهم فى موضع أن : عن . قال ذو الرمة :

أعن تومنت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم =

بكر^(١) ، ليست لهم غَمَمَةٌ قُضَاعَةٌ^(٢) ولا طُمَطُمَائِيَّةٌ حِمِير^(٣) . قال : مَنْ هم ؟ قال : قُرَيْش . قال : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قال : مِنْ جُرْم . قال : اجْلِسْ^(٤) .

وقال الرَّاجِز :

إِنَّ تَمِيمًا أُعْطِيَتْ تَمَامًا وَأَعْطِيَتْ مَآثِرًا عِظَامًا
وَعَدَدًا وَحَسْبًا قَمَقَامًا^(٥) وَاذِخًا مِنْ عِزِّهَا قُدَامًا
فِي الدَّهْرِ أَعْيَا النَّاسَ أَنْ يُرَامَا إِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمُ الأَجْسَامَا
وَالدَّلَّ وَالشُّبْمَةَ وَالكَلامَا وَأَذْرَعًا وَقَصْرًا وَهَامَا^(٦)
عَرَفْتَ أَنْ لَمْ يُخْلَقُوا طَعَامًا^(٧) وَلَمْ يَكُنْ أَبُوهُمُ مِسْقَامَا
لَمْ تَرَّ فِيْمَنْ يَأْكُلُ الطَّعَامَا أَقَلَّ مِنْهُمْ سَقَطًا وَذَامَا^(٨)
تَقُولُ العَرَبُ : « لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الإِبْلِ إِلَّا أَنَّهُا رَقْوَةُ الدَّمِ^(٩) » .

قال جَنْدَلُ بنِ صَخْرٍ ، وكان عبدًا مملوكًا :

= مجالس ثعلب ١٠٠ - ١٤١ والمزهر (١ : ٢١١) والخصائص ٤١١ وفقه اللغة ١٢١ والصاحبي ٢٤ والخزانة (٤ : ٥٩٥ - ٥٩٦) . ما عدال : « كشكشة تميم » تحريف . وإنما الكشكشة لربيعة ، وهي أن يجعل ما بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئًا .

(١) هم بنو بكر بن هوازن . والكسكسة : أن يجعل بعد كاف المذكر أو مكانها سينا . تقال بفتح الكافين وبكسرهما أيضا ، كما في الخزانة (١١ : ٤٦٤) .

(٢) الغممة : كلام غير بين .

(٣) الطمطمائية ، بضم الطاءين . العجمة . وفي اللسان : « شبه كلام حمير لما فيه من الألفاظ

المنكرة بكلام العجم » .

(٤) قال اجلس ، من ل فقط .

(٥) القمقام : العدد الكثير .

(٦) القصر ، بالتحريك : جمع قصرة ، وهي أصل العنق . والهام : جمع هامة ، وهي الرأس .

(٧) الطغام ، بفتح الطاء : أرذال الناس وأوغادهم .

(٨) الذام : العيب .

(٩) أى لكفاهما ذلك فضلاً . والرقوة : الدواء الذى يوضع على الدم ليرقه فيسكن أى إنها تعطى

في الديات بدلا من القود ، فتحقق بها الدماء .

- وَمَا فَكُّ رِقِي ذَاتَ دَلِّ خَيْرِيحٍ وَلَا شَاقَ مَالِي صَدَقَةٌ وَعُقُولٌ (١)
 ولكنْ نَمَانِي كُلُّ أَبِيضِ خِضْرِي فَأَصْبَحْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ (٢)
 وقال الفقيمي ، وهو قاتل غالب أبي الفرزدق :
 وما كنتُ نَوَامًا ولكنَّ نَائِرًا أَنَاخَ قَلِيلًا فَوْقَ ظَهْرِ سَبِيلِ (٣)
 وقد كنتُ مجرورَ اللِّسَانِ وَمُفْحَمًا فَأَصْبَحْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ (٤)

* * *

- قال المُغِيرَةُ بن شُعْبَةَ : من دَخَلَ في حَاجَةِ رَجُلٍ فقد ضَمِنَهَا .
 وقال عُمرُ رَحِمَهُ اللهُ : لكلِّ شَيْءٍ شَرَفٌ ، وشَرَفُ المَعْرُوفِ تَعَجِيلُهُ .
 وقال رَجُلٌ لإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ : أَعِدُّ الرَّجُلَ المِيعَادَ فَإِلَى مَتَى (٥) ؟ قال :
 إلى وَقْتِ الصَّلَاةِ . ١٠
 قال : وقال لي بعضُ القُرَشِيِّينَ : من خَافَ الكَذِبَ أَقَلَّ من المَوَاعِيدِ .
 وقالوا : أَمْرَانِ لَا يَسْلَمَانِ مِنَ الكَذِبِ : كَثْرَةُ المَوَاعِيدِ ، وشِدَّةُ الاعتِدَارِ .
 وقال إِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ : قُلْتُ لِحَنْجِيرِ كُونَ (٦) مَمْرُورِ الزِّيَادِيِّينَ (٧) : أَعْدَد
 هَاهُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ . قال : أَمَّا حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا أَضْمَنُ لَكَ (٨) وَلَكِنْ
 أَقْعُدْ لَكَ إِلَى اللَّيْلِ . ١٥

- (١) الخبرنج : الخلق الحسن . وكتب فوقها في هـ : « ناعم » . والعقول : جمع عقل ، وهو الدية .
 (٢) نماء : رفع إليه نسبه . والخضرم : السيد الجمول . ل : « فأصبحت أدري فيه كيف أقول » .
 (٣) أي ولكنني نائرا .
 (٤) المجرور ، أصله الفصيل يشق لسانه للثلا يرضع ، يقال جر الفصيل وأجره . قال عمرو بن

معديكرب : ٢٠

- فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت
 ما عدل : « مخزون اللسان » ، ولا وجه له . وأشير في هامش هـ إلى رواية « مجرور » .
 (٥) ما عدل : « قال إلى متى » تحريف .
 (٦) ما عدل : « لحنجير كور » . وفي هـ : « لحنجير كوز » .
 (٧) الممرور : الذي غلبت عليه المرة فاختل عقله .
 (٨) ما عدل : « لا أصبر لك » .

٢٥

هذه رسالة إبراهيم بن سيابة (١)

إلى يحيى بن خالد بن برمك

وبلغنى أن عامة أهل بغداد يحفظونها في تلك الأيام ، وهي كما ترى .
وأولها :

٥ . للأصميد الجواد (٢) ، الواري الزناد (٣) ، الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل ،
الأشم الباذل ، اللباب الحلال (٤) ، من المستكين المستجير ، البائس
الضرير . فإني أحمد الله ذا العزة القدير ، إليك وإلى الصغير والكبير ، بالرحمة
العامة ، والبركة التامة .

أما بعد فاغنم واسلم ، واعلم إن كنت تعلم ، أنه من يرحم يرحم ، ومن
١٠ . يحرم يحرم (٥) ، ومن يحسن يعتم ، ومن يصنع المعروف لا يعدم . وقد سبق إلى
تعصّبك على ، واطراحك لي ، وغفلتلك عني بما لا أقوم له (٦) ولا أقعد ، ولا أنتبه
ولا أرقد . فلست بذى حياة صحيح (٧) ، ولا بميت مستريح . فررت بعد الله
٢١١ منك إليك ، وتحملت بك عليك . ولذلك قلت :

أسرعت بي حثا إليك خطائي فأناحت بمذنب ذى رجاء (٨)

١٥ (١) سبقت ترجمته في (١ : ٤٠٥) . (٢) الأصميد : الذى يرفع رأسه كبيرا .
(٣) يقال : هو وارى الزناد ووريه ، يكون ذلك فى الكرم وغيره من الخصال المحمودة . وورى
الزند : خرجت نارة .

(٤) اللباب : الخالص المحض . والحلال : السيد الضخم المروءة .

(٥) ما عدل : « من يجرم يجرم » ، تحريف .

٢٠ (٦) ل : « به » .

(٧) ما عدل : « يحيى صحيح » .

(٨) الخطاء ، بالكسر : جمع خطوة بالفتح ، كما قالوا : زكوة وركاء . ما عدل ، « بمذهب »

بدل . « بمذنب » .

راغبٍ راهبٍ إليك يُرجى مِنْكَ عفواً عنه وَفَضَلَ عطاءِ
وَلَعَمْرِي ما مِنْ أَصْرٍ وَمِنْ تا بَ مُقَرَّراً بِذَنْبِهِ بِسِوَاءِ (١)

فإن رأيتَ - أراك الله ما تُحِبُّ ، وأبقاك في خَيْرٍ - ألا تَرَهْدَ فيما ترى من
تَضَرُّعِي وَتَخَشُّعِي ، وتذلُّلِي وتَضَعُّفِي ، فإنَّ ذَلِكْ لَيْسَ مِنِّي بِنَحِيزَةٍ
ولا طَبِيعَةٍ (٢) ، ولا على وَجِهٍ تَصَيِّدٍ وَتَصْنُوعٍ وَتَخَدُّعٍ (٣) ، ولكنه تَذَلُّلٌ وَتَخَشُّعٌ
وَتَضَرُّعٌ ، من غير ضارِعٍ ولا مَهِينٍ ولا خاشِعٍ (٤) لمن لا يستحق ذلك ، إلا لمن
التَضَرُّعُ لَهُ عِزٌّ وَرَفَعَةٌ وَشَرَفٌ . وَالسَّلَامُ (٥)

* * *

محمدُ بْنُ حَرْبِ الهَلالِيِّ قال : دخل زُفَرُ بْنُ الحارثِ (٦) على عبدِ الملكِ ،
بعد الصَّلحِ فقال : ما بَقِيَ من حُبِّكَ لِالصَّحَّاحِ (٧) ؟ فقال : ما لا يَنْفَعُنِي
ولا يَضُرُّكَ . قال : شَدُّ ما أَحَبَبْتُمُوهُ مَعاشِرِ قَيْسِ ! قال : أَحَبَبْتَاهُ ولم تُؤاسِبِهِ ، ولو
كُنَّا آسِنَاهُ لَقَدْ كُنَّا أَدْرِكُنَا ما فَاتَنَا مِنْهُ . قال : فما مَنَعَكَ من مِواساتِهِ

(١) ل : « ومن بات مفره » .

(٢) النحيزة : الطبيعة ، وجمعها نخائر ، ومثله النحينة والنحائت .

(٣) ما عدل : « ولا على وجه تصنع ولا تخدع » .

(٤) في القاموس (خدع) : « وكتاب : المنع ، والحيلة . والتخدع : تكلفه » .

(٥) هذه الكلمة من ل فقط .

(٦) هو زفر بن الحارث الكلابي ، أحد بني عمرو بن كلاب . الكامل ٥٣٣ ليسك والاشقاق

١٨٠ . وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان ، وظل يقاتله تسع سنين ، ثم رجع إلى الطاعة .

٢٠ الجهشيارى ٣٥ ، وكان سيد قيس في زمانه ، ويكنى أبا الهذيل . وكان على قيس يوم مرج راهط . وهو

القاتل :

وقد بنيت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

المؤتلف ١٢٩ . وكان من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . شرح

شواهد المغنى للسيوطي ٣١٥ .

(٧) الضحاك بن خالد الفهرى . المترجم في (١ : ٣٨٠) .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

يوم المَرَج (١) . قال : الذي مَنَعُ أَبَاكَ مِنْ مُوَاسَاةِ عَثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ .

* * *

قال الشاعر :

لَكَلِّ كَرِيمٍ مِنَ الْأَيْمِ قَوْمِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَاسِبُونَ وَكُشُحٌ (٢)

قال : وقال سليمان بن سعيد (٣) لو صَحَّجَنِي رَجُلٌ فَقَالَ اشْتَرَطَ عَلَيَّ
حَصَلَةً وَاحِدَةً لَا تَزِيدُ عَلَيْهَا لُقْلُتُ : لَا تُكْذِبْنِي (٤) .

قال : كان يُقَالُ : أَرْبَعُ خِصَالٍ يَسُودُ بِهَا الْمَرْءُ : الْعِلْمُ ، وَالْأَدَبُ ، وَالْعِفَّةُ
وَالْأَمَانَةُ .

وقال الشاعر :

١٠ لَئِنْ طَبَبْتُ نَفْسًا عَنْ ثَنَائِي فَأَيْتَنِي
لَأَطِيبُ نَفْسًا عَنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي (٥)
فَلَسْتُ إِلَى جِدْوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً
عَلَى شِدَّةِ الْإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي

وقال الآخر :

١٥ أَلَنْ سُمَّتَنِي ذُلًّا فَعِفْتُ حَيَاضَهُ سَخِطَتْ ، وَمَنْ يَأْبَ الْمَذَلَّةَ يُعَدِّرِ
فَهَأَنَّا مُسْتَرْضِيكَ لَا مِنْ جَنَائِهِ جَنِيْتُ وَلَكِنْ مِنْ تَجْنِيكَ فَاغْفِرِ

(١) هي وقعة مرج راهط . ومرج راهط من نواحي دمشق . وكان هذا اليوم لمروان بن الحكم
ابن أبي العاص ، على الضحاك بن قيس الفهري عامل يزيد بن معاوية ، وزفر بن الحارث . الأغاني (١٧) :
١١١ - ١١٤) والميداني (٢ : ٣٦٧) .

(٢) الكشع : جمع كاشع ، وهو العدو الذي يضر عداوته ويطوى عليها كشحه ، وهو الخصر .

(٣) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٢٦) .

(٤) ما عدل : « ولا تزد عليها قلت لا تكفيني » .

(٥) البيتان في عيون الأخبار (٣ : ١٦٦) .

وقال إِيَّاسُ بن قَتَادَةَ (١) :

وَأَنَّ من السَّادَاتِ من لو أَطَعْتَهُ دَعَاكَ إلى نَارِ يَفُورٍ سَعِيرُهَا

وقال الآخر (٢) :

عَزَمْتُ على إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لِأَمْرِ مَا يُسَوِّدُ من يَسُودُ

وقال الهَدَلِيُّ (٣)

وإنَّ سِيَادَةَ الأَقْوَامِ فاعلِمَ لها صَعْدَاءُ مَطْلَبُهَا طَوِيلُ

وقال حَارِثَةُ بن بَدْر (٤) :

إذا الهُمُّ أَمْسَى وهو دَاءٌ فأمُضِيهِ ولسْتَ بممضِيهِ وَأنت تُعَادِلُهُ (٥)

ولا تُنْزِلَنَّ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بامرئٍ إذا رَامَ أَمْرًا عَوَّقْتَهُ عَوَازِلُهُ

وقُلْ للْفَوَادِ إن نَزَا بك نَزْوَةٌ

من الرُّوعِ أفرخَ ، أكثر الرُّوعِ باطلُهُ

(١) يقوله في الأحنف بن قيس ، كما في الحيوان (٣ : ٨٠) . وهذا هو إياس بن قتادة الجاشمي ، وكان الأحنف بن قيس قد دفعه إلى الأزدي رهينة بعد حرب مسعود حتى تؤدي الديات . وفخر بذلك الفرزدق فقال :

ومنا الذي أعطى يديه رهينة لغارزى معد يوم ضرب الجماجم
عشية سال المربدان كلاهما عجاجة موت بالسيوف الصوارم

الكامل ٨٢ ليسك والإصابة ٣٨٣ .

(٢) هو أنس بن مدركة الخثعمي ، كما في الحيوان (٣ : ٨١) والخزاعة (١ : ٤٨٦) وقد سبق في (٢ : ٣٥٢) ، وهو من شواهد سيبويه (١ : ١١٦) ، يشهد لجواز جر الظروف غير المتمكنة في لغة خثعم . وقيل إن « ذو » فيه زائدة .

(٣) هو حبيب بن عبد الله الهدلي ، المعروف بالأعلم . انظر ماسبق في حواشي (١ : ٢٧٥ / ٢ :

٣٥٢) .

(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ١٨٧) .

(٥) الأبيات في الحيوان (٣ : ٧٧) وأمالى المرتضى (٢ : ٤٧) ، والأول منها في اللسان (١٣ : ٤٦٢) والثالث سبق في (٢ : ١٨٧) . تعادله ، من قولهم : أنا في عدال من هذا الأمر ، أى في شك منه أمضى عليه أم أتركه . يقول : أجزم بطرد الهم ولا تتردد في ذلك .

وقال الآخر (١) :

وإنَّ بقومٍ سَوْدُوكَ لفاقةٌ إلى سيِّدٍ لو يظفرونَ سيِّدٍ (٢)

وقال الآخر :

وما سُدَّتْ فيهم أنَّ فضلكَ عمَّهم ولكنَّ هذا الحظُّ في الناسِ يُقسَمُ (٣)

وقال حارثةُ بن بدر :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غيرُ مُسَوِّدٍ ومنَّ الشَّقَاءِ تَفْرُدِي بالسَوْدِ (٤)

الفضل بن تميم قال : قال المغيرة : « مَنْ لَمْ يَغْضَبْ لَمْ يُعْرِفْ حَلْمَهُ » .

٢١٣

وقال الشاعر :

ما بِالُ ضَبْعُ ظَلٍّ يَطْلُبُ دَائِباً فريستهُ بينَ الأَسْوَدِ الضَّرَاعِمِ (٥)

وقال الآخر :

ذَكَرْتُ بِهَا عَهْداً على الهجرِ والقَلَى ولا بُدَّ للمشتاقِ أنَّ يَتَذَكَّرَا

وقال الآخر :

إذا ما شَفِيَتِ النفسُ أبلغتْ عُذْرَهَا ولا لومَ في أمرٍ إذا بلغَ العذْرُ

وقال الآخر :

١٥

(١) هو أبو نخيلة ، كما في الحيوان (٣ : ٨٠) .

(٢) الفاقة : الحاجة .

(٣) أى ما سدت لأن فضلك عمهم ، بل جاءت هذه السيادة رمية من غير رام .

(٤) البيت في الحيوان (٣ : ٨٠) وأمالى المرتضى (٢ : ٥٣) والأغانى (٢١ : ٣١) ومعجم

البلدان (٢ : ٢٥٤) . وروى أبو الفرج - ونحوه ما روى المرتضى - أن حارثة بن بدر الغداني اجتاز

٢٠

بمجلس من مجالس قومه بنى تميم ، ومعه كعب مولاة ، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا : مرحباً

بسيدنا ، فلما ولى قال له كعب : ما سمعت كلاماً قط أقر لعيني ولا ألد بسمعى من هذا الكلام الذى

سمعته اليوم ! فقال له حارثة : لكنى لم أسمع كلاماً قط أكره لنفسى وأبغض إلى مما سمعته ! قال : ولم ؟

قال : ويحك يا كعب ، إنما سودنى قومي حين ذهب خيارهم وأمائهم ، فاحفظ عنى هذا البيت :

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسود

٢٥

(٥) أشير في هامش هـ إلى أنه في نسخة « ما بال كلب » .

لَعَمْرُكَ مَا الشُّكْوَى بِأَمْرِ حَزَامَةٍ وَلَا بُدَّ مِنْ شُكْوَى إِذَا لَمْ يَكُن صَبِيرًا^(١)
وقال الآخر :

لو ثلاثٌ هنَّ عيشُ الدَّهْرِ الماءُ والتَّوْمُ وأُمُّ عمرو

* لَمَّا خَشِيتُ مِنْ مَضِيْقِ الْقَبْرِ *

وقال لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ :

شَتَانٌ هَذَا وَالْعِناقُ وَالتَّوْمُ وَالْمَشْرَبُ الْبَارِدُ وَالظَّلُّ الدَّوْمُ^(٢)

وقال والبة^(٣) :

ما الْعَيْشُ إِلَّا فِي الْمُدَا مِ فِي اللَّزَامِ وَفِي الْقُبُلِ

وَإِدَارَةُ الظُّبَى الْغَرِيْبِ سِرِّ تَسْوْمُهُ مَا لَا يَحِلُّ^(٤)

* * *

وقال شيخ من أهل المسجد : ما كنتُ أريدُ أن أجلسَ إلى قومٍ إلَّا وفيهم
من يُحَدِّثُ عَنِ الْحَسَنِ ، وَيُنشِدُ لِلْفَرَزْدَقِ .

وقال أبو مُجِيب^(٥) : لَا تَرَى امْرَأَةً مُصَيَّرَةَ الْعَيْنِ ، وَلَا امْرَأَةً عَلَيْهَا طاق
يَمْنَةٍ ، وَلَا شَرِيفاً يَهْتَأُ بَعِيراً .

وقال أبو بَرَّاحٍ : ذَهَبَ الْفَتِيانُ فَلَا تَرَى فَتَى مَفْرُوقَ الشَّعْرِ بِالذَّهْنِ ، مُعْلَقاً
نَعْلَهُ ، وَلَا دِيكَيْنِ فِي خِطَارٍ^(٦) ، وَلَا صَدِيقاً لَهُ صَدِيقٌ إِنْ قَمَرَ ضَنْعاً^(٧) ، وَإِنْ

(١) عجز هذا البيت في الحيوان (١ : ٢٠٢) . ونسب في حماسة البحرى ١٩٧ . لملك من حذيفة النخعي .

(٢) الظل الدَّوْمُ : الدائم . ما عدا ل : « في ظل الدوم » تحريف . صواب هذه : « في ظل الدوم » ، كما في إحدى روايتي اللسان . والرجز بقوله في يوم جيلة ، كما في اللسان (دوم) . وقبل البيتين :

يا قوم قد أحرقتموني باللوم ولم أقاتل عامراً قبل اليوم

(٣) والبة بن الحجاب سبقت ترجمته في ٤١ . ل : « وابلة » تحريف .

(٤) ما عدا ل : « وإرادة الظبي » .

(٥) أبو المجيب الربعي سبقت ترجمته في (١ : ٣٧٣) . وقد سبق الخبر في (٢ : ١٦٤) .

(٦) الخطار والمخاطرة : الرهان والمراهنة .

(٧) قمر : غلب في القمار . ضنعا : صاح .

عَوْقَبَ جَزِعَ ، وإن خلا بصَدِيقٍ فَمَتَى خَبِيهَ ^(١) ، وإن ضُرِبَ أَقْرَ ، وإن طال
حَبْسُهُ ضَجَرَ ، ولا ترى فَمَتَى يُحْسِنُ أن يَمِشَى في قَيْدِهِ ولا يُخاطِبُ أَمِيرَهُ .

وقال أبو الحسن : قال أبو عباية : ترى زُقَاقَ بَرِاقِشَ ، وبَسَاتينَ هَزَارِ
مَرْدَ ^(٢) ما كان يَسْلُكُهُ غُلامٌ إلا بخفِير ، وهُمُ اليَوْمَ يَحْتَرِقُونَهُ . قُلْتُ : هذا من
صَلَاحِ الفِتْيَانِ . قال : لا ولكن من فسادهم .

البَقَطْرِيُّ ، قال : قِيلَ لَطُفَيْلِ العرائس : كم اثنان في اثنين ؟ قال : أربَعَةٌ
أرغفة .

٢١٤

وقال رَجُلٌ لِرَجُلٍ : انتظرتك على الباب بقدر ما يأكل إنسان جَرَدَفتين ^(٣) .

عبدُ الله بن مُصعب قال : أرسلَ علي بن أبي طالب رحمه الله عبد الله بن
عباس ، لما قَدِمَ البَصْرَةَ فقال له ^(٤) :

« ايتِ الزبيرَ ولا تأتِ طلحةَ ، فإنَّ الزبيرَ أَلينَ ، وإِنَّكَ تجدُ طلحةَ كالثورِ
عاقصاً قَرَنَهُ ^(٥) ، يَرَكِبُ الصَّعُوبَةَ ويقول : هي أسهل ؛ فاقْرَهُ السلامَ ^(٦) ،

(١) خبيه : خدعه وأفسده . وفي الحديث : « من خيب امرأة أو مملوكا على مسلم فليس منا » .
اللسان (١ : ٣٣١) ، ما عدل : « خنته » . وفي هامش هـ : « خبيه وخبيته » .

(٢) هزارمرد ، أصل معناه في الفارسية ألف رجل . هزار : ألف . ل : « هزارمرد » التيمورية
« هزارمرد » صوابها في ب ، ج .

(٣) الجردقة : الرغيف ، فارسية معربة من « جردة » ، ومعناه في الفارسية الرغيف المستدير
الغليظ . اللسان والمغرب ١١٥ واستينجاس ١٠٨١ .

(٤) كلام عليّ هذا في نهج البلاغة . انظر شرح ابن أبي الحديد (١ : ١٦٩ - ١٧٢) وكان قد
أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيته إلى طاعته .

(٥) عقص قرنه : عطفه . والمراد بالقرن هاهنا الضفيرة ، يقال للرجل قرنان : أي ضفيرتان ،
ويصح أن يريد صفة الثور .

(٦) ما عدل : « فاقْرَأ عليه السلام » . يقال قرأ عليه السلام وأقرأه السلام ، أي بَلَّغَهُ ، وكأن
معناه في الأخير أنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده .

وقل له : « يقول لك ابنُ خالك : عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق ، فما عداً مما بدأ لك (١) ؟ » .

قال : فأتيت الزبيرَ فقال : مرحباً يا ابنَ لبابة (٢) أزانراً جئت أم سفيراً ؟ قلت : كلُّ ذلك . وأبلغته ما قال عليّ ، فقال الزبير : أبلغه السلامَ وقُل له : « بيننا وبينك عهدٌ خليفَةٍ ودَمٌ خليفَةٍ (٣) ، واجتماعُ ثلاثةٍ وانفراد واحد (٤) ، وأمُّ مبرورة (٥) ، ومشاورةُ العشيرة ، ونشرُ المصاحف ، فنجلُّ ما أحلَّت ، ونُحرِّم ما حرَّمت » . فلما كان من الغدِ حَرَّشَ بين الناسِ غوغاؤهم ، فقال الزبير : ما كنت أرى أن مثل ما جئنا له يكونُ فيه قتال !

* * *

قال : ومن جيِّدِ الشعر قولُ جرير :

(١) الذى فى نهج البلاغة : « فما عدا مما بدأ » بإسقاط « لك » . عدا ، أراد عداك أى صرفك . ومعناه ما صرفك عما كان بدأ منك وظهر ، أى ما الذى صدك عن طاعتي بعد إظهارك لها . قال الرضى جامع نهج البلاغة : « وهو عليه السلام أول من سمعت منه هذه الكلمة » .

(٢) لبابة هذه ، هى لبابة بنت الحارث الملالية ، أخت ميمونة بنت الحارث زوج الرسول صلوات الله عليه . وكنيتها أم الفضل ، وهى المعروفة بلبابة الكبرى . ولها أخت سمية لها تدعى لبابة الصغرى وتلقب بالعصيباء ، وهى أم خالد بن الوليد ، وفى إسلام هذه الأخيرة وصحتها نظر . ولبابة الكبرى أول امرأة آمنت بعد خديجة ، وماتت فى خلافة عثمان قبل زوجها العباس . الإصابة ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ١٤٤٠ من قسم النساء والمعارف ٤٣ .

(٣) أما عهد الخليفة فالذى عاهد عليه عمر أهل الشورى أن يقرؤا من يقع عليه الاختيار . وأهل الشورى ستة نفر : على ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص . والدم : دم عثمان الذى اختاره أهل الشورى .

(٤) الثلاثة هم الزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، أجمعوا على الاختيار الرابع ، وهو عثمان . وأما الخامس على بن أبى طالب فقد انفرد بالخلاف ، ثم بايع وهو يقول : « خدعة وأى خدعة ! » وأما السادس طلحة فكان غائباً ، كفل برأيه سعد بن أبى وقاص . انظر قصة الشورى فى الطبرى (٥ : ٣٣ - ٤٢) ، وكذا كتب التاريخ فى سنة ٢٣ .

(٥) يعنى أم المؤمنين عائشة التى خرجت فى طلب دم عثمان يوم الجمل .

لئن عَمِرَتْ تَيْمٌ زَمَانًا بِغِرَّةٍ لَقَدْ حُدِثَتْ تَيْمٌ حُدَاءً عَصَبِيًّا (١)
 فلا يَضْعَمَنَّ اللَّيْثُ تَيْمًا بِغِرَّةٍ وَتَيْمٌ يَشْمُونُ الْفَرِيْسَ الْمُنْيِيَا (٢)
 وقال أعرابيٌّ : « كَحَلْنِي بِالْمِيلِ الَّذِي تُكْحَلُ بِهِ الْعَيُونُ الدَّاءَةَ (٣) » .
 وقال ابنُ أَحْمَرَ :

بَهْجِيلٍ مِنْ قَسَا ذَفْرِ الْحُرَامِي تَهَادَى الْجَرِيَاءُ بِهِ الْحَنِينَا (٤)
 بِهِ تَتَزَخَّرُ الْقَلْعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الْخَازِبَا بِهْ جُنُونَا (٥)
 تَكَادُ الشَّمْسُ تَخْشَعُ حِينَ تَبْدُو لَهْنٌ وَمَا نَزَلْنَ وَمَا عَسِينَا
 وقال الْحَكَمُ الْخُضْرِيُّ (٦) :
 كَوْمٌ تَظَاهَرَ نَيْهَاً وَتَرَبَّعَتْ بَقْلًا بَعِيْهَمُ وَالْحِمَى مَجْنُونَا (٧)

- ١٠ (١) البيتان في ديوان جرير ١٣ وأولهما في اللسان (عمر) . وعمر : عاش وبقى زماناً طويلاً . والغرة : الغفلة . وفي المثل : « الغرة تجلب الدرة » ، أي تجلب الرزق . ما عدال : « بعزة » وهي تخالف رواية الديوان واللسان . العصببب : الشديد ، يريد سيقت سوقاً شديداً وعنف بها .
- (٢) وكذا في الحيوان (٧ : ٦٣) . وفي الديوان : « عكلا بغرة » وعكلا : وهذه هي الرواية الصحيحة . يقول : قد فرست تيماً فإياكم يا عكلا أن تعرضوا لي فتكونوا مثلهم . والشاة والناقة إذا رأتا شاة مذبوحة أو ناقة منحورة فرعت منها فنفرت . فشمها إياها نظرها إليها . وقيل إن السبع إذا ضغم شاة ثم طرد عنها أبلت الغنم تشم موضع الضغم فيفترسها السبع وهي تشم .
- (٣) الميل ، بالكسر : المرود . والداءة : المريضة التي بها الداء .
- (٤) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وقسا ، بالفتح : موضع بالعالية ، ويقال بالكسر أيضاً ، كما في المقصور ٨٨ . ذفر : ذكى الرائحة . والحزامي : نبت طيب الرائحة . والجرياء : الريح الشمالية الباردة .
- ٢٠ والحنين : صوت الريح . الحيوان (٣ : ١٠٨) ، واللسان والكامل ٤٦٤ ليسك ومعجم البلدان (قسا) والمخصص (١١ : ٢٠٧) .
- (٥) تتزخر : يكثر ماؤها . ب والتميمورية : « بها يتزخر » ج : « بها يتذخر » والأخيرة محرفة . والقلع ، بالتحريك : قطع من السحاب كأنها الجبال ، الواحدة قلعة . والخازبا : ذباب يظهر في الربيع فيدل على تحصب السنة ، أو هو نبت . وجنونه : تكافئه .
- ٢٥ (٦) هو الحكم بن معمر الخضري ، المترجم في (٢ : ١٣٦) .
- (٧) كوم : جمع أكوم وكوماء ، وهي العالية السنام . والنى ، بكسر النون وفتحها : الشحم . وعيمه والحمي ، موضعان . والبيت في اللسان (جنن) بدون نسبة ، وبرواية : « تظَاهَرَتْهَا لِمَا رَعَتْ رَوْضًا بَعِيمًا » .

والمجنون : المصروع ، ومجنون بنى عامر ، ومجنون بنى جعدة (١) .

٢١٥

وإذا فخر النبات قيل قد جن (٢) . وقال الشنفرى :

فدقت وجلت واسبكرت وأنضرت فلو جن إنسان من الحُسن جنبت (٣)

قال : وسمع الحجاج امرأة من خلف حائط تُناغى طفلاً لها ، فقال : مجنونة أو أم صبي !

وقال أبو ثمامة بن عازب (٤) :

وكلهم قد ذاقنا فكأتما يرون علينا جلد أجرب هامل (٥)

وقال التغلبي (٦) :

يرى الناس منا جلد أسود سالخ وقروة صيرغام من الأسد ضيعم (٧)

١٠ (١) جعلهما الجاحظ شخصين ، والمعروف أن المجنون العامري ، هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فهو عامري ثم جعدى . انظر المؤلف ١٨٨ والأغاني (١ : ١٦١ ساسي) .
(٢) الفاخر : الذى يبلغ وجماد من النبات ، فكأنه فخر على ماحوله . وأنشد فى اللسان (فخر) شاهداً لذلك قول لبيد :

حتى تزينت الجواء بفاخر قصف كألوان الرجال عميم

١٥

(٣) البيت من قصيدة له فى المفضليات (١ : ١٠٦ - ١١٠) . وأنشد البيت فى الحيوان (٣ : ١٠٨ / ٦ : ٢٤٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦ . أى دق جسمها فى المواضع التى يستحسن فيها الدقة كالخصر ، وعظم فى الأجزاء الذى يرضى فيها العظم كالردف . اسبكرت : استقامت واعتدلت وحسن قواها . وأنضرت من قولهم : أنضرت النبات والشجر ، إذا نضرت واخضر ورقه . ل فقط : « أنظرت » تحريف . والرواية فى المراجع المتقدمة : « وأكملت » بدل : « وأنضرت » . قال ثعلب : « ويقال إن الحسان تبعمهم الشياطين » . وفى اللسان : « وفى حديث الحسن : لو أصاب ابن آدم فى كل شئ جن . أى أعجب بنفسه حتى يصير كالمجنون من شدة إعجابه . وقال القتيبي : وأحسب قول الشنفرى من هذا » .
(٤) هو شاعر ضبي ، كما سبق فى (٢ : ٢٧٦) .

٢٠

(٥) الهامل : المسيب الذى لا راعى له .

(٦) ما عدل : « الثعلبي » تحريف . وإنما هو جابر بن حنى بن حارثة بن عمرو بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ، شاعر جاهلي قديم ، كان صديقاً لامرئ القيس وكان معه لما لبس الحلة المسمومة التى بعثها إليه قيصر دون أنقرة يوم . وقصيدة البيت فى المفضليات (٢ : ٩ - ١٢) .
(٧) البيت آخر أبيات المفضلية . الأسود العظيم من الحيات ، وإنما يقال له السالخ لأنه =

٢٥

وَأَنشَدْنَا الْأَصْمَعِيُّ :

مُنْهَرَّتِ الشَّدَقِينَ عَوْدٌ قَدْ كَمَلُ (١) كَأَنَّمَا قُمَصُّ مِنْ لِيَطِ جُعَلُ (٢)

وقال نُصَيْبُ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِنَّ لِي بُنْيَةَ ذَرَرْتُ عَلَيْهَا مِنْ سَوَادِي .

وقال عبد الملك للوليد :

- ٥ لا تَعَزِلْ أَخَاكَ عَبْدَ اللَّهِ عَنْ مِصْرَ ، وَأَنْظُرْ عَمَّكَ مُحَمَّدَ بْنَ مِرْوَانَ فَأَقْرَهُ عَلَى
الْجَزِيرَةِ ، وَأَمَّا الْحِجَا حُجٌّ فَأَنْتَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهُ إِلَيْكَ ، وَأَنْظُرْ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
فَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا .

فَضْرَبَ عَلِيًّا بِالسَّيَاطِ ، وَعَزَلَ أَخَاهُ وَعَمَّهُ .

وقال أبو نُحَيْلَةَ (٣) :

- ١٠ أَنَا ابْنُ سَعْدٍ وَتَوَسَّطْتُ الْعَجَمَ فَأَنَا فِيمَا شَيْئٌ مِنْ خَالٍ وَعَمِّ

وَأَنشُد :

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الْإِلَهَ بِحُكْمِهِمْ إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظِمِ

يَجْعَلُونَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

١٥ = يسلم جلدته في كل عام . الضرغام والضيغم من أسماء الأسد . يقول : إن الناس يهابونهم هيبتهم الأفعى
والأسد .

(١) يصف أسود سالخا ، كما في الحيوان (٣ : ٥٠٢) . منهرت الشدقين : واسعهما . والعود :
المسن ، وأصله الجمل المسن وفيه بقية .

(٢) قمص : ألبس قميصا . والليط ، بالكسر : قشر القصب اللازق به ، عنى به الجلد .

٢٠ والجعل : حشرة طائرة سوداء يضرب بسوادها المثل ، يصف سواد الحية .

(٣) أبو نخيلة اسمه يعمر ، وإنما سمي أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة وهو من بني حمان بن
كعب بن سعد ، ويظهر من قوله التالي أن أمه عجمية . وكان يهاجى العجاج . وما أخذ عليه قوله في
نعت امرأة :

برية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا

٢٥ ظن أن الفستق بقل . انظر الشعراء ٣٨١ ليسك والمؤتلف ١٩٣ ، والأغانى (١٨ : ١٣٩ - ١٥٢)
والخزائة (١ : ٧٨ - ٨٠) .

وَأُنشِد :

٢١٦

وَلَوْلَا حُلَّةٌ سَبَقَتْ إِلَيْهِ وَأُخْوٌ كَانَ مِنْ عَرَقِ الْمَدَامِ (١)
 دَلَفْتُ لَهُ بِأَبْيَضٍ مَشْرِفِي كَمَا يَدْنُو الْمَصَافِيحُ بِالسَّلَامِ (٢)
 وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ ضَبَّةَ (٣) :

لَا تُبْدِيَنَّ مَقَالَةَ مَأْثُورَةً لَا تَسْتَطِيعُ إِذَا مَضَتْ إِدْرَاكَهَا
 وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ :

يَأْيُهَا النَّاسُ رَوُّوا الْقَوْلَ وَاسْتَمِعُوا وَكُلُّ قَوْلٍ إِذَا مَا قِيلَ يُسْتَمَعُ (٤)

وقال الآخر :

مَا الْمُدْلُجُ الْغَادِي إِلَيْهِ بِسُحْرَةٍ إِلَّا كَأَخَرَ قَاعِدٍ لَمْ يَبْرَحْ

وقال العلاء بن منهال الغنوي (٥) في شريك بن عبد الله (٦) :

فَلَيْتَ أبا شَرِيكَ كَانَ حَيًّا فَيَقْصِرَ عَنْ مَقَالَتِهِ شَرِيكَ (٧)

(١) في هامش هـ : « الكسائي والفراء . يقال ما كنت أخوا ، ولقد أخوت أخوا » . والعرق من الخمر : الذي مزج قليلا ، كأنه جعل فيه عرق من الماء .

(٢) المشرفي : نسبة إلى المشارف ، من قرى اليمن . ما عدل : « للسلام » .

(٣) ضبة أمه ، غلبت على نسبه ؛ لأن أباه مات وخلفه صغيراً . واسمه يزيد بن مقسم الثقفي مولى ثقف . وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه ، متصلاً به لا يفارقه ، فلما ولي هشام الخلافة وتكر له صار إلى الطائف ، فلم يزل مقيماً بها حتى ولي الوليد الخلافة ، فوفد عليه فأنشده القصيدة التي أولها :

سليبي تلك في العير قفى أسألك أو سيرى

فأمر الوليد أن تعد أبيات القصيدة ويعطى لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت خمسين ، فأعطى خمسين ألفاً . فكان أول خليفة فعل ذلك . الأغاني (٦ : ١٤١ - ١٤٣) .

(٤) أراد : رووا في القول ، فحذف الجار . والتروية : النظر والتفكير . ما عدل ، هـ : « ردوا

القول » .

(٥) ل : « العنزي » وأثبت ما في سائر النسخ واللسان (١ : ٦٦) .

(٦) شريك بن عبد الله النخعي ، ترجم في (٢ : ٢٥٣) . وفي اللسان : « فيقصر حين يبصره » .

(٧) كتب فوقها في هـ : « خ : شريكا » .

وَيَتْرُكَ مِنْ تَدْرِيبِهِ عَلَيْنَا إِذَا قَلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَ (١)

وقال طارق بن أثال الطائي :

ما إن يزال ببغداد يزاحمنا على البراذين أشباه البراذين (٢)

أعطاهم الله أموالاً ومنزلةً من الملوك بلا عقيل ولا دين (٣)

ما شئت من بخلته سقواء ناجيةً ومن أثاثٍ وقول غير موزون (٤)

وقال منقذ بن دثار الهلالي (٥) :

لا تتركن - إن صنيعةً سلقت منك وإن كنت لست تنكرها

عند امرئ - أن تقول إن ذكرت يوماً من الدهر : لست أذكرها

فإن إحياءها إمانتها وإن متاً بها يكدرها

٢١١

١٠. وقال بعض الحكماء : « صاحب من ينسى معروفه عندك ، ويتذكر حقوقك عليه (٦) » .

وقال منقر بن فروة المنقرى :

(١) في الأصول : « أبوك » ولا يستقيم به الوزن ، وأثبت صوابه من اللسان ومما كتب فوق الكلمة في هـ : « خ : أبوكا » إشارة إلى نسخة . وروايته فيه : « ويترك من تدريره » . قال : « قال ابن سيده : إنما أراد من تدرئه ، فأبدل الهمزة إبدالا صحيحاً حتى جعلها كأن موضوعها الياء ، وكسر الراء المجاورة هذه الياء المبدلة » . والتدرو : الاندفاع .

(٢) تقدمت الأبيات في (١ : ٢٢٧) . وفيما عدال ، تقديم البيت الثالث على الثاني . والأبيات بدون نسبة في مجالس ثعلب ١٧٨ .

(٣) في مجالس ثعلب : « أقداراً ومنزلة » .

٢٠. (٤) في مجالس ثعلب : « ومن فعال وقول » . وأشار في هـ إلى رواية « ومن ثياب » .
(٥) هو منقذ بن عبد الرحمن بن دثار الهلالي ، قال المرزباني : بصرى خليع ماجن ، متهم في دينه يرمى بالزندقة ، كان في صدر الدولة العباسية . وأنشد له :

ما أرى الفضل والتكرم إلا كفك النفس عن طلاب الفضول

وبلاء حمل الأباذي وأن تس جمع متاً توثق به من منيل

٢٥. معجم الشعراء ٤٠٤ . وفيه : « زياد » بدل « دثار » . وقد ذكره أبو الفرج في الأغاني (١٦) :
(١٤٣) في نص منقول من الجاحظ ، وسماه : منقذ بن عبد الرحمن الهلالي ، وجعله من أصحاب والبة وبشار ، ومطيع بن إياس ، وأبان اللاحقي .

(٦) سبق الخبر في (٢ : ٨٣) منسوباً إلى رجل من بني تميم .

وإن خفت من أمرٍ فواتاً قَوْلُهُ سيواك وعن دارِ الأذى فتحوّل
وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسه ففي صالح الأخلاقِ نفسك فاجعل^(١)

ونظر أبو الحارث جُمَيْن^(٢) إلى بردونٍ يُستقى عليه الماء ، فقال :

* وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسه *

لو هملج هذا البردُونُ لم يُجعل للراوية !

وأنشد :

لا خيرَ في كلِّ فتى نُؤوم لا يعتربه طارقُ الهُموم

وأنشد :

اجعل أبا حسنٍ كمن لم تُعرف واهجره مُعتزماً وإن لم يُخلف^(٣)
آخ الكرامِ المُنصفينَ وصلهمُ واقطع مودةَ كلِّ من لم يُنصف

وقال عُمارةُ بن عَقيل بن بلال بن جرير^(٤) :

ما زال عِصياننا لله يُسلمنا^(٥) حتّى دُفِعنا إلى يحيى ودينار^(٦)

(١) سبق إنشاده في (٢ : ١٠٣) بدون نسبة . ما عدل : « صالح الأعمال » . وأشير إلى رواية « الأخلاق » في هـ .

(٢) مضت ترجمته في (٢ : ١٠٣) حيث سبق الخبر .

(٣) كذا في ب ، جـ . وفي ل ، هـ : « تخلف » . وفي التيمورية تقرأ بالياء مع الخاء المعجمة .

(٤) هو عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الحظفي ، كان من الشعراء الفصحاء ، قدم من البصرة فمدح المأمون ووجوه قواده ، واتصل بإسحاق بن إبراهيم المصعبى ، وله فيه مدح كثير . واجتمع الناس وكتبوا شعره ؛ وبقي إلى أيام الواثق ومدحه ، وعمى قبل موته . معجم المرزبانى ٢٤٧ والأغانى (٢٠ : ١٨٣ - ١٨٨) وتاريخ بغداد ٦٧٢٢ .

(٥) في الأغاني : « يردلنا » بدل : « يسلمنا » . وفي كتابات الثعالبي : « يوبقنا » .

(٦) البيتان نسباً في الأغاني (١٨ : ٤٦) وكتابات الثعالبي ١٨ إلى دَعْبِل بن علي الخزاعي .

ويحى ودينار أخوان ، وهما يحيى بن عبد الله ، ودينار بن عبد الله ، كان دَعْبِل مدحهما فلم يرض نوابهما ، فقال الشعر يهجوهما .

إلى عَلِيَّيْنِ^(١) لم تُقَطَّعْ ثَمَارُهُما^(٢) قد طال ما سجدنا للشمس والنار^(٣)
 وشائم أعرابِي أعرابِيًّا فقال : « إِنَّكُمْ لَتَعْتَصِرُونَ الْعِطَاءَ ، وَتَعْبِرُونَ النَّسَاءَ ،
 وَتَبْيَعُونَ الْمَاءَ » .

وقال أبو الأسود الدؤليُّ :

لنا جيرةٌ سُدُّوا المَجَازَةَ بيننا فإن ذَكَرْوكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أكيسُ
 ومِن خَيْرِ ما أَلصَقَتْ بالدارِ حائِطٌ تَزُلُّ به صُقْعُ الخِطاطِيفِ أَمْلَسُ
 وأنشد :

٢١٨

إذا لم يَكُنْ للمرءِ بُدٌّ من الرَّدَى فأكرِمُ أسبابِ الردى سَببِ الحُبِّ
 وقال الآخر :

وإذا شَبِثْتُ فَتَى شَبِثْتُ حَديثُهُ وإذا سَمِعْتُ غِناءَهُ لم أَطْرِبِ
 وأنشد المسروحِي ، لكاملِ بنِ عِكْرِمَةَ^(٤) :

لها كَلٌّ عامٍ موعِدٌ غيرِ مُنَجِّزٍ ووقَّتْ إذا ما رَأَسُ حَولِ تَجَرِّمًا^(٥)
 فإنَّ وَعَدَتْ شراً أتى دُونَ وقته وإن وَعَدَتْ خيراً أَرأتْ وَعَتَمًا^(٦)

- (١) في الأغاني : « وغدين علجين » . والعلج : الرجل من كفار العجم .
 (٢) لم تقطع ثمارها ، كناية عن أنهما لم يختنا ، كما هو عادة العلوج . وثمرة السوط : عقدة طرفه .
 قال النعماني : « ومما يكنى به عن القلفة قول دعبيل ... » وأنشد البيتين .
 (٣) سبق البيتان والكلام على قصتهما في (٢ : ٣٥٤ - ٣٥٥) .
 (٤) ذكره المرزباني في معجمة ٣٥٥ ، وأنشد له البيتين .
 (٥) ترجم : انقضى وانصرم . وفي المعجم : « أرى كل عام موعداً غير ناجز وخلفاً » .
 (٦) في هـ ، ومعجم المرزباني : « فإن أوعدت شراً أتى قبل وقته » . وأشير في هـ : إلى رواية
 « دون » . وفي اللسان : الأزهرى كلام العرب : وعدت الرجل خيراً ووعدته شراً ، وأوعدته خيراً
 وأوعدته شراً . فإذا لم يذكروا الخير قالوا : وعدته ، ولم يدخلوا ألفاً . وإذا لم يذكروا الشر قالوا أوعدته ،
 ولم يسقطوا الألف . وأنشد لعامر بن الطفيل :
 وإنى وإن أوعدته أو وعدته لأخلف إبعادى وأنجز موعدى
 أرات : أبطأ . وعم : أبطأ أيضاً . المرزباني : « وأعتما » ، يقال عم وأعم وعم ، بمعنى .

وقال الآخر :

ألم تر أن سير الخير ريث وأن الشر راكبه يطير^(١)

وقال محمد بن يسير :

تأتي المكاره حين تأتي جملة وترى السرور يجيء في الفلوات^(٢)

وقال الآخر :

إذا ما بريد الشام أقبل نحونا ببعض الدواهي المفضعات فأسرعاً^(٣)

فإن كان شراً سار يوماً وليلة وإن كان خيراً قصد السير أربعاً^(٤)

وقال آخر :

وتعجبنا الرؤيا فجعل حديثنا

إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا^(٥)

فإن حسنت لم تأت عجلي وأبطأت وإن قبحت لم تحميس وأتت عجلي

وقال آخر :

وإذا نهضت فما النهوض بدائم وإذا نكبت توالى التكبات^(٦)

قال : قيل لأعرابي : ما أعددت للشئاء ؟ قال : جلة ربوضاً^(٧) ، وصيصية

(١) سبق البيت في ص ٢٠٨ . (٢) مضى في ص ٢٠٩ .

(٣) في نسخة : « الدواهي الريد سار » عن حواشي هـ . والبيتان في رسائل الجاحظ (٢ :

٢٧٧) بتحقيقنا . (٤) قصد السير : فصله ، كما يقال قصد العظم : كسره وفصله ..

(٥) نسب إلى الفضل بن يحيى البرمكي في مروج الذهب (٣ : ٣٩٢) قاله حين قبض عليه هو

ويحيى بعد أن قتل جعفر . وقبله في عيون الأخبار (١ : ٨١) :

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى وفي يده كشف المصيبة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموق

إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا

(٦) موضع هذا البيت فيما عدل متقدم على البيتين السابقين .

(٧) الجملة ، بالضم : وعاء من الخوص ، يوضع فيه التمر ويكثر . والربوض : الضخمة العظيمة .

سَلُوكًا (١) ، وَشَمْلَةً مَكْرُودًا (٢) ، وَفَرْمُوصًا دَفِينًا (٣) ، وَنَاقَةً مُجَالِحَةً (٤) .

وقيل لآخر : ما أعددت للشتاء ؟ قال : شِدَّةُ الرُّعْدَةِ .

وقيل لآخر : كيف ليحكم ؟ قال : سَحَرَ كُلَّهُ .

وقيل لآخر : كيف البردُ عندكم ؟ قال : ذَاكَ إِلَى الرِّيحِ .

وقال مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ (٥) :

فَلَا وَأَنْى حَبِيبٍ مَا نَفَاهُ مِنْ أَرْضِ بَنِي رِبِيعَةَ مِنْ هَوَايَ (٦)

وَكَانَ هُوَ الْعَنَى إِلَى غِنَاهُ وَكَانَ مِنَ الْعَشِيرَةِ فِي مَكَانِ (٧)

تَكْتَفُهُ الرُّشَاءُ فَأَزْعَجُوهُ وَدَسُّ مِنْ فِضَالَةٍ غَيْرُ وَإِ (٨)

فَلَوْلَا أَنَّ أُمَّ أَبِيهِ أُمِّي وَأَنْ مَنْ قَدْ هَجَاهُ فَقَدْ هَجَانِي (٩)

وَأَنَّ أَبَى أَبَوْهُ لَذَاقَ مَنِّي مَرَارَةً مَبْرَدِي وَلَكَانَ شَانِي (٩)

إِذَا لِأَصَابِهِ مَنِّي هَجَاءً يُجِرُّ بِهِ الرُّوْيُ عَلَى لِسَانِي (١٠)

١٠

١٥

٢٠

٢٥

(١) الصببية : شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة . والسلوك : السهلة السلوك .

(٢) الشملة ، بالفتح : كساء دون القطيفة يشتمل به . والمكود : الدائمة . من قولهم ماء ماكد :

دائم لا تنقطع مادته .

(٣) القرموص ، كعصفور : حفرة يستدفئ فيها الصرد من البرد ، واسعة الجوف ضيقة الرأس .

(٤) المجالحة من النوق : التي تدر في الشتاء لا تبالي القحط . يقال ناقة مجالح ومجالحة .

(٥) في ديوانه ٢٤ برواية القالي : « قال أبو عمرو : وكان معن بن أوس رجلا كثير الإبل ، وكان

له ابن يقال له حبيب ، فأتاه ابن عم له يقال له [فضالة] بن عبد الله فقال له : يا حبيب ، هل لك أن

تخرج بنا إلى الشام وتأخذ إبلا من إبل أهلك ؟ فقال : نعم . فخرجنا إلى الشام ، فطعن حبيب فمات ،

ورجع ابن عمه فضالة . فقال معن في ذلك : «

(٦) في الديوان : « لعمر أي ربيعة » . فلعل كنية حبيب أبو ربيعة .

(٧) أي في مكان عظيم .

(٨) فضالة هو ابن عم حبيب ، كما ورد في القصة . وفي الأصل : « من قضاة » ، صوابه من

الديوان . وفي حواشي هـ : « رواية أبي علي : فضالة » .

(٩) في شرح الديوان : « مبردى يعنى لساني . لكان شاني ، أي لكان همي لا أفرط في أمره » .

(١٠) يمر : يصير مرا . والروى : حرف القافية ، عني به الشعر . ورواية الديوان : « يذل به

الروى » .

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدَهُ رَمَانِي (١)

وقال بعض اليهود :

وَلَوْ كُنْتُ أَرْضِي لَا أَبَالِكَ بِالذِّي بِهِ الْعَائِلُ الْجَنَامُ فِي الْحَفْضِ قَانِعٌ (٢)
إِذَا قَصُرَتْ عِنْدِي الْمَمُومُ وَأَصْبَحَتْ عَلَيَّ وَعِنْدِي لِلرِّجَالِ صَنَائِعُ (٣)

ذَكَرَ مَا قَالُوا فِي الْمَهَابَةِ (٤)

إِنَّ الْمَهَابَةَ الْكِرَامَ تَحْمَلُوا دَفَعَ الْمَكَارِهِ عَنِ ذَوِي الْمَكْرُوهِ (٥)

- (١) هذا هو الصواب في رواية البيت . واستد ، من السداد ، وهو القصد كما في حواشي هـ .
وفيما عدا التيمورية ، هـ : « فلما اشتد » تحريف . انظر اللسان (سد) حيث نبه على هذا الصواب .
وفي اللسان : « قال ابن دريد : هو لمالك بن فهم الأزدي ، وكان ابنه سليمة رماه بسهم فقتله فقال البيت .
قال ابن بري : ورأيت في شعر عقيل بن علفة يقوله في ابنه عملس حين رماه بسهم . وبعده :
١٠ فلا ظفرت يمينك حين ترمى وشلت منك حاملة البنان »
وانظر الاشتقاق ٢٩٢ ، ٣١٧ والأغانى (٥ : ٦/١٠ : ٦٩) .
- (٢) العائل : الفقير . والجنام : اللازم مكانه لا يبرح . الحفض : سعة العيش ، وهو هنا عيش من
بؤونه ويكفله .
- (٣) الصنائع : جمع صنعة ، وهى ما يسدى من معروف أو يد إلى إنسان .
- (٤) المهالبة : جمع مهلبى ، نسبة إلى المهلب بن أبى صفرة ، فالتاء فيه للدلالة على أن واحده
منسوب ، وذلك أنهم حين أرادوا أن يجمعوا المنسوب جمع تكسير اضطروا إلى حذف ياء النسب ، لأن
ياء النسب والجمع لا يجتمعان فأتى بالتاء بدلا من ياء النسب . الصبان (٤ : ٨٥) . وجدهم المهلب بن
أبى صفرة ، واسم أبى صفرة ظالم بن سراق بن كندى بن عمرو بن عدى الأزدي العتكى . ولد المهلب في حياة
الرسول عام الفتح ، وكان من أشجع الناس ، وهو الذى حمى البصرة من الخوارج ، وله معهم وقائع
مشهورة استقصى أكثرها المراد في الكامل ، ولذا قيل « بصره المهلب » . وولى خراسان من قبل الحجاج
بن يوسف ، فقد كان الحجاج أمير العراقين وخراسان وسجستان ، فولى المهلب خراسان وعبد الله بن أبى
بكرة سجستان . قال ابن قتيبة : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . فمنهم
يزيد بن المهلب ، وقبيصة بن المهلب ، والمغيرة بن المهلب ، ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وروح بن
يزيد بن أبى حاتم ، ومنهم الوزير المهلبى ، وهو الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد
بن حاتم بن قبيصة ، المتوفى سنة ٣٥٢ . وكان بنو المهلب في دولة بنى أمية كما كان البرامكة في دولة بنى
العباس ، مضرب المثل في الكرم . توفى المهلب سنة ٨٣ . ابن خلكان والإصابة ٨٦٢٧ والمعارف ١٧٥ .
٢٥ (٥) كذا ورد البيتان بدون أن يسبقا بعبارة للإشاد . وهما للفردق في ديوانه ٨٨٥ وعيون
الأخبار (١ : ٣٤٣) .
- ٣٠

زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحَسْنِ حَدِيثِهِمْ وَكَرِيمَ أَحْلَاقِي بِحَسْنِ وُجُوهِ

وقال أبو الجهم العدوي^(١) في معاوية بن أبي سفيان :

نَنْلَبُهُ لِنَحْبِرَ حَالَتِيهِ فَنَخْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا
نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْنَا

وقال الآخر^(٢) في هذا الشكل :

إِنَّ أُجْزِرَ عُلْقَمَةَ بَنَ سَيْفِ سَعِيَّةٍ لَا أُجْزِرَهُ بِيَلَاءِ يَوْمٍ وَاحِدٍ^(٣)
لَأُحِبَّنِي حُبَّ الصَّبِيِّ وَرَمْنِي رَمَّ الْهَدْيِيِّ إِلَى الْعَنْتَى الْوَاجِدِ^(٤)
وَلَقَدْ شَفَيْتُ غَلِيْلَتِي فَنَقَعْتُهَا مِنْ آلِ مَسْعُودٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ^(٥)

وقال بكير بن الأحنس :

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًّا فَقِيفْرًا بَعِيدَ الدَّارِ فِي سَنَةِ مَحَلٍ^(٦)
فَمَا زَالَ بِي الْطَافِهِمْ وَاقْتَادُهُمْ وَإِكْرَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي^(٧)

(١) هو أبو الجهم بن حذيفة العدوي ، المترجم في (٢ : ٣٢٢) .

(٢) هو رجل من بهراء ، اسمه فدكي بن أعبد ، كان مجاوراً لعقمة بن سيف العناني ، وكان له إبل فسرفت ، فلما علم عقمة بذلك سعى في استردادها من خاربها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بعير وساقها إلى فدكي عوضاً ، فقال هذا الشعر بمدحه . الحماسة (٢ : ٢٦٧) وشرحها للترتيزي (٤ : ٧٠ - ٧١) واللسان (لم) .

(٣) روى المرزباني في معجمه ٤٧٥ هذا البيت وتاليه منسويين إلى المرنان الطائي . والأبيات بدون نسبة في الحيوان (٣ : ٤٦٨) .

(٤) رمني ، بالراء ، أي أصلح حالي . والهدى : العروس تزف وتهدى إلى زوجها . والواجد :

الغنى . ورواية اللسان : « ولنتى لم الهدى » . وبعده في المعجم :

وَأَبْنِي يَوْمَ الصَّرَاخِ بِهَجْمَةٍ مَائَةٌ تَشْتِ عَلَى عَصِيِّ الذَّائِدِ

(٥) ويروي : « من آل عتاب » ، كما في حواشي هـ .

(٦) البيتان بدون نسبة في الحماسة (١ : ١٠٩) ، ونقلهما ابن خلكان في ترجمة المهلب بن أبي

صفرة رواية عن الحماسة . وهما كذلك بدون نسبة في عيون الأخبار (١ : ٣٤١) . وفي الحماسة :

« غريباً عن الأوطان في زمن محل » . وابن خلكان : « بعيداً عن الأوطان في الزمن المحل » ، وابن قتيبة :

« بعيداً قصي الدار في زمن محل » .

(٧) الإلطاف : الإنحاف . والافتقاد والفقْد : طلب الشيء عند غيبته ، عنى كثرة سؤالهم عنه

واهتمامهم بأمره . وفي الحماسة : « فما زال بي إكرامهم واقتادهم والطاقهم » . والاقتضاء : الإكرام . وفي

الوفيات : « فما زال بي معروفهم واقتادهم وبرهم » .

وقال في كلمة له أخرى :

وقد كنت شيخاً ذا تجاربٍ جَمَّةٍ فأصبحت فيهم كالصبيِّ المُدَلِّلِ
ورأى المُهَلَّبَ وهو غلامٌ فقال :

خُذُونِي بِهِ إِنْ لَمْ يَسُدَّ سَرَوَاتِهِمْ وَيَبْرَعْ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مِثْلُ
وقال الحزِينُ (١) ، في طلحة بن عبيد الله (٢) بن عبد الرحمن بن أبي بكرٍ
الصديق رضي الله عنه - وأمه عائشة (٣) بنتُ طلحة بن عبيد الله (٤) ، من ولد
أبي بكرٍ الصديق رحمه الله :

(١) الحزِين لقب غلب عليه ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك . شاعر من شعراء الدولة
الإسلامية ، حجازي . وكان هجاءً متكسباً بالشعر ، بروون أنه كان يضرب على كل رجل من قريش
درهمين درهمين في كل شهر . وقد وفد إلى مصر ومدح عبد الله بن عبد الملك ، واليها ، بأبيات منها :
لما وقفت عليه في الجموع ضحي وقد تعرضت الحجاب والخدم
حيثه بسلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدهم
في كفه خيزران ريحه عبق في كف أروع في عرينه شم
الأغاني (١٤ : ٧٤ - ٨٢) والمؤتلف ٨٨ .

(٢) الكلام بعده إلى « بن عبد الله » من ل ، ه فقط . وطلحة هذا ، ممن له صحبة ، وأرسل عن
جده الصديق . تهذيب التهذيب .

(٣) كانت عائشة زوجة لعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجها مصعب بن الزبير
فأعطاهما ألف ألف درهم ، فقال أنس بن زعيم الديلمي لأخيه عبد الله :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجيوش جياعا
لو لأني خفص أقول مقاتلي وأقص شأن حديثهم لارتاعا

يعنى أبا حفص عمر بن الخطاب . فلما قتل مصعب تزوجها عُمَرُ بن عبيد الله بن معمر التيمي
المعارف ١٠٢ - ١٠٣ .

(٤) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . ويقال طلحة
الخير ، وطلحة الفياض . ويقال له أيضاً طلحة الطلحات ، وهو لقب مشترك بينه وبين طلحة بن عبد الله
بن خلف الخزاعي الذي قيل فيه :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان ، طلحة الطلحات

كان طلحة من المهاجرين الأولين ، ومن العشرة المسمين للجنة ، وأحد أصحاب الشورى ولم
يحضر يوم التشاور . وقد وقى الرسول يوم أحد من ضربة قصد بها إليه . توفي سنة ٣٦ . الإصابة ٥٤٢٩
والمعارف ١٠٠ - ١٠١ .

فَإِنَّ تَكُّ يَا طَلْحُ أَعْطَيْتَنِي جُمَالِيَّةٌ تُسْتَخِفُّ السَّفَارَا (١)
فَمَا كَانَ تَفْعُوكَ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مِرَارًا
وَقَالَ أَبُو الطَّمْحَانِ (٢) :

سَأَمَدُحُ مَالِكًا فِي كُلِّ رَكْبٍ لَقَيْتَهُمْ ، وَأَتْرَكُ كُلَّ رَذَلٍ (٣)
فَمَا أَنَا وَالْبِكَارَةَ مِنْ مَحَاضٍ عِظَامٍ جِلَّةٍ سُدُسِي وَبُزُولٍ (٤)
وَقَدْ عَرَفْتِ كِلَابُكُمْ ثِيَابِي كَأَنِّي مِنْكُمْ وَنَسِيتُ أَهْلِي (٥)
نَمْتَكُمُ مِنْ بَنِي شَمْحِجِ زَنَاذٍ لَهَا مَا شِئْتِ مِنْ فِرْعٍ وَأَصْلٍ (٦)

وَقَالَ أَبُو الشَّعْبِ (٧) :

(١) الجمالية : الناقة تشبه الجمل في خلقها وشدتها وعظمتها . والسفار : حبل يشد طرفه على
خطام البعير فيدار عليه ويجعل بقيته زماما .
(٢) سبقت ترجمته في (١ : ١٨٧) .
(٣) مالك هذا ، هو مالك بن حمار الشمخي ، الذي قتله خفاف بن ندبة . انظر الحيوان (١ :
٣٨٠) وحواشيه . والرذل : الدون الخسيس .

(٤) البكاراة ، بكسر الباء : جمع بكر بالفتح ، وهو من الإبل بمنزلة الفتى من الناس . والرفع في
مثل هذا الأسلوب هو الأفضح . ويجوز فيه النصب مفعولا معه ، ومنعه بعض المتأخرين كابن الحاجب .
همع الهوامع (١ : ٢٢١) . والمحاض : الخوامل من الإبل ، واحدها خلفه على غير قياس ، كما قالوا
لواحدة النساء امرأة . والجللة : المسان من الإبل . والسدس : جمع سدس ، وهو الذي يلقي السن بعد
الرباعية ، وذلك في السنة الثامنة . والبزل ، وأصله بضم الزاي ، جمع بزول ، ومثله البزل كركع جمع
بازل ، وهو البعير حين يطعن في التاسعة . يقول : ليست تعينني تلك الصغار إذا ظهرت بين الكبار .

(٥) ما عدل ، هـ : « كلابهم » على الالتفات .
(٦) بنو شمخ : قبيل مالك بن حمار الذي مدحه أبو الطمحنان ، وهم بنو شمخ بن فزارة بن ذبيان
بن بغيض بن غطفان . الاشتقاق ١٧١ . قال ابن دريد « ومنهم مالك بن حمار الشمخي ، قتله خفاف بن
ندبة السلمى » . انظر خير مصرعه في الأغاني (١٣ : ١٣٤) . نماه : رفعه في النسب . والزناد : جمع
زند ، وهو العود الأعلى الذي يقتدح به النار . والزند ووريه مثل في الكرم وغيره من الحصال المحمودة .
يقال : هو وارى الزند ، أى كريم ذو خصال حميدة .

(٧) أبو الشعب العبسي : أحد شعراء الدولة الأموية . وأنشد له أبو تمام في الحماسة (١ :
٣٨٣) أبياتاً في خالد بن عبد الله القسري . وأخرى في (١ : ٤٣٠) يرثى ابنه =

ألا إن خيرَ الناسِ قد تعلمونه أسيرُ ثقيفٍ مُوثقاً في السلاسل (١)
 لعمري لئن أعمرتم السَّجَنَ خالداً وأوطأتموه وطأةَ المشاغلِ
 لقد كان تهاضاً بكلِّ مُلَمَّةٍ
 ومُعطى اللّهُي غمراً كثير النوافلِ (٢)
 فإنَّ تسجُنوا القسرى لا تسجُنوا اسمه

ولا تسجونا معروفه في القبائل

ومن هذا الباب قولُ أعشى همدان (٣) ، في خالد بن عتاب بن ورقاء (٤) :

رأيت ثناء النَّاسِ بالغيِّبِ طيباً عليك وقالوا: ماجدٌ وابنُ ماجدٍ (٥)

= شفا، وأنشدها القتالي أيضاً في أماليه (٢ : ٨٨) ، والمبرد في الكامل ١٢٧ ليسك . وثالثة في (١) :

١٠ (٤٣٦) يرثي بها بنيه ، وقد رواها ثعلب في أماليه ٢٤٢ .

(١) أسير ثقيف هذا ، هو خالد بن عبد الله القسرى ، وكان من خيره أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما ولي الخلافة - وأمه أم الحجاج ابنة محمد بن يوسف الثقفى ، كما في التنبية والإشراف - دفع بخالد إلى يوسف بن عمر الثقفى عامله على العراق ، فحملة إلى الكوفة وعذبه حتى قتله ، وذلك سنة ١٢٦ ، انظر تاريخ الطبرى . ويفهم من صنيع أى تمام في الحماسة أن الشعر في رثاء خالد ، فقد ساقه في باب المراثى ، وليس كذلك ، وإنما قالها الشاعر تمجيذاً له وتنويهاً به . وفي الحماسة : « خير الناس حيا وهالكا » . وفي الطبرى (٩ : ١٩) : « بحر الجود أصبح ساجيا » .

(٢) اللّهُي : جمع لهوة ، بالضم ، وهى العطية . والغمر ، بالفتح ، الواسع العطاء . وفي الحماسة : « ويمعطي اللّهُي في كل حق وباطل » .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، ويكنى أبا المصبح : شاعر كوفي من شعراء الدولة الأموية ، وكان زوج أخت الشعبي الفقيه ، والشعبي زوج أخته . وكان هذا الأعشى أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر . وخرج مع ابن الأشعث فأقى به الحجاج أسيراً فقتله صبراً . الأغاني (٥) : ١٣٨ - ١٥٣) والمؤتلف ١٤ .

(٤) خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى ، كان من عمال الحجاج على الرى ، ثم غضب عليه وطلبه فهرب إلى الشام واستجار بزفر بن الحارث الكلانى ، فراجع عبد الملك في أمره فأجاره . وكان لخالد أثر عظيم في قتال الخوارج ، وهو الذى قتل غزاة امرأة شبيب بن يزيد الخارجى الشيباني ، وكان شبيب من قبل قد قتل أباه عتاب بن ورقاء . انظر الحيوان (٥ : ٥٩٠) والطبرى (٧ : ٢٥٢ - ٢٥٤) والأغاني (١٦ : ٤١ - ٤٢) .

(٥) كان أعشى همدان قد أملق ، فأقى خالد بن عتاب فأنشده الأبيات التالية ، فأمر له بخمسة آلاف درهم . الأغاني (٥ : ١٥٠) .

بني الحارث الساميين للمجد إنكم بنيتم بناءً ذكره غير بائد
 هنيئاً لِمَا أعطاكم الله واعلموا بأبني ساطري خالداً في القصائد
 فإن يك عتاب مَضَى لسبيله فإمامات من يبقى له مثل خالد^(١)
 ومن شكل هذا الشعر قول الحسين بن مطير الأسدي^(٢) :

أَلِمَّا على معن وقولا لقبره
 سقتك الغوادي مُربعاً ثم مُربعاً^(٣)
 فإيا قبر معن كُنْتُ أَوَّلَ حُفْرَةٍ
 من الأرض حُطَّت للسماج وموضِعاً^(٤)
 ويا قبر معن كيف وارت جوده وقد كان منه البر والبحر مُترعاً
 بلى قد وسعت الجود والجود مِيَّتْ
 ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا^(٥)

١٠

(١) قتل عتاب سنة ٢٤٢، قتله شبيب . الطبري (٧ : ٢٤٢) .

(٢) ل : « الحسن بن مطير » . وهو الحسين بن مطير بن مكمّل - وفي الحماسة : بن مطير بن الأشيم - مولى لبني أسد بن خزيمه ، وهو شاعر من مخضرمي الدولتين ، ممن مدح بني أمية وبني العباس ، وكان يذهب مذهب الأعراب وأهل البادية في زيه وفي كلامه . الأغاني (١٤ : ١١٠ - ١١٤) والخزانة (٢ : ٤٨٥) .

١٥

(٣) معن هذا ، هو ابن زائدة الشيباني ، المترجم في (٢ : ١١٣) . والمرثية في الحماسة (١ : ٣٨٧) والأغاني (١٤ : ١١٣) والخزانة (٢ : ٤٨٧) وابن خلكان (٢ : ١١٢) . ويقال أم به وعليه ، أى نزل عليه ولم يقم . وفي الأغاني والخزانة . « أَلِمَّا بمعن » . والغوادي : السحب التي تغفو . والمربع يضم الميم وكسر الباء : الغيث العظيم ينبت بعده الربيع . وفي حديث الاستسقاء : « اللهم اسقنا غيثاً مُربعاً مُرتباً » . والمرتع : الذى ينبت ما ترتع فيه الماشية .

٢٠

(٤) السماج والسماحة : الجود . في الأغاني والخزانة : « أيا قبر معن » . الأغاني والحماسة وما عدل : « للسماحة . موضعا » . وفي الخزانة وابن خلكان : « للمكارم مضجعا » .
 (٥) تصدع ، هى تصدع بمحذو إحدى التاءين ، أى تشقق .

فلَمَّا مَضَى مَعْنُ مَضَى الْجُودِ وَالنَّدَى وَأَصْبَحَ عَرِينُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا (١)
 فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
 تَعَزَّى أَبَا الْعَبَّاسِ عَنْهُ وَلَا يَكُنُّ جَزَاؤُكَ مِنْ مَعْنٍ بَأَنَّ تَتَضَعَّضَعًا
 فَمَا مَاتَ مِنْ كُنْتِ ابْنَهُ لَا وَلَا الَّذِي لَهُ مِثْلُ مَا أَسَدَى أَبُوكَ وَمَا سَعَى
 تَمَنَّى أَنَاسٌ شَأُوهُ مِنْ ضَلَالِهِمْ

٢٢٢

فَأَضْحَوْا عَلَى الْأَذْقَانِ صَرَعى وَظُلْمًا (٢)

وهذا مثل قول مسلم بن الوليد ، في يزيد بن مزيد (٣) :

قَبْرٌ بَرْدَعَةٌ اسْتَسَرَ ضَرِيحُهُ خَطَرًا تَقَاصَرُ دَوْنُهُ الْأَحْطَارُ (٤)

(١) العرين : ما ارتفع من قصبة الأنف . والأنف الأجدع : المقطوع .

(٢) الشأو : المدى والغاية . والظلع : جمع ظالع ، وهو من به شبه العرج . ل : « ضلعا » ، والظُّلَع : جمع ظالع ، وهو المائل .

١٠

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٣٤٢) . والمرثية اختارها أبو تمام في الحماسة لمسلم (١ : ٣٩٢)

ولم يذكر من هو المرثي . وكذا القالي في أماليه (١ : ٢٧٦) . وأما ياقوت في رسم (بردعة) وأبو الفرج في الأغاني (ترجمة مسلم بن الوليد) وابن خلكان (ترجمة يزيد بن مزيد) فذكروا أنها لمسلم في رثاء يزيد ابن مزيد . وانفرد ابن خلكان بقوله : « وقد قيل إن مسلم بن الوليد إنما رثى بهذه الأبيات يزيد بن أحمد السلمى ، وقيل : بل رثى بها مالك بن علي الخزاعي ، وأن أول الأبيات :

١٥

• قبر بجلوان استسر ضريحه •

قلت : ورواية أبي تمام : « قبر بجلوان استسر ضريحه » ، تؤيد أن المرثي غير يزيد بن مزيد ، فإنهم قد أجمعوا أن يزيد بن مزيد مات ودفن في « بردعة » لا في « جلوان » .

(٤) بردعة : بلد في أقصى أذربيجان ، قال حمزة : « بردعة معرب برده دار ، ومعناه بالفارسية موضع السبي ، وذلك أن بعض ملوك الفرس سبى سبيا من وراء أرمينية وأنزلهم هناك » . ورواية أبي تمام : « قبر بجلوان » كما سبقت الإشارة . استسر ، المعروف فيها : استسر الهلال والقمر ، أى خفى ، فهذا في اللزم . أما متعديه فقد قالوا : استسر الجارية ، أى اتخذها سرية . وقالوا أيضا : استسرنى فلان ، بمعنى ألقى إلى سره . فمجاز هذه الكلمة من المتعدى . على أن رواية القالي : « قبر بجلوان أسر ضريحه » ، وهذه لا غبار عليها . والخطر : الشرف .

٢٠

٢٥

أَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى مَعَدُّ بَعْدَهُ حُزْنًا كَعُمُرِ الدَّهْرِ لَيْسَ يُعَارُ (١)
 نَفَضَتْ بِهِ الْأَمَالَ أَحْلَاسَ الْغِنَى وَاسْتَرْجَعَتْ نُزَاعَهَا الْأَمْصَارُ (٢)
 فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مَرْثَةٍ أَتْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ

-
- (١) في الأغاني وابن خلكان : « على ربيعة » . وربيعة : ابن نزار بن معد . كعمر الدهر ، أى طويلاً مثله . وفي الأغاني والوفيات : « لعمر الله » . وفي البلدان : « لعمر الدهر » . ولم يرو في الحماسة والأمالى .
- (٢) الأحلاس : جمع حلس ، وهو كساء يوضع على ظهر البعير تحت الرجل . يقول : قيدت آمال المعتفين عن الرحلة في طلب الغنى . والنزاع : جمع نازع ، وهو الغريب الذى تزع عن أهله وعشيرته . الحماسة والأمالى : « نفضت بك الأحلاس نفص إقامة » . الأغاني وابن خلكان : « نفضت بك الأحلاس آمال الغنى » . وفي الأغاني : « روادها » وابن خلكان : « زوارها » .
- ١٠

ذكر حروف من الأدب من حديث بني مروان وغيرهم

- قيل : إذا رَسَخَ الرَّجُلُ فِي الْعِلْمِ رُفِعَتْ عَنْهُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ (١) .
- مَسْلَمَةٌ (٢) ، قال : كان عند عُمر بن عبد العزيز رجلان ، فجعلتا يلحنان ، فقال الحاجبُ : قُومًا فَقَدْ « أُوذِيْتُمَا » أمير المؤمنين ! قال عُمر : أنتَ آذَى لِي مِنْهُمَا .
- المدائني قال : قعد قُدَامَ زياد رجلٌ ضائعٌ - من قرية باليمن يقال لها « ضياعٌ » (٣) - وزيادٌ بينى داره ، فقال له : أيُّها الأمير ، لو كنتَ عملتَ بابَ مشرقها قَبْلَ مغربها ، وبابَ مغربها من قَبْلَ مشرقها ! فقال : أنى لك هذه الفصاحة ؟ قال : إنَّها ليست من كتاب ولا حساب ، ولكنها من « ذكاوة » العقل . فقال : ويلك ، الثاني شرٌّ !
- شُعبَةُ (٤) ، عن الحكم (٥) ، قال : قال عبدُ الرحمن بن أبي ليلى (٦) : لا أُمَارِي أَخِي (٧) ، فإِذَا أَن أكَذِبُهُ وَإِذَا أَن أُغْضِبَهُ (٨) .

- (١) رفعت هنا بمعنى رُويت ، أى كان من أصحاب الرؤيا الصادقة .
- (٢) مسلمة بن محارب ، ترجم في (٢ : ٤٨) .
- (٣) كذا وردت هذه الكلمة ، ولم أجد ضائعاً ولا ضياعاً في أسماء البلدان .
- (٤) شعبة بن الحجاج ، ترجم في (١ : ٣٦٩) .
- (٥) هو الحكم بن عتيبة الكندي ، روى عن بعض الصحابة ، وعن شريح وعطاء وطلوس وغيرهم من التابعين ، وروى عنه الأعمش وقتادة والأوزاعي وشعبة ، وكان ثقة فقيهاً عابداً . ولد سنة ٥٠ وتوفى سنة ١١٣ . تهذيب التهذيب والخلاصة .
- (٦) عبد الرحمن بن أبي ليلى - وهو يسار ، أو بلال ، أو داود - بن بلال بن بلبل بن أحيحة بن الجلاح الأنصاري الأوسي . ولد لست بقين من خلافة عمر ، وأدرك مائة وعشرين من الصحابة الأنصار ، وفقد في يوم الجماجم سنة ٨٢ تهذيب التهذيب .
- (٧) المراء والمماراة : المجادلة .
- (٨) من العجب ما ورد في تهذيب التهذيب : « وقال الأعمش : حدثنا إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى . وكان لا يعجبه ، يقول : هو صاحب مراء » .

ابنُ أُمِّي الزُّنَادُ (١) قال : إذا اجْتَمَعَتْ حُرْمَتَانِ تُرِكَتِ الصُّغْرَى لِلْكُبْرَى (٢) .
 وعن أبي بكر الهُدَلِي (٣) - واسمه سُلْمَى - قال : إذا جَمَعَ الطَّعَامُ
 أربعة (٤) فقد كَمَلُ : إذا كان حلالاً ، وكَثُرَتْ عليه الأيدي ، وَسُمِّيَ اللهُ على
 أوَّلِهِ ، وَحُمِدَ على آخِرِهِ :
 وقال ابن قَمِيئَةَ (٥) :

وأهونُ كَفٌّ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةَ يَدٌ بَيْنَ أَيْدٍ فِي إِنْاءِ طَعَامٍ
 يَدٌ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ غَرِيبٍ بِقَفْرَةٍ أَتَتْكَ بِهَا غِبْرَاءُ ذَاتُ قَتَامٍ (٦)
 وقال حَمَادُ عَجْرَدٍ :

حُيَيْشٌ أَبُو الصَّلْتِ ذُو خَيْرَةٍ بِمَا يُصْلِحُ المِعْدَةَ الفاسِدَةَ (٧)
 تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أَصْحَابِهِ فَعَوَّذَهُمْ أَكْلَةَ وَاحِدَةٍ
 وقال سُويْدُ المَرَّانِدِ (٨) :

إِنِّي إِذَا مَا الأَمْرُ بَيَّنَّ شَكُهُ وَبَدَّتْ بِصائِرُهُ لِمَنْ يَتَأَمَّلُ (٩)
 وَتَبَرَّأْتُ الضَّعْفَاءُ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَالْحَاحُ مِنْ حَرِّ الصَّمِيمِ الكَلْكَلُ (١٠)
 أَدْعُ التِّي هِيَ أَرْفُقُ الحَلَّاتِ لِي عِنْدَ الحَفِيظَةِ لِتِي هِيَ أَجْمَلُ

(١) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد ، المترجم في (٢ : ٢٨٠ ، ٢٩٠) .

(٢) انظر تفسير هذا في اللسان (حرم ١٨ س ١٧ - ٢٠) .

(٣) انظر ماسبق من ترجمته في (١ : ٣٥٧) . (٤) ما عدل : « أربعاً » .

(٥) عمرو بن قميئة ترجم في (٢ : ١٨) . (٦) القتام ، بالفتح : الغبار .

(٧) في الشعراء ٧٥٥ بتحقيق الأستاذ أحمد شاکر ، وعبون الأخبار (٣ : ٢٤٤) : « حريث

أبو الصلت » . وفي الأغاني (١٣ : ٧٨) : « كان حريث بن أبي الصلت الحنفي صديقاً لحمام عَجْرَد ،
 وكان يعابته بالشعر ويعيبه بالخل . وفيه يقول :

حريث أبو الفضل ذو خيرة بما يصلح المعدة الفاسدة

فجعل كنيته أبا الفضل ، واسم أبيه أبا الصلت .

(٨) سبقت ترجمته في (٢ : ١٨٦) .

(٩) بين ، بمعنى تين . وفي أمثالهم : « قد بين الصبح لذى عينين » ، أى تين .

(١٠) ألح ، من قولهم ألحت الناقة والجمال ، إذا لزما مكانهما فلم يبرحا . والصميم من الحر :

شدته ، وكذلك من البرد . والكلكل ، عنى به الإبل ذوات الكلكل ، وهو الصدر .

ومما يكتب في باب العصا

قوله (١) :

قالت أمامه يوم بركة واسط
يا بن العدير لقد جعلت نغير^(٢)
أصبحت، بعد شبابك الماضي الذي
ذهبت بشاشته وغصنك أخضر^(٣)
شيخاً دعامتك العصا ومشيئاً
لا تبتغي خيراً ولا تستحبر^(٤)
ويضم البيت الأخير إلى قوله :

وهلك الفتى ألا يراح إلى الندى
والأ يرى شيئاً عجيباً فيعجبا^(٤)
ومن يتبع مني الظلع يلقي
إذا ما رأني أصلع الرأس أشيبا^(٥)

وقال بعض الحكماء : « أعجب من العجب ترك التعجب من العجب » .
وقيل لشيخهم : أي شيء تشتهي ؟ قال : أسمع بالأعاجيب .
وأنشد :

عريض البطان جديب الخوان
قريب المرث من المرتع^(٦)
فنصف النهار لكرياسيه
ونصف لماكله أجمع^(٧)

- (١) هو حسان بن العدير ، كما سبق في حواشي (٢ : ١٠٥) .
 (٢) ذكر ياقوت في معجم البلدان بركة واسط ، وقال : « لم يحضرنى شاهداها » . فهذا من شواهدنا .
 (٣) ما عدل : « بعد زمانك الماضي الذي ذهب شبيبته » .
 (٤) لعل بن العدير الغنوي . أمالي القائل (٢ : ١٨١) . وانظر ص ٣٤٣ . وهو بدون نسبة في أمالي الزجاجي ٣٠ .
 (٥) الظلع : غمز شبيه بالعرج ، عنى بذلك ضعف الرأي . يقول : قد ارتفع عن سن الشباب إلى سن الحنكة والرأى الصائب . ما عدل : « ومن يبتغي مني الظلامة » .
 (٦) البطان ، بالكسر : الحزام ، كناية عن سعة بطنه لكثرة أكله . والخوان ، بضم الخاء وكسرهما : المائدة . والمرث : موضع الروث ، أي النجو . والمرتع : موضع الرتع بالفتح ، وهو الأكل بشره .
 (٧) الكرياس ، بكسر الكاف وبالياء المثناة . قال أبو عبيدة : هو الكنيف للذي يكون مشرفاً على سطح بقناة من الأرض . قال الأزهرى : سمى كرياساً لما يعلق به من الأقدار =

وما يضم إلى العصا

قوله :

لَعَمْرِي لئن حُلِّقْتُ عن مَنهل الصُّبَا لقد كنتُ وِرَاداً لمشْرِبه العَذْبِ (١)
 ليَالِي أَغْدو بين بُرْدَيْنِ لَاهِيَا أَمِيسُ كَعُصْنِ البَائَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ
 سَلَامٌ عَلَيَّ سَيْرِ القِلاصِ مع الرُّكْبِ ووَصِلِ العِوَانِي والمُدَامَةِ والشُّرْبِ (٢)
 سَلَامٌ أَمْرِيءُ لم تَبَقْ مِنْه بِقَيْسَةَ سِوَى نَظَرِ العَيْنَيْنِ أو شَهْوَةِ القَلْبِ (٣)

٢٢٤

وقال حاجبُ بنُ ذُبَيان (٤) لأخيه زُرارةَ :

عَجِلْتُ مَجِيءَ المَوْتِ حتَّى هَجَرْتَنِي وفي القبرِ هَجَرٌ يارُزَّارُ طَوِيلُ

وقال الآخر (٥) :

ألم تَعَلِمِي عَمَّرْتِكِ اللهُ أَنسَى كَرِيمٌ عَلَيَّ حِينِ الكَرَامِ قَلِيلُ (٦)
 وَأَنِّي لَا أَحْزَى إِذا قِيلَ مُمْلِقُ جَوَادٌ ، وَأَحْزَى أَن يُقَالَ بَخِيلُ (٧)

= فيركب بعضه بعضا ويتكسر مثل كرس الدمن . وهو فعيل من الكرس مثل جريال . وهو من الألفاظ المشتركة بين العربية والفارسية . وتفسيره في الفارسية مثله في العربية . وفي معجم استينجاس

: ١٠٢٦

١٥ (A privy on the roof of house having communication with a subterraneous passage)

ما عدل : « لكرساته » تحريف .

(١) حلىء : منع الورد . ل : « حليت » ما عدل : « جليت » صوابها ما أثبت من هـ .

(٢) ماس يميس : تبخر في مثيه واختال .

(٣) القلاص : جمع قلوص ، وهم الناقة الشابة الفتية . والشرب ، بالفتح : جماعة الشارين

٢٠ للخمر ، وهو اسم جمع للشارب ، كما أن الركب اسم جمع للراكب .

(٤) هذا في جميع النسخ ، وانظر ما سبق في (٢ : ١٨٣) .

(٥) هو أحد الفزارين ، كما في الحماسة (٢ : ٣٩) .

(٦) عمرتك الله ، أى ذكرتك الله ، أو سألته أن يطيل عمرك .

(٧) أحزى : أستحى . الملق : الذى أنفق ماله وبذره حتى أورثه الحاجة .

وإلا يكن عظمى طويلاً فإننى
إذا كنتُ في القوم الطوال فضلتهم
ولا خير في حُسن الجُسوم وطولها
وكائِن رأينا من فروع طويلة
ولم أر كالمعروف أما مذاقه

وقال زيادة بن زيد (٣) :

إذا ما انتهى علمى تناهيتُ عندهُ
وُخبرُنِي عن غائبِ المرءِ فعله
أطال فأملَى أم تنأهى فأقصراً (٤)
كفى الفعلِ عما غيب المرءُ مخبراً (٥)

وقال آخر :

أبرُ فما يزدادُ إلا حماقةُ
وَنوكاً وإن كانت كثيراً مخارجُه (٦)

وقال ابنُ الرِّقاع (٧) :

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمعُ بينها
نظَرَ المُثَقِّفِ في كُعبِ قناتِه
حتَّى أقومَ ميلها وسنادها (٨)
حتَّى يُقيمَ ثقافُه مُنادها (٩)

٢٢٥

(١) أنشد هذا البيت ابن قتيبة في عيون الأخبار (٤ : ٥٤) مسبوفاً بقوله : « وقال آخر ، وكان قصيراً » . ١٥

(٢) العارفة : اليد تسدى ، وجمعها عوارف ، وليس لها فعل ، وهى فاعلة بمعنى مفعولة ، أو عارفة : ذات عرف طيب ، لأنها تذكر فيثنى على صاحبها . كذا قال التبريزى في تفسير الحماسة .

(٣) زيادة بن زيد هذا ، ابن أخت هدية بن الخشرم راوية الخطيئة ، كما في اللسان (رتب) . وفي الأغاني (٢١ : ١٧٢) أنه كانت بينهما مناقضات ومهاداة بالأشعار انتهت بقتل هدية لزيادة . ما عدال ، هـ : « زياد » تحريف . ٢٠

(٤) تنأهى : كف . الإملاء : الإمهال والتطويل . والبيت في اللسان (نهى) ، وسيبويه (١) : (٤٩) والموشح ١٩٠ .

(٥) في حاسة البحرى ٣٣٦ : « هدية . كفى الهدى » .

(٦) أبر : زاد . والنوك ، بالضم والفتح . الحمق .

(٧) عدنى بن الرقاع ، ترجم في (٢ : ٢٦٤) . ٢٥

(٨) الأبيات في الحيوان (٣ : ٦٤) والموشح ١٣ ونهاية الأرب ٤ : ٢٤٧ .

(٩) الثقاف ، بالكسر : ما تسوى به الرماح . والمناد : المعوج .

وعلمتُ حتَّى لستُ أسألُ واحِداً
 عن حَرفٍ واحِدةٍ لكى أزدادَها (١)
 وقال بعضُ الأعرابِ :

لولا مَسْرَةٌ أقوامٍ تَصَعَّدُنِي
 ما سَرَّني أنَّ إبلي في مَبَارِكِها
 أو الشَّماتَةُ من قومِ ذوى إِحْسِنِ (٢)
 وأنَّ أمراً قضاهُ اللهُ لم يَكُنْ
 وقال الآخرُ :

وإني لأهوى نَمَ لا أتبعُ الهوى
 وفي النَّفسِ عن بعضِ التَّعْرُضِ غِلظةٌ
 وأكريمُ خِلالِنِي وفِي صُدُودِ
 وفي العينِ عن بعضِ البُكاءِ جُمُودُ
 وقال كَثِيرٌ :

تري القومُ يُخفونَ التَّبَسُّمَ عِنْدَهُ
 فلا هاجراتُ القولِ يُؤثِرُنَ عِنْدَهُ
 وينذرُهُم عورَ الكلامِ نذيرُها (٣)
 ولا كلماتُ النَّصيحِ مُقْصِي مُشيرُها (٤)
 وقال المُقشَعِرُّ (٥) :

يُقِرُّ بعيني أن أرى قِصَدَ القنسا
 وصَرَغِي رجالِي في وَعْيِي أنا حاضرةٌ (٦)

(١) الحرف : الطرف والجانب ، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء . واحدة ، أى مسألة واحدة من العلم .

(٢) تتصعدني : تشق على . والإحسِن : جمع إحنة ، وهى الحقد والعداوة .

(٣) العوراء : الكلمة القبيحة . نذيرها ، أى نذير العور ، ينذرهم أن ينطقوا بها .

(٤) الهاجرات : ذوات الهجر ، بالضم ، وهو الفحش .

(٥) المقشعر لقب له ، وهو شاعر جاهلي ، قال المرزباني : « وكان إذا حضر حربياً أقشعر » .

واسمه يزيد بن سنان بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان قد حالف بني سهم وخصيلة بن مرة ، على بنى يربوع بن مرة بن غطفان ، فسماوا الجحاش ، فله يقول النابغة الذبياني :

جمع مِخاشِك يا يزيد فإنني أعددت يربوعاً لكم وتميماً

معجم المرزباني ٤٩٦ .

(٦) أقر عينه وأقر بعينه : سره وأفرجه حتى قرت عينه وبردت . والقنا : الرماح . والقصد : جمع

قصدة بالكسر ، وهى القطعة .

وقال الكميث :

أَحْسَنُ مِنْهَا ذِيادُ خَامِسَةٍ فِي الْوَرْدِ ، أَوْ قَيْلَقُ تَجَالِدُهَا (١)
 وقال صالح بن مخراق في كلام له : لولا أنّ الله قال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾ لَأَنْبَأْتُكُمْ أَنِّي لَا أَكْرَهُهُ .

وقال الآخر :

٢٢٦ تركتُ الرُّكَّابَ لِأَرْبابِهَا وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ الصَّعِقِ (٢)
 جَعَلْتُ يَدَيَّ وَشَاحَا لَهُ وَبَعْضُ الْفَوَارِسِ لَا يَعْتَنِقُ

* * *

قال : وقال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا فِي مَجْلِسِهِ : مَنْ أُمُّ التُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدِرِ ؟ فَقَالَ رَوْحُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : سَلَمَى بِنْتُ عَقَّابٍ (٣) . قَالَ : إِنَّهُ يُقَالُ ذَلِكَ ، يَا حَاجِبُ أَحْسِنِ إِذْنَهُ .

وقالوا : عَشْرٌ خِصَالٍ فِي عَشْرَةِ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ أَقْبَحُ مِنْهَا فِي غَيْرِهِمْ :
 الضُّيْقُ فِي الْمَلُوكِ ، وَالْعَدْرُ فِي الْأَشْرَافِ ، وَالْكَذِبُ فِي الْقُضَاةِ ، وَالْحَدِيدَةُ فِي الْعُلَمَاءِ ، وَالْعَضْبُ فِي الْأَبْرَارِ ، وَالْحِرْصُ فِي الْأَغْنِيَاءِ ، وَالسَّفَمُ فِي الشُّيُوخِ ، وَالْمَرَضُ فِي الْأَطْبَاءِ ، وَالزَّهْوُ (٤) فِي الْفُقَرَاءِ ، وَالْفَخْرُ فِي الْقُرَّاءِ .

وأنشد :

وَلَا تَقْبَلُوا عَقْلًا وَأُمًّا بِغَارَةٍ بَنَى عَبْدُ شَمْسٍ بَيْنَ دُومَةٍ وَهَضْبٍ (٥)

(١) الذيادة : مصدر كالنود ، وهو سوق الإبل وطردها ودفعتها . والخامسة : التي ترد الخمس ، وهو أن ترد يوما وترعى ثلاثة بعده ثم ترد في الخامس . والفيلق : الكنية الشديدة . ما عدل : « بجالدتها » .

(٢) أنشدتهما في الحيوان (٦ : ٤٢٥) .

(٣) قال الجاحظ في الحيوان (٤ : ٣٧٧) : « وأم النعمان سلمى بنت الصائغ : يهودى من أنباط

الشام » . وفي الأغاني (٩ : ١٥٨) أن اسم ذلك الصائغ « عطية » .

(٤) هـ : « والتبرؤ » .

(٥) العقل : الدية . والأم : القصد .

- وَهَزُّوا صُدُورَ الْمَشْرِفِيِّ كَأَنَّمَا يَقَعْنَ بِهِمُ الْقَوْمَ فِي حَنْظَلٍ رَطْبٍ (١)
 وَيُضَمُّ إِلَى بَيْتِ الْكُمَيْتِ وَبَيْتِ الْمُقَشَّعِرِّ قَوْلُ الْحَكَمِيِّ (٢) :
- أَحْسَنُ عِنْدِي مِنْ أَنْكِبَابِكَ بَالٍ فِيهِرٍ مُلْحًا بِهِ عَلَى وَرِيدِ (٣)
 وَقُوفٌ رِيحَانِيَّةٍ عَلَى أُذُنٍ وَسَيْرٌ كَأَسَى إِلَى فَمٍ بَيِّدِ (٤)

* * *

وفي بابٍ غير هذا يقول حسانُ بن ثابت :

- مَا أَبَالِي أُنَبَّ بِالْحَزْنِ تَيْسٌ أُمَّ لِحَانِي بظَهْرِ غَيْبِ لَثِيمٍ (٥)

(١) المشرفي ، عني به السلاح المشرفي ، وهو السيوف المنسوبة إلى المشارف ، وهي قرى من أرض اليمن ، أو من أرض العرب تدنو من الريف . ل : « كأنها نعين » تحريف .

- (٢) هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، مولى الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، من اليمنية . انظر جمهرة الأنساب لابن حزم ٣٨٣ - ٣٨٤ .

(٣) الفهر ، بالكسر : حجر يملأ الكف . والبيتان من مقطوعة له في ديوانه ٢٦٥ ينمى فيها على من ييكي الأطلال ويسقيها . وقيل البيتين :

- ١٥ سقيا لغير العلياء فالسند
 ويا صبيب السحاب إن كنت قد
 لا تسقين بلدة إذا عدت الـ
 إن أثمرت من الغراب بها
 بحيث لا تجلب الرياح إلى
 وغير أطلال مي بالجرد
 جدت اللوى مرة فلا تعد
 بلدان كانت زيادة الكيد
 يكن مفزى منه إلى الصرد
 أذنيك إلا تصاح النقد

٢٠ وبعدهما :

- يسقيكها من بنى العباد رشا
 إذا بنى الماء فوقها حبيباً
 أشرب من كفه الشمول ومن
 فذاك خير من البكاء على الـ
 منتسب عيده إلى الأحد
 صلّب فوق الجين بالزبد
 فيه رضاباً يجرى على برد
 ربيع وأئمني في الروح والجسد

(٤) هي ريحانة الساق يجعلها فوق أذنه تظرفاً .

(٥) البيت في ديوانه حسان ٣٧٩ والحيوان (١ : ١٣) ، من قصيدة في يوم أحد . قال ابن هشام : « هذه أحسن ما قيل » . السيرة ٦٢٥ - ٦٢٦ جوتنجن . نب التيس نيا ونيبيا ونبابا : صاح عند الهياج . والحزن : ما غلظ من الأرض . لحاه يلحوه ويلحاه : شتمه .

وأنشد :

خُبِّرْتُ أَنَّ طَوِيلِبًا يَغْتَابُنَا بعضيَّةً يَتَنَحَّلُ الْأَقْوَالَا (١)
 مَا ضَرَّ سَادَةَ نَهْشَلِ أَهْجَاهُمْ أَمْ قَامَ فِي عُرْضِ الْحَوِيِّ فَبَالَا (٢)

٢٢٧

وقال الفرزدق في هذا المعنى :

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلَ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلَّتْ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ (٣)

وقال الآخر في هذا المعنى :

مَا يَضِيرُ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرَا أَنْ رَمَى فِيهِ غَلَامٌ بِحَجْرٍ (٤)

* * *

ومما يزداد في ذكر باب العصا قول جرير بن الحطّفي :

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيْبِ نَيْمٍ وَلَا يُسْتَأْمَرُونَ وَهَمْ شُهُودٌ (٥)
 وَقَدْ سَلَبْتَ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا تَدْرِي بِأَيِّ عَصَا تَنْدُودُ

١٠

(١) العضيبة : الإفك ، والبهتان ، والهميمة . يتنحل الأقوال : يدعيها . ل : « يتحلل الأقوال » ، صوابه في سائر النسخ .

(٢) عرض الشيء ، بضم العين : وسطه وناحيته . والحوى : البطن السهل من الأرض .

(٣) البيت من قصيدة له في ديوانه ٨٨٢ ، يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه مادحاً في ذلك بنى تغلب ، ويهجو فيها جريراً . وقبل البيت ، وهو مطلع القصيدة :

يا ابن المراغة ، والهجاء إذا التقت أعناقهم وتماحك الحصان

وبعده :

يا ابن المراغة إن تغلب وائل رفعوا عنائي فوق كل عنان

وتغلب بن وائل ، هم قوم الأخطل . تناطح البحرين : تقابلا . وانظر الحيوان (١ : ١٣) وخزانة الأدب (٢ : ٥٠١) .

(٤) زخر البحر : كثر ماؤه وارتفعت أمواجه . وفي الأغاني (١٣ : ٨٢) : « ما يضر » . والبيت في الحيوان (١ : ١٣) برواية : « هل يضر البحر » . وفي حواشي هـ أن البيت للفرزدق .

(٥) من قصيدة له في ديوانه ١٦٠ - ١٦٩ يهجو فيها التيم قبيل عمر بن لجأ . وبين هذا البيت وتاليه أبيات . الاستعمار : الاستشارة . شهود ، أي حاضران .

٢٥

وقال الحسين بن عُرْفُطَةَ بن نَضْلَةَ (١) :

لِيَهْنِكَ بُغْضٌ فِي الصَّدِيقِ وَظَنَّةٌ وَتَحْدِيثُكَ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ كَاذِبُهُ (٢)
وَأَنَّكَ مِهْدَاءُ الْحَنَّا تَطْفُفُ النَّشَا شَدِيدِ السَّبَابِ رَافِعُ الصَّوْتِ غَالِيَهُ (٣)
وَأَنَّكَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبِ بِلَاكٍ ، وَمِثْلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جَانِبُهُ (٤)
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْجَهْلِ أَدْنَى إِلَى الرَّدَى وَلَا مِثْلَ بُغْضِ النَّاسِ غَمَصَ صَاحِبِهِ (٥)

وقال قَتَادَةُ بن حُرْجَةَ الثُّعْلَبِيِّ ، من بنى عَجَبَ (٦) :

خَلِيلِيَّ يَوْمَ السُّلَيْلِينَ لَوْ آتَنَى بَهْرَ اللَّوَى أَنْكَرْتُ مَا قَلَّمَا لِيَا (٧)

(١) الحسين ، ويقال أيضاً « الحسيل » مصغر الحسل ، بالكسر ، وهو ولد الضب . ما عدا هـ :
« الحسن » تحريف . وهو حسيل بن عرفطة بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعم الأسدي ، شاعر
مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، رأى الرسول الكريم وروى عنه . وهو ممن غير الرسول أسماءهم فسماه
حسيناً . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جعله أبو زيد في نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية ، والصواب
ما قدمت . ومن عجب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش في ذلك .
(٢) الأبيات في الحيوان (٣ : ١٠٢ ، ٤٩٤) . ليهنك : ليهنك ، سهلت همزتها . والكلام
تهكم . يقال : هنا الشيء : كان له هنيئاً سائغاً .

(٣) الحنا : الفحش . والتطف : الملتصق بالعيب . والنثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل
من خير وشر .

(٤) المشنوء : المبعوض . بلاك : اختبرك . مثل الشر ، أى أنت مثل الشر . أو تكون « مثل » في
الكلام نافلة ، كما تقول : مثلك لا يفعل كذا ، أى أنت لا تفعله .

(٥) الجهل : نقيض العلم ، وأن يفعل شيئاً بغير العلم . غمص ، من الغمص ، وهو الاحتقار
والازدراء . وفي الحيوان : « غمص » .

(٦) خرجة ، بضم الخاء . وفي ل : « خزرجة » وليس في أعلامهم . والثعلبي : نسبة إلى ثعلبة بن
سعد بن ذبيان . وفي جميع النسخ : « الثغلي » تحريف . وكلمة « من بنى عجب » من ل ، هـ فقط . وهم بنو
عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما في مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ٤٤ جوتنجن ١٨٥٠ .

(٧) البيتان في معجم البلدان (٥ : ١٠٦) والحماسة بشرح المرزوق ١١٨٧ بدون نسبة .

السلسلان ، بكسر السينين ، قال ياقوت : « كأنهم ذكروا السلسلة ثم ثنوها : اسم موضع » . وروايته
عنده : « بين السلسلين » . والهبر ، بالفتح : ما اطمان من الأرض . واللوى : موضع بعينه ، وهو واد من
أودية بنى سليم . واللوى أيضاً : منقطع الرمل . قال ياقوت : « قد أكثر الشعراء من ذكره ، وخلطت
بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما » . ل : « بهو اللوى » ح : « بهير » التيمورية : « بهيرى »
صوابه ما أثبت من هـ ، ب .

ولكنني لم أنس ما قال صاحبي
وقال خالد بن نُضلة (٢) :

إذا كنت في قوم عدى لست منهم
فكل ما علفت من تحبب وطيب (٣)

وقال أحمد بن يوسف (٤) ، وكان يتعشق يحيى بن سعيد بن حماد : ٢٢٨

إن يحيى بن سعيد
فهو يلقاني بتوريه
يشتهي أن أشتهيه
سم وأحياناً بتيه (٥)

وقال أبو سعيد دعي بنى مخزوم (٦) ، في مهاجاة دعي :

ولولا نزار لضاقت الفضاء
وأخرجت الأرض أثقالها
ولم يبق حرز ولا معقل
وأدخل في است أمه دعي

(١) ياقوت : « خاليا » .

(٢) خالد بن نضلة الأسد ، فارس مشهور من فرسانهم . وله ذكر في يوم النصار ، إذ كان رئيس أسد يومئذ . انظر كامل ابن الأثير وغيره ، في (يوم النصار) .

(٣) البيت من أبيات في الحماسة (١ : ١٣٤) والحيران (٣ : ١٠٣) . والعدى : اسم جمع بمعنى الأعداء ، أو بمعنى الغرباء ، كما في المخصص (١٢ : ٥٢) رواية عن ابن السكيت في إصلاح المنطق ١١٢ حيث أنشد البيت . ونسبه التبريزي في تهذيبه إلى دودان بن سعد ، من بني أسد .

(٤) ترجم في (١ : ٦٥) .

(٥) يقال : ورم فلان بأمره توربما ، إذا شمع بأنفه وتغير .

(٦) أبو سعيد المخزومي ممن عرف بكنيته ، واسمه عيسى بن الوليد . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ، وقد عاصر دعبلا وعبد الله بن أبي الشيص . وكان دعبل قد صنع قصيدة هجا فيها قبائل نزار . فحمى لذلك أبو سعد وهجاه ولج الهجاء بينهما . ما عدل : « أبو سعيد » تحريف . وفيه يقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر
يعرف بالكنية لا بالولد

ويقول ابن أبي الشيص :

أبا سعد بحق الختم
أقلت الحق في النسب
حسن والمفروض من صومك
بنة أم تحلم في نومك

انظر الأغاني (١٨ : ٥٠ - ٥٤) .

وقال :

حَدَقُ الآجَالِ آجَالُ والهوى للمرءِ قَتَالُ (١)
 والهوى صعبٌ مراكبه وركوب الصعب أهوَالُ
 ليس من شكلي فأشْتَمَه دِعْبَلُ ، والناس أشْكَالُ
 هَمَّتِي فِي التَّاجِ الْبَسُهُ وله فِي الشُّعْرِ آمَالُ

وقال :

هذا اللَّبَائِيُّ يَحْوِي جوائز الخلفاءِ (٢)
 ففِي جِرِّ آمٍ مَدِجِي وفي جِرِّ آمٍ هِجَانِي (٣)
 وفي جِرِّ آمِي وَإِنْ كُنْتُ سَيِّدَ الشُّعْرَاءِ

وقال محمد بن يسير :

فِي جِرِّ آمٍ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَأَنَا فِي ذَا مِنْ أَوْلِهِمْ (٤)
 لَسْتُ تَدْرِي حِينَ تُخْبِرُهُمْ أَيْنَ أَدْنَاهُمْ مِنْ أَفْضَلِهِمْ

وقال :

إِذَا مَا جَاوَزَ التُّدْمَاءُ حَمْسًا رَبِّ الْبَيْتِ وَالسَّاقِ اللَّيْبِ
 فَأَيِّرُ فِي جِرِّ آمٍ فَتَى دَعَانَا وَأَيِّرُ فِي جِرِّ آمٍ فَتَى مَجِيبِ
 وَقَالَ سَلَّمَ الْخَاسِرُ (٥) :

بهارون قرَّ الملكُ فِي مستَفْرَهْ وَأَنْهَجْتَ الدُّنْيَا وَأَشْرَقَ نُورُهَا

(١) الآجال الأولى : جمع إجـل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش والظباء . والأخرى : جمع أجـل بالتحريك ، وهو مدى العمر .

(٢) ما عدل : « اللبائي » .

(٣) مثله قول العرب : « باست بنى فلان » وهو شتم للعرب . وأنشد في اللسان (سته) قول

الحطية :

فباست بنى عيس وأستاه طيءُ وباست بنى دودان حاشا بنى نصر

(٤) ما عدل : « أنا في هذا » . والشعر من بحر المديد .

(٥) هو سلم بن عمرو ، مولى بنى تيم بن مرة . شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدي والمهدي وهارون والبرامكة . قالوا : سمى بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفاً ، فباست واشترى =

٢٢٩ وليسَ لأَيامِ المَكَارِمِ غايةَ تَتَمُّ بِها إِلا وَأنتَ أميرُها

وقال بشار بن بُرد :

مِن فَتاةِ صُبِّ الجِمالِ عَلَيا في حديثِ كَلدَةَ التَّشوانِ
ثمَ فارقتُ ذاكَ غيرَ دَمِيمِ كَلَّ عيشِ الدُّنيا وإن طالَ قانِ

وقال مُزاجِمُ العُقَيْلي :

يَزِينُ سَناءَ الماويِّ كُلَّ عَشِيَّةٍ عَلَي غَفَلاتِ الرِّينِ والمُتَجَمِّلِ (١)
وجوهٌ لو أَنَّ المُدَلِّجينَ اعْتَشَوْا بِها

صَدَّعَن الدُّجى حَتَّى تَرى اللَّيلَ يَنجلى (٢)

وقال المسعودي :

١٠ إنَّ الكرامَ مُناهبو كَ المجدِّ كلَّهم فَناهِبُ (٣)
أُخْلِيفَ وَأُتْلَفَ ، كُلُّ شَيءٍ زِعزَعته الرِّيحُ ذاهِبُ

وقال شيخ من الأطباء : الحمد لله ، فلان يزاحمنا في الطبِّ ولم يختلف إلى
البيمارستانات (٤) تمام خمسين سنة .

= طنبوراً . وكان تلميذ بشار بن برد وراويته . وهو القائل :

من راقب الناس مات غمًا . وفاز باللذة الجسور

وفيه يقول أبو العتاهية :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذلَّ الحرصَ أعناقَ الرجالِ

الأغاني (٢١ : ٧٣ - ٨٤) وتاريخ بغداد (٩ : ١٣٦) وابن خلكان ، وقد سماه « سالما » خطأ .

(١) البيتان في الحيوان (٣ : ٩١) ، وهما مع أربعة أخرى في مجالس ثعلب ٢٢٧ بدون نسبة ،

٢٠ وثانيتها في الشعراء ٥٢٧ ليدن واللسان (١٩ : ٢٧٨) . والماوي : جمع ماوية ، وهي المرأة . ورواية

ثعلب : « ترى في سنا الماوي بالعصر والضحي » . ما عدل : « تزين سنا الماوي » .

(٢) ثعلب وما عدل : « وجوهاً » . وفي الشعراء : « لو ان المعتفين » . اعتشوا بها : استضاعوا

بها ليلا فقصدوا إليها .

(٣) سبق البيتان في ١٩٤ .

(٤) البيمارستان : دار علاج المرضى ، لفظ فارسي ، مركب من « بيمار » بمعنى مريض ،

٢٥ و « ستان » ، وهي من أدوات المكان في الفارسية . هـ : « البيمارستان » .

وحدثني محمد بن عبد الملك - صديق لي - قال : سمعت رجلاً من
فرسان طبرستان يقول : فلان يدعى الفروسية ، ولو كلف أن يخلي فروج فرسه
منحدرًا لما قدر عليه (١) .

وقال بعض العبيد :

- أبيعثني في الشاء وابن مؤليلك على هجمة قد لوتها الطبايح (٢)
متى كان حمران الشبائي راعياً وقد راعه بالدو أسود سائح (٣)
وقال كثير في عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

تكلمت بالحق المبين وإنما تبين آيات الهدى بالتكلم
ألا إنما يكفى القنا بعد زيغه من الأود الباقى ثقاف المقوم (٤)

- ١٠ الأصمعي قال : قال يونس بن عبد الأعلى (٥) : لا يزال الناس بخير ماداموا
إذا تخلج (٦) في صدر الرجل شيء وجد من يفرج عنه .

وقال البيهقي ، في إبراهيم بن عري : (٧)

- (١) فروج الفرس : ما بين قوائمه . يقال سد فروج فرسه ، أى ملاً قوائمه عدوا كأن العنبر سد
فروجه وملاًها . فمعنى أخل فروجه : أمسكه وحفظه من سرعة الانحدار .
١٥ (٢) ما عدل : « وابن مخيلد » . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، ما بين الثلاثين إلى المائة .
والطبايح : جمع طبيخة ، وهى سموم الهاجرة وشدة حرها .
(٣) الشبائي : نسبة إلى بنى شبابة ، وهم بطن من فهم . ل : « الشبالي » ، ما عدل : « الشبائي »
صوابهما من هـ . والدو : الفلاة . ما عدل : « بالدود » ، هـ : « فى الذود » .
(٤) القنا : الرماح ، جمع قناة . والزبيغ : الميل ، ومثله ، الأود . والثقاف : خشبة قوية قدر
الذراع فى طرفها تحرق يتسع للرمح أو للقوس يدخل فيه ويغمر منه ما ينبغي أن يغمر ، حتى يصير إلى
٢٠ ما يراد منه ، ولا يفعل به ذلك إلا مدهوناً مملولاً ، أو مضمهوباً على النار .
(٥) يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن مسيرة الصندفى المصرى ، روى عن ابن عينة والشافعى ،
وعنه : مسلم والنسائى وابن ماجه . وكان إماماً فى القراءات ، قرأ على ورش وغيره ، وقرأ عليه ابن جرير
الطبرى . ولد سنة ١٧٠ وتوفى سنة ٢٦٤ . تهذيب التهذيب ، والخلاصة .
٢٥ (٦) تخلج : اضطرب وتحرك ، ومثله خلج واختلج . ما عدل : « اختلج » .
(٧) إبراهيم بن عري هذا ، كان والى اليمامة لعبد الملك ، وكان يقال له : « الملك الأسود » . وفيه
يقول مالك المذموم :

٢٣٠ ترى مَنِيرَ العَبِيدِ اللَّثِيمِ كَأَنَّمَا
ثَلَاثَةُ غُرَبَائِنِ عَلَيْهِ وَقُوعُ
وقال الأعشى :

رُبَّ رِفِيدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرِ أَقْيَالٍ (١)
وقالوا : « لَا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ (٢) » .
وقال الشاعر (٣) :

وَمُدَجِّجٍ كَرِهَ الْكُمَاءَ نَزَّالَهُ لَا مُمَعِنَ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمَ (٤)
وقال زهير :

دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدَرُهُمَا عِنْدَ الذَّنَابِيِّ فَلَا فَوْتُ وَلَا دَرَكُ (٥)
وقالوا : « خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَشَرَّ السَّيْرِ الْحَقِيقَةُ (٦) » .

- ١٠ = ناق سبى قد جد حقا بنا السد حير وكوفي جواله في الزمام
فمتى تلقى يد الملك الأسد حود تستيقنى بأن لا نضام
الأغانى (١٦ : ١٥١) . وفى (٧ : ٦١) أن جريراً نازع بنى حمان إليه فى ركية لهم فحكم بها له .
ما عدل : « إبراهيم بن عدى » ، وكذا ورد الاسم فى الموضوع الأخير من الأغانى .
(١) ديوان الأعشى ١٣ . والرغد ، بفتح الراء وكسرهما : القدح . عنى به الجواد الذى يسقى
١٥ الناس فى أقداحه ، ومثل هذه الكناية تسميتهم الجواد « جفنة » . قال أبو فرودة :
يا جفنة كإزاء الحوض قد هدموا ومنطقاً مثل وشى الجنة الحيره
هرقته : أرقته . أقيال : جمع قيل ، وهو الملك النافذ القول . والمشهور فى رواية البيت : « أقتال » جمع
قتل ، بالكسر ، وهو العدو . والبيت فى المخصص (١١ : ٨٣) وأمالى القالى (١ : ٩٠ / ٢ : ٧ ،
٣٠٣) وشروح سقط الزند ٨٢٢ .
٢٠ (٢) أى لا نقصان ولا زيادة . وفى اللسان (وكس) : « وفى حديث ابن مسعود : لها مهر
مثلها ، لا وكس ولا شطط » .
(٣) هو عترة . والبيت التالى من معلقته المشهورة .
(٤) المدجج ، بكسر الجيم المشددة وفتحها : التام السلاح . والاستسلام : الانقياد والاستكانة .
(٥) ديوان زهير ١٧٤ . يصف القطاة والصقر . يقول : لم يخلقا فيغيبا ، ولم يصيرا على الأرض ،
٢٥ فهما بين هذين . عند الذنابى ، أى الصقر عند ذنبها قد قاربها ، فلا هو قد أدركها ولا هى قد فاتته .
(٦) الحقيقه : شدة السير . وكان عبد الله بن مطرف بن الشخير ، قد تعبد فلم يقتصد .
فقال له أبوه : « يا عبد الله ، العلم أفضل من العمل ، والحسنة بين السيتين ، وخير الأمور =

قال : والمثل السائر ، والصواب المستعمل : « لا تكن حُلواً فتزدرد ، ولا مرّاً فتلفظ » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : إن هذا الأمر لا يصلحهُ إلا ليين في غير ضَعَف ، وشِدَّة في غير عُنف .

• وكان الحجاج يُجاوز العُنف إلى الحُرْق ، وكان كما وصف نفسه ، فإنه قال : « أنا حديدٌ حقودٌ ^(١) ، وذو قَسوَةٍ حَسودٌ » .

وذكره آخر فقال : كان شراً من صبي ^(٢) .

وقال أكرم بن صيفي ^(٣) : تناءوا في الديار ، وتواصلوا في المزار ^(٤) .

وكان ناسيُّ الشهور ^(٥) يقول : اللهم باعد بين نسايتنا ، وقارب بين رعائنا ،

١٠ = أوساطها ، وشر السير المحققة ، هو إشارة إلى الرفق في العبادة . أى عليك بالقصد فيها ولا تحمل على نفسك فسأم . وإذا حملت على نفسك من العبادة ما لا تطيق ، انقطعت بك عن الدوام على العبادة . اللسان (١١ : ٣٤٢) وأمثال الميداني (١ : ٣٢٧) . ومضت ترجمة مطرف في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) . وترجم في تهذيب التهذيب لابنه « عبد الله » .

(١) الحديد : ذو الحدة ، وهى الغضب والنشاط والسرعة في الأمور . وقد سبق الخبر في الحيوان

١٥ (٣ : ٤٧٠ / ٥ : ٥٩٢) بلفظ : « أنا حديد حقود حسود » .

(٢) ويقولون في أمثالهم : « أظلم من صبي » . انظر الحيوان (٣ : ٤٧٠) .

(٣) أكرم بن صيفي ، أحد حكام العرب ، وهو أكرم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن

معاوية بن شريف بن جررة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي . وكان قد سمع بمبعث النبي ، فأراد أن يفد إليه فمنعه قومه ، ثم انتدب له رجلاً من قومه فأتيا النبي ﷺ ، فعادا بما أتلج صدر أكرم في دينه ، فقرب

٢٠ له بعيره فركب متوجهاً إلى الرسول ﷺ فمات في الطريق ؛ فيقال نزلت فيه هذه الآية : (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » . وكان أكرم من المعمرين . أنشد له المرزباني :

وإن امرأ قد عاش تسعين حجة إلى مائة لم يسأم العيش جاهل

أتت مائتان غير عشر وفائها وذلك من مر الليالي قلائل

الإصابة ٤٨٢ والمعمرين للسجستاني ١٠ - ١٣ والأغاني (١٥ : ٧٠) .

٢٥ (٤) لفظه عند السجستاني : « تناءوا في الديار ولا تباغضوا ؛ فإن من يجتمع يتققق عمده » .

(٥) النسئ : التأخير . وكان العرب إذا صدروا عن منى يقوم رجل منهم من =

واجعل الأموال في سُمحائنا (١) .

وقال آخر (٢) :

شَتَّى مَرَاجِلُهُمْ فَوْضَى نَسَاؤُهُمْ وَكُلُّهُمْ لِأَيِّهِ ضَيَّرَ سَلْفُ (٣)
وقال الآخر : ترك الوطن أخذ السبائين (٤) .

وقالوا : من أجذب انتجع .

وقال آخر : مَنْ أَمَلْ أَمْرًا (٥) هَابَهُ ، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ شَيْءٍ عَابَهُ .

وقال الآخر :

رجعنا سالمين كما بدأنا وما خابت غنيمة سالمينا (٦)

وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

لقد نَقَبْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيْتُ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ (٧)

= كناية فيقول : « أنا الذي لا أعاب ولا أجاب . ولا يرد لي قضاء . فيقولون : صدقت ، أنسنا شهراً ؛ أي أخر عنا حرمة الحرم واجعلها في صفر ، وأحل لنا الحرم ؛ لأنهم كانوا يكرهون أن يتولى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها ؛ لأن معاشهم كان من الغارة ، فيحل لهم الحرم ، فذلك هو الإنسان .

(١) السمحاء : جمع سميح ، وهو ذو السماحة والجود . وفي هامش هـ : « في شرح الحديث لابن قتيبة : إذا كثرت الأقطاع والرعاء فالأحمد أن تفرق ويفرقوا . وكانوا يقولون : اللهم حبب بين نسائنا ، وبغض بين رعائنا ، واجعل الأموال في سمحائنا » .

(٢) هو أوس بن حجر . ديوانه ١٧ واللسان والمقاييس (وزن) وأدب الكاتب ٢٨٢ والاقتضاب ٣٨٤ . قال البطلوسي : « ولم أحده في شعر أوس ! وصدده في جميعها :

« والفارسية فيهم غير منكرة » .

(٣) المراحل : جمع مرجل ، وهو القدر من الحجارة أو النحاس . فوضى : مختلطة . والضيزن : الذي يراحم أباه على امرأته . والسلف : واحد السلفين ، وأصله الرجلان يتزوجان بأختين ، فكل واحد منهما سلف صاحبه . أراد أن بينهما مناظرة في الزواج ؛ يقول : هم مثل الجوس يتزوج الرجل منهم امرأة أبيه وامرأة ابنه .

(٤) السبائ والسي : الأسر .

(٥) هـ : « أحداً » .

(٦) أي غنيمة قوم سالمين . والبيت في عيون الأخبار (١ : ١٤٢) ، ما عدل ، هـ : « وما غابت » . يقول : إن الغنيمة في السلامة . وأنشد بعده ابن قتيبة :

وما تدرين أي الأمر خير أما تهوئين أم ما تكهرينا

(٧) ديوان امرئ القيس ١٣٤ برواية : « وقد طوفت » .

وقيل لابن عباس : أيما أحب إليك ، رجل يكثر من الحسنات ويكثر من السيئات ، أو رجل يقل من الحسنات والسيئات ؟ قال : ما أعديل بالسلامة شيئاً !
وقالت أعرابية :

- ٥ فلا تحمدوني في الزيارة إننى أزوركُم إلا أجِد مُتَعَلِّلاً (١)
يعقوب بن داود (٢) قال : ذمَّ رَجُلَ الْأَشْتَرِ (٣) فقال له رجلٌ من النَّخَعِ (٤) : اسكُتْ فَإِنَّ حَيَاتَهُ هَزَمَتْ أَهْلَ الشَّامِ ، وَمَوْتَهُ هَزَمَ أَهْلَ الْعِرَاقِ .
أبو الحسن قال : أُرْسِلَتِ الْخَيْلُ أَيَّامَ بَشْرِ بْنِ مِرْوَانَ (٥) ، فَسَبَقَ فَرَسُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشْرِ ، فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْأَشْعَثِ (٦) : وَاللَّهِ لِأُرْسِلَنَّ غَدًا مَعَ فَرَسِكَ فَرَسًا لَا يَعْرِفُ أَنَّ أَبَاكَ أَمِيرَ الْعِرَاقِ ! فَجَاءَ فَرَسُ إِسْمَاعِيلِ سَابِقًا ، فَقَالَ :
١٠ أَلَمْ أُعَلِّمَكَ ؟!

* * *

وقال أبو العتاهية (٧) :
أَيَا مَنْ لِي بِأَنْسِكَ يَا أَحْيَا وَمَنْ لِي أَنْ أُبْتُكَ مَا لَدَيَا

- ١٥ (١) المتعلل : مصدر ميمي لقولهم : تعلت بالشيء : تلهيت به وتشاغلت .
(٢) هو يعقوب بن داود الأنباري ، ذكره في تاريخ بغداد ٧٥٨١ . ذكر أنه روى عن عاصم بن على . وهذا عاصم توفي سنة ٢٢١ ، ترجم له في تهذيب التهذيب .
(٣) الأشتر النخعي : مالك بن الحارث ، ترجم في (٢ : ٨٧) .
(٤) هم بنو النخع - بالتحريك - بن جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، انتهى نسبهم إلى كهلان بن سبأ في اليمن .
٢٠ (٥) بشر بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك ، ترجم في (٢ : ٢١١) .
(٦) ل : « إسماعيل بن محمد بن الأشعث » .
(٧) الأبيات التالية لم ترو في ديوانه . وفي الأغاني (٣ : ١٤٣) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٨٥) أنها في رثاء صديقه « على بن ثابت » ، وكان قد حضره وهو يجود بنفسه ، فلم يزل ملتزمه حتى فاض . ولما دفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحر بكاء ، وينشد هذه الأبيات . وفي العقد (باب المراثي) أنه رثى بها ولدًا له . وانظر الحيوان (٣ : ٩١ / ٦ : ٥٠٥) حيث أنشد البيتين الثاني والسادس ، والكامل ٢٣٠ ليسك ، وذيل أمالي القالي ص ٢ ، ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) ، والمستطرف (٢ : ٢٩٤) وما سبق في (١ : ٤٠٧) .

كفى حزنًا بدفنك ثم إني
طونك حطوب دهرك بعد نشر
فلو نشرت قواك لى المنايا
بكيئك يا أختي بدر عيني
وكانت فى حياتك لى عظام
تفضت ثراب قبرك عن يدى
كذاك حطوبه نشرًا وطيا
شكوت إليك ما صنعت إليا
فلم يغن البكاء عليك شيا
وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال الآخر (١) :

أبعد الذى بالتعف كويكب
أذكر بالبقياء على من أصابى
رهية رمى بين ثرب وجندل (٢)
ويقيى أنى جاهد غير مؤتل (٣)

يقول : هذه بقياى .

قال : قيل لشريك بن عبد الله (٤) : كان معاوية حليماً . قال : لو كان
حليماً ماسفه الحق (٥) ، ولا قاتل علياً . ولو كان حليماً ما حمل أبناء العبيد على
حرمه ، ولما أنكح إلا الأكفاء .

وأصوب من هذا قول الآخر ، قال : كان معاوية يتعرض ويحلم اذا
أسمع . ومن تعرض للسفيه (٦) فهو سفيه .

وقال الآخر : كان يحب أن يظهر حلمه وقد كان طار اسمه بذلك ،
فكان يحب أن يزداد فى ذلك .

(١) فى حواشى هـ : « هو عبد الرحمن بن زيادة » .

(٢) نعف كويكب : موضع لم يذكره ياقوت . والرمس : القبر .

(٣) البقيا ، بضم الباء : الإبقاء . والتلى : قصر وأبطأ .

(٤) شريك بن عبد الله ، ترجم فى (٢ : ٢٥٣ ، ٢٦٤) .

(٥) سفه الرجل الحق : جهله فلم يره حقا . وفى الحديث : « سئل النبى ﷺ عن الكبر فقال :

الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس » .

(٦) ل : « لسيفه » تحريف .

وقال الفرزدق :

وكان يُجِير النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ فأصبح يبغى نفسه مَنْ يُجِيرُهَا (١)
وكانَ كَعَنَزَ السَّوِّءِ قَامَتِ بِظِلْفِهَا إلى مُدِيَةٍ تَحْتَ التُّرَابِ تُثِيرُهَا (٢)

وقال الثَّوْتُ الْيَمَانِيُّ (٣) :

على أَيْ بَابٍ أُطْلِبُ الْإِدْنَ بَعْدَمَا حُجِبْتُ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا حَاجِبُهُ (٤)

وهذا مثل قوله :

وَالسَّبَبُ الْمَانِعُ حَظُّ الْعَاقِلِ هو الَّذِي سَبَبَ رِزْقَ الْجَاهِلِ

ومثله :

وَرُبَّتْ حَزْمٌ كَانَ لِلسَّقِيمِ عِلَّةٌ وَعِلَّةُ بُرِّ الدَّاءِ حَظُّ الْمَغْفَلِ (٥)

وقال آخر :

يَخِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرَزَّقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ (٦)

وقال عثمان بن الحُوَيْرِثُ ، لعمرو بن العاصي :

لَهُ أَبْوَانٌ فَهُوَ يُدْعَى إِلَيْهِمَا وَشَرَّ الْعِبَادِ مِنْ لَهُ أَبْوَانٌ

(١) البيتان في ديوانه ٢٤٩ ، مع ثالث بعدهما ، وهو :

١٥ ستعلم عبد القيس إن زال ملكها على أى حال يستمر مريرها
وأنشدما في الحيوان (٥ : ٤٧٥) ، وأولهما في (٥ : ٥٩٣) ، وثانيهما في (٥ : ٤٧٠) ،

(٤٧٥) .

(٢) قال البحرى في حماسه ٢٨٤ : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعمة فأراد ذبحها ولم يكن معه شيء يذبحها به ، فبينما هو يفكر في ذلك وأى ذلك يصنع إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض فأبرزت عن سكين كانت مندفنة في التراب ، فذبحها بها . وضرب العرب بها المثل » . وروى ثمانية أشعار في هذا المعنى في الباب ١١٥ . وانظر جمهرة الأمثال للعسكري ٩٥ والميداني (٢ : ١٧٨) ومعجم المرزبانى ٣٧٤ من ١٦ .

(٣) ويقال أيضاً « اللوب اليماني » . انظر ماسبق في (٣ : ٣٥٩ - ٣٦٠) .

(٤) وكذا فيما سبق . وفيما عدا هـ : « على الباب » .

٢٥ (٥) في عيون الأخبار (٣ : ٢٧٣) : « خبط المغفل » ، وهى خير الروايتين .

(٦) ل : « يمنع صاحبه » .

وقد حَكَّمَا فِيهِ لِتَصَدَّقَ أُمُّهُ
وَقَالَتَ : صُرَّاحٌ ، وَهِيَ تَعْلَمُ غَيْرُهُ
وَكَانَ لَهَا عِلْمٌ بِهِ بَيَانٍ (١)
وَلَكِنَّهَا تَهْدِي بِغَيْرِ لِسَانٍ (٢)
وَقَالَ الْآخِرُ (٣) :

يَطْلُبُنَ بِالْقَوْمِ حَاجَاتٍ تَضْمَنُهَا
كَأَنَّ فِيضَ يَدَيْهِ قَبْلَ مَسْأَلَةٍ
بَدَّرَ بِكُلِّ لِسَانٍ يُلَيِّسُ الْمِدْحَا
بَابُ السَّمَاءِ إِذَا مَا بِالْحَيَا انْفَتَحَا (٤)
مِنْ جُودٍ كَفَّفَكَ تَأْسُو كُلِّ مَا جَرَحَا
وَكَلَّتْ بِالذَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ
وَمِثْلُهُ :

إِذَا افْتَقَرَ الْمِنْهَالُ لَمْ يُرْ فَقْرُهُ
وَأَنَّ أَيْسَرَ الْمِنْهَالِ أَيْسَرُ صَاحِبُهُ
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ الصَّمْتُ ،
وَأَنْتَظَرُ الْفَرَجَ (٥) .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، وَكَانَ فِي سَجْنِ الْحِجَاجِ : لَهْفِي عَلَى طَلِيَّةٍ بِمِائَةِ
أَلْفٍ ، وَفَرَجٍ فِي جِبْهَةِ أَسَدٍ (٦) . وَأَنْشَدَ :
رُبَّمَا تَجَزَعُ النَّفْسُ مِنَ الْأَمْرِ
رَلَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ (٧)
وَأَنْشَدَ :

كَرِهْتُ وَكَانَ الْخَيْرُ فِيمَا كَرِهْتُهُ
وَأَحْبَبْتُ أَمْرًا كَانَ فِيهِ شَبَابُ الْقَتْلِ (٨)

(١) مَا عَدَالَ ، هـ : « لِتَصَدِّقَ أُمُّهُ » .

(٢) الصَّرَاحُ : الْخَالِصُ النَّسَبُ .

(٣) هُوَ أَبُو نَوَاسٍ . الْعَمْدَةُ (٢ : ١١١) وَزَهْرُ الْآدَابِ (٣ : ٥) . وَفِي زَهْرِ الْآدَابِ : « غَيْرُ نَائِمَةٍ مِنْ جُودِ كَفِيكَ » . وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْعَمْدَةِ :

أَنْتَ الَّذِي تَأْخُذُ الْأَيْدِيَّ بِحِجْرَتِهِ إِذَا الزَّمَانَ عَلَى أَبْنَائِهِ كَلْحَا
(٤) الْحَيَا : الْمَطَرُ .

(٥) سَبَقَ هَذَا الْخَيْرُ فِي (٢ : ١٦٥ ، ٣٥٠) .

(٦) مَضَى فِي (٢ : ١٦٦) .

(٧) الْبَيْتُ فِي الْخِيَوَانَ (٣ : ٤٩) مَعَ نَسْبَتِهِ إِلَى أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، مَعَ شَيْءٍ مِنْ شَكِّ

الْمُجَاحِظِ . وَأَنْشَدَهُ فِي اللِّسَانِ (فَرَجٌ) مَنْسُوبًا إِلَى أُمِيَّةَ . وَأَنْشَدَ قَبْلَهُ :

لَا تَضَيِّقُنِ فِي الْأُمُورِ فَقْدَ تَكْ شَفَّ غَمًّا وَهِيَ بِغَيْرِ احْتِيَالٍ
(٨) الشَّبَابُ : جَمْعُ شَبَابَةٍ ، وَهُوَ حَدُّ الشَّيْءِ أَوْ حَدُّ طَرَفِهِ . وَمِنْهُ شَبَابَةُ السَّيْفِ .

مثل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ .

وكان يقال : تُحَدِّدُ مَقْتَصِدَ الْعِرَاقِ ، وَجْتَهِدَ الْحِجَازَ .

وقال الآخر :

٢٣٣

لِكُلِّ كَرِيمٍ مِنْ الْأَيْمِ قَوْمِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَاسِدُونَ وَكُشَّحٌ ^(١)

وقال جرير :

إِنِّي لِأَمَلٌ مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ ^(٢)

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وقال ابن هرمة :

أَشْمٌ مِنَ الَّذِينَ بِهِمْ قُرَيْشٌ تُدَاوِي بَيْنَهَا غَبْنَ الْقَبِيلِ ^(٣)

كَأَنَّ تَلَأَلَوْا الْمَعْرُوفَ فِيهِ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي السَّيْفِ الصَّقِيلِ

وقال امرؤ القيس :

أَجَارَتْنَا إِنْ الْمَرَارَ قَرِيبٌ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبٌ ^(٤)

أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيانِ هَاهُنَا وَكَلَّ غَرِيبٌ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ

(١) الكَشَّحُ : جمع كاشح ، وهو العدو الباطن العداوة ، كأنه يطويها في كشحه . والكشح بالفتح : الخصر . وقد سبق البيت في ص ٢١٧ .

(٢) من قصيدة له في ديوانه ٤١٥ يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، مطلعها :
إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا جَعَلَ الْخِلاَفَةَ فِي الْإِمَامِ الْعَادِلِ

(٣) الأشم : السيد ذو الأنفة . والغبن بالفتح وبالتحريك : ضعف الرأي . ل وهامش هـ « عن القبيل هـ : « غبن القليل » . والوجه ما أثبت .

(٤) البيتان لم يرويا في ديوانه . وعسيب : جبل بعلية نجد . ورواية ياقوت (في رسم عسيب)
واللسان (عسب) : « إن الخطوب تنوب » . وعجز هذا البيت في مجالس ثعلب ٥٤٠ .

وقال بشار :

وإذا اغتربت فلا تكن جشيعاً تسمو لعت الكسب تكسبه (١)

وقال حسّان بن ثابت :

أهدى لهم مدحى قلب يوازره فيما أحب لسان حائك صنع (٢)

وقال الأصمعي : أنشدنا أبو مهدية (٣) :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسيحاً وقرآنا (٤)

وقال الخزرجي ، يرد على أبي قيس بن الأسلت ، واسمه صيفي (٥) :

أتفخر صيفي فيما تقو ل أن نلثم غيلة أربعة (٦)

عرانين كلهم ماجد كثير الدسائع والمنفعة (٧)

فهلّا حضرت غداة البق بيع لماناسمات أبو صغصعة (٨)

ولكن كرهت شهود الوغى وكنتم كذلك في المعمة (٩)

سراعاً إلى القتل في حفية بطاء عن القتل في المجمة (١٠)

(١) التيمورية : « وإذا اغتربت » ب ، ج : « اعترت » صوابها في ل ، هـ .

(٢) المدح : جمع مدحة ، بالكسر . لسان حائك : يحوك الشعر والكلام حوكاً : ينسجه ويلازم

بين أجزائه ، كما يصنع الحائك ، وهو النساج . ما عدل ل ، هـ : « خائط » تحريف . صنع : صانع

حاذق . والبيت من قصيدة لحسان في ديوانه ٢٤٨ - ٢٥١ يعارض بها الزبيرقان بن بدر .

(٣) أبو مهدية الأعرابي ترجم في (٢ : ٢٨١) .

(٤) البيت لحسان بن ثابت ، كما سبق في حواشي (١ : ٢٢٠) .

(٥) ترجم في ٢٣ من هذا الجزء .

(٦) الغيلة ، بالكسر : الاغتيال ، وهو أن يخذعه ثم يقتله . ما عدل ل : « غيلة » ، تحريف .

(٧) العرانين : جمع عرين ، وهم السادة والأشراف . والدسائع : جمع دسيعة ، وهي العطية .

(٨) البقيع : مقبرة أهل المدينة في داخلها . المستميت : الشجاع الطالب الموت . ب ، ج مع أثر

تغيير في الأخيرة : « لما استمال » .

(٩) المعمة : استعمار نار الحرب ، أو صوت المقاتلة فيها . هـ : « كرهتم » .

(١٠) ل : « في مجمعه » .

وَأَنْشُدِ الْأَصْمَعِيُّ :

آتَى التَّدِيَّ فَلَا يُقَرَّبُ مَجْلِسِي وَأَقْوَدُ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ حِمَارِيَا (١)

وقال حبيب بن أوس :

كَالْحُوطِ فِي القَدِّ وَالغَزَالَةِ فِي البَهِّ حِجَّةُ وَابْنِ الغَزَالِ فِي غَيْدِهِ (٢)

وَمَا حَكَاهُ ، وَلَا نَعِيمَ لَهُ ، فِي جَيْدِهِ بَلْ حَكَاهُ فِي جَيْدِهِ (٣)

إِلَى المُفَدَّى أَبِي يَزِيدَ الذِّي يَضِيلُ غَمْرَ المُلُوكِ فِي ثَمَدَةَ (٤)

ظَلَّ عَفَاةً ، يُحِبُّ زَائِرَهُ حُبَّ الكَبِيرِ الصَغِيرِ مِنْ وَليدِهِ (٥)

إِذَا أَنَاخُوا بِيَابِهِ أَخَذُوا حُكْمَهُمْ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ (٦)

وقال أيضاً :

لَعَمْرُكَ مَا كَانُوا ثَلَاثَةَ إِخْوَةٍ وَلَكِنَّمْ كَانُوا ثَلَاثَ قَبَائِلِ (٧)

(١) الندى : مجلس القوم . وأنشده في الحيوان (٦ : ٤٨٦) مسبوقة بقوله : « وقال آخر ووصف ضعفه وكبر سنه » . وأنشده في اللسان (شرف) شاهدا للشرف بمعنى المكان العالي ، وعقب عليه بقوله : « يقول إنى خرفت فلا ينتفع برأىي ، وكبرت فلا أستطيع أن أركب من الأرض حمارى إلا من مكان عال » . ورواية اللسان : « حمارى » موضع « حماريا » .

(٢) الأبيات من قصيدة له في ديوانه ٩١ - ٩٥ بمدح بها خالد بن يزيد الشيباني مطلعها :

مالكتيب الحمى إلى عقده ما بال جرعائه إلى جرده

الحوط ، بالضم : الغصن الناعم ، والغزالة . الشمس عند طلوعها ، أو عند ارتفاعها. وابن الغزال ، عنى به الظبي ، والغيد : ميل العنق ولين الأعطاف .

(٣) الجيد : طول العنق في حسن .

(٤) أبو يزيد : كنية خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني . وفيه يقول أبو تمام أيضاً :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووعى ومبدي غارة ومعيدا

والغمر : الماء الكثير . والتمد : القليل . يقول إن قليله أعظم من كثير غيره من الملوك ، فكثيرهم مستصغر في جانب قليله .

(٥) العفاة . جمع عاف ، وهو الطالب .

(٦) أخذوا حكمهم ، أى كل ما يرغبون . ويعنى أيضاً أن فعله مطابق قوله ، وإنجازته مصاحب

وعده . في هامش هـ عن نسخة : « حكميم » .

(٧) من أبيات لأبي تمام يرنى بها بنى حميد الطوسى ، وهم أبو نصر ، وقحطبة ، ومحمد .

ومن خطباء الخوارج

قَطْرِيُّ بن الفَجَّاءة^(١) ، أحدُ بني كَاطِيَةَ بن حُرْقُوص^(٢) ، وكنيته أبو نعامه في الحرب ، وفي السلم أبو محمد . وهو أحد رؤساء الأزارقة . وكان خطيباً فارساً ، خرج زمن مُصعب بن الزُّبَيْر ، وبقي عشرين سنة . وكان يدين بالاستعراض^(٣) والسِّبَاء ، وقتل الأطفال . وكان آخرُ من بُعث إليه سفيان بن الأبرد الكلبِي^(٤) وقتله سَوْرَة بن أَبَجْر الدارمي ، من بني أبان بن دارم .

ومن خطباء الخوارج وشعرائهم وعلمائهم :

حَبِيب بن نُحْدرة^(٥) ، عِداده في بني شيبان ، وهو موالي لبني هلال بن عامر^(٦) .

ومن علمائهم وخطبائهم وأئمتهم :

الضُّحَّاك بن قيس^(٧) ، أحد بني عمرو بن مُحَلِّم بن ذُهَل بن شيبان ،

(١) ترجم في (١ : ٣٤١) .

(٢) كاطية ، بالباء بعدها ياء تحتية ، من قولهم كبا الزند يكتبو ، إذا لم يور ناراً . وهم بنو كاطية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . الاشتقاق ١٢٤ - ١٢٥ . ل : « كاطية » ما عدل ل : « كنانة » ، صوابهما ما أثبت . ١٥

(٣) الاستعراض : أن يعترض الناس يقتلهم . انظر اللسان (عرض ٣٩) . وفي أمالي القالي (١) : (١١٩) : « ويقال خرجوا يضربون الناس عن عرض ، يريدون : عن شق وناحية ، لا يبالون من ضربوا . ومنه استعراض الخوارج الناس ، إذا لم يبالوا من قتلوا » . وفي الكامل ٦١٦ ليسك : « وقال أبو بيهس : الدار دار كفر ، والاستعراض فيها جائز ، وإن أصيب من الأطفال فلا حرج » . فهو اصطلاح خاص بالخوارج في هذا المعنى . ٢٠

(٤) ترجم في (١ : ٦١) .

(٥) خلدرة بالخاء ، كما سبق في ترجمته (١ : ٣٤٦) . ل ، هـ : « جدرة » تحريف .

(٦) ما عدل ل : « الهلال بن عامر » .

(٧) ترجم الضحَّاك بن قيس بن خالد في (١ : ٣٨٠) . ٢٥

ويكنى أبا سعيد . مَلَكُ العَرَّاقِ ، وَصَلَّى خَلْفَهُ عبدُ الله بنِ عمر بنِ عبدِ العزیز ،
وعبدُ الواحد بنِ سليمان ^(١) . وقال شاعرهم ^(٢) :

ألم تر أن الله أظهر دينه وصلَّت قريشٌ خلف بكر بن وائل ^(٣)

ومن علمائهم : وخطبائهم : نصر بن ملحان ، وكان الضُّحَّاك وآله الصلاة
بالناس ، والقضاء بينهم .

ومن علمائهم : مُلَيْلٌ ، وأصغرُ بن عبد الرحمن ^(٤) ، وأبو عبيدة كورين ،
واسمه مُسَلِّمٌ ، وهو مولى لعروة بن أذينة ^(٥) .

ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقَعْدِهِم وأهل الفقه : عمران بن
٢٣٦ حِطَّان ^(٦) ويكنى أبا شهاب ، أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة .

ومن الخوارج من بنى ضَبَّةً ثم أحد بنى صَبَّاح ^(٧) : القاسم بن عبد الرحمن بن
صُدَيْقَة ^(٨) . وكان نسباً عالماً داهياً ، وكان يشوب ذلك ببعض الظرف .

ومن علمائهم ونُسَّابِهِم وأهل اللِّسَن منهم : العَجون بن كِلاب ، وهو من
أصحاب الضُّحَّاك .

ومن رجالهم وأهل التَّجْدَةِ والبيان منهم : خُرَّاشَة ^(٩) ، وكان رَكَضاً ، ولم
يكن اعتقد .

أخبرني أبو عبيدة قال : كان مِسْمَارٌ مستخفياً بالبصرة ، فتخلصت إليه

(١) في (١ : ٣٤٣) أنه « سليمان بن هشام » . وهو المطابق لما ورد في الطبرى (٩ : ٦٤) .

(٢) هو شيبيل بن عَزْرَة الضبعي . الطبرى (٩ : ٦٤) .

(٣) سبق البيت في (١ : ٣٤٣) . وفي الطبرى : « فصلت » .

(٤) انظر ما سبق في (١ : ٣٤٧) .

(٥) كان إباضياً من الصفرية . انظر ماضى في (١ : ٣٤٧) . هـ : « أرية » .

(٦) ترجم في (١ : ٤١) .

(٧) ما عدل : « صبيح » .

(٨) ترجم في (١ : ٣٤٣) . ما عدل : « صديق » ، تحريف .

(٩) ل : « جراشة » بالجيم .

فأخبرني أنه الذي طعن مالك بن علي في فيه ، وذلك أنه فتح فاه يقول : أنا أبو علي ! ففتحها بها فاه^(١) ، فطعنته في جوف فمه^(٢) .

ومن شعرائهم عتبان بن وصيلة الشيباني^(٣) ، وهو الذي يقول :
ولا صلح مادامت منابر أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

وعن عيسى بن طلحة قال :

قلت لابن عباس : أخبرني عن أبي بكر . قال : كان خيراً كله ، علي الجدة وشدة الغضب .

قال : قلت : أخبرني عن عمر . قال : كان كالطائر الحذر قد علم أنه قد نُسب له في كل وجه جباله ، وكان يعمل لكل يوم بما فيه ، على عُنف السباق . ١٠
قال : قلت : أخبرني عن عثمان . قال : كان والله صَوَاماً قَوَاماً ، لم يخدعه نومه عن يقظته .

قال : قلت : فصاحبكم ؟ قال : كان والله مملوءاً جليماً وعليماً ، غرته سابقته وقربته^(٤) ، وكان يرى أنه لا يطلب شيئاً إلا قدر عليه . قلت : أكنتم تُروونه محدوداً^(٥) . قال : أنتم تقولون ذلك . ١٥

(١) شحا فاه : فتحه . في جمهور النسخ : « فاتحا فاه » . وأثبت ما في هـ وهامش التيمورية .

(٢) ما عدل : « جوب فمه » .

(٣) وصيلة ، بفتح الواو ، واشتقاقه من وصيلة الغنم كما نص ابن دريد . وعتبان ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٢١٦ في رجال شيبان . وأنشد له يقول لعبد الملك :

فإنك إلا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصب

(٤) سابقته ، أى سبقه إلى الإسلام . وكان على رضى الله عنه أول من آمن من الصبيان .

(٥) المحدود : المحروم من الخير ، والذي لا يوفق إلى صواب . وانظر مثل هذا الكلام لابن عباس

في مروج الذهب (٣ : ٦٠) حين سأله معاوية .

كلام في الأدب

قال معاوية : ما رأيت سرفاً قط إلا وإلى جنبه حق مضيع .

وقال عثمان بن أبي العاص : الناكح مغترس ، فلينظر امرؤ أين يضع
عَرسه (١) .

وقالت هند بنت عتبة : المرأة غُلٌّ ، ولا بدَّ للعنق منه ، فانظر من تضعه في
عنقك (٢) .

وقال ابن المقفع : الدِّينُ رِقٌّ فانظر عند من تضع نفسك .

وقال عمرو بن مسعدة (٣) ، أو ثابت أبو عبَّاد : لا تستصحب من يكون

٢٣٧ استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه ، وفوائد علمه .
ومن كانت غايته الاحتيال على مالك ، وإطراءك في وجهك فإن هذا لا يكون
١٠ إلا ردئ الغيب ، سريعاً إلى الذم .

(١) سبقت وصية عثمان بن أبي العاص في (٢ : ٦٧) .

(٢) الغل ، بالضم : جامعة توضع في العنق أو اليد . وفي الحديث : « وإن من النساء غلا قميلاً

يقذفه الله في عنق من يشاء ثم لا يخرجها إلا هو » .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ١٠٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قلنا في صدر هذا الجزء الثالث في ذكر العصا ووجوه تصرفها .
وذكرنا من مقطعات كلام التُّسَّاك ، ومن قصار مواعظ الرُّهَّاد ، وغير ذلك مما يجوز في نوادر المعاني وقصار الخُطَب .

٥ ونحن ذاكرون ، على اسم الله وعونه ، صدرأً من دُعاء الصَّالحين والسَّلف المتقدِّمين ، ومن دُعاء الأعراب ؛ فقد أجمَعوا على استحسان ذلك واستجادته ؛ وبعض دُعاءِ الملهوفين ، والتُّسَّاكِ المتبتلين .

وقال الله لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ مَا يَعْبا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعاؤُكُمْ ﴾ . وقال :
﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ يَدْعوُنَّا رَغْباً وَرَهْباً ﴾ ، وقال :
﴿ والمستغفرين بالأسْحار ﴾ . ١٠

قالوا : كان عمرو بن معاوية العُقيلي (١) يقول : اللهم قِنِي عَثْرَاتِ الْكِرَامِ
والكلام (٢) .

وقال أعرابيٌّ لرجل سألَه : جَعَلَ اللهُ الخَيْرَ عَلَيْكَ دليلاً ، ولا جعلَ حَظَّ
السَّائِلِ مِنْكَ عِدْرَةً صادقة (٣) .

١٥ وقال بعضُ كِرَامِ الأعرابِ مَمَّنْ يقرِضُ الشَّعْرَ ويؤثِرُ الشُّكْرَ :

(١) كان عمرو بن معاوية العقيلي من أصحاب الولايات . وفي عيون الأخبار (١ : ١١٦) :
« قيل لعمرو بن معاوية العقيلي - وكان صاحب صوائف - : بم ضبطت الصوائف ؟ أي الثغور . قال :
بسمانة الظهر وكرة الكعك والقديد » .

(٢) في عيون الأخبار (٣ : ١٧٥) : « اللهم بلغني عثرات الكرام » . على أن القول نسب إلى
أعرابي في (١ : ٤٠٥) هـ : « عثرات الكلام » وأشير إلى أنها في نسخة « الكرام » . ٢٠

(٣) مضى الخبر في (١ : ٤٠٤) . والعذرة ، بكسر العين : العذر ، قال النابغة :

ها إن تاعذرة إن لم تكن نفعت فإن صاحبها قد تاة في البلد

لعلَّ مُفِيدَاتِ الزَّمَانِ يُفِدَنَنِي بِنِي صَامِتٍ فِي غَيْرِ شَيْءٍ يَضْمِيرُهَا (١)
 قال شيخُ أعرابيٍّ : اللهمَّ لا تُنزلني ماءً سَوِيًّا ، فأكونَ امرأً سَوِيًّا (٢) .
 قال : وسمعتُ عُمرَ بنَ هُيَّيْرَةَ يقولُ في دعائه : اللهمَّ إني أعوذُ بك من
 صديقٍ يُطْرِي ، وجليسٍ يُغْرِي ، وعدُوٍّ يَسْرِي (٣) .

قال : وكتب ابنُ سَيَّابَةَ (٤) إلى صديقٍ له ، إمَّا مُستقرِّضاً وإمَّا
 مُستقرِّضاً (٥) ، فذكرَ صديقُه تحلَّةً شديدةً ، وكثرةَ عيالٍ ، وتعدُّرَ الأمورِ عليه ،
 فكتب إليه ابنُ سَيَّابَةَ : « إن كنتَ كاذباً فجعلك اللهُ صادقاً ، وإن كنتَ
 مليماً (٦) فجعلك اللهُ معذوراً » .

وقال الأصمعيُّ : سمعتُ أعرابياً يقولُ : أعوذُ بك من الفواقِرِ والبواقِرِ (٧) ، ومن
 ٢٣٨ جَارِ السَّوِّءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ وَالظَّنِّ (٨) ، وما يَنْكُسُ برأسِ المرءِ ويُغْرِي به لِتَمَامِ النَّاسِ .
 قال الأصمعيُّ : قيل لخالدِ بنِ نَضْلَةَ (٩) : قال عبدُ يغوثِ بنِ وَقَّاصٍ (١٠)
 ما أذُمُّ ، ما فيها إلاَّ عَطَنِي (١١) ، ليس خالداً بنَ نَضْلَةَ (١٢) ، يعني مُضَرَ . قال خالد :

- (١) سبق البيت في (١ : ٤٠٥) . وبنو صامت : الدرهم والدنانير .
 (٢) مضى الخير في (١ : ٤٠٥ / ٢ : ٢٨٣) والحيوان (٣ : ٤٧٢) .
 (٣) ما عدل : « مطر » و « مفر » و « مسر » . والروايتان في هـ .
 (٤) هو إبراهيم بن سيابة ، كما في (١ : ٤٠٥) . والأغاني (١١ : ٦) .
 (٥) الاستقراض : طلب القرض . وبالفاء طلب القرض ، وهو أن يفرض له عطاء .
 (٦) المليم ، يفتح الميم : الملوم . ل ، هـ والأغاني : « ملوما » . على أن الخير قد نسب في تاريخ
 بغداد (٧ : ٥٧) إلى بشر بن غياث المريسي . ولفظه : « إن كنت معتذراً بباطل فجعلك اللهُ معتذراً بحق » .
 (٧) الفواقِر : جمع فاقرة ، وهي الداهية تكسر فقار الدهر . والبواقِر : جمع باقرة ، عنى بها الداهية
 ٢٥ أيضا . وفي مجالس ثعلب ٥٤٠ : « اللهم إني أعوذ بك من العواقِر والنواقِر » .
 (٨) الظعن ، يسكون العين وفتحها : الارتحال .
 (٩) خالد بن نضلة الأسدي : فارس مشهور من فرسانهم . وله ذكر في يوم النُّسار ، إذ كان
 رئيس أسد يومئذ . انظر كامل ابن الأثير .
 (١٠) ترجم في (٢ : ٢٦٧) .
 (١١) ما أذم ، أى ما أقول إلا حقا . عَطَنِي : جمع عطين ، كجرج وجرجى . وفي اللسان :
 ورجل عطين : منتن الإهاب . ويقال : إنما هو عطينة ، إذا ذم في أمر .
 (١٢) ليس ، هنا ، من أدوات الاستثناء ، مثلها في قوله :

اللهم إن كان كاذباً فاقتله على يد الأم حى في مُضَرَ ! فقتلته نيم الرّباب .
 قالوا : وقف سائل من الأعراب على الحسن فقال : رحم الله عبداً أعطى
 من سعة ، وآسى من كفاف ، وآثر من قلة .
 وقال : في الأثر المعروف : « حصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا أمواج البلاء
 بالدعاء » .

ومن دعائهم : أعوذُ بك من بَطَرِ الغنى ، وذلة الفقر .
 قال : ومن دعاء السلف : اللهم احملنا من الرُّجْلة (١) ، وأغننا من العيلة .
 وسأل أعرابي فقيل له : بُورِكَ فيك ! فتوالى ذلك عليه من غير مكان ،
 فقال : وَكَلِّمَكُمُ اللهُ إلى دعوةٍ لا تحضرها نية .
 وقال أعرابي : أعوذُ بك من سُقْمٍ وَعَدْوَاهِ ، وذِي رَجِمٍ وَدَعْوَاهِ ، ومن
 فاجرٍ وَجَدْوَاهِ ، ومن عميلٍ لا ترضاه .
 وسأل أعرابي فقال له صبئى من جوف الدار : بُورِكَ فيك ! فقال : قبح
 الله هذا القم ، لقد تعود الشر صغيراً (٢) !

وهذا السائل هو الذى يقول :
 رَبِّ عَجُوزٍ عَرْمِسٍ زُبُونٍ (٣) سريعة الردّ على المسكين
 تحسب أن « بُورِكَأ » يكفينى إذا غدوتُ باسطاً يمينى
 وقال آخر : اللهم أعننى على الموت وكُربته ، وعلى القبرِ وعُغمته ، وعلى الميزان

ليت هذا الشهر شهر لا نرى فيه عرييا
 ليس إياى وإياى ك ولا نخشى رقبيا

(١) أى بدل الرجل ، والرجلة ، بالضم : السفر على الرجلين .

(٢) ما عدل : « لقد تعلم » .

(٣) أنشده ثعلب في المجالس ٥٤٠ . وقال : « العرمس : الشديدة . وزبون : تدفع . وأنشده في

اللسان (عرمس) وقال رواية عن ابن سيده : « لا أدرى ، أهو من صفات الشديدة أم هو مستعار فيها » .

وَحِفَّتَهُ ، وَعَلَى الصِّرَاطِ وَرَزَلْتَهُ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوَعْتَهُ .

وَقَالَتْ عَجُوزٌ وَبَلَعَهَا مَوْتُ الْحَجَّاجِ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَتَهُ فَأَمِتْ سُنَّتَهُ .

قال : وكان محمد بن علي بن الحسين بن علي يقول : اللهم أعني على الدنيا بالغنى ، وعلى الآخرة بالتقوى .

٥ . وقال عمرو بن عبَّيد (١) : اللهم أغنيني بالافتقار إليك ، ولا تُفقرني بالاستغناء عنك . ٢٣٩

وقال عمرو : اللهم أعني على الدنيا بالقناعة ، وعلى الدين بالعصمة .

قال : ومرض عوف بن أبي جميلة (٢) ، فعاده قومٌ فجعلوا يُثنون عليه ، فقال : دَعُونَا مِنَ الثَّنَاءِ ، وَأَمِدُونَا بِالذُّعَاءِ .

١٠ . قال : وسمعتُ عمرَ بنَ هبيرةَ يقول : اللهم إني أعوذ بك من طول الغفلة وإفراط الفطنة . اللهم لا تجعل قولي فوق عملي ، ولا تجعل أسوأ عملي ما قارب أجلي .

وقال أبو مَرْجَحٍ (٣) : اللهم اجعل خَيْرَ عملي ما وَلِيَ أجلي .

قال : ودعتُ أعرابيةً لرجل فقالت : كَبَتَ (٤) اللهُ كُلَّ عَدُوِّ لكَ ، إِلَّا نَفْسَكَ .

١٥ . وقال يزيد بن جبَل : احْرُسْ أَخَاكَ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ .

قال : ودعا أعرابيُّ فقال : اللهم هب لي حَقُّكَ ، وأرض عني خَلْقَكَ .

قال : وكان قومٌ تُسَّاكُ في سفينةٍ في البحر ، فهاجت الرِّيحُ بأمرٍ هائلٍ ، فقال رجلٌ منهم : اللهم قد أَرَيْتَنَا قَدْرَتَكَ فَأَرِنَا عَفْوَكَ وَرَحْمَتَكَ .

(١) ترجم في (١ : ٢٣) .

٢٠ . (٢) ترجم في (٢ : ٣٧) .

(٣) هـ : « أبو مذحج » .

(٤) كبته : صرعه ، وأخزاه ، وكسره ، وردّه بغضه ، وأذله . ما عدال ، هـ : « كب » . كبه :

قلبه وصرعه .

قال : وسمع مُطَرِّف بن عبد الله ^(١) رجلاً يقول : أستغفر الله وأتوبُ إليه ! فأخذَ يذراعه وقال : لعلك لاتفعل ! مَنْ وَعَدَ فقد أوجب .

وقال رجلٌ لابن قُثم : كيف أصبحت ؟ قال : إن كان من رأيك أن تُسَدَّ خَلَّتِي ، وتقضىَ ديني ، وتكسُو عُرْيِي ^(٢) خَبَّرْتُكَ ، وإلا فليس الحبيب بأعجب من السائل ^(٣) .

وقال آخر : اللهم أمتعنا بخيارنا ، وأعنا على شيراننا ، واجعل الأموال في سُمحائنا .

وقال أعرابي : اللهم إنيك قد أمرتنا أن نَعْفُو عَمَّن ظلمنا ، وقد ظلمنا أنفسنا فاعفُ عَنَّا .

وقال أعرابيٌّ ورأى إبلَ رجلٍ قد كثرت بعد قِلَّة ، فقيل له : إنَّه قد زُوِّجَ أمه فجاءته بنافجة ^(٤) ، فقال : اللهم إنا نعوذ بك من بعض الرِّزق .

أبو مجيب الرِّبعي ^(٥) قال : قال أعرابي : جنبك الله الأمرين ، وكفاك شرَّ الأجوفين .

الأجوفان : البطن والفرج . والأمران : الجوع والعُرى .

وجاء في الحديث : « من وُقِيَ شرَّ قَبِيهِ ودَبَذَهِ وأَقْلَقَهِ فقد وُقِيَ الشرَّ كُلَّهُ ^(٦) » .

(١) ترجم في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) . وكلمة « بن عبد الله » من ل فقط .

(٢) ما عدا هـ : « عورتي » .

(٣) ل : « فليس السائل بأعجب من الحبيب » .

(٤) ما عدا ل : « بنافجة مال » أي إبل . والنافجة : الإبل يحصل عليها الرجل فتكثر بها إبله .

وكانت العرب تقول في الجاهلية للرجل إذا ولدت له بنت : هنيئاً لك النافجة . أي المعظمة لمالك . وذلك أنه يزوجه فيأخذ مهرها من الإبل فيضمها إلى إبله فينفعها ، أي يرفعها ويكثرها .

(٥) ترجم في (١ : ٣٧٣) .

(٦) ل : « فقد وقى الشر » فقط . والحديث رواه البيهقي عن أنس . وذكر السيوطي في الجامع

الصغير ٩٠٧٣ أنه حديث ضعيف . وقد ورد تفسير الحديث فقط ، في مجالس ثعلب ٥٤٠ بقوله :

« القبقب : البطن . والذذبذب : الذكر . واللقلق : اللسان » .

وقال الأعرابي : مَنَحَكُمُ اللهُ مَنَحَةً لَيْسَتْ بِجَدَاءٍ وَلَا نَكَدَاءٍ ^(١) ، وَلَا ذَاتِ

دَاءٍ .

٢٤٠ . قال : قيل لإبراهيم المحلّمى ^(٢) : أى رجل أنت لولا جِدَّةُ فيك ! قال :
أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِمَّا أَمْلَكُ ، وَأَسْتَصِلِحُهُ مَا لَا أَمْلِكُ .

وقال أعرابيٌّ وماتَ ابنٌ له : اللهمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ بَرِيٍّ ،
فَهَبْ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ طَاعَتِكَ .

الفضل بن تميم ^(٣) قال : قال أبو حازم ^(٤) : لَأَنَا مِنْ أَنْ أَمْنَعَ الدَّعَاءَ
أَخَوْفُ مَنِيَّ مِنْ أَنْ أَمْنَعَ الإِجَابَةَ .

قال : ولما صَافَّ قَتِيْبَةُ بنَ مَسْلِمِ التُّرْكِ وهاله أمرهم سأل عن محمد بن
واسع ^(٥) ، وقال : انظروا ما يصنع ؟ فقالوا : ها هو ذاك في أقصى الميمنة جانحاً
١٠ على سِيَةِ قَوْسِهِ ^(٦) ، يُنْضِنُضُ بِإِصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ ^(٧) . قال قتيبة : تلك الإِصْبَعُ
الفاردة أحبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ ، وَسِنَانِ طَرِيرٍ ^(٨) .

(١) المنحة ، بالكسر : أن يمنح الرجل أخاه ناقة أو شاة ليحللها زماناً أو أهاماً ثم يردّها . والجداء :
القليلة اللبن . والنكداء : القليلة اللبن أيضاً .

١٥ (٢) المحلّمى : نسبة إلى بنى محلم بن ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب . ومعلم ، بكسر
اللام المشددة . ما عدل : « البجلي » نسبة إلى بجيلة .

(٣) سبقت رواية له في ص ٢١٩ . ولم أعر له على ترجمة .

(٤) أبو حازم الأعرج ، مضت ترجمته في (١ : ٣٦٤) . وهذا السند وخيره من ل فقط . على
أن هذا القول يروى لزياد بن أبي زياد الخزومي . كما سبق في ص ١٢٦ من هذا الجزء . ولكن نسبته إلى
٢٠ أبن حازم مثبتة في عيون الأخبار (٢ : ٢٨٦) كما سبقت الإشارة ..

(٥) محمد بن واسع الأزدي ، ترجم في (١ : ٣٥٣) .

(٦) جانحاً : مائلاً . وسية القوس : رأسها .

(٧) النضنضة : التحريك . ما عدل : « يضبض » ، تحريف .

(٨) الفاردة : المنفردة ، والتتحية . والشهير : الذى شهره صاحبه ، أى سله وأبرزه ، ولم ينص

٢٥ على هذه الصيغة في المعاجم . والطرير : المحدد . وانظر رسائل الجاحظ (١ : ٧٧) بتحقيقنا .

وقال سعيد بن المسيَّب (١) ، ومَرَّ به صِلَةٌ بن أَشِيمٍ (٢) : يا أبا الصَّهْبَاءِ ، ادْعُ اللهَ لى بَدَعَاتٍ . قال : زَهْدَكَ اللهُ فى الفانى ، ورَغْبَكَ فى الباقى ، ووَهَبَ لك يقيناً تَسْكُنُ إليه (٣) .

أبو الدَّرءاء قال : إنَّ أبغضَ الناسِ إليَّ أنْ أَظْلِمَهُ مَنْ لم يستعنْ عليَّ إلا بالله .

وقال خالد بن صفوان : احذروا مَجَانِيقَ الضَّعْفَاءِ (٤) ! يعنى الدُّعَاءِ .

وقال : لا يُسْتَجَابُ إلا لِمُخْلِصٍ أو مَظْلُومٍ .

قال : وكان عليُّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه يقول : اللهمَّ إنَّ ذُنُوبى لا تُضْرُكُ ، وإنَّ رَحْمَتَكَ إِيَّاي لا تَنْقُصُكَ ، فاعْفِرْ لى ما لا يَضُرُّكَ ، وأَعْطِنى ما لا يَنْقُصُكَ .

وقال أعرابى : اللهمَّ إنك حَبِسْتَ عَنَّا قَطَرَ السَّماءِ ، فَذَابَ الشَّحْمُ ، وَذَهَبَ اللَّحْمُ ، وَرَقَّ العَظْمُ ، فَارْحَمْ أَنْينَ الآئَةِ ، وَحَنِينِ الحائِئَةِ . اللهمَّ ارحمُ تَحْيَرُها فى مراتعها ، وَأَنْينَها فى مَرابِضِها .

قال : وَحَجَّتْ أعرابِيَّةٌ فلما صارت بالموقِفِ قالت : أسألك الصُّحْبَةَ ، يا كَرِيمَ الصُّحْبَةَ ، وأسألك سِتْرَكَ الذى لا تُزِيلُهُ الرِّياحُ ، ولا تُحَرِّقُهُ الرِّماحُ .

وقيل لعلى بن أبى طالبٍ رضى الله عنه : كم بَيْنَ الأَرْضِ والسَّماءِ (٥) ؟ قال :

(١) المسيَّب ، هذا بكسر الياء ، وتفتح أيضاً ، كما فى القاموس . وترجمة سعيد فى (١ : ٢٠٢) .

(٢) ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٣) هذا الخبر جميعه من ل فقط .

(٤) مجانيق : جمع منجنيق ، وهى آلة كانت تستعمل للرمى بالحجارة ونحوها فى القتال وهو من الألفاظ اليونانية المعربة ، ولنظفه فى اليونانية : **Magganon** . انظر تحقيق الأب أنستاس فى مجلة الثقافة العدد ١٠٠ . وقد مضى هذا النص فى (١ : ٣٥٢) .

(٥) ما عدل : « بين السماء إلى الأرض » . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢٠٨) .

دعوة مُستجابة . قالوا : كم بين المشرق إلى المغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس ، ومن قال غيرَ هذا فقد كذب .

٢٤١ قال : وحجّ أعرابى فقال : اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فأخرجني ، وإن كان نائياً فقربني ، وإن كان قريباً فيسره .

٥ أبو عثمان البَقَطْرِيّ (١) عن عبد الله بن مسلم الفِهْرِيّ (٢) قال : لَمَّا وُلِّيَ مسروق (٣) السُّلْسِلَةَ (٤) انبرى له شابٌ فقال له : وقاك الله خشية الفقر وطول الأمل ، حتى لا تكونَ دريةً للسُّفهاء (٥) ، ولا شيناً على الفقهاء (٦) .

وقال أعرابى في دعائه : اللهم لا تُخَيِّبْنِي وأنا أرجوك ، ولا تعذِّبْنِي وأنا أدعوك . اللهم فقد دعوتك كما أمرتني ، فأجبتني كما وعدتني .

١٠ وقال عبدُ الله بنُ المبارك : قالت عائشة : يا بَنِيَّ لا تطلبوا ما عند الله من عند غير الله بما يسخط الله .

قال : وقال رجلٌ من التُّسَاك : إن ابْتُلِيَتْ أن تدخل مع ناسٍ على السُّلْطَانِ فإذا أخذوا في الشَّاءِ فعليك بالدُّعاء .

١٥ وكان الفضل بن الربيع يقول : مسألة الملوك عن حالهم من تحية النوكى وتقرّب الحمقى ، عليكم بأوجز الدعاء (٧) .

(١) ما عدل : « البقطري » . ويقطر ، بفتح الباء وضمها ، من قرى صعيد مصر . وقال الجاحظ في كتاب البغال : ويكنى أبا عثمان ، واسمه فهدان . رسائل الجاحظ (٢ : ٢٢١) .

(٢) ب ، ج : « سلم » بدل « مسلم » .

(٣) مسروق ، هذا ، هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ، كان من عباد أهل الكوفة وكبار محدثهم ، وولاه زياد على السلسلة ، ومات بها سنة ٦٣ وله ثلاث وستون سنة . تهذيب التهذيب ٢٠ وصفة الصفوة (٣ : ١١) .

(٤) السلسلة : موضع ، لم يذكره ياقوت ولا البكري .

(٥) الدرية : مسهل الدريرة ، وهي الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن والرمى عليها .

(٦) الشين : العيب . ما عدل : « شينا للفقهاء » .

(٧) هذا الخبر في ل فقط . وقد سبق برواية أخرى في (٢ : ٢٥٦) . وانظر ما سيأتى في

وقال الكذاب الحرمازي (١) :

لا هُمَّ إن كانت بنو عميره رهط التلب دعوة مستوره (٢)
 قد أجمعوا الحلفة مصبوره (٣) واجتمعوا كأنهم قاروره (٤)
 في غنم وإبل كثيرة فابعث عليهم سنة قاشوره (٥)
 تحتلق المال احتلاق النوره (٦)

وقال أعرابي :

لا هُمَّ أنت الربُّ تُستغاثُ لك الحياةُ ولك الميراثُ
 وقد دعاك الناسُ فاستغاثوا غيائهمُ وعينك الغيائُ

(١) الكذاب ، لقب له ، وهو عبد الله بن الأعرور ، أحد بني الحرماز بن مالك بن عمرو بن نعيم .
 ولقب لكذبه . وهو القائل :

لست بكذاب ولا أئام ولا مجذام ولا مصرام
 ولا أحب خلة اللغام

وقال يهجو قومه :

إن بني الحرماز قوم فيهم عجز وإكمال على أحمهم
 فابعث عليهم شاعراً يخزيمهم يعلم منهم مثل علمي فيهم

الشعر والشعراء ٦٦٥ والمؤتلف ١٧٠ .

(٢) الرجز روى في اللسان (تلب) بدون نسبة ، وكذلك البيتان السادس والسابع منه في
 (قشر) ، والأول والثاني والسادس والسابع في (حلق) . قال : « والتلب رجل من بني العنبر » .
 الدعوة ، بالكسر : النسب المدعى ؛ وبالفتح : المخالفة . وفي اللسان (تلب ، قصر ٤١٥) : « هؤلاء
 مقصورة » . قال في (قصر) : « مقصورة : أي خلصوا فلم يخالطهم غيرهم من قومهم » . هـ : « حلفة
 مقصورة » .

(٣) يمين الصبر ، هي التي تؤخذ من صاحبها بإكراه . وفي الحديث : « من حلف على يمين
 مقصورة » ، أي صبر عليها وحبس حتى حلف بها ، فأسند الصبر إلى اليمين مجازاً . اللسان (صبر) .
 ما عدال : « حلفة مقصوره » ، تحريف . وفي اللسان : « لغدرة مشهوره » .

(٤) القارورة : وعاء من الزجاج يوضع فيه الشراب . أراد كما يجتمع الشراب في القارورة .
 (٥) قاشورة : مجذبة تقشر كل شيء ، كما في اللسان (قشر) عند إنشاد هذا البيت وتاليه .
 والبيت وتاليه في المخصص (١٠ : ١٧٠) أيضاً . وفي المخصص : « ثم أتتنا سنة » و صواب الرواية ما هنا .
 (٦) تحتلق المال : تحلقه ، أي تذهب به . والمال : الإبل . والنورة بالضم : حجر يحرق ويسوى
 منه الكلس ، ويحلق به .

ولم يكن سبيك يُسترات^(١) لم يبقَ إلا عكرش^(٢) أنكأ^(٣)
 وشيجة أصولها مئاث^(٤) وطاحت الألبان والأرماث^(٥)

* * *

وكان سعد بن أبي وقاص يسمي : « المستجاب الدعوة » .

وقال لعمر حين شاطره ماله : لقد هممت . فقال له عمر : لتدعو الله
 عليّ ؟ قال : نعم . قال : إذن لا تجدني بدعاء ربي شقياً .

وقال رسول الله ﷺ : « كم من ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله
 لأبره^(٥) » . منهم البراء بن مالك^(٦) . واجتمع الناس إليه وقد ذههم العدو ،
 فأقسم على الله ، فمنحهم الله أكتافهم^(٧) .

الأصمعي وأبو الحسن قالا : أخبرنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد^(٨) ،
 عن أبيه ، أو عن غيره ، قال :

(١) هذا البيت في ل فقط . السيب : العطاء . يسترات : يستبطأ . والرث : البطء .

(٢) العكرش : نبات خشن ، وفي أطراف ورقه شوك . أنكأ : متفرقة ، كما ينكث الجبل ، وهو
 أن ينقض وينكث خيوطه بعد إبرامها .

(٣) في الأصول : « وشح أصوله » ولا يستقيم بها الوزن . والوشيجة : المشبكة . ب ، ج :
 « مئاث » . التيمورية : « مئاث » وأثبت ما في ل ، هـ . والمئاث : الندية .

(٤) الأرماث : جمع رمث ، وهو مرعى من مراعى الإبل ، من الحمض .

(٥) الطمر ، بالكسر : الثوب الخلق . أبره : أجاب دعوته .

(٦) هو الصحابي الجليل البراء بن مالك بن النضر ، أخو أنس بن مالك . شهد المشاهد كلها مع

رسول الله ﷺ ، ما عدا بدرًا . وكان له القدح المعلى في النصر على مسيلمة يوم البجامة ، إذ اقتحم الحديقة
 على المشركين وفتح بابها ، بعد أن لقي ما لقي من الطعن والضرب . الإصابة ٦١٧ .

(٧) كان ذلك يوم تستر في حرب المسلمين الفرس أيام عمر سنة ٢٠ ، إذ انكشف المسلمون

فقالوا : يا براء ، أقسم على ربك . فقال : أقسم عليك يارب لنا منحتنا أكتافهم ، وألحقتني بنيك !

فحمل وحمل الناس معه ، فقتل مرزبان الزارة ، من عظماء الفرس ، وأخذ سلبه فانهزم الفرس ، وقتل

البراء ، ودفن بتستر . الإصابة ومعجم البلدان .

(٨) هو أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب بن الشهيد الأزدي البصري ، من ثقات المحدثين . توفي سنة

٢٠٣ . تهذيب التهذيب . وفي الخلاصة أنه توفى سنة ٢٣٠ .

بلغ سعداً شيئاً فعَلَهُ المهْلَبُ في العدوِّ ، والمهْلَبُ يومئذٍ قَتَى ، فقال سعد :
« اللهم لا تُره ذُلًّا ! » . فيروُنَ أنَّ الذي ناله المهْلَبُ بتلك الدَّعوة .

* * *

وقال الآخر :

الموت خَيْرٌ من ركوب العارِ والعارُ خَيْرٌ من دخول النَّارِ

* والله من هذا وهذا جارِي *

قالها الحسن بن علي رضي الله عنهما (١) .

وقال الآخر (٢) ، وكان قد وقع في الناس وباءٌ جارِفٌ ، وموتٌ ذريعٌ ، فهربَ
على حِمَارِهِ ، فلَمَّا كان في بعض الطَّرِيقِ ضَرَبَ وجهَ حمارِهِ إلى حَيِّهِ وقال :

لن يُسَبِّقَ الله على حمارٍ ولا على ذى مِيعَةٍ مُطَّارٍ (٣)

أو يَأْتِيَ الحَتْفَ على مقدارٍ (٤) قد يصبِحُ اللهُ أَمَامَ السَّارِي (٥)

* * *

قال : سمع مُجاشِعَ الرَّبِيعِيَّ رجلاً يقول : الشَّحِيحُ أَعْدَرُ من الظَّالِمِ ! فقال
إنَّ شَيْئَيْنِ خَيْرُهُمَا الشُّحُّ لَنَاهِيكَ بهما شراً (٦) .

قال المغيرة بن عُيَيْنَةَ (٧) : سمع عمرُ بن الخطاب رحمه الله رجلاً يقول في

دعائه : اللهم اجعلني من الأقلِّينَ ! قال له عمر : ما هذا الدُّعاء ؟ قال : سمعت

(١) ما عدل : « حسين » بدل : « الحسن » .

(٢) هذه القصة على وجوه شتى في الحيوان (٣ : ٤٦١) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ وزهر

الأدب (٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) .

(٣) الميعة : أنشط الجرى . والمطار والطيَّار : الحديد الفؤاد الماضي . ويصح أن تقرأ « مطار »

بفتح الميم وشد الطاء ، وهو السريع العدو .

(٤) هذا البيت من ل فقط . وفي الحيوان : « الحين » موضع « الحنف » .

(٥) هنا الشطر في التمثيل والمحاضرة ٩ .

(٦) سبق الخبر بلفظ آخر في (١ : ٤٠٥) .

(٧) ما عدل : « المغيرة بن عنبسة » .

٢٤٣ الله يقول : ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ ، وسمَّته يقول : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾

فقال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرف .

وقال ناسٌ من الصحابة لعمر : ما بأل الناس كانوا إذا ظلموا في الجاهلية فدَعَوْا استُجِيبَ لهم ونحن لا نستجاب لنا وإن كُنَّا مظلومين ؟ قال : كانوا ولا مَزَاجِرَ لهم إلا ذاك ^(١) ، فلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الوعدَ والوعيدَ ، والحدودَ ، والقودَ والقصاصَ ، وَكَلَّمَهُمْ إِلَى ذَلِكَ .

وقال عمر بن الخطاب : إِنَّ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا مِنْ شَهْرٍ كَذَا لَسَنَاعَةٌ لَا يَدْعُو اللهُ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ . فقال له قائل : أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَا فِيهَا مُنَافِقٌ ؟ قال : فَإِنَّ الْمُنَافِقَ لَنْ يُوفَّقَ لِتِلْكَ السَّاعَةِ .

١٠ ولَمَّا صَعِدَ الْمُنْبِرَ قَابِضاً عَلَى يَدِ الْعَبَّاسِ يَوْمَ الْاِسْتِسْقَاءِ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ ^(٢) فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ لَمْ تَسْتَسْقِ وَإِنَّمَا كُنْتَ تَسْتَغْفِرُ . قال : « قَدْ اسْتَسْقَيْتُ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ ^(٣) » . ذَهَبَ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴾ .

وكان عمرُ حَمَلَ الْهُرْمَانَ مع جماعةٍ في البحر فغرقوا . قال ابن سيرين : لو كان دعا عليهم بالهلاك لَهَلَكُوا .

قال : وقال محمد بن علي ^(٤) لابنه : يَا بُنَيَّ إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ نِعْمَةً فَقُل :

(١) مزاجر : جمع مزجر .

(٢) ما عدل : « بالاستغفار » ، محرف .

(٣) مجادح : جمع مجدح ، بالكسر ، وزاد الباء فيه للإشباع ، وهو جائز مطرد في مثل هذا عند الكوفيين . والمجدح : نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنه يمطر ، يجعلونه من الأنواء . فأراد عمر إبطال زعمهم في الأنواء والتكذيب بها . يقول : إن الاستغفار هو ما يستقى به ، فهو النوء الذي يترقب به المطر ، لا تلك النجوم . انظر اللسان (جدح) حيث أورد الخبر وفسره .

(٤) محمد بن علي بن الحسين ، أو جعفر الباقر ، المترجم في (١ : ٢٦٢) . وانظر وصية أخرى

له يوصي بها ابنه ، في صفة الصفوة (٢ : ٦١) .

الحمد لله . وإذا حَزَبَكَ (١) أمرٌ فقل : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . وإذا أَبْطَأَ عنكَ رِزْقٌ (٢) فقل : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

قالوا : كان محمد بن علي لا يُسْمِعُ المبتلى الاستعاذة من البلاء (٣) .
قال : وقال قومٌ ليزيد بن أسد : أطال الله بقاءك ! قال : دَعُونِي أُمْتُ وَفِيَّ بَقِيَّةٌ تَبْكُونُ بِهَا عَلَيَّ .

ورأى سالم بن عبد الله (٤) سائلاً يسأل يوم عرفة فقال : يا عاجزُ ، في هذا اليوم تُسألُ غيرَ الله !؟

قال : وكان رجلٌ من الحكماء يقول في دعائه : اللهم احفظني من الصديق .

وكان آخر يقول : اللهم اكفني بوائق الثقات (٥) .

وحدثني صديق لي (٦) كان قد ولي ضياع الرّي قال : قرأتُ على باب شيخٍ منهم : « جَزَى اللهُ مَنْ لا نَعْرُفُ ولا يَعْرِفُنَا أَحْسَنَ الجِزَاءِ ، ولا جَزَى مَنْ نَعْرِفُ وَيَعْرِفُنَا إِلَّا ما هو أَهْلُهُ ، إِنَّه عَدْلٌ لا يَجُورُ » .

وكان على رُشومِ عُمَرَ بنِ مِهْرَانَ التي كان يَرشُمُ بِها على الطَّعامِ (٧) : ٢٤٤ : « اللهم احفظه من يحفظه » .

وقال المغيرة بن شعبه (٨) في كلامٍ له : أن المعرفة لتتفع عند الكلب العقور ، والجمل الصَّوُولُ (٩) ، فكيف بالرجل الكريم .

(١) حزه الأمر : نابه واشتد عليه . ما عدال : « حزنك » .

(٢) ما عدال : « الرزق » . (٣) سبق الخبر وتخرجه في ص ١٥٨ من هذا الجزء .

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر ، ترجم في (٢ : ٢٩١) .

(٥) البوائق : الغوائل والشُرور والدواهي ؛ جمع بائقة .

(٦) هو إبراهيم بن عبد الوهاب ، كما في الحيوان (٥ : ٥٩٤) عند إيراد هذا الخبر بلفظ فيه بعض

الخلافاً .

(٧) الرشوم : جمع رشم ، وهو الخاتم الذي يختم به على البر وغيره من الحبوب . والخبر في

الجهشيباري ٢٢١ مطابق لما هنا . وورد في عيون الأخبار (٢ : ٢٠٨) بلفظ : « ممن يحفظه » .

(٨) سبقت ترجمته في (١ : ٣٢٧) .

(٩) ما بعدها من بقية الخبر في هـ فقط . وفي الحيوان (٢ : ١٧٣) : « وقال المغيرة =

١٠

١٥

٢٠

٢٥

أبو الحسن قال : قالت امرأة من الأعراب : « اللهم إني أعودُ بك من شرِّ قريشٍ وثقيف ، وما جمعتُ من اللِّيفِ ؛ وأعودُ بك من عبدِ مَلِكِ أمره ، ومن عبدِ مَلَأِ بطنه » .

قال : مرَّ عمرُ بن عبد العزيز برجلٍ يُسبِّحُ بالحصى فإذا بلغ المائة عزَلَ حصاةً ، فقال له عمر : ألقِ الحصى وأخلصِ الدُّعاء .

وكان عبدُ الملك بن هلال الهنائي (١) عنده زنبيلٌ ملآنٌ حصىً ، فكان يسبِّحُ بواحدةٍ واحدة ، فإذا ملَّ شيئاً طرحَ ننتين ننتين ، ثم ثلاثاً ثلاثاً ، فإذا ملَّ قبضَ قبضةً وقال : سبحانَ الله بعددِ هذا ، فإذا ملَّ شيئاً قبضَ قبضتين وقال : سبحانَ الله بعددِ هذا ، فإذا ضَجِرَ أخذَ بعُرْوَتِي الزَّنبيلِ وقَلَبه ، وقال : سبحانَ الله بعددِ هذا كله (٢) ، وإذا بَكَرَ لحاجةٍ لحظَ الزَّنبيلَ لحظةً (٣) وقال : سبحانَ الله عددًا ما فيه .

قال غيلان (٤) : إذا أردت أن تتعلم الدُّعاء ، فاسمَعِ دعاءَ الأعرابِ (٥) . قال سعيد بن المسيَّب : مرَّ بي صِلَةٌ بنُ أُشَيْمٍ (٥) ، فما تماكنت أن نهضت إليه فقلت : يا أبا الصَّهْبَاءِ ، ادعُ الله لي . فقال : رَغَبَكَ اللهُ فيما يبقى ، وَرَهَدَكَ فيما يفنى (٦) ، ووهب لك اليقينَ الذي لا تسكُنُ التُّفوسُ إلا إليه ، ولا تُعوَّلُ في الدِّينِ إلا عليه .

= لرجلٍ خاصم إليه صديقاً له ، وكان الصديق توعده بصداقة المغيرة . فأعلمه الرجل ذلك وقال : إن هذا يتوعدني بمعرفتك إياه ، وزعم أنها تنفعه عندك . قال : أجل ، إنها والله لتنفع ، وإنها لتنفع عند الكلب العقور . العقور : ما يعقر ، أى يعض ويجرح . والصَّوُول : الذى يعدو على صاحبه ويوائبه . (١) الهنأى ، بضم الهاء : نسبة إلى هناة بن مالك بن فهم . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٥٩) مع خلاف في اللفظ .

(٢) هذه الكلمة من ل فقط .

(٣) هو غيلان أبو مروان الدمشقى ، المترجم في (١ : ٢٩٥) .

(٤) مضى هذا القول في (٢ : ١٦٤) .

(٥) ترجم في (١ : ٣٦٣) . (٦) ل : بقى ، تحريف .

أبو الحسن قال : سمع رجلًا بمكة رجلًا يدعو لأُمَّه ، فقال له : ما بال أبيك ؟ قال : هو رجلٌ يَحْتالُ لنفسه (١) .

أبو الحسن عن عُروة بن سليمان العبدى قال : كان عندنا رجلٌ من بنى تميم يدعو لأبيه ويدعُ أُمَّه ، فقبل له في ذلك ، فقال : إنها كَلْبِيَّة ! ورفع أعرابى يده بمكة قبل الناس فقال : اللهم اغْفِرْ لى قبل أن يدهمك الناس !

وقال النبى ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُلْحِينَ فِي الدُّعَاءِ » . ٢٤٥

وقال آخر : دعوتان أرجو إحداها وأخاف الأخرى (٢) : دعوة مظلوم أَعْتَه ، ودعوة ضعيف ظلمته .

قال : كان من دُعَاءِ أبى الدرداء : اللهم أمتعنا بخيارنا ، وأعنا على شيراننا ، واجعلنا خياراً كلنا ، وإذا ذهب الصالحون فلا تُبقنا .

وقال آخر لبعض السلاطين (٣) : أسألك بالذى أنت بين يديه أدل منى بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى ، إلا نظرت في أمرى نظراً من بُرئى أحب إليه من سقمى (٤) .

قالوا : وكان مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير (٥) يقول : اللهم إنك أمرتنا بما أمرتنا به (٦) ولا تقوى عليه إلا بعونك ، ونهيتنا عما نهيتنا ولا تنتهى عنه إلا بعصمتك ، واقعة علينا حجتك ، غير معذورين فيما بيننا وبينك ، ولا مبخوسين فيما عملنا لوجهك .

(١) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٥٨ س ١٢ - ١٣) .

(٢) ما عدل : « كما أخاف الأخرى » .

(٣) ما عداه : « لبعض السلاطين » أى بعض أهل السلطان .

(٤) ل : « من براءى إليه أحب من سقمى » . وأشير في هـ إلى أنها كذلك في نسخة .

(٥) ترجم في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط .

عبد العزيز بن أبان^(١) ، عن سفيان^(٢) ، في قوله : ﴿ دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ ﴾ : كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ قَالَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ .

سفيان^(٣) عن ابن جريج^(٤) ، عن عكرمة^(٥) ، قال في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ قال : كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو وَهَارُونَ يُؤْمِنُ ، فَجَعَلَهُمَا اللَّهُ دَاعِيَيْنِ .

قال : وَلَمَّا وَقَعَ يُونُسُ فِي الْبَحْرِ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ حَوْتٌ ، فَلَمَّا وَقَعَ ابْتَلَعَهُ فَأَهْوَى بِهِ إِلَى قَرَارِ الْأَرْضِ^(٦) ، فَسَمِعَ تَسْبِيحَ الْحِصْيِ ، فَنَادَى يُونُسُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال : ظُلْمَةٌ بَطْنِ الْحَوْتِ ، وَظُلْمَةٌ الْبَحْرِ ، وَظُلْمَةٌ اللَّيْلِ . وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ

- ١٠ (١) هو عبد العزيز بن أبان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، ذكروا أنه كان يضع الحديث على سفيان الثوري . وكان قد ولي قضاء واسط ثم عزل فقصده بغداد فترها . وتوفي سنة ٢٠٧ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٥٦٠٤ .
- (٢) سفيان هذا ، هو سفيان الثوري ، وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي . ونسبته إلى ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة ، وكان يسمى « أمير المؤمنين في الحديث » . وقالوا : كتب عن ألف ومائة شيخ . وكان حافظا فقيها محدثا زاهدا . ولد سنة ٩٨ . وتوفي سنة ١٦١ . تهذيب التهذيب ، والخلاصة ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٩٠) وصفة الصفوة (٣ : ٨٢) ، وتاريخ بغداد ٤٧٦٣ .
- (٣) سفيان هذا ، هو سفيان بن عيينة المترجم في (١ : ١٠٤ / ٢ : ٤٧) .
- (٤) ابن جريج ، هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي المكي ، أصله رومي ، روى عن عطاء والزهرى وعكرمة وغيرهم ، وروى عنه وكيع وابن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهم . كان من فقهاء أهل الحجاز وقرائهم ومُتَقِنِيهِمْ وعبادهم . توفي سنة ١٥٠ وهو ابن سبعين سنة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٢٢) .
- (٥) هو عكرمة البربري أبو عبد الله المدني . مولى ابن عباس ، وأصله من البربر ، كان الحصين بن أنى الحر العنبري ، فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة . روى عن مولاة ، وعلى بن أنى طالب ، وأنى هريرة وخلق ، وروى عنه النخعي والشعبي وغيرهم ، وكان من أعلم الناس بالتفسير . قدم مصر يريد المغرب ، وأحدث في أهل المغرب رأى الصفرية من الخوارج ، ثم عاد إلى المدينة وتوفي سنة ١٠٤ في اليوم الذي توفي فيه كثير عزة ، فشهد الناس جنازة كثير وتركوا عكرمة . تهذيب التهذيب .
- ٢٥ (٦) كلمة « قرار » مما عدل . وقد وضع لها في ل إشارة إلحاق . هـ : « فهوى به » .

كَانَ مِنَ الْمَسْبُوحِينَ . لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١﴾ .

وفي الحديث المرفوع ، أن من دعاء النبي ﷺ : « أعوذ بك من قلبٍ لا يخشع ، وبطنٍ لا يشبع ، ودُعَاءٍ لا يُسمع » .

علَى بن سليم ، أن قيس بن سعد (١) قال : اللهم ارزقني حمداً ومجداً ، فإنه لا حمد إلا بفعال ، ولا مجد إلا بجال (٢) .

عوف قال (٣) : قال رجلٌ في مجلس الحسن : ليهنئك الفارس ! قال له ٢٤٦ الحسن : فلعله حامير (٤) . إذا وهب الله لرجلٍ ولداً فقل : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، وبلغ أشده ، ورزقت بره .

أبو سلمة الأنصاري قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما أحسن تعزية أهل اليمن ! وتعزيتهم : لا يحزنكم الله ولا يفتنكم ، وأثابكم ما أثاب المتقين الشاكرين (٥) ، وأوجب لكم الصلاة والرحمة .

قال : وكان أبو بكر - رحمه الله - إذا عزى رجلاً قال : ليس مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة . الموت أشد ما قبله ، وأهون ما بعده . اذكروا فقد رسول الله ﷺ تهنئ عندكم مصيبتكم (٦) صلى الله على محمد ، وعظم الله أجركم .

(١) قيس بن سعد بن دليم ، ترجم في (١ : ٢٥١) .

(٢) مضي الخير في (٢ : ١٤٧) .

(٣) بدله فيما عدل : « وقال » فقط . وعوف بن أبي جميلة ترجم في (٢ : ٣٧) .

(٤) الحامير : ذو الحمار ، كما يقال فارس لذي الفرس . اللسان (حمر) . ما عدل ، ه : .

« خامر » تصحيف .

(٥) كلمة « الشاكرين » من ل فقط .

(٦) ل : « تذل » بدل : « نهن » .

وكان عليُّ بن أبي طالب - رحمه الله - إذا عَزَى قوماً قال : إن تجزعوا فأهل ذلك الرَّحِم ، وإن تصبروا ففي ثواب الله عَوْضٌ من كلِّ فائت . وإنَّ أعظمَ مصيبةٍ أُصيب بها المسلمون محمد ، ﷺ ، وعَظَمَ أجركم .

وعَزَى عبد الله بن عباس ، عمر بن الخطاب رحمهما الله ، على بنيِّ له مات (١) فقال : عَوْضُكَ اللهُ منه ما عَوْضُهُ منك .

وهذا الصبِيُّ الذي مات هو الذي كان عمر بن الخطاب قال فيه : رِيحَانَةٌ أَسْمُهَا ، وعن قريب ولد بارٌّ ، أو عدوٌّ حاضر .

* * *

سفيان قال : كان أبو ذَرٍّ يقول : اللهمَّ أمتعنا بخيارنا ، وأعتنا على شيراننا .

قال : ودعا أعرابِيٌّ فقال : اللهمَّ إني أعوذ بك مِن الفقر المُدَقِّع ، والذَّلِّ المُضْرِع (٢) .

عَزَّتْ امرأةُ المنصور على أبي العباس (٣) ، مَقْدَمَهُ مكة فقالت : عَظَّمَ اللهُ أجْرَكَ ، فلا مصيبةَ أعْظَمُ من مصيبتك ، ولا عَوْضَ أعْظَمَ من خِلافتك .

قالوا : وقال عمر بن عبد العزيز ، وقد سمعوا وقع الصَّواعق (٤) ، ودَوِيَّ

الريح ، وصوت المطر ، فقال وقد فزع الناس : هذه رحمته فكيف نَقَمْتُهُ !

وقال أبو إسحاق (٥) : اللهمَّ إن كان عذاباً فاصرفه ، وإن كان صلاحاً فزِدْ فيه ، وهَبْ لنا الصَّبْرَ عند البلاء ، والشكر عند الرخاء . اللهم إن كانت

٢٤٧

(١) ل : « عن بني له مات » . وانظر استعمال الجاحظ لكلمة « على » بعد التعزية في (٢) :

(٢) ٧٤ ، ٨٢) وما سيأتي في س ١٢ من هذه الصفحة . ولم تتعرض المعاجم لتعيين الحرف الذي يستعمل بعد التعزية .

٢٠

(٢) المدقع : الشديد ، وأدقعه : أُلصِقة بالدقعاء ، وهي التراب . والمضرع : المذل .

(٣) أبو العباس السفاح ، وهو أخو المنصور .

(٤) ل : « وقوع الصواعق » .

(٥) في حواشِي ه : « يعنى النظام شيخه » .

محنة فمُنَّ علينا بالعصمة ، وإن كان عقاباً فمُنَّ علينا بالمغفرة .
قال أبو ذرّ : الحمد لله الذى جعلنا من أمة تُغفر لهم السيئات ، ولا تُقبل
من غيرهم الحسنات .

وكان الفضل بن الربيع يقول : المسألة للملوك من تحية النوكى . فإذا أردت
أن تقول : كيف أصبحت ؟ فقل : صبحك الله بالخير . وإذا أردت أن تقول :
كيف تجددك ؟ فقل : أنزل الله عليك الشفاء والرحمة (١) .

قال أحمد الهجيمى أبو عمر ، أحد أصحاب عبد الواحد بن زيد (٢) :
اللهم يا أجودَ الأجودين ، ويا أكرم الأكرمين ، ويا أعمى العافين ،
ويا أرحم الراحمين ، ويا أحكم الحاكمين ، ويا أحسن الخالقين ، فرّج عنى فرجاً
عاجلاً تاماً ، هنيئاً مباركاً لى فيه ، إنك على كل شىء قدير .

وكان عبد الله الشقري (٣) ، وهو الكعبى ، أحد أصحاب المِضمار (٤) ،
من غلمان عبد الواحد بن زيد - وكنية عبد الواحد أبو عبيدة - يقول :

اللهم إنى عبدك وابنُ عبدك وابنُ أمّتك ، ناصيتى بيدك . اللهم هب لى
يقيناً ، وأدم لى عافية ، وافتح لى بابَ رزق فى عافية (٥) ، وأعوذ بك من النار
والعار ، والكذب والسُخف (٦) ، والحسْف والقذْف (٧) والحقد والغضب .
وحببى لى خلقك ، وحببهم لى . وأسألك فرجاً عاجلاً فى عافية ، إنك على
كل شىء قدير .

(١) انظر ما سبق فى ص ٢٧٥ .

(٢) ترجم فى (١ : ٢٦٤) .

(٣) الشقري بالتحريك : نسبة إلى شقرة ، بكسر القاف ، بن الحارث بن تميم .

(٤) المِضمار : الموضع الذى يضر فيه الخيل . وتضمير الخيل : أن تعلق حتى تسمن ثم ترد إلى

القوت الضرورى فيذهب رهلها ويشند لحمها ، وذلك فى أربعين يوماً .

(٥) ل : « رزق فى عافية » .

(٦) السخف ، بالضم والفتح : رقة العقل وضعفه .

(٧) الحسْف : الذل والنقصان والهوان . والقذْف : السب ، والرعى بالزنا .

دعاء الغنوى في حبسه

أعوذُ بك من السِّجْنِ والدِّينِ ، والسَّبِّ والضَّرْبِ ، ومن العُلِّ والقَيْدِ ، ومن التعذيب والتخيس (١) . وأعوذُ بك من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ (٢) ، ومن شرِّ العدوى في النَّفس والأهل والمالِ . وأعوذُ بك من الخَوْفِ والحَزَنِ ، وأعوذُ بك من الهمِّ والأَرْقِ ، ومن الهَرَبِ والظُّلْبِ (٣) ، ومن الاستخذاء والاستخفاء (٤) ومن الإطراد والإغراب (٥) ، ومن الكذب والعَضِيهَة (٦) ، ومن السَّعَايَةِ والتميمة ، ومن لُومِ القَدْرَةِ ، ومَقَامِ الخِزْيِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، إِنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ٢٤٨

ومن دعائه في الحبس

أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ طَوْلَ العَمْرِ في الأَمْنِ والعَافِيَةِ ، وَالجِلْمَ والعِلْمَ والحِزْمَ ، والأَخْلَاقَ الحَسَنَةَ والأَفْعَالَ المَرْضِيَّةَ ، وَالْيَسَرَ والتَّيْسِيرَ ، وَالتَّمَاءَ وَالتَّثْمِيرَ ، وَطِيبَ الذِّكْرِ وَحُسْنَ الأَحْدُوثَةِ ؛ وَالمَحَبَّةَ في الخَاصَّةِ والعَامَّةِ . وَهَبْ لِي ثَبَاتَ الحُجَّةِ ، وَالتَّأْيِيدَ (٧) عِنْدَ المَنَازَعَةِ وَالمَخَاصِمَةِ ، وَبَارِكْ لِي في المَوْتِ إِنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

* * *

-
- (١) التخيس : الحبس والإذلال . ما عدا هـ : « التحيس » .
 (٢) الحور ، بالفتح : النقصان . والكور بالفتح أيضا : الزيادة . وكان هذا من دعاء النبي ﷺ . ١٥
 اللسان (حور ، كور) .
 (٣) أى من أن أهرب فأطلب .
 (٤) الاستخذاء : الخضوع .
 (٥) يقال : طرده السلطان وأطرده : أمر بإخراجه عن بلده . والإغراب والتغريب : أن ينفى عن بلده . ٢٠
 (٦) العضية : الإفك والبهتان والتميمة .
 (٧) ل : « والتأني » .

وكان صالح المري^(١) كثيراً ما يرّد في مجلسه :

أعوذُ بك من الخسيفِ والمسخ ، والرّجفة والرّزلة ، والصاعقة والرّيح
المهلكة ، وأعوذُ بك من جهدِ البلاء ، ومن شماتة الأعداء .

وكان يقول : أعوذُ بك من التّعَب والتعذّر ، والحبيّة وسوء المنقلب . اللهم
من أرادني بخيرٍ فيسرّ لي خيره ، ومن أرادني بشرّ فاكفني شرّه . اللهم إني أسألك
بحصَب الرّجل^(٢) ، وصلاخ الأهل .

* * *

وكان عيسى بن أبي المُدَوّر^(٣) يقول :

أعوذُ بك من القلّة والذلّة ، ومن الإهانة والمِهْنَة^(٤) ، والإحفاق والوحدّة .
وأعوذُ بك من الحيرة وقِلّة الحيلة ، وأعوذُ بك من جهد البلاء ، وشماتة الأعداء .

محمد بن عبد الله^(٥) قال : قال عمر بن الخطاب رحمه الله : مَنْ أُعْطِيَ
الدُّعاء لم يُحرَم الإجابة . قال الله : ﴿ اذعوني أستجب لكم ﴾ ومن أُعْطِيَ الشُّكْرَ

(١) ترجم في (١ : ١١٣) .

(٢) الرجل : منزل الرجل ، ومسكنه ، وبيته .

(٣) ذكره الجاحظ في اللّحانين البلغاء . انظر (٢ : ٢٢٠) وهو هناك بلفظ « عيسى بن المدور » .

(٤) المهنة ، بفتح الميم وكسرها : الخدمة والابتدال .

(٥) هو محمد بن عبد الله العتبي الأخباري ، من بني عتبة بن أبي سفيان ، كان هو وأبوه سيدين
أدييين فصيحين ، وكان العتبي شاعراً صاحب أخبار وآداب ، وقف يوماً بباب إسماعيل بن جعفر بن
سليمان فطلب الإذن ، فقال له غلمانه : هو في الحمام . فقال :

وأمر إذا أراد طعاماً قال غلمانه مضى الحماما

فيكون الجواب مني إلى الحا جب ما إن أردت إلا السلاما

لست آتيكم من الدهر إلا كل يوم ترون فيه صياما

توفي العتبي سنة ٢٢٨ . وله كتاب الخيل ، كتاب الأعراب ، أشعار النساء اللاتي أحبين ثم

أبغضن . ابن النديم ١٧٦ والسمعاني ٣٨٣ .

لم يُحرم الزيادة ، لقوله عز وجل : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ . ومن أُعطي الاستغفار لم يُحرم القبول ، لقوله عز وجل : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : كونوا أوعية الكتاب ، وينايع العلم ،
وسلوا الله رزق يوم بيوم .

وروى محمد بن علي^(١) عن آبائه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا سألت الله فسأله بباطن الكفين ، وإذا استعدتموه فاستعيدوه بظاهرهما » .

٢٤٩

وقال آخر : اللهم إني أعوذ بك من بَطَرِ الغنى ، وذِلَّةِ الفقر .

أبو سعيد المؤدب^(٢) ، عن هشام بن عروة^(٣) عن أبيه ، عن عائشة قالت : « سألوا ربكم حتى الشَّسع^(٤) ، فإنه إن لم يُسرَّه لم يتيسر » .
سحيم^(٥) ، عن طاوس^(٦) ، قال : يكفي من الدنيا^(٧) ما يكفي العجيين من الملح .

قال : سأل رجل رجلاً حاجةً ، فقال المسئول : اذهب بسلام . فقال السائل : قد أنصفنا من ردنا إلى الله في حوائجنا .

مجالد^(٨) عن الشعبي قال : قال النبي ﷺ : « اللهم اذهب ملك غسان ، وضغ مهور كندة^(٩) » .

قال عمر بن الخطاب : « لكل شيء رأس ، ورأس المعروف تعجيله » .

(١) محمد بن علي أبو جعفر الباقر ، المترجم في (٢ : ٢٦٢) .

(٢) ترجم في (١ : ٢٥٢) .

٢٠

(٣) ترجم مع شيخه .

(٤) الشسع . أحد سيور النعل ، وهو الذي يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي

في صدر النعل المشدود في الزمام .

(٥) هو سحيم بن حفص الأنباري ، المترجم في (١ : ٤٠) .

(٦) طاوس بن كيسان ، ترجم في (١ : ١٧٥) .

٢٥

(٧) ل : « من الدعاء » تحريف .

(٨) مجالد بن سعيد ، ترجم في (١ : ٢٤٢) .

(٩) سبقت رواية الحديث في (٢ : ٢٨) .

القول في إنطاق الله عز وجل

إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، بالعربية المبيّنة على غير التلقين
والتّميرين ، وعلى غير التّدريب والتّدرّيج ، وكيف صار عربياً أعجميّ الأبوين (١) .
وأول من عليه أن يُقرّ بهذا الفحطانيّ ، فإنه لا بدّ من أن يكون له (٢) أب
كان أوّل عربيّ من جميع بنى آدم ﷺ . ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لا يكون
عربياً حتى يكون أبوه عربياً وكذلك أبوه وكذلك جدّه ، كان ذلك موجِباً لأن
يكون نوح ﷺ عربياً ، وكذلك آدم ﷺ .

قال أبو عبيدة : حدثنا مسَمَع بن عبد الملك عن أبي جعفر محمد بن علي
بن الحسين عن آبائه قال : أول من فُتق لسانه بالعربية المبيّنة إسماعيل ، وهو ابنُ
أربع عشرة سنة .

وقال النبي ﷺ : « شهدتُ الفِجَار (٣) وأنا ابنُ أربع عشرة سنة ، وكنت
أُتبلُّ على عُمومتي » . يريد : أجمع لهم التّبل .

قال أبو عبيدة : فقال له يونس : صدقت يا أبا يسار (٤) هكذا حدّثني
نصر بن طريف (٥) .

(١) العجم : خلاف العرب . ما عدل : « أعجمى الأبوين » . والأعجمى والأعجم : الذى فى
لسانه عجمة لا يفصح بالعربية .

(٢) له ، أى للفحطاني .

(٣) هو يوم الفجار الأجر ، وقبله أيام ثلاثة : الفجار الأول ، والثانى ، والثالث . وهذا اليوم
الذى شهده الرسول الكريم كان بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن ، هاجه البراض بقتله عروة الرحال .
وسمى هذا اليوم ونظائره فجاراً لأنها كانت فى الأشهر الحرم التى كان يحرم فيها القتال . انظر خبره مفصلاً
فى العقد الفريد وكامل ابن الأثير والأغانى (١٩ : ٧٣ - ٨١ والعمدة (٢ : ١٦٩ - ١٧٠) والخزانة
(٢ : ٥٠٤) .

(٤) فى الكلام سقط ظاهر .

(٥) لم أجد له ترجمة .

وروى قيس بن الربيع (١) ، عن بعض أشياخه عن ابن عباس : أن الله
أَهِمَّ إِسْمَاعِيلَ الْعَرَبِيَّةَ إِيَّاهُمَا .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ
لَهُمْ ﴾ . قال : قد يُرْسَلُ اللهُ الرَّسُولَ إِلَى قَوْمِهِ ، ولو أُرْسِلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى
قَوْمٍ آخَرِينَ لَمَا كَانَ الثَّانِي نَاقِضاً لِلأَوَّلِ . فإذا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ قَوْمُهُ أَوَّلَ
مَنْ يَفْهَمُ عَنْهُ ، ثم يَصِيرُونَ حُجَّةً عَلَى غَيْرِهِمْ .

وإذا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى الْعَجَمِ فَضْلاً عَنْ
العَرَبِ ، فَحَقَّطَانُ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ قَوْمِهِ أَحَقُّ بِلِزُومِ الفَرَضِ (٢) مِنْ سَائِرِ الْعَجَمِ .

وهذا الجواب جوابٌ عَوَامٌّ التَّرَاتِيَّةُ . فَأَمَّا الخَوَاصُّ الخُلُصُّ فَإِنَّهُمْ قَالُوا :

- ١٠ . العرب كلُّهم شيءٌ واحدٌ ؛ لأنَّ الدارَ والجزيرةَ واحدةً ، والأخلاقَ والشَّيْمَ واحدةً ،
واللغةَ واحدةً (٣) ، وبينهم من التصاهر والتشائبك ، والاتِّفَاقَ فِي الأخلاقِ وَفِي
الأعراقِ ، ومن جهة الخُوُلُوةِ المَرْدَّةِ والعمومةِ المشتبكةِ ، ثمَّ المُنَاسِبَةَ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَى
غَرِيِزَةِ التُّرْبَةِ وَطِبَاعِ الهَوَاءِ والمَاءِ ، فَهَمُّ فِي ذَلِكَ بِذَلِكَ (٤) شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي الطَّبِيعَةِ
واللغةِ ، والهَمَّةِ والشَّمَائِلِ ، والمَرَعَى والرَّايَةِ ، والصَّنَاعَةِ والشَّهَوَةِ . فإذا بَعَثَ اللهُ
عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا مِنَ العَرَبِ فَقَدْ بَعَثَهُ إِلَى جَمِيعِ العَرَبِ ، وَكُلُّهُمْ قَوْمُهُ ؛ لِأَنَّهم جَمِيعاً يَدُّ
١٥ . عَلَى العَجَمِ ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ حَارَبَهُمْ مِنَ الأُمَمِ ؛ لِأَنَّ تَنَاقُحَهُمْ لَا يَعْدُوهُمْ ،
وَتَصَاهُرَهُمْ مَقْصُورٌ عَلَيْهِمْ .

(١) هو قيس بن الربيع الأُسدي الكوفي ، اختلف في توثيقه . روى عن السبيعي والأعمش
والسدي ، وعنه : الثوري ووكيع وعلي بن ثابت . توفي سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب .

٢٠ . (٢) ما عدل ، هـ : « الغرض » .

(٣) « واللغة واحدة » من ل فقط .

(٤) هذه الكلمة من ل فقط .

- قالوا : والمشاكلة من جهة الائتفاق في الطبيعة والعادة ، رُبَّما كانت أبلغ وأوغل من المشاكلة من جهة الرَّجْم . نعم حتى تراه أغلَبَ عليه من أخيه لأُمَّه وأبيه . ورُبَّما كان أشبه به خُلُقاً وخُلُقاً ، وأدباً ومذهباً . فيجوز أن يكون الله تبارك وتعالى حينَ حَوَّلَ إسماعيلَ عربيًّا أن يكون كما حَوَّلَ طبعَ لسانه إلى لسانهم ، وباعده عن لسان العجم ، أن يكون أيضاً حَوَّلَ سائرَ غرائزه ، وسلَخَ سائرَ طبائعه ، فنقلها كيف أحبَّ ، وركَّبها كيف شاءَ . ثم فضَّله بعد ذلك بما أعطاه ٢٥١
- من الأخلاق المحمودة ، واللِّسان البين ، بما لم يخصَّهم به . فكذلك يخصُّه من تلك الأخلاق ومن تلك الأشكال (١) بما يفوقهم ويروِّقهم (٢) . فصار بإطلاق اللِّسان على غير التلقين والترتيب . وبما نُقِلَ من طباعه ونقل إليه من طبائعهم ، وبالزِّيادة التي أكرمها الله بها ، أشرفَ شرفاً وأكرمَ كَرَمًا . ١٠
- وقد علمنا أن الخرسَ والأطفال إذا دخلوا الجنةَ وحُوِّلوا في مقادير البالغين ، وإلى الكمال والتَّمام ، لا يَدْخُلونها إلا مع الفصاحة بلسان أهل الجنة . ولا يكون ذلك إلا على خلاف التَّرتيب والتدرُّج ، والتَّعليم والتَّقوم .
- وعلى ذلك المثال كان كلامُ عيسى بن مريم ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في المهد ، وإنطاق يحيى عليه السلام بالحكمة صبيًّا . ١٥
- وكذلك القولُ في آدَمَ وحواءَ عليهما السلام . وقد قلنا في ذئب أهبان

(١) ما عدل : « الدلائل » .

(٢) يقال راق فلان على فلان ، إذا زاد عليه فضلا ، فهو رائق عليه . أنشد في اللسان :

راقت على البيض الحسان بحسنا وبهاها

ابن أوس^(١) ، وغراب نوح^(٢) ، وهُدُهدُ سليمان^(٣) ، وكلام النملة^(٤) ، وجمارٍ عُزير^(٥) ، وكذلك كلُّ شيءٍ أنطقه اللهُ بقُدْرته ، وسخره لمعرفته .

وإنما يمتنع البالغ من المعارف من قِبَلِ أمورٍ تُعرض من الحوادث ، وأمورٍ في أصل تركيب الغريزة . فإذا كَفَاهم اللهُ تلك الآفاتِ ، وحصَّنهم من تلك الموانع ، ووفَّر عليهم الذِّكَاءَ ، وجَلَّب إليهم جِياد الخواطر ، وصَرَّف أوهامهم إلى التعرُّفِ ، وحبَّب إليهم التَّبين ، وقعت المعرفةُ وتمَّت النعمةُ .

والموانع قد تكون من قِبَلِ الأَحْلَاطِ الأربعة^(٦) على قدر القِلَّةِ والكثرة ، والكثافة والرِّقَّةِ . ومن ذلك ما يكون من جهة سُوءِ العادة ، وإهمالِ النَّفسِ ، فعندها يستوحش من الفكرة ، وَيَسْتَقْبِلُ النَّظَرَ . ومن ذلك ما يكون من

- ١٠ (١) أهبان هذا ، هو أحد الصحابة . يروون أن الذئب كلمه ثم بشره بالرسول . قالوا : كان في غنم له ، فعدا الذئب على شاة منها فصاح فيه أهبان ، فأقعى الذئب وقال له : أنتزع مني رزقاً رزقيه الله ؟ قال أهبان : فضفقت يدي تعجباً وقلت : والله ما رأيت ولا سمعت أعجب من هذا ! فقال : أتعجب من هذا ورسول الله ورسول الله بين هذه النخلات - وأوماً إلى أبيات المدينة - يحدث بما كان ويكون ، ويدعو إلى الله عباده . قال : فجئت إلى النبي ﷺ وأخبرته بالقصة وأسلمت . فكان يقال لأهبان : « مكلم الذئب » . انظر ثمار القلوب ٣٠٩ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠ / ٧ : ٥٠) ، ٢١٣ ، ٢١٧) .

- (٢) انظر للكلام عليه ماورد في الحيوان (١ : ٢٩٨ / ٢ : ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠) .
(٣) خبره مذكور في القرآن في سورة النمل . وانظر الحيوان (١ : ٩٧ ، ٢٩١ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٧٧ / ٦ : ٣١٠ ، ٣١٩ / ٧ : ٤٧) .

- (٤) خبره كذلك في سورة النمل . وانظر الحيوان (٤ : ٨) .

- ٢٠ (٥) هو الذي ورد ذكره في سورة البقرة ، أحياء الله بعد مائة عام من موته ، وفيه قول الله تعالى : « أو كالذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أتئى يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت ، قال لبثت يوماً أو بعض يوم ، قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً » . الآية ٢٥٩ من سورة البقرة ، وكتب التفسير ، وثمار القلوب ٤٦ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠) .

- ٢٥ (٦) الأَحْلَاط - جمع خلط ، بالكسر ، وهو جسم رطب سيال يستحيل إليه غذاء البدن ، كما عرفه بذلك داود في تذكرته (١ : ٦٣) . والأَحْلَاطِ الأربعة ، هى الدم ، والبلغم ، والصفراء ، والسوداء .

الشواغل العارضة ، والقوى المتقسمة . ومن ذلك ما يكون من حُرق المعلم ، وقلة رفق المؤدّب ، وسوء صبر المثقف . فإذا صفّى الله ذهنه ونقّحَه ، وهذّبَه وثقّفَه ، ٢٥٢ وفرغ باله ، وكفاه انتظارَ الخواطر ، وكان هو المفيد له والقائم عليه ، والمريد لهدايته ، لم يلبث أن يعلم .

وهذا صحيح في الأوهام ، غير مدفوع في العقول .

وقد جعل الله الحَال أبا . وقالوا : « الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم » .

وقد رأينا اختلاف صور الحيوان ، على قدر اختلاف طبائع الأماكن (١) .

وعلى قدر ذلك شاهدنا اللغات والأخلاق والشهوات . ولذلك قالوا :

« فلان ابن بجدتها » (٢) ، و « فلان بيضة البلد » (٣) ، يقع ذمًا ويقع حمداً .

وقال زياد : « والله للكوفة أشبه بالبصرة من بكر بن وائل بتميم » .

ويقولون : « ما أشبه الليلة بالبارحة » ، كأنهم قالوا : ما أشبه زمان يوسف

بن عمر بزمان الحجّاج .

وقال سهيل بن عمرو (٤) : « أشبه امرأ بعض بزه » (٥) .

وقال الأصبط بن قريع : « بكلّ واد بنو سعد » (٦) .

(١) انظر الحيوان (٤ : ٧١ / ٥ : ٣٧٠ : ٦ / ٢٥ : ٧ / ١٠٠) .

(٢) يقولونه للدليل الحاذق . قال ابن فارس في مقاييس اللغة : « كأنه نشأ بتلك الأرض » . ويقال بجد

بالمكان بجوداً وبجداً ، بالتحريك ، أى أقام به . ويقال هذا المثل أيضاً للعالم بالشئ المتقن له المميز .

(٣) البلد : أدحى النعام ، أو كل موضع مستحيز من الأرض . فمن أراد المدح أراد أنه واحد

لا نظير له . ومن عنى الذم أراد أنه كبيضة النعامة التي يحضنها غير صاحبها . وذلك أن النعامة تبيض

بيضتها وتركها منفردة بدار مضيفة فيقع عليها غيرها من النعام فيحضنها ، انظر الحيوان (٢ : ٣٣٦ /

٤ : ٣٣٦) وغار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) . ورووا في المدح قول على بن أبى طالب : « أنا

بيضة البلد » . وفي الذم قول الراعى :

تأى قضاة أن تدرى لكم نسباً وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

(٤) سبقت ترجمة سهيل في (١ : ٥٨) . ل : « مهيل » ما عدل : « سهل » صوابها ما أثبت

وقد مضت نسبة المثل التالى إلى سهيل بن عمرو في (٢ : ٢٦٤) .

(٥) البز : الثياب . وقد مضى بلفظ : « أشبه امرؤ » .

(٦) هو مثل قولهم : « بكلّ واد أثر من ثعلبية » . الميداني (١ : ٩٤ ، ٨٤) . وكان الأصبط قد

تأذى من قومه بنى سعد فتحول عنهم إلى آخرين ، فلما رأى ظلمهم وعسفهم قال : =

ولولا أن الله عزَّ وجلَّ أفرَدَ إسماعيلَ من العجم ، وأخرجه بجميع معانيه إلى العرب ، لكان بنو إسحاقَ أولى به . وإنما ذلك كرجلٍ قد أحاط علمه بأنَّ هذا الطُّفلَ من نَجْلِ هذا الرَّجُلِ ، ولكن كما كان من سيفاج لم يُجَزَّ أن يضيفه إليه ويدعوه أباه . وقد جعلَ اللهُ نَسَبَ ابنِ الملائنة نَسَبَ أمِّه ^(١) ، وإن كان وُلِدَ على فراشِ أبيه .

وقد أرسل اللهُ موسى وهارون ، إلى فرعون وقومه وإلى جميع القبُط ، وهما أُمَّتان : كنعانيٌّ وقبِطِيٌّ .

وقد جعلَ اللهُ قومَ كُلِّ نَبِيٍّ هم المبلِغين والحجَّةَ . ألا تَرى أَنَا نَزَعُمُ أَنَّ عَجَزَ العربِ عن مِثْلِ نَظْمِ القرآنِ حجَّةٌ على العجمِ من جهةِ إعلامِ العربِ العجمَ أَنَّهُم كانوا عن ذلك عَجَزَةٌ .

وقد قال النبيُّ ﷺ : « تُحْصِصَتْ بِأَمْرٍ : منها أَنِّي بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ^(٢) ، وَأُجِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهْرًا » . فدَلَّ بِذلك على أَنَّ غَيْرَهُ مِنَ الرَّسُلِ إِنَّمَا كَانَ يُرْسَلُ إِلَى الْخَاصِّ . وليس يجوز

= « بكل واد بنو سعد » . الحيوان (١ : ٣٥٨ / ٣ : ٤ / ١٠٤ : ٣٩٤) .

١٥ (١) الملائنة ، هي التي لآعن الوالي بينها وبين زوجها إذا رماها برجل أنه زنى بها . فيبدأ بالرجل ويقفه حتى يقول : أشهد بالله إنها زنت بفلان ، وإنه لصادق فيما رماها به . فإذا قال ذلك أربعاً قال في الخامسة : وعليه لعنة الله إن كان من الكاذبين . ثم يقم المرأة فتقول أيضاً أربع مرات : أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رمانى به من الزنا . ثم تقول في الخامسة : وعلى غضب الله إن كان من الصادقين . فإذا فرغت من ذلك بانث منه ولم تحل له أبداً . وإن كانت حاملاً فجاءت يولد فهو ولدها ولا يلحق الزوج .

٢٠ (٢) الأحمر والخمر : العجم الذين يكون البياض غالباً على ألوانهم ، مثل الروم والفرس ومن صابهم . والعرب إذا قالوا فلان أبيض وفلانة بيضاء فسعنا الكرم في الأخلاق لا لون الخلقة ، وإذا قالوا فلان أحمر وفلانة حمراء عنت بياض اللون . ومنه في الحديث : « خذوا شطراً دينكم من الحميراء » يعنى عائشة رضي الله عنها . وذلك لبياضها . والأسود : العرب ، لأن الغالب على ألوانهم السمرة والأدمة . وقيل الأحمر : الإنس للدم الذي فيهم ، والأسود : الجن . انظر اللسان (حمر) .

لمن عَرَفَ صِدْقَ ذَلِكَ الرَّسُولِ مِنَ الْأَمَمِ أَنْ يَكْذِبَهُ وَيُنْكِرَ دَعْوَاهُ . وَالَّذِي عَلَيْهِ تَرَكُّ الْإِنْكَارِ وَالْعَمَلِ بِشَرِيعَةِ النَّبِيِّ الْأَوَّلِ .

هَذَا فَرْقٌ مَا بَيْنَ مَنْ بُعِثَ إِلَى الْبَعْضِ ، وَمَنْ بُعِثَ إِلَى الْجَمِيعِ .

* * *

قال : وقال حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ (١) يَوْمَ السَّقِيفَةِ (٢) :

« أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّمُ (٣) ، وَعُذَيْقُهَا الْمُرْجَبُ (٤) ، إِنْ شِئْتُمْ كَرَّرْنَاهَا

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد الأنصاري ، كان من أصحاب الرأي يوم بدر ، إذ نزل رسول الله بأصحابه في أدنى ماء من بدر ، فقال الحباب : يا رسول الله ، هذا منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأق أدنى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فتملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون : فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأى ! مات الحباب في خلافة عمر ، وقد أرى على الخمسين . الإصابة ١٥٤٧ والسيرة ٤٣٩ جوتنجن .

(٢) هي سقيفة بني ساعدة ، من بني كعب بن الخزرج ، رهط سعد بن عباد . المعارف ٥٠ .
والسقيفة : الصفة ، وكل بناء مسقوف . وكان الأنصار والمهاجرون قد اجتمعوا في تلك السقيفة بعد وفاة الرسول . وكان عمر قد زور شيئاً في نفسه يقوله ، فلما نهض ليتكلم قال له أبو بكر : على رسلك ، وخطب فيهم الخطبة التي رواها الجاحظ فيما يلي ، فلما قضى أبو بكر كلامه نهض رجل وقال الكلمة التي رواها الجاحظ منسوبة إلى الحباب . فلما فرغ منها كثر اللغظ وارتفعت الأصوات ، فلما أشفق عمر من الاختلاف قال لأبي بكر : ابسط يدك أبابيك . فبسط يده فبايعه عمر والمهاجرون والأنصار . وكان ذلك في السنة الحادية عشرة من الهجرة . تاريخ الطبرى (٣ : ٢٠٠ - ٢٠١) . ولم يعين الطبرى في (٣ : ٢٠١) صاحب الكلمة التالية . والجاحظ في الحيوان (١ : ٣٣٦) نسبها إلى الحباب . وفي اللسان (جذل) نسبتها إلى سعيد بن عطار ، أو الحباب بن المنذر . ونص الطبرى في (٣ : ٢٠٩) أنه الحباب ، وذكر أنه قال في أول خطبته : « يا معشر الأنصار ، املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سأتموه فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين . أنا جذيلها المحكم ، وعذيقها المرجب ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة » .

(٣) الجذيل : مصغر الجذل ، بالكسر ، وهو العود ينصب للإبل الجرى تتحرك به . يقول : إنه يشطفى برأيه كما تشفى الإبل بهذا الجذل الذي تحتك إليه .

(٤) العذيق : تصغير العذق ، بفتح العين ، وهو النخلة يحملها . والمرجب ، من =

جَدَعَةٌ (١) . مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَإِنْ عَمِلَ الْمُهَاجِرِيُّ شَيْئاً فِي الْأَنْصَارِيِّ رَدًّا ذَلِكَ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَإِنْ عَمِلَ الْأَنْصَارِيُّ شَيْئاً فِي الْمُهَاجِرِيِّ رَدًّا عَلَيْهِ الْمُهَاجِرِيُّ » .

فَأَرَادَ عَمْرُ الْكَلَامِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ (٢) :

- « عَلَى رِسْلِكَ . نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ ، أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَاماً ، وَأَوْسَطُهُمْ دَاراً ، وَأَكْرَمُ النَّاسِ أَحْسَاباً ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهاً ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وِلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمْسُهُمْ رَحِمًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ وَقُدِّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ وَشُرَكَائُنَا فِي الْفَيْءِ ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، آوَيْتُمْ وَنَصَرْتُمْ وَأَسَيْتُمْ ، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا . نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ . لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَنْتُمْ مَحْقُوقُونَ إِلَّا تَنْفَسُوا عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَا سَأَقَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ » .

قَالُوا : فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا وَسَلَّمْنَا .

عِيسَى بْنُ يَزِيدٍ (٣) قَالَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :

- = الترجيب ، وهو التعظيم . وهو أيضاً أن تضم أعذاق النخلة إلى سقماتها ثم تشد بالخصوص لللا ينفضها الريح . وهو كذلك أن يوضع الشوك حوالى الأعذاق لللا يصل إليها سارق ؛ وذلك إذا كانت غريبة طريفة . وقيل أن ترفد النخلة من جانب لتمتع من السقوط ، أى إن له عشيرة تعضده وتمنعه وترفده . بكل ذلك فسرت هذه الكلمة هنا .

- (١) الجَدَعُ : الصغير السن من الأنعام ، وهو أول ما يستطاع ركوبه والارتفاع به . وكانت العرب إذا طفت الحرب بينهم يقول بعضهم متحدياً : إن شئتم أعدناها جدعة ، أى أول ما يتبدأ فيها . اللسان (جدع) .

- (٢) وكذا في العقد (٤ : ٢٥٨ لجنة التأليف) . لكن في نص الطبرى أن كلام أبى بكر سابق لما قيل من قبل . والخطبة برواية أخرى عند الطبرى في (٣ : ٢٠١) وبرواية غير هذه في (٣ : ٢٠٨) . وانظر العقد (٤ : ٢٥٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٣) .

(٣) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، وقد سبقت ترجمته في (١ : ٣٢٤) . ما عدال :

« ابن نذير » .

نحن أهل الله (١) ، وأقرب الناس بيتاً من بيت الله ، وأمستهم رحماً برسول الله ﷺ . إن هذا الأمر إن تناولت له الخزرج لم تقصّر عنه الأوس ، وإن تناولت له الأوس لم تقصّر عنه الخزرج . وقد كان بين الحيين قتلى لا تُنسى ، وجرحى (٢) لا تُداوى . فإن نَعَقَ منكم ناعقٌ فقد جلس بين لَحْيَيْ أُسَيْدِ (٣) ، يَضَعُمُه المهاجرى ويجرّحه الأنصارى » .

قال ابن دأب (٤) : فرماهم والله بالمُسْكِنَةِ .

* * *

من حديث ابن أبى سُفيان بن حويطب ، عن أبيه عن جده قال :
قَدِمْتُ من عُمَرَى فقال لى أهلى : أَعَلِمْتَ أن أبا بكرٍ بالموت ؟ فَأَتَيْتُهُ فَأِذَا
عِيَاه تَذْرِفَان ، فَقُلْتُ : يا خَلِيفَةَ رسولِ الله أليس كنتَ (٥) أوَّلَ من أسَلَمَ وثانى ٢٥٤
اثنينِ فى الغار ، فَصَدَقْتُ هجرَتُكَ وحسُنْتَ نُصْرَتُكَ ، ووَلِيتَ فأحسنتَ
صُحْبَتَهُمْ ، واستعملتَ خيرَهُم عليهم ؟! قال : وحسناً ما صنعتُ ؟ قلت : نَعَمْ
والله . قال : آله (٦) ؟! والله أشكُرُ له وأعلمُ به (٧) ، ولا يَمْنَعُنِي ذلك من أن
أستغفرَ الله .

فما خرجتُ حتّى مات . ١٥

* * *

(١) ذكرت علة تسمية قريش بهذا في ثمار القلوب للتعالي ٨ : ١٠ . فمنها مجاورتهم البيت ، وما تفردوا به من الإيلاف ، والوفادة ، والرفادة ، والسقاية ، والرياسة ، واللواء ، والندوة ، وكونهم على إرث إبراهيم ، وكونهم قبلة العرب وموضع حجهم .

(٢) ما عدل : « وجراح » . ٢٠

(٣) اللحيان بفتح اللام : حائطا الفم ، وهما العظامان اللذان فيهما الأسنان .

(٤) ابن دأب : أحد رواة الأخبار . وهو عيسى بن دأب ، المترجم فى (١ : ٣٢٤) .

(٥) ما عدل : « أما كنت » .

(٦) ما عدل ، هـ : « والله » . وهمة الاستفهام هنا عوض من واو القسم . انظر مثيلها فى قراءة :

(٢٥) (ولا نكنم شهادةً ، الله) . الآية ١٠٦ من سورة المائدة .

(٧) أى أشكُرُ لما صنعت وأعلم به .

أبو الخطاب الزُراريّ ، عن حَجْنَاءِ بن جرير قال : قلت يا أبة ، إنك لم تهج أحداً إلا وضعته ، إلا التيم ؟ قال : لأئني لم أجد حسباً فأضعه ، ولا بناءً فأهدمه ! قال . وقيل للفرزدق : أحسن الكميث في مدائحه ، في تلك الهاشميات ! قال : وجد أجراً وجصاً فبنى (١) .

٥. عامر بن الأسود قال : دخل رجلٌ من ولد عامر بن الظرب (٢) على عمر بن الخطاب رحمه الله ، فقال له : خبرني عن حالك في جاهليتك ، وعن حالك في إسلامك . قال : أمّا في جاهليتي فما نادمت فيها غير لمة (٣) ، ولا هممت فيها بأمة ، ولا خيمت فيها عن بُهمة (٤) ، ولا رآني راءٍ إلا في نادٍ أو عشيرة ، أو حمل جريرة (٥) ، أو خيل مُغيرة .

١٠

* * *

عوانة (٦) قال : قال عمر : الرجال ثلاثة : رجل ينظر في الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها ، ورجل متوكّل لا ينظر فإذا نزلت به نازلةً شاور أهل الرأي وقيل قولهم ، ورجل حائر بائر (٧) ، لا يأتمر رشداً ، ولا يُطيع مُرشداً . قال : كلّم علباء بن الهيثم السدوسي (٨) عمر بن الخطاب في حاجة ، وكان

١٥

(١) الجص ، بكسر الجيم وفتحها : ذلك الذي يطل به البناء .

(٢) سبقت ترجمته في (١ : ٢٦٤) .

(٣) المنادمة : المرافقة والمشاركة . واللمة ، بضم اللام وتشديد الميم وتخفيفها : المثل والقرن والترب ل . « أمة » تحريف . والكلام والقصة بصورة أخرى في الإصابة ٧١٨٨ واللسان (لما ١٢٤) .

(٤) خام يخيم : نکص وجبن . والبهمة ، بالضم : الشجاع لا يدرى من أين يؤتى .

٢٠

(٥) الجريرة : الجنابة يجنيها الرجل . وحملها أن ينهض بتبعها .

(٦) عوانة بن الحكم الكلبي ، المترجم في (١ : ٣١٦) .

(٧) البائر : الثالث لا يهتدى لشيء . والعبارة في اللسان (بور) .

(٨) هو علباء بن الهيثم بن جرير السدوسي . كان أبوه ممن حارب كسرى في وقعة ذي قار .

وعلباء أدرك الجاهلية والإسلام . وشهد الفتوح في عهد عمر ، ثم شهد الحمل فاستشهد بها . وكان أهل

٢٥

الكوفة قد أوفدوه إلى عمر فكان منه ما سرده الجاحظ . الإصابة ٦٤٤٣ .

أَعَوَرَ دَمِيمًا ، جَيَّدَ اللِّسَانَ حَسَنَ البَيَانِ ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ فِي حَاجَتِهِ فَأَحْسَنَ ، صَعَّدَ عَمْرَ بَصَرِهِ فِيهِ وَحَدَّرَهُ ، فَلَمَّا أَنْ قَامَ قَالَ : « لِكُلِّ أَنَاثٍ فِي جُمَيْلِهِمْ خَيْرٌ ^(١) » .

* * *

أَخْبَرَنَا عَنْ عَيْسَى بْنِ يَزِيدَ ^(٢) عَنْ أَشْيَاخِهِ قَالَ :

قَدِمَ مَعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ دَارَ عَثْمَانَ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ عَثْمَانَ : وَأَبْتَاهُ ! وَبَكَتْ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : أَيْنَتْ أَخِي ^(٣) إِنَّ النَّاسَ أَعْطَوْنَا طَاعَةَ وَأَعْطَيْنَاهُمْ أَمَانًا ، وَأَظْهَرْنَا لَهُمْ جِلْمًا تَحْتَهُ غَضَبٌ ، وَأَظْهَرُوا لَنَا طَاعَةَ تَحْتَهَا حِقْدٌ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ سَيْفُهُ ، وَهُوَ يَرَى مَكَانَ أَنْصَارِهِ ، وَإِنْ نَكَّثْنَا بِهِمْ نَكَّثُوا بِنَا ، وَلَا نَدْرِي أَعْلَيْنَا تَكُونُ ٢٥٥ أُمُّ لَنَا ، وَلَئِنْ تَكُونِي بِنْتُ عَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونِي امْرَأَةً مِنْ عُرْضِ الْمُسْلِمِينَ ^(٤) . ١٠

[وَقَالَتْ عَائِشَةُ ابْنَةُ عَثْمَانَ فِي أَبَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي ^(٥) حِينَ خَطَبَهَا ، وَكَانَ نَزَلَ بِأَيْلَةَ ^(٦) وَتَرَكَ الْمَدِينَةَ :

(١) الجميل : مصغر الجمل ، وروى : « فِي جَمَلِهِمْ » وَيُرْوَى : « فِي بَعِيرِهِمْ » . وَالخَيْرُ بِضَمِّ الحَاءِ : المَعْرِفَةُ وَالْعِلْمُ . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : هُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ قَوْمٍ بِصَاحِبِهِمْ . يَعْنِي أَنَّ الْمَسْوَدَ يَسْوَدُ لِمَعْنَى ، وَأَنَّ قَوْمَهُ لَمْ يَسْوَدُوهُ إِلَّا لِمَعْرِفَتِهِمْ بِشَأْنِهِ . انظُرِ اللِّسَانَ (جَمَلٌ) وَالْمِيدَانِي (٢ : ١١٤ - ١١٥) وَمَاسَبِقِي (١ : ٢٣٨) . ١٥

(٢) مَا عَدَالَ ، هـ : « أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يَزِيدَ » . وَقَدْ تَرَجَّمُ عَيْسَى فِي ٢٩٧ .

(٣) مَا عَدَالَ : « يَا ابْنَةَ أَخِي » .

(٤) مِنْ عَرَضِهِمْ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ ، أَيْ مِنْ عَامَتِهِمْ .

(٥) الخَيْرُ رَوَاهُ الْجَاهِظُ فِي الْحَيَوَانَ (٦ : ١٠٤ - ١٠٥) . وَأَبَانَ هَذَا هُوَ ابْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ عَبْدِ شَمْسٍ ، كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ خَرَجَ عَامَ الْحَدِيثِيَّةِ فِي آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ ، يَزِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ ، فَأَرْسَلَ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى قَرِيشٍ يَحْجِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِلْحَرْبِ ، فَلَقِيَهُ أَبَانَ بْنُ سَعِيدٍ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ أَوْ قَارِيهَا لِيَجِيرَهُ مِنْ قَرِيشٍ - وَكَانَ أَبَانَ لَا يَزَالُ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ - فَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَغَ قَرِيشًا الرِّسَالَةَ ، ثُمَّ أَسْلَمَ أَبَانَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ سَنَةِ سَبْعٍ ، وَتَوَفَّى فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ سَنَةَ ٢٧ . السِّيْرَةُ ٧٤٥ وَالْإِصَابَةُ (١ : ١٠) . ٢٠

(٦) أَيْلَةُ ، بِالْفَتْحِ : مَدِينَةٌ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ مِمَّا بَلَى الشَّامِ .

نزلت بيت الضبِّ لا أنت ضائرٌ عدواً ولا مستنفعاً أنت نافعٌ (١)]

* * *

أبو الحسن قال : قال سلامة بن رَوح الجُدَامِي ، لعمر بن العاص : إنّه كان بينكم وبين العرب باب (٢) فكسرتوه ، فما حملكم على ذلك ؟ قال : أردنا أن نخرج الحقَّ من جَفِيرِ الباطل (٣) .

قدم ببيعةِ عليٍّ إلى الكوفة يزيدُ بن عاصمِ الحاربيِّ ، فبايعَ أبو موسى ، فقال عمّارٌ لعليٍّ : والله لينقضنَّ عهده ، وليحلنَّ عقده ، وليفرنَّ جهده ، وليسلمنَّ جُنده .

وقال عليٌّ في رواية الشَّعْبِيّ : حملتُ إليكم دِرَّةَ عمر (٤) لأضربكم بها لنتهوا فأبيتم ، حتى اتخذتُ الخيزُرانةَ فلم تنتهوا . وقد أرى الذي تُريدون : السَّيْف (٥) . وإني لأصلحكم بفسادى (٦) .

* * *

(١) هذه التكملة من هـ والنسخة التيمورية فقط . وبيت الضب مثل في الضيق والقلّة ، كما هو مثل في الاعتصاب . والمستنفع : طالب النفع ، عن ابن الأعرابي . وأنشد في اللسان (١٠ : ٢٣٧) :

١٥ ومستنفع لم يجزه ببلائه نفعا ، ومولى قد أجينا لينصرا

(٢) ما عدال : « ناب » . وهو يعنى بذلك على بن أبي طالب .

(٣) الجفير ، بفتح الجيم : الكنانة والجعبة التي تجعل فيها السهام . ل : « حفير » ، محرفة .

(٤) الدرّة ، بكسر الدال : درة السلطان التي يضرب بها .

(٥) ب والتيمورية : « الذي يريدون » ح : « الذين يريدون » مع أثر تصحيح في كلمة

٢٠ « الذي » ، وأرى هذا الأخير من تصرف قارىء . وأثبت ما في ل . وسائر القراءات مُتَّحجة أيضاً .

(٦) ما عدال ، هـ : « ولأني لأصلحكم بفسادى » محرفة .

كانت العادة في كتب الحيوان

أن أجعل في كلِّ مُصحفٍ من مصاحفها (١) عَشْرَ ورقاتٍ من مقطّعات الأعراب ، ونوادِرِ الأشعار ، لِمَا ذَكَرْتَ عَجَبَكَ بِذَلِكَ ، فَأَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ حَظُّ هَذَا الْكِتَابِ فِي ذَلِكَ أَوْفَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٢) .

قال هَمَّامُ الرَّقَاشِيِّ (٣) :

أبْلِغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مَغْلَقَةً وفي العتابِ حياةً بينَ أقوامٍ (٤)
 قَدِمْتُ قَبْلِي رَجَالًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ في الحَقِّ أَنْ يَلْجُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي
 لَوْ عَدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمُهُمْ قَبْرًا وَأَبْعَدُهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ (٥)
 حَتَّى جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي عَرَضْتُ يبابِ دَارِكٍ أَذْلُوهَا بِأَقْوَامِ (٦)
 وقال أَبُو العَرَفِ الطَّهَوِيُّ :
 وَافَى الوَفُودُ فَوَافَى مِنْ بَنِي حَمَلٍ بَكَرُ الوِفَادَةِ فَاتِي السَّنِّ عُرْزُومُ (٧)

(١) هكذا يستعمل الجاحظ المصحف بمعناه اللغوي ، وإن كان قد خصص منذ جمع القرآن بكتاب الله . وإنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أصحف ، أي جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين . وانظر ما أشرت إليه في مقدمتي لكتاب الحيوان من ختام كل جزء من أجزائه في النسخة الشنقيطية بهذه العبارة : « تم المصحف ... من كتاب الحيوان ، ويليهِ المصحف ... » .

(٢) هذه العبارة جميعها وثيقة تدل على سبق كتاب الحيوان لكتاب البيان .

(٣) عبارة الإنشاد هذه ومقطوعتها ، هي من ل فقط . وقد سبقا في (٢ : ٣١٦) .

(٤) المغلقة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . والبيت في اللسان (غلل) بدون نسبة .

(٥) اللام : العيب . أراد أنه كريم الآباء والأجداد .

(٦) دلوت بفلان إليك : استشفعت به . وفيما سبق : « فقد جعلت إذا ما حاجة » .

(٧) أشير في حواشي هـ إلى أنها في نسخة : « من بني حمل » بالجمع . والبكر ، بالفتح : الفتى من الإبل ، جعله بمنزلة في شبابه وقوته . والفاقي : وصف من فتو يفتو فتاء ، والفتاء : الشباب . ل : « قاني »

ما عدل : « قاني » كلاهما محرف . والعرزوم ، لم يرد في المعاجم المتداولة ، وفيها : « العرزوم » كجعفر ،

و « العرزوم » كقرطاس ، وهو القوى الشديد المجتمع . ل : « غرزوم » بالغين ، وليست له مادة في

- كَزَّ الْمَلَّاطِينَ فِي السَّرْبَالِ حَيْثُ مَشَى وفي المجالس لَحَاطَ زَرَامِيمُ (١)
 لَمَّا رَأَى الْبَابَ وَالْبَوَابَ أَخْرَجَهُ لَوْمٌ مُخَالِطُهُ جُبْنٌ وَتَجْزِيمٌ (٢)
 قَدْ كَانَ لِي بِكُمْ عِلْمٌ وَكَانَ لَكُمْ مَمَشَى وَرَاءَ ظُهُورِ الْقَوْمِ مَعْلُومٌ (٣)

وقال الحارث بن حِزَّة - قال أبو عبيدة : [أنشدنيها أبو عمرو ، وليست

إلا هذه الأبيات . و (٤)] الباقي مصنوع :

- يَأْيُهَا الْمُزْمِعُ نَمَّ انْتَسَى لا يَثْنِكُ الْحَازِي وَلَا الشَّاحِجُ (٥)
 وَلَا قَعِيدٌ أَعْضَبُ قَرْنُهُ هَاجَ لَهُ مِنْ مَرْتَجٍ هَائِجُ (٦)
 بَيْنَا الْفَتَى يَسْعَى وَيُسْعَى لَهُ تَاحَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خَالِجُ (٧)
 يَتْرُكُ مَا رَقَّحَ مِنْ عَيْشِهِ يَعِيثُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجُ (٨)

١٠ (١) الكر : الصلب الشديد . والملاطان : العضدان . والملاط : الشديد اللحظ . والزراميم ، هي فيما عدل : « زراميم » وكلاهما محرف . ولعل أولاهما « زراهم » وليس من مادة هذه الأخيرة في المعاجم إلا قول صاحب القاموس : « الزرامة ، كملابطة : الغليظة والعتيقة » .

(٢) التجزيم : الجبن والعجز ، يقال جزم عنه وجزم ، بتخفيف الزاي وتشديدها . ل : « وتجزيم » صوابه بالجيم كما في سائر النسخ .

١٥ (٣) ل : « شمساً وراء » ، تحريف .

(٤) موضع هذه التكملة بياض في ل فقط ، والكلام متصل في غيرها من النسخ . وقد سددت هذه الخلة من رواية هذا النص في الحيوان (٣ : ٤٩٩) حيث رويت الأبيات شاهداً من الجاحظ لإنكار بعض العرب الطيرة . وكذا أنشدها في البخلاء ١٣٨ .

(٥) الحازي : زاجر الطير ، أو الكاهن . والشاحج : الغراب يشحج بصوته .

٢٠ (٦) القعيد : ماجاء من ورائك من ظبي أو طائر . والأعضب : المكسور القرن . وفي بعض روايات الحيوان : « من مربع » .

(٧) تاح : قدر أو تهبأ . والخالج : ما يتخلج المرء ويتزعه من موت ونحوه .

(٨) رقع : أصلح . ل : « يعيش فيه » ، وأبت ما في الحيوان والبخلاء وما عدل . كما أنشده في اللسان (مجع ، رقع) . والمهج : الأخلاط والذين لا نظام لهم . والهامج : الذي يموج بعضه في بعض ، أو هذا على المبالغة والتوكيد ، كقولهم : ليل لائل .

قلت لعمرو حين أرسلته وقد حبا من دوننا عالج^(١)
لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج^(٢)
واصبب لأضيافك ألبانها فإن شر اللبن الوالج^(٣)

وقال زيان بن سيار بن جابر^(٤):

تخبّر طيرة فيها زياد تخبيره وما فيها خبير^(٥)
أقام كأن لقمان بن عادٍ أشار له بحكمته مشير

(١) حبا له الشيء : اعترض . وفي أمثال الميداني (١ : ٣٣٦) : « من دونها » ، قال : « والهاء للابل » . وعالج : رملة بالبادية بين فيد والقريات ، يترها بنو بختر ، من طيء . وعمرو هذا ، هو ابن الحارث بن حلزة ، كما نص الميداني في الأمثال .

(٢) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها في بطنها . والشول ، بالفتح : جمع شائلة ، وهي التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها . والأغبار : جمع غير بالضم ، وهو بقية اللبن في الضرع . انظر الكامل ٢١٣ ليسك .

(٣) الوالج : الداخِل ، أراد ما يرد إلى الضرع بأن يرش عليه الماء ، وذلك هو الكسع . وقيل : أراد إن شر اللبن ما يبلج البيت ، أي يدخله ، يحته بذلك على بذل اللبن للضيف ، وإبثاره على نفسه وولده . نص على المعنيين في مجمع الأمثال .

(٤) زيان هذا فزاري ، ذكره ابن قتيبة في المعارف ٥١ ، وهو صهر للنابعة ؛ وفيه يقول (ديوانه

: (٤٥

ألا من مبلغ عنى خزيمًا وزبان الذي لم يرع صهرى

وكانت أم زيان إحدى نساء بنى مرة رهط النابعة ، وكان من خير ذلك الشعر ما رواه الجاحظ في

الحيوان (٣ : ٤٤٧) ، أن النابعة خرج مع زيان بن سيار يريدان الغزو ، فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابعة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج في هذا الوجه . فلما رجع زيان من تلك الغزوة سالماً غانماً قال ... « وأنشد الشعر . ومثله في الحيوان (٥ : ٥٥٥) . وانظر عيون

الأخبار (١ : ١٤٦) (٢ : ٢٠٢) والمستطرف للأبشيبي (١ : ٥٤) .

(٥) تخبرها : سألتها أن تخبره . ل ، هـ : « تخبر » تحريف . والطيورة ، بالكسر هنا ، وتقال أيضاً

بكسر ففتح : اسم من تطير بمعنى تشاءم . وفي بعض نسخ الحيوان : « طيره » ، وهو الأوفق . وزياد :

اسم النابعة الديباني ، وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن

سعد بن ذبيان . الشعراء ١١٥ والأغاني (٩ : ١٥٤) والخزانة (١ : ٢٨٠) والمؤتلف والمختلف ١٩١ .

الخبير : العالم ، والخبر بالأمر أيضاً .

تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا
 عَلَى مَتَطَيَّرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ (١)
 بَلَى شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ
 أَحَابِينَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ
 وَمَنْ يُنَزِّحَ بِهِ لِابْدٍ يَوْمًا
 يَجِيءُ بِهِ نَعْيٌ أَوْ بَشِيرٌ (٢)
 وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ (٣) :

نَعِيبَةٌ بَطَّالٍ لُدُنٌ شَبَّ هَمُّهُ
 جَلًّا الْمَسْكُ وَالْحَمَامُ وَالْبَيْضُ كَالثَّدْمَى
 لِعَابُ الْعَوَانِي وَالْمُدَامُ الْمُشْتَعَشُعُ (٤)
 وَقَرَفَ الْمَدَارَى رَأْسَهُ فَهُوَ أَنْزَعُ (٥)
 لِعَيْنٍ تَدْحَى أَوْ لِأُذُنٍ تَسْمَعُ (٦)

٢٥٧

(١) الطير ، بالفتح : اسم من التطير أيضاً . والثبور : الهلاك .

(٢) البيت لم يرو في الحيوان ، وأنشده في اللسان (نرح) بدون نسبة ، قال : « وقد نرح بفلان ،

إذا بعد عن دياره غيبة بعيدة » . ونسب في التاج (نرح) إلى النابغة خطأ .

(٣) هو أبو الرييس الثعلبي ، أحد لصوص العرب ، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان . الخزانة

(٢ : ٥٣٢) . على أن الجاحظ قد خلط هنا بين شعرين ، أحدهما لأبي الرييس الثعلبي يمدح به عبد الله

بن جعفر بن أبي طالب ، وكان أبو الرييس قد سرق ناقته بعد ما صنعها وعلفها . والشعر الآخر لأحد

الأغفال ، يمدح فيه أسيلم بن الأحنف الأسدي ، أحد سادات العرب زمان عبد الملك بن مروان . انظر

الخزانة . وقد سبق بعض أبيات هذه المقطوعة في (١ : ٣٩٦) .

(٤) البطال : الشجاع يبطل جراحته فلا يكثر لها ، أو تبطل عنده دماء الأقران . واللعباب :

الملاعبة . والمدام : الخمر . والمشتعشع : المزوج بالماء . ويروون أن أبا الرييس لما قال هذا الشعر ومدح به

صاحب الناقة ادعت فتيان قريش كلهم هذه الناقة ، وإنما كانت لعبد الله . قال السكري : فعمد رجل من

الموالى إلى نجبية فصنعها وعلفها وجعلها في موضع تلك الناقة ، رجاء أن يسرقها أبو الرييس فيمدحه . فمر

بها أبو الرييس فطردها وقال - قال أبو عبيدة : بل قال هذه الجون المحرزي - :

نجبية عبد دانتها القت والنوى
 يثيرب حتى نيبها متظاهر

وستأتى هذه المقطوعة بعد التالية .

(٥) المدارى ، بكسر الراء وفتحها : جمع المدري ، وهي حديدة كالمسلة يصلح بها الشعر .

ما عدل : « وطيب الدهان رأسه » . وفي الحيوان (٣ : ٤٨٦) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسي : « جلا

الأذفر الأحمى من المسك فرقه » . وطيب الدهان : « .

(٦) أسيلم هذا ، هو أسيلم بن الأحنف الأسدي ، كما في رسائل الجاحظ والخزانة وفي حواشي

نسخة (E) من أصول الكامل ١٠٣ ليسلك عند قوله : « قال عبد الملك بن مروان لأسيلم بن الأحنف

الأسدي : ما أحسن ما مدحت به ؟ » هذه العبارة : « كذا وقع . ويروى : لأسيلم بن الأحنف . =

من النفر الشَّم الذين إذا انتموا وهاب الرجال حلقة الباب قعقعا (١)

إذا التفر السود اليمانون حاولوا له حوك بُرديه أرقوا وأوسعوا (٢)

وقال بعض الأعراب :

ألبان إبل تَعَلَّة بن مسافر

وطعام عمران بن أوفى مثله

إن الذين يسوغ في أعناقهم

لعن الإله تَعَلَّة بن مسافر

وقال بعض الأعراب (٥) :

نجيبة قزم شادها القت والتوى

فقلت لها: سيرى فما بكِ علة

= والصحيح لأسلم بن الأجنف ، بالجيم والنون كذا ذكره الدارقطني في المؤلف واختلف . تدحى : تتدحى ، أى تبسط ، كما فى القاموس . ما عدل : « تدحى » وهذه محرقة .

(١) النفر : اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ، ما بين الثلاثة إلى العشرة ، ولا واحد له من لفظه . أطلقه على الكرام إشارة إلى أنهم ذوو عبد قليل . والشم : جمع أشم ، وهو من به شم ، أى كبير ونخوة ، وأصل الشم ارتفاع الأنف . وفى نوادر القالى ١٦٤ : « من النفر البيض » . انتموا : انتسبوا . ل فقط : « انتجوا » ولا وجه هنا . ويروى : « اعتزوا » بمعنى انتسبوا أيضاً ، كما فى الخزانة . ويروى : « وهاب اللقاص » . حلقة الباب ، أى باب الملك ، يقول : هم ذوو مكانة عند الملوك . (٢) الحوك : النسج .

(٣) الأبيات رواها الجاحظ أيضاً فى البخلاء ١٦٥ . وفى البخلاء : « تعلقة بن مساور » . (٤) فى أعناقهم ، أى فى حلوقهم . وهذه الرواية هى أيضاً رواية البخلاء . وفيما عدل : « فى أحلاقهم » ، وهى صحيحة كذلك ، وأنشدها فى اللسان (حلق) شاهداً لجمع الحلق على « أحلاق » جمع قلة ، والكثير « حلوق » و « حُلُق » ، والأخيرة عزيزة .

(٥) هو أبو الرئيس الثعلبى ، أو الحون الحرزى ، كما سبق فى الحاشية ٤ ص ٣٠٥ . وأنشد الجاحظ الأبيات فى الحيوان (٣ : ٤١٥) بدون نسبة .

(٦) القرم ، بالفتح : الفحل الكريم . وفى جميع النسخ : « قوم » ، صوابه من الحيوان . شادها رقت والنوى ، أى نماها تناول هذا العلف . والتى ، بكسر النون وفتحها : الشحم . والمتظاهر : الذى ركب بعضه بعضاً .

(٧) مدموم : مجتمع مستدير . وروى : « مدموم » ، وهو المتناهى السن . فاطر ، من قولهم : فطر ناب البعير ، إذا شق وطلع . ل : « فإنك عمه » ، تحريف .

فمثلك أو خيراً تركت رذيةً تقلب عينها إذا مرّ طائرٌ (١)

وقال بعض الأعراب - مجهول الاسم - وهو من جيد مُحدّث أشعارهم :

حَفَرْنَا على رِغْمِ اللِّهَازِمِ حُفْرَةً يبطن فُلَيْحٌ وَالْأَسْنَةُ جُنْحٌ (٢)

وقد غَضِبُوا حتّى إذا ملئُوا الرُّبَى رأوا أن لا قراراً على الضّيم أروح (٣)

وقال رجلٌ من مُحارِبٍ :

وقائِلَةٌ : تطوّفٌ في جِدَادٍ وأنت ، إخال ، معطى لو تقوم (٤)

فقلت : الضّارِبَاتُ الطَّلَجُ وَهَنًا على يُمن إذا وضّح النجوم (٥)

قَصَرَ عَلَيَّ بعد الله فقري فلا أسأل الصّديق ولا ألوم (٦)

وقال بعض الطائيين ، وهو حاتم :

وإني لأستحيى حياءً يسرني إذا اللوم من بعض الرجال تطلّعا (٧)

٢٥٨

(١) الرذية : المهزولة من السير . وإنما تقلب عينها مخافة الطائر أن يقع على ما بها من دبر فيأكلها .

(٢) اللهازم ، هم بنو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعّب بن علي بن بكر بن وائل . المعارف ٤٤ ، ٤٣ . فليح : واد يصب في فليح ، بين البصرة وضرية . جنح : مائلات للطنن ، جمع جانحة .

(٣) أى قبول الضيم - وهو الظلم ونقص الحق - أروح لهم وأجلب للسرور .

(٤) الجداد بفتح الجيم وكسرهما : أوان صرام النخل ، وهو قطع ثمره .

(٥) الطلج : شجر هو أعظم العضاء وأكثره ورقاً . وفي حاشية هـ ، والتيمورية : « الضاربات الطلج ، يعنى بها الفؤوس . وقيل يعنى المغازل . يريد بذلك أن بناته يعيشنه بغزهن ، أو يحتطب فيضرب بالفؤوس الطلج ويستغنى عن الناس » . انظر نحو هذا المعنى في مجالس ثعلب ١٧٤ - ١٧٥ . وهنا ، أى بعد ساعة من الليل .

(٦) قصرته : حيسنه ومنعته . أسأل : يقال سأل يسأل ، وسأل يسال ، وسأل يسئل . يقول : لا أضطر إلى سؤال الصديق ، ولا ألومه إذا منع .

(٧) الأبيات في ديوان حاتم ١١٤ من مجموع خمسة دواوين ، وحماسة أى تمام (٢ : ٢٣٢) وأمالى القالى (٢ : ٣١٨) وعيون الأخبار (١ : ٣٤٣) . وهذا البيت وتاليه لم يرويا في مرجع من هذه المراجع .

إذا كان أصحاب الإناء ثلاثة
فإني لأستحيي أكيلي أن يُرى
أَكْفُ يدي من أن تَمَسَّ أَكْفَهُمْ
وإنك مهما تُعْطِ بطنك سُؤْلَهُ

وقال ، وأظنها لبعض اليهود :

وإني لأستحيي ، إذا العُسر مَسَّنِي ،
وأعني ثراً قومي ، ولو شئت نُولُوا
مخافة أن أقلى إذا جئت زائراً
فأسمع منا أو أشرف منعماً

بشاشة وجهي حين تبلى المنافع
إذا ما تشكى المُلحِف المتضارع (٥)
وترجعتي نحو الرجال المطامع (٦)
وكل مُصَادِي نعمة متواضع (٧)

- ١٠ (١) المجمع : وصف لم يرد في المعاجم المتداولة . عنى به الحريص على الطعام .
(٢) في الديوان : « وإني لأستحيي صحابي أن يروا » . وفي الأمل والحماسة وعمون الأخبار :
« وإني لأستحيي رفيقي أن يرى » .
(٣) في الحماسة والأمل :
- ١٥ أكف يدي عن أن ينال حماسها
وفي عيون الأخبار :
أكف يدي من أن تنال أكفهم
وفي الديوان :
- أقصر كفي أن تنال أكفهم
(٤) بعده في الديوان :
- ٢٠ أبيت خميص البطن مضطمر الحشا
وهو في الحماسة والأمل بعد البيت الثالث ، بهذه الرواية :
أبيت هضم الكشح مضطمر الحشا
من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا
- (٥) نولوا ، أى نولوني . والنوال : العطاء . الملحف : المبالغ في السؤال . المتضارع ، عنى به من يتكلف الضراعة ، أى الدُلُّ والخضوع . وهذا الوصف وفعله مما لم يرد في المعاجم .
(٦) أقل : أبغض . ورجعه إلى الشيء : رده .
(٧) المن : أن يفخر على من أنعم عليه بالإحسان ، ويبدى في ذلك ويعيد . والمصاداة : المقابلة ،
والعناية بالشيء ، والمداراة والمداجاة .

وقال بعضُ بنى أسد :

أَلَا جَعَلَ اللهُ الْيَمَانِينَ كُلَّهُم
فَدَى لَفَتَى الْفَتِيانِ يَحْيَى بْنِ حَيَّانِ
وَلَوْلَا عُرَيْقٌ فِيَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ
لَقَلْتُ وَأَلْفًا مِنْ مَعْدُودِ بْنِ عَدْنَانِ (١)
وَلَكِنَّ نَفْسِي لَمْ تَطْبُ بِعَشِيرَتِي
وَطِبْتُ لَهُ نَفْسًا بِأَبْنَاءِ قَحْطَانِ

وقال ثروان - أو ابن ثروان - مولى لبنى عُذرة (٢) :

لَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عَيْلَانَ لَمْ تَجِدْ
عَلَى لِإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دَرَهْمًا
وَلَكِنِّي مَوْلَى قَضَاعَةَ كُلِّهَا
فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أُدِينَ وَتَغْرَمَا (٣)
أَوْلَيْكَ قَوْمِي بَارَكَ اللهُ فِيهِمْ
عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَعْفَ وَأُكْرِمَا
جُفَاءَ الْمَحْزَرِّ لَا يُصَيِّبُونَ مَفْصِلًا
وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَحَدُّمًا (٤)

وقال آخر (٥) :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ (٦)

(١) ل : « لقلت أناس » .

(٢) الشعر روى لشقران مولى بنى سلامان بن سعد بن هذيم ، كما في حماسة أبي تمام (٢) :

(٢٧٤) وشروح سقط الزند ٥٩١ . وقد سبق بعض هذه الأبيات في (١ : ١٠٧) .

(٣) يقول : لو كان ولأني في قيس عيلان لم أقترض من أحد درهما ، ليأسي من أن يؤدوه عني ، ولكن ولأني في قضاعة ، فلست أبالي أن أستدين ، فإنهم لا جزم يؤدون عني ما اقترضت .

(٤) المحز : مصدر ميمي من الحز ، وهو القطع . التخذم : قطع اللحم بالسكين . يقول : هم سادة نشئوا على السيادة وعودوا أن يكون مخدومين لا خادمين ، فليس لهم بصير بجزر الإبل وتفصيل أعضائها ، وهم إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين لا نهشاً بالأسنان . والعرب تعد الجهل بجزر الإبل مدحاً ، والمعركة به ذماً . انظر شروح سقط الزند .

(٥) هو حاتم الطائي ، كما في شرح التبريزي للحماسة (٤ : ٢٠٥) . وانظر الحماسة (٢) :

(٢٠٩) حيث أورد أبو تمام الأبيات بدون نسبة . ولم ترو الأبيات في ديوان حاتم . وفي الأغاني (١٢) :

(١٤٤) أنها لقيس بن عاصم ، يقولها لزوجته منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي ، وكانت قد أتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام . فقال لها : فأين أكلتي ؟ فلم تعلم ما يريد ، فقال الشعر في ذلك .

(٦) ابنة عبد الله ، هي ماوية بنت عبد الله ، زوج حاتم . وذو البردين : عامر بن أحيمر =

إذا ما عملت الزاد فالتسمى له
كربماً قصيماً أو قريماً فإتسمى
وكيف يُسيغ المرء زاداً وجارُهُ

خفيف المعنى بادي الخصاصة والجهد^(٢)

وللموت خَيْرٌ من زيارة باخيل
وإني لعبد الضيعف مادام ثاوياً
يلاحظ أطراف الأكيل على عمد
وما في إلتك من شيمة العبد^(٣)

وقال ابن عبدل^(٤) :

ولو شاء بشرٌ كان من دون بابه
ولكن بشراً سهل الباب للتى
بعيد مراد العين مارداً طرفه
طماطم سوداً أو صقالبة حمر^(٥)
يكون لبشر عيها الحمد والأجر^(٦)
جذار العواشي باب دار ولا ستر^(٧)

= ابن بهدلة ، كان المنذر بن ماء السماء قد أخرج يوماً بردين يبلو بهما الوفود ، وقال : ليقم أعز العرب
قبيلة فليأخذهما . فقام عامر فأخذهما واتزر بأحدهما وارتنى بالآخر . في حديث طويل رواه التبريزي .
(١) في الحماسة : « إذا ماصنت الزاد » . والأكيل : من يؤاكلك . وفي الحماسة : « فإني لست
أكله » .

(٢) هذا البيت وتاليه لم يروهما أبو تمام ولا أبو الفرج . والمعنى بفتح الميم وكسرها : واحد
الأمعاء . والخصاصة : الفقر وسوء الحال .

(٣) ما عدال : « من مهنة العبد » .

(٤) الحكم بن عبدل الأسدي ؛ ترجم في ص ٧٤ من هذا الجزء .

(٥) بشر هنا ، هو بشر بن مروان ، وكان له به خاصة ، وولد لحكم بن عبدل ولد فسماه بشرأ
ودخل عليه فقال :

سميت بشرأ ببشر الندى فلا تفضحنى بتصدانها

الأغانى (٢ : ١٥٣) . وقد ترجم بشر في (٢ : ٢١١) . الطماطم : جمع طمطم بكسر
الطاءين ، وهو الأعجم الذى لا يفصح بالعربية . والصقالبة : جمع صقالبي ، نسبة إلى صقلاب ، وهى بلاد
بين بلغار وقسطنطينية . والتاء في مثل الصقالبة ، هى التى يقال فيها إنها عوض عن ياء النسب في المفرد ،
كقولهم المهالبة والأشاعة . مع الهوامع (٢ : ١٧٠) .

(٦) غيها : بعدها ، وعاقبتها . هـ : « عندها » .

(٧) مراد العين : موضع ارتيادها وتجوهاها . والفواشي : الدواهي تغشى المرء .

وقال بعضُ الحجازيين (١) :

لو كنت أحملَ خَمراً يومَ زُرْتُكُمْ
لكن أتيتُ وريحُ المسكِ يَفْعَمُنِي
فأنكرَ الكلبُ رِيحِي حينَ أبصَرَنِي
والعنبرُ الورْدُ أذكيه على النَّارِ (٢)

٢٦٠

وقال ابن عبدلٍ :

نِعَمَ جَارُ الخنزيرةِ المُرْضِعِ العَرَّ
طاوياً قد أصابَ عندَ صديقِ
ثمَّ أنحى بَجَعِهِ حاجِبَ الشَّمِّ
سِ فَالْقَى كالمِعلِفِ المهْدومِ (٣)

وقال حبيب بن أوس :

وحياةُ القريضِ إحياءُك الجُو
ح فيه الإحسان وهو بغيض
يا مُحبَّ الإحسان في زمنِ أصب

١٠

(١) ورد الشعر في الحيوان (١ : ٣٨٠) ، والبخلاء ٢٠٢ بدون نسبة معينة . وقد نسب في الحماسة (٢ : ٢٣٢) إلى مالك بن أسماء الفزاري المترجم في (١ : ١٤٧) .

(٢) فعنه الطيب وفعمه : ملأ خياشيمه . والورد : ما لونه الوُرْدَة ، وهي لون بين الكتمة والشقرة . ويقال مسك ذاك : ساطع الرائحة . وأما أذكى المسك فهو مما لم يرد في المعاجم ، أراد أظهر طبيه بإلقائه على النار ، كما تذكى النار ، أي يتمم إشعالها .

١٥

(٣) الأبيات في الحيوان (١ : ٢٣٦ / ٤ : ٦٤) . والغرفى من الغرث ، وهو شدة الجوع .

(٤) الطاووى : الجائع . الملبق : الملين بالدسم . وفي الحيوان : « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدوم ، وهو ما يخلط به الخبز .

٢٠

(٥) الجعر ، بالفتح : ما ييس من النجو . أنحى به : قصد به واعتمد . والمعلف ، بكسر الميم وفتحها : موضع العلف .

(٦) من قصيدة له في دهبانه ١٨١ - ١٨٣ يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى ، مطلعها :

وثناياك إنها إغريض ولآل تؤم وبرق وميض

القريض : الشعر . ما عدل : « فإن مات الجواد » ، ولا يستقيم به الوزن .

وقال :

ثم اطرحتم قراباتي وأصيرتي حتى توهمت أئني من بنى أسيد (١)

وقال (٢) :

وظلعة الشعر ألقى في عيونهم وفي صدورهم من طلعة الأسد (٣)

وقال :

إيالك يعني القائلون بقولهم : إن الشقي بكل حبل يُخنق (٤)

سور عليك من الرجال وخندق (٥)

وقال (٦) :

من شاعر وقف الكلام ببابه واكتن في كنف ذراه المنطق (٧)

قد تفتت منه الشام ، وسهلت منه الحجاز ، ورقفته المشرق (٨)

وقال :

بنو عبد الكريم نجوم ليل ترى في طيء أبدا تلوح (٩)

(١) من قصيدة لأبي تمام في ديوانه ٤٩٢ - ٤٩٣ ، يقولها في عياش .

(٢) هذه الكلمة من ل فقط . وبين هذا البيت وسابقه :

ثم انصرفت إلى نفسي لأطأرها إلى سواكم فلم تهشش إلى أحد
ومدح من ليس أهل المدح أحسبه نفسي تفصل من قلبي ومن كبدي
قوم إذا أعين الآمال جلتهم رجعت مكنحلات عائر الرمد

(٣) ألقى : أبغض . ما عدال : « وظلعة الحمد » .

(٤) من قصيدة له في ديوانه ٤٩٩ - ٥٠٠ يهجو فيها عتبة بن أبي عاصم . ل : « بشعرهم »

وأشير في هامشها إلى رواية : « بقولهم » في إحدى النسخ .

(٥) هذا البيت فيما عدال متأخر عن تاليه . والوجه ما في ل .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط . وبين البيت التالي وسابقه :

وقبيلة يدع المتوج خوفهم وكأنما الدنيا عليه مطبق
وقصائد تسرى إلى كأنها جن تهافت أو هوم طرق
من منهضاتك مقعداتك خائفا مستوهلا حتى كأنك تطلق

المطبق : السجن تحت الأرض .

(٧) اكنن : استتر . الذرا ، بالفتح : الكنف والظل .

(٨) أي بلاد المشرق .

(٩) من قصيدة له في ديوانه ٤٩١ - ٤٩٣ يهجو بها عتبة .

إذا كان الهجاء لهم ثواباً

فخبرني لمن خلِق المديح (١)

وقال :

أى شىء يكون أحسن من صد

بأديب مقيم بأديب (٢)

وقال :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
كم منزل في الأرض يألفه الفتى

ما الحب إلا للحبيب الأول (٣)
وحنينه أبداً لأول منزل

وقال :

اشرب فإِنَّكَ سوف تعلم أَنَّهُ
غاداك إُسوار الكلام بشرِّدٍ
عُرِّزَ منى ماشئتُ كنَّ شواهدى

قدح يصيب العِرضَ منه نُحْمَارُ (٤)
عُونِ القَرِيضِ حتوفها أبكارُ (٥)
إن لم يكن لى والد عطَّارُ

وقال سلمة بن الخرشب الأهماري (٦) :

أبلغ سبيعاً وأنت سيدنا

قدماً وأوفى رجالنا ذمماً (٧)

(١) بين هذا البيت و سابقه في الديوان :

فتكثروهم ولا عقل صحيح

فلا حسب صحيح أنت فيه

١٥

(٢) من قصيدة في ديوانه ٤٣٤ .

(٣) من أبيات أربعة في ديوانه ٤٥٧ . وقبلهما :

والبين أنكلنى وإن لم أنكل

البين جرغنى نقيع الخنظل

حسرات قلبى أنسى لم أفعل

ما حسرتى أن كدت أفضى إنما

(٤) من قصيدة له في ديوانه ٤٩٥ يهجو بها محمد بن وهب الحميرى الشاعر . وقبله :

والجهل فى بعض الهنات عقار

أشرعت فى بحر الجهالة سادرا

٢٠

وفى الديوان : « فاشرب » . والخمار ، بالضم : أثر السكر .

(٥) غداة : ياكروه وغدا عليه . ماعدال ، هـ : « عدادك » تحريف . الأسوار ، بكسر الهمزة وفتحها : الجيد الرمي

بالسهام . وفى الديوان : « مختار الكلام » . والشرد : جمع شاردة ، وهى القصيدة تذهب كل مذهب . العون : جمع عون ،

وهى اليب . عنى أنها ليست بكرافى النشيد ، فهى ما تزال يتناشدها الرواة ويتداولونها ، وأما ما تجلبه من الحثف للمهجو

فهو بكر فى أثره وشدة وقعه .

٢٥

(٦) ترجم فى (١ : ٢٣٨) . التيمورية : « سملة » . هو التيمورية ، ب ، ح : « بن الحارث » كلاهما تحريف .

(٧) سبقت هذه الأبيات فى (١ : ٢٣٩) .

أَنْ بَغِيضاً وَأَنْ إِخْوَتَهَا ذُبْيَانَ قَدْ ضَرَمُوا الَّذِي اضْطَرَمَّا
تُبِّعَتْ أَنْ حَكْمُوكَ بَيْنَهُمْ فَلَا يَقُولَنَّ : بئسَ مَا حَكَمْنَا
إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَةٍ بِشَأْنِهِمْ تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمْنَا (١)
وَتُنزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ حَزْماً وَعِزْماً وَتُحْضِرُ الْفَهْمَا (٢)
وَلَا تُبَالِي مِنَ الْحَقِّ وَلَا الْمُبَدِّ طَلَّ لَا إِلَهَ وَلَا ذِمَّةَ
فَاحْكَمْ وَأَنْتَ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمْ لَنْ يَعْدَمُوا الْحَكْمَ ثَابِتاً صَتَمًا (٣)
وَاصْدَعْ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ عَلَى رِضَا مِنْ رَضِي وَمِنْ رَغْمَا
إِنْ كَانَ مَالٌ فَقَضَّ عِدَّتَهُ مَالاً بِمَالٍ وَإِنْ دَمًا فَدَمًا (٤)
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطَلِّحْ حُكُومَتَهُمْ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمًا (٥)

٢٦٢

وقال آخر :

أَبْلَغُ ضَرَارًا أَبَا عَمْرٍو مَغْلَغَلَةٌ أَنْ كَانَ قَوْلُكَ ظَهَرَ الْعَيْبِ يَأْتِينَا (٦)
إِرْهَنَ قَبِيصَةً إِنْ صَلَحَ هَمَّتْ بِهِ إِنْ ضَرَارًا لَكُمْ رَهْنٌ بِمَا فِينَا
إِنَّ ضَحِيكَاً قَتِيلٌ مِنْ سَرَاتِكُمْ وَإِنْ حِطَّانَ مِنَّا ، فَاعْدِلُوا الدِّينَا (٧)
وَأَنَّهُ عُبِيدٌ فَلَا يُؤْذِي عَشِيرَتَهُ نَهَيْكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَهْيِ نَاهِينَا

(١) يقال عرفه يعرفه معرفة ، وعرفانا ، وعرفانا ، ومعرفة . وفيما مضى : « إن كنت ذا خيرة » .

(٢) فيما سبق : « وتحصر الفهما » .

(٣) الصم ، بالتحريك : الصحيح القوى .

(٤) ما عدل : « إن كان مالا » ، وهي الرواية السابقة أيضا .

(٥) السلم ، بالتحريك : الاستسلام وإلقاء المقادة .

(٦) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . ما عدل : « أن كل » .

(٧) ل : « قتل من سراتكم » تحريف . والسراة : اسم جمع بمعنى الأشراف ، أو هو جمع سري

على غير قياس ، والسري : الشريف . والدين : الجزاء والمكافأة .

١٥

٢٥

وقال آخر :

بنى عديّ ألا يا انهوا سفيهكم إن السفية إذا لم ينة مأمور^(١)

وقال حضرمي بن عامر الأسدي ، ومات أخوه فقال جزء : قد فرح بأكل

الميراث^(٢) :

- ٥ قد قال جزء ولم يقل أماً إني تروّحت ناعماً جدلاً^(٣)
 إن كنت أرتنتني بها كذباً جزء فلاقيت مثلها عجلاً^(٤)
 أفرح أن أزرأ الكرام وأن أورث ذوداً شصائصاً نبلاً^(٥)

(١) هـ : « ألا يني » . يا انهوا ، أي يا هؤلاء ، أو يا قوم انهوا . ومثله ما جاء في الكتاب : (ألا

يا اسجلوا) ، وفي قول ذي الرمة :

١٠ ألا يا اسلمي يا دار مي على البلي ولا زال منها بجرعائك القطر

(٢) ذكر القالي في أماليه (١ : ٦٧) سبب الشعر ، قال : « كان حضرمي بن عامر عاشر عشرة

من إخوته ، فماتوا فورثهم ، فقال ابن عم له يقال : « جزء » : من من ملك ، مات إخوتك فورثهم فأصبحت ناعماً جدلاً ! فقال حضرمي » . وأنشد الأبيات التالية ، وأنشد بعدها :

١٥ كم كان في إخوتي إذا احتضن الأقد حوام تحت العجاجة الأسلا
 من واجد ماجد أخى ثقة يعطى جزيلاً ويضرب البطلا
 إن جنته خائفاً أمت وإن قال سأحبوك نائلاً فعلا

قال : « فجلس جزء على شفير بئر وكان له تسعة إخوة فانخفضت بإخوته ونجا هو ، فبلغ ذلك

حضرمياً فقال : إنا لله إنا لله إنا إليه راجعون ، كلمة وافقت قدراً ، وأبقت حقداً ! . وانظر القصة بإيجاز في اللسان (جزء ، شصص ، نبل) .

٢٠ (٣) القول الأم ، هو القول القصد . الأمال : « سدنا » . والسند والسداد : التصد ، والإصابة

في القول . تروح بمعنى راح . والناعم : المقيم في النعيم . والجلد : الفرحان .

(٤) أرتنتني بالأمر إزنانا : اتهمه به . عجلاً ، أي لقاء عجلاً .

(٥) رزأه الشيء : نقصه إياه . والنود : جماعة قليلة من الإبل . والشصائص : جمع شصوص ،

وهي الناقة القليلة اللبن . والنبل ، والتحريرك : الصغار الأجسام . ويقراً أيضاً : « نبلاً » بضم ففتح ، جمع

٢٥ نبلة بالضم ، وهي الجزاء والثواب . يقال : ما كانت نبلك من فلان ؟ أي ما كان ثوابك ؟ والبيت

يستشهد به على حذف ألف الاستفهام في « أفرح » . ذكر البطليوسي في شروح سقط الزند ٨٦٠٢ أنه

حسن الحذف في هذا البيت لما في الكلام من دليل عليه . أما ابن خالويه في (ليس كلام العرب) ص ٦٨

فزعم أنه مما حذف ولا دلالة عليه .

وقال حُرَيْثُ بن سَلْمَةَ بن مُرارة :

تقول ابنة العُمري لما رأيتها : تنكرت حتى كُدتُ منك أهال^(١)
 فإن تعجبي مني عُمير فقد أتت ليالٍ وأيامٌ عليّ طَوَّالٍ
 وإني لمن قوم تشيبُ سرَّاهم كذاك ، وفيهم نائلٌ وفَعَالٌ^(٢)
 ولولقيت ما كنتُ ألقى من العدى إذا شابَ منها مَفَرِّقٌ وَقَدَّالٌ^(٣)
 ولكنها في كِلَةِ كُلِّ شتوةٍ وفي الصَّيفِ كِنٌ باردٌ وَجِجَالٌ^(٤)
 تُصانُ وتُعلى المسكُ حتى كأنها إذا وَضَعْتَ عنها النَّصيفَ غَزَالٌ^(٥)

٢٦٣

وقال بعضُ الخوارج لامراته وأرادت أن تنفِرَ معه :

إنَّ الحُروريةَ الحرى إذا ركبوا لا يستطيع لهم أمثالك الطلبا
 إن يركبوا فرساً لا تركبى فرساً ولا تُطيقى مع الرِّجالة الحبيبا^(٦)

وقال حُزْرُ بن لُوْذان^(٧) لامراته^(٨) ، في شبيهه بهذا :

(١) هاله يهوله : أفزعه وأخافه .

(٢) عنى أنهم يشيرون مما يلقون من الأهوال ويقتحمون من المخاطر . والنائل : ما ينال من معروف . والفعال ، بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٣) ب ، ج : « إذا سال » ، التيمورية : « إذا شال » ، صوابها في ل ، هـ . والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان .

(٤) الكلة ، بالكسر ، هو من الستور ما يحيط فصار كالبيت ، يتوق فيه من البق ونحوه . والحجال : جمع حجلة ، بالتحريك ، وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار .

(٥) النصيف : خمار المرأة .

(٦) الرجالة : الذين يسرون على أرجلهم . والحجب : ضرب من العدو .

(٧) خزز ، بزاعين ويوزن عمر ، ابن لوذان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلي ، كما في الخزانة (٣ : ١١) . وانظر القاموس (خزز ، لوذ) والمؤتلف ١٠٢ . ونسبة الشعر التالي إلى خزز هو الثابت أيضاً في الحيوان (٤ : ٣٦٣) والخزانة ، وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى عنتره في المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحماسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) . والأبيات في ديوان عنتره ٢٣ - ٢٥ .

(٨) في الديوان أنها كانت من بجيلة ، وكانت لا تزال تذكر خيله وتلونه في فرس كان يؤثره ويطعمه ألبان إبله . انظر من أمثلة إيثار العرب خيلهم باللبن ما ورد في الحماسة (١ : ١٣٠) .

٥

١٠

١٥

٢٥

- لا تذكرى مُهْرِي وما أطعمته
 فيكونَ جلدكُ مثلَ جلدِ الأجرِبِ (١)
- إنَّ العَبوقَ له وَأَنْتِ مَسْوءَةٌ
 فتأوْهي ما شئتِ ثمَّ تَحَوِّي (٢)
- كذَبَ العتيقُ وماءُ شَنْ بارِدٌ
 إن كنتِ سائلتي غَبوقاً فاذهبي (٣)
- إِنِّي لأحشى أن تقولَ خليلتي :
 هذا غَبَارٌ ساطِعٌ فتَلبِّبِ (٤)
- أَنَّ العَدُوَّ لهم إِلَيْكَ وَسِيْلَةٌ
 إن يأخذوكَ تكحلي وتخصبي (٥)
- ويكونُ مركبُك القَعودَ وحِدَجُهُ
 وابنُ النعمامةِ يومَ ذلكَ مركبي (٦)
- وأنا امرؤٌ إن يأخذوني عَنوةً
 أُقِرُّن إلى شَرِّ الرِّكابِ وأُجَنَّبِ

- (١) أى تكونى عندى بمنزلة الأجرِب لا أقربك . وفى كتاب الخيل لابن الأعرابي ٩٢ : « وما أطعمته . فيكون لونك مثل لون الأجرِب » ، وقال : « ويروى مثل جلد الأجرِب » .
- (٢) العبوق ، بالفتح : ما يشرب بالعشى . التحوب : التوجع والشكوى والتحزن .
- (٣) العرب يقولون : كذب كذا ، وكذب عليك كذا ، وهما مثلان غريبان من أمثلة الإغراء ، وقد جاء هذا مسموعاً فى كلامهم بكثرة . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمخصص (٣ : ٨٤ - ٨٦) ، والمزهر (١ : ٣٨٢ - ٣٨٤) فى باب معرفة المشترك . وقد نص ابن سيدة على أن مضر تنصب بهذا الفعل مابده وأن اليمن ترفع به . انظر توجيهه لذلك . يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، وبشرب الماء البارد الذى فى القرية الخلق ، ولا تعرضى لعبوق اللبن ، لأن اللبن خصصت به مهري ، الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . انظر اللسان (كذب) والمخصص (٣ : ٨٦) .
- (٤) عنى بالخليلة الزوجة . وفى حماسة ابن الشجرى : « ظعيتى » . والظعينة : المرأة . الساطع : المرتفع . وعنى بالغبار الساطع ما يتطاير من جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .
- (٥) العدو ، من الكلمات التى تقال للواحد والاثنين والجميع ، مثنى ومذكراً ، بلفظ واحد .
- (٦) وروى ابن الشجرى فى الأمالى : « أن يأخذوك » ، وقال : « موضعه نصب بتقدير الخافض ، أى فى أن يأخذوك » ، ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ مسبية ، فلذلك قال : تكحل وتخصبي » .
- (٦) أى يحملك الأعداء حين تسيين على القعود ، وهو الفصيل من فصلان الإبل . والحديج ، بكسر الحاء : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقراء العدو فرسى ، المسمى بابت النعمامة . وقيل أراد بابت النعمامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق ، وأول الثلاثة أصحابها . والنعمامة : أم فرسه ، وهى فرس الحارث بن عباد . انظر اللسان والمقاييس (نعم) والمخصص (٢ : ١٢ / ٥٧ : ١٣ / ٤٢ : ٢٥٦) . وذكر ابن الأعرابي فى كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها ٩٢ أن ابن النعمامة هذا فرس خبز ، كان يدعى « الغراف » . قال : « وهو ابن النعمامة » .

وأراد أعرابى أن يسافر فطلبت إليه امرأته أن تكون معه ، فقال :
إِنَّكَ لَوْ سَافَرْتَ قَدْ مَدَّخْتِ (١) وَحَكَّكَ الْجَنَوَانَ فَاَنْفَشَحْتِ (٢)

وقلت : هذا صوتُ ديكٍ تحتي

المَدَّح : سَخَّج (٣) إِحْدَى الْفَخِذَيْنِ بِالْأُخْرَى .

وفي شبيهه بالمعنى الأول يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة :

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غَرْفَةٍ وَرِيَانٌ مَلْتَفٌ الْحِدَائِقِ أَخْضَرُ (٤)
وَوَالٍ كَفَاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخَرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ

* * *

وقال سلامة بن جندل (٥) هذه الأبيات وبعث بها إلى صعصعة بن محمود
ابن مرثد (٦) ، وكان أخوه أحمز بن جندل أسيراً في يده فأطلقه له :

سَأَجْزِيكَ بِالْوَدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا أَصْصَعُ إِثْنِي سَوْفَ أَجْزِيكَ صَعْصَعَا
سَاهُدِي وَإِنْ كُنَّا بَتَلَيْثٍ مِدْحَةً إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِيَوْتُكَ لَعْلَعَا (٧)

(١) نسب في الصحاح والتاج (فشح) إلى حسان . ومدح ، بالذال المعجمة والحاء المهملة .
ل . « مدخت » ما عدل : « مدجت » صوابها ما أثبت من هـ . ومدح : اصطكت فخذاه والتوتا
حتى تتسحجا . والبيت وتاليه في اللسان (مدح ، فشح) بدون نسبة ، برواية « إنك لو صاحبتنا » .
(٢) الجنوان : مثنى الجنو بالكسر ، وهو من الرجل والقتب والسرج كل عود معوج من عيدانه .
وفي الأصول ما عدا هـ : « فانفتحت » صوابه من هـ ورواية اللسان في الموضعين ، يقال تفشحت
وانفشحت : تفأجت وبعد ما بين رجلها .

(٣) السحج : القشر والجدش . ل : « شحج » تحريف .

(٤) من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أَمِنْ آلِ نَعْمِ أَنْتَ غَدَا فَمُبَكَّرُ غَدَاةُ غَدَا أَمِ رَائِحِ فَمَهْجَرُ

والبيتان في الحيوان (٣ : ٤٩١) .

(٥) هو سلامة بن جندل بن عمرو بن عبيد بن الحارث - وهو مقاعس - بن عمرو بن كعب بن
سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر جاهلي قديم ، كان من فرسان العرب المذكورين وأشدائهم ، وكان
وصافا للخيل ، وكان أخوه أحمز بن جندل من الشعراء الفرسان أيضاً . الشعراء لابن قتيبة ٢٢٩ -
٢٣٠ ، والخزانة (٢ : ٨٦) .

(٦) في الحيوان (٣ : ٧٠) : « صعصعة بن محمود بن بشر بن عمرو بن مرثد » .

(٧) بتلث : موضع بالحجاز قرب مكة . ولعلع : موضع بين البصرة والكوفة .

فإن يك محموداً أباك فأئنا وجدناك محمود الخلائق أروعاً (١)
فإن شئت أهدينا ثناءً ومدحةً وإن شئت أهدينا لكم مائةً معاً (٢)

قال : الثناء والمدحة أحبُّ إلينا !

وقال أوس بن حجر ، حين حبس وأقام عند فضالة بن كعدة ، وتولت خدمته حليلة بنت فضالة ، شاكرًا لذلك (٣) :

لعمرك ما ملت ثواءً ثويها حليلة إذ ألقى مراسي مقعد (٤)
ولكن تلتت باليدين ضمانتي وحل بفلج فالقنافذ عودى (٥)
وقد غبرت شهرى ربيع كليهما بحمل البلايا والخباء الممدد (٦)
ولم تُلهها تلك التكاليف إئها كما شئت من أكرومة وتخرد (٧)
هى ابنة أعراق كرام نمينها إلى خلق عيف برازته قد (٨)

(١) فى جمهرة الأصول : « محموداً أباك » صوابه فى هـ . والممدوح هو صعصعة بن عمرو . وفى الحيوان : « محموداً أبوك » . والأروع : الحى النفس الذكى .

(٢) عنى بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه الأسير : أحر بن جندل .

(٣) كان أوس قد جالت به ناقته فى سفر فصرعته فاندقت فخذاه ، فأواه فضالة بن كعدة ، وكانت حليلة بنت فضالة تعنى به فى أثناء مرضه . الأغاني (١٠ : ٧) . والأبيات فى ديوان أوس ص ٥ والحيوان (٣ : ٧١) .

(٤) الثوى : الضيف . والثواء : الإقامة . ويقال ألقى مراسيه ، أى استقر . ومثله : ألقى عصاه . والمقعد : الذى لا يقدر على القيام لزمانة به . عنى به نفسه .

(٥) الضمانة : الداء والعاهة والزمانة . وفلج : واد بين البصرة وحى ضرية . والقنافذ : موضع لم يعين . والعود : جمع عائد ، الذى يعود المريض .

(٦) غبرت : مكثت . والبلايا : جمع بلية ، وهى الناقة التى قد أعيت وصارت نضواً هالكا .

(٧) الأكرومة ، بالضم : فعل الكرم . والتخرد : أن تصير المرأة خريدة ، وهى الحية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، الخفرة . والبيت فى اللسان (خرد) .

(٨) الأعراق : جمع عرق ، بالكسر ، وهو الأصل . نمينها : رفعتها فى النسب وعزوتها . عف : عفيف . ما عدل : « عفو » تحريف . والبرازة ، بفتح الباء : الوثوق بالفصل والرأى . وفى اللسان :

« ورجل يبرز وبرزى : موثوق بفضله ورأيه . وقد يبرز برازة » . ما عدال : « برازته » شريف . وقد كلمة بمعنى حسب . أى تكفيك منه البرازة . وهذا البيت مما لم يرو فى ديوان أوس ، كما أنه ساقط من هـ .

سَتَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنَّا مَثُوبٌ وَحَسْبُكَ أَنْ يَتَنَى عَلَيْكَ وَتَحْمَدِي (١)

وقال الخريّمى :

فلم أَجْزِهِ إِلَّا المودّة جَاهِدَا وَحَسْبُكَ مَنَى أَنْ أودّ فَأَجْهَدَا (٢)

وقال الأسدى :

فإِنّى أَحَبُّ الحُلْدِ لو أَسْتَطِيعُهُ وَكالحُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَموتَ ولم أَلَمُّ (٣)

وقال الحادرة :

فأَتَشُوا عَلِينَا لا أَبَا لأبيكُم بِأَحْسَابِنَا ، إِنَّ الثَّنَاءَ هو الحُلْدُ (٤)

وَأَنشدنى الأَصمَعِيُّ لمهلِهل :

فقتلا بتقتيلٍ وعقرًا بعقركُم جِزَاءَ العُطَاسِ لا يموتَ مَن أتأَرُ (٥)

وضاف أبو شليل العتريّ (٦) بنى حكيم - فخذأ من عترة - فقال :

(١) المَثُوبُ : المجازى . يقال أثنابه وأثوبه وثوبه . وفى الكتاب : (هل ثوب الكفار ما كانوا

يفعلون) . ل : « عنى مَثُوب » . وفى الديوان والأغاني : « سأجزيك أو يجزيك عنى » .

(٢) أَنشده أيضاً فى الحيوان (٣ : ٧٢) . وأجهد ، أى أجهد فى المودة .

(٣) رواه الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٤٧٥) .

(٤) أورده أيضاً فى الحيوان (٣ : ٤٧٥) برواية : « بإحساننا » . ونص على الروائين اليزيدى فى

روايته ديوان الحادرة ص ٥ نسخة الشنقيطى .

(٥) هو فى الحيوان (٣ : ٤٧٦) بدون نسبة . العقر : القتل والإهلاك : جزاء العاطس ، هو

تشميته : الدعاء له بالخير . وقوله : « جزاء العطاس » ، أى نَعَجَلُ بذلك كقدر ما بين التشميت

والعطاس . انظر اللسان (عقب ١١٠ جزى ١٥٩) . لا يموت من أتأَر ، أى لا يموت ذكره . وأتأَر :

أدرك ثأره . ما عدل : « أثار » بالثلثة ، وكلاهما صحيح ، ويقال أيضاً فى غير هذا الشعر : « أثار » على

الأصل ، هن أوجه ثلاثة فى كل ما وردت تاء افتعاله بعد التاء . انظر شرح المفصل لابن يعيش (١٠ :

١٨٤ س ٢٦ - ٣٠) . وقد فسر ابن منظور : « لا يموت من أتأَر » فى مادة (جزى ١٥٩ س ١٦)

بدون أن يسبقها إنشاد ، وهو دليل على سقط فى هذا الموضع منه . ونحو هذا البيت ما أَنشده فى اللسان :

ونحن قتلنا بالمخارق فارساً جزاء العطاس لا يموت المعاقب

(٦) ما عدل : « أبو الشليل الغبرى » . وضاف القوم يضيفهم : نزل بهم ضيفا ومال إليهم .

أراني في بنى حَكِيمٍ غريباً
على قَتَرٍ أزرور ولا أزارُ (١)
وتأتيني المعاذِرِ والمَقْتَارُ (٢)

وقال آخر :

إذا مَدَّ أريابُ البيوتِ بيوتَهُم
على رُجَّحِ الأكفَالِ ألوانها زهُرُ (٣)
فإنَّ لنا منها خبَاءٌ يحفُّنا
إذا نحن أمسينا : المجاعة والفقرُ

وقال الآخر ، وهو أبو المَهْهُوشِ الأَسَدِي (٤) :

تراه يطوِّفُ الآفاقَ حِرْصاً
ليأكلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادِ (٥)

وقال أيضاً (٦) :

وبنو الفقِيمِ قليلةٌ أحلامهم
نُظُّ اللَّحَى متشابهو الألوانِ (٧)

- ١٠ (١) ما عدل : « قصياً » أى بعيداً ، بدل « غريباً » . والقتر ، بالفتح : ضيق العيش .
(٢) المعاذر : جمع معذرة . والمقتار ، بالضم : ريح القدر والشواء ونحوهما .
(٣) ل : « إذا سد » . والرجح : جمع راجحة : وهى الثقيلة ، ويقال امرأة راجح ورجاح ، أى ثقيلة العجيزة . والزهر : الحسان البيض ، جمع زهراء .
(٤) أبو المهوش ، بالشين ؛ وفيما عدل : « أبو الهوس » تحريف . وأبو المهوش الأَسَدِي ، هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا النبي ولم يروه . انظر الخزانة (٣ : ٨٦) ، والإصابة ٢٠١٥ ، وماسبق في (١ : ٢٠٧) . ونسبة الشعر إلى أبى مهوش تطابق ماورد في حواشى الكامل ٩٨ ليسك . لكن نسب في معجم المرزبانى ٤٩٤ وكتابات الجرجانى ٧٣ والاقطصاب ٢٨٨ إلى يزيد بن الصعق الكلابى . وانظر خيراً لهذا الشعر في المراجع المتقدمة والعقد (٢ : ١٠) ، وأمثال الميدانى (١ : ١٧١) وأدب الكاتب ١٢ والخزانة (٣ : ١٤٢) وأخبار الطراف ٢٤ .
٢٠ (٥) قبل البيت كما سبق في (١ : ١٩٠) :
- إذا ما مات ميت من تميم وسرك إن يعيش فجئ بزاز
بخبز أو بلحم أو بسمن أو الشيء الملفف في البجاذ
- وقال الثعالفى في ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت : ومثل هذا الكلام لابن السيد فى الاقطاب ٤٩ ، وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ويفخر بما عنده : كأنه قد جاء برأس خاقان » .
٢٥ (٦) الأبيات التالية لجرير فى ديوانه ٥٨١ ، والحيوان (١ : ٢٥٨) ، وعيون الأخبار (٣ : ٢٢٥) ، يهجو بها بنى الهجيم بن عمرو بن تميم .
(٧) بنو الفقيم ، كذا ورد فى جميع النسخ . وصوابه « بنو الهجيم » كما فى المراجع =

لو يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرِيَةٍ
مَتَابُطِينَ بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ
وقال الآخر :

بُعْمَانَ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُعْمَانَ (١)
صَعَرَ الْأَنْوْفِ لَرِيحِ كُلِّ دُخَانٍ (٢)

٢٦٦

وجيرة لن ترى في الناس مثلهم
إن يُوقدوا يُوسعوننا من دخانهم
وقال أبو الطُّرُوقِ الضَّبِّيُّ (٣) ، في خاقان بن عبد الله بن الأهم (٤) :
شكَّ النَّاسُ فِي خَاقَانَ لَمَّا
وَقَالَتْ أُخْتُهُ : إِنِّي بَرَاءٌ
وَلَمْ تَسْمَعْ بِحَمَلٍ قَبْلَ هَذَا
فَنَافَرَهَا فَأَلْحَقَهُ شَبِيبٌ
وقال مَكِّيُّ بن سَوَادَةَ البُرْجُمِيُّ فِيهِ (٧) :

تَحْيِرُ اللَّوْمِ يَبْغِي مِنْ يُحَالِفِهِ
أَزْرَى بِكُمْ يَا بَنِي خَاقَانَ أَنْكُمْ
حَتَّى تَنَاهَى إِلَى أَبْنَاءِ خَاقَانَ
مِنْ نَسْلِ حَجَّامَةٍ مِنْ قَبْلِ هِزَانَ (٨)

= المتقدمة . الديوان : « قبيلة مخسوسة » ، والحيوان وعيون الأخبار : « سخيفة أحلامهم » . والأحلام :
العقول . نط : جمع أنط ، وهو القليل شعر اللحية .

١٥

(١) الحيوان : « أضحى جمعهم » .
(٢) صعر : جمع أصعر ، وهو المائل . وفي الديوان : « متوركين بينهم » . توركت المرأة الصبي ،
إذا حملته على وركها .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ١٥) .

(٤) انظر ما سبق في (١ : ٣٥٥ س ١٣ - ١٤) .

٢٠

(٥) ما عدل ، هـ : « وشك » بدون حرم . والولاد : الولادة .

(٦) ثاب عليه : رجع . والوفر : المال الكثير الواسع .

(٧) انظر ما سبق في (١ : ٣) .

(٨) الحجامة : التي تقوم بالحجامة ، وهي امتصاص الدم بالحجامة بعد أن يظهره المشرط .
وهذه الصناعة مثل في الخسة . والقن : المملوك هو أبواه ، يقال عبْدُ قن ، وعبْدان قن وعبيد قن . فإذا لم
يكن أبواه مملوكين فهو عبد مملكة . وهزان ، بكسر الهاء وتشديد الزاي : =

٢٥

سَفَاكِيَةً لِدِمَائِ الْقَوْمِ آكَلَةً قَدِمًا لِأَمْوَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ سُلْطَانٍ (١)
 لو تَسْأَلُونَ بِهَا أَيُّوبَ جَاءَكُمْ عَلَى الَّذِي قَلْتُ أَيُّوبَ بِرِهَانٍ
 أَيَّامَ تُعْطِيهِ خَرْجًا مِنْ حِجَامَتِهَا يَوْمًا فَيَوْمًا تَوَفَّيْهِ بِأَرْبَانٍ (٢)
 فَإِنْ رَدَدْتُمْ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ أَتَى عَلَى مَقَالَتِهِ فِيهَا يَتَّبِعَانِ
 ثُمَّ اشْتَرَاهَا أَبُو خَاقَانَ حِينَ عَسَتْ فَالْتَقَطْتَ نُطْفَةً مِنْهُ بِأَقْطَانٍ (٣)
 فَاسْتَدْحَلَتْهَا وَلَا تَدْرِي بِمَا فَعَلْتَ حَتَّى إِذَا ارْتَكُضَتْ جَاءَتْ بِخَاقَانَ (٤)

وقال اللعين المنقرئ (٥) في آل الأهم :

وكيف تُسَامُونَ الْكِرَامَ وَأَنْتُمْ دَوَارِجُ حَبِيبُونَ فُذِعَ الْقَوَائِمِ (٦)

= هم بنو هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد ابن عدنان . الاشتقاق ١٩٤ .

١٠

(١) يشير إلى أن كسبها من الحجامة كسب خبيث .

(٢) الخرج : الإتاوة . الأربان بالضم : لغة في العريان ، كما أن الأربون لغة في العربون . وأصل العريان : أن يشتري السلعة ويدفع إلى صاحبها شيئاً من الثمن على أنه إذا أمضى البيع حسب من الثمن ، وإن لم يمضه كان لصاحب السلعة ولم يرجعه المشتري . وهو بيع باطل عند جمهور الفقهاء لما فيه من الشرط والغرر ، وأجازه أحمد ، وروى عن ابن عمر إجازته . وقد عبّر بالأربان هنا عما تدفعه مقدماً إليه من الإتاوة . انظر اللسان (أرب ، أرن ، ربن ، عرب ، عربن) ، والمعرب للجواليقي ٢٢٢ - ٢٣٣ .

١٥

(٣) عست : كبرت وأست ، يقال عسا يعسو ، وعسى يعسى ، كرضى يرضى . ومثله في المعنى عتا يعتو . ما عدا هـ : « نقطة » ، تحريف .

(٤) ارتكضت : اضطربت . أراد تحرك جنينها في بطنها . والمعروف في مثل هذا أركضت المرأة

٢٠

والدابة . أى تحرك ولدها في بطنها وعظم .

(٥) اللعين : لقب له ، واسمه منازل بن ربيعة ، من بنى منقر ، ونقل صاحب الخزانة عن زهر الآداب أن سبب تلقبه بذلك أن عمر سمعه ينشد شعراً والناس يصلون ، فقال : من هذا اللعين ؟ فعلق به بهذا الاسم . وهو القائل في الحكومة بين جرير والفرزدق :

سأقضى بين كلب بنى كليب وبين القين قين بنى عقال

٢٥

فإن الكلب مطعمه خبيث وإن القين يعمل في سفال

الشعراء ٤٧٤ والاشتقاق ١٥٣ - ١٥٤ والخزانة (١ : ٥٣٠ - ٥٣١) والعيني (٢ : ٤٠٤ - ٤٠٥) .

(٦) المسامة : المبالاة والمفاخرة : دوارج ، يقال قبيلة دارجة ، إذا انقرضت ولم يبق لها عقب .

وأُنشد في اللسان للأخطل :

بنو مُلصِقٍ من وُلْدِ حَذَلَمَ لم يكن ظُلُوما ولا مستنكراً للمَظالم (١)
وقال الآخر (٢)

قالت : عهدتُك مجنوناً ، فقلت لها : إنَّ الشَّبابَ جنونٌ بُرؤُهُ الكِبَرُ (٣)
وقال أعرابيٌّ ، وهو أبو حَيَّةِ التُّمَيْرِيُّ (٤) :

رمتني وميترُ الله بيني وبينها عشيةَ آرامِ الكِناسِ رَمِيمٌ (٥)
ألا ربُّ يومٍ لو رمتني رميتها ولكنَّ عهدي بالنِّضالِ قديمٌ (٦)
رَمِيمٌ التي قالت لجاراتِ بيتها ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلَا يَزَالُ يَهِيمُ (٧)

= قبيلة كشراك النعل دارجة إن يهبطوا العفو لا يوجد لهم أثر
أو هو من الدرَّجان ، وهو مشية الصبي والشيخ . حيريون : منسوبون إلى الحيرة ، وهي بلد بجانب الكوفة . والفدع : جمع أفدع وفدعاء . والفدع بالتحريك : عوج وميل في المفاصل . ل : « بدع » تحريف .

(١) المُلصِق : الدعي ليس من القوم بنسب .

(٢) هو العتيبي ، كما في حماسة ابن الشجري ١٨٤ ، ٢٤٥ .

(٣) قبله ، كما في حماسة ابن الشجري :

لما رأنتي هند قاصراً بصري عنها وفي الطرف عن أمثالها زور
وفي عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) ما يوهم أن البيت « قالت عهدتك » هو من شعر ابن أبي فنن ؛ لأنه أنشده بعد بيت لابن أبي فنن ، وهو :

من عاش أخلقت الأيام جدته وخانه الثقتان : السمع والبصر

والحق أن بيت العتيبي مقحم في هذا الموضع من عيون الأخبار ، وموضعه هو السطر الثامن عشر من صفحة ٣٢٠ فقط . وانظر الحيوان (٦ : ٢٤٤ ، ٤٢٢) .

(٤) وهو أبو حية التميمي ، من هـ والكامل ١٩ ليسك والحماسة (٢ : ١١٠) . والأبيات

بدون نسبة في الحيوان (٣ : ٤٩) ، وسبقت في (١ : ٦٨) .

(٥) أي رمتني بطرفها . وعنى بستر الله الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس : موضع . وروى : « بأحجار الكناس » . الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكناف الحجاز » . ورميم هي خليلته .

(٦) قال المررد في تفسيره : « لو كنت شاباً لزميت كما رويت ، وقنت كما فنتت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب » .

(٧) توجه « لا يزال » رفعاً يجعل « أن » مخففة من الثقيلة ، ونصباً يجعلها ناصبة .

وقال أبو يعقوب الأعور :

بقلي سَقَامٌ لَسْتُ أَحْسِنُ وَصَفَهُ
على أنه ما كان فهو شديد
تمرُّ به الأيامُ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا
فَتَبَلَى به الأيامُ وهو جديدُ
وقال الثَّقَفِيُّ (١) :

مَنْ كَانَ ذَا عَضِدٍ يُدْرِكُ ظَلَامَتَهُ
إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدٌ (٢)
تَبُوءُ يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ
وَيَأْنِفُ الضَّيْمَ إِنْ أَثْرَى لَهُ عَدْدُ (٣)

وقال أشجعُ السُّلَمِيُّ (٤) ، في هارون أمير المؤمنين :

وعلى عَدْوِكَ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
رَصَدَانِ : ضَوْءُ الصَّبْحِ وَالْإِظْلَامُ (٥)
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا هَذَا
سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيْوْفُكَ الْأَحْلَامُ

٢٦٨

وقال :

انتَجِعِ الْفَضْلَ أَوْ تَحُلَّ مِنَ الدَّنِّ
يَا فَهَاتَانِ غَايِنَا الْهِمَمِ (٦)

وقال :

أَبَتْ طَبْرِسْتَانُ إِلَّا الَّتِي
يَعُمُّ الْبَرِّيَّةَ مِنْ دَائِهَا (٧)

(١) وكذا لم يعين الثَّقَفِيُّ في البيان (١ : ٦٧) ، والحيوان (٣ : ٤٥) وعيون الأخبار . (٣) :

(٢) . وقد حسبته في الحيوان يزيد بن الحكم الثَّقَفِيُّ . والحق أنه « الأجرد الثَّقَفِيُّ » كما نص ابن قتيبة في الشعراء ٧١٢ .

(٢) العَضِدُ : النصير والعون . والظلامه : ما يطلب عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ .

(٣) أثنى عدده : كثر عدد قبيله وأنصاره .

(٤) هو أشجع بن عمرو السلمي ، من بني سليم ، ولد بالجمامة ونشأ بالبصرة ، ثم خرج إلى الرقة والرشيدي بها ، فنزل على بني سليم فتقبلوه وأكرموه ، ومدح البرامكة فوصلوه بالرشيدي ومدحه فأعجب به أيضاً ، فأثرى وحسنت حاله . الشعراء ٨٥٧ والأغاني (١٧ : ٣٠ - ٥١) وتاريخ بغداد (٧ : ٤٥) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٣٣) والموشح ٢٩٥ .

(٥) من أبيات في الأغاني والكامل ٢٨٧ ليسلك . وقد أنشد أشجع هارون القصيدة فأجازه بعشرين ألف درهم .

(٦) الفضل بن يحيى البرمكي .

٢٥

(٧) طبرستان : بلاد بين الرى وقومس وبلاد الديلم ، وتسمى أيضاً « مازندران » =

ضَمَمْتُ مَنَاقِبَهَا ضَمَّةً رَمْتِكَ بَمَا بَيْنَ أَحْشَائِهَا

قالوا : لم يدع الأول للآخر معنى شريفاً ولا لفظاً بهياً إلا أخذَه ، إلا بيت

عنترة :

فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يَغْنَى وَحَدَه هَزِجًا كَفَعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرْتِمِ (١)
غَرْدًا يَسُنُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فَعَلَ الْمَكْبَّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ (٢)

وقال الفُقَيْمِيُّ ، قَاتِلُ غَالِبِ أَبِي الْفَرَزْدَقِ :

وَمَا كُنْتُ نَوَامًا وَلَكِنْ نَائِرًا أَنَاخَ قَلِيلًا فَوْقَ ظَهْرِ سَبِيلِ
وَقَدْ كُنْتُ مَجْرورَ اللِّسَانِ وَمُفَحِّمًا فَأَصْبَحْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ (٣)

وقال أبو المُثَلِّمِ الْهَذَلِيُّ (٤) :

أَصْحَرَ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا فَإِنَّكَ لَا تُهْدِي الْقَرِيضَ لِمَفْحَمِ

= واشتقاق اسمها من تبر ، الفأس بلغة الفرس ، و « ستان » بمعنى الموضع أو الناحية . وكل طبرى فهو منسوب إليها ، وأما « طرية » التى فى بلاد الشام فالنسبة إليها « طراني » . وفى الأغاني (١٧ : ٤٩) :

« غير الذى صدعت به بين أعضائها » . وتمام الأبيات :

سموت إليها بمثل السماء تدلى الصواعق فى مائها
فلما نظرت إلى جرحها وضعت الدواء على دائها
قرشت الجهاد ظهور الجياد بأبنائهم وأبنائهم
بنفسك ترميمهم والخيول كرمى العقاب بأفلائهم
نظرت برأيك لما هم ست دون الرجال وآرائهم

(١) البيتان من معلقته . وانظر قول الجاحظ فيهما فى الحيوان (٣ : ١٢٧ ، ٣١٢) .

(٢) هـ : « هزجا » وفوقها « غردا » . وروايته فى الحيوان : « يحك ذراعاه » . الأجدم : المقطوع

اليدين . شبه الذباب فى تلك الحالة برجل مقطوع اليدين يقده بعمودين .

(٣) سبق البيتان وتفسيرهما فى ص ٢١٤ .

(٤) ترجم فى (٢ : ٢٧٥) ، حيث أنشد البيت التالى .

وقال الهذلي (١) :

على عبید بن زُهْرَةَ طو
أُخِّ لى دون مَنْ لى من
طَوَى مَنْ كان ذا نَسَبِ
أبو الأضياف والأيتنا
ألا لله دَرَكٍ من
وقالوا من فتى للثغ
فكنت أخواهم حقا
وقد ظهر السوابغ فيه
أقام لدى مدينة آ
نجيباً حين يُدعى ، إ

ل هذا الليل أُنَجِّبُ (٢)
بنى عمِّ وإن قَرَّبُوا (٣)
إلى وزاده النَّسَبِ
م ساعَةَ لا يُعَدُّ أبُ (٤)
فتى قوم إذا ركبوا (٥)
سر يرقبنا ويرتقب (٦)
إذا تُدعى لها تُثب
همم والبيض واليلب (٧)
ل قسطنطين وانقلبوا (٨)
ن آباء الفتى نُجِبُ (٩)

٢٦٩

وقال أدهم بن مُحَرِّزِ الباهلي :

لما رأيت الشيب قد شان أهله تفتيت وابتعت الشباب بدرهم

- (١) الهذلي هذا هو أبو العيال ، يرثى ابن أمه ، أو ابن عم يقال له : « عبد الرحمن بن زهرة » وكان قد قتل في زمن معاوية بن أبي سفيان ، انظر ديوان الهذليين (٢ : ٢٤١ طبع دار الكتب) وشرح السكري للهذليين ١٣٧ والأغاني (٢٠ : ١٦٦ ، ١٦٧) والشعراء ٦٥١ .
- (٢) هـ : « هذا الدهر » وفي ديوان الهذليين والأغاني : « أكتب » . والكآبة : الحزن .
- (٣) يقول : هم في المودة عندى دونه ، وهم أقرب إلى منه . هـ : « بنى عمى » .
- (٤) يقال : هو أبوهم ، أى يكفلهم ويرعى أمورهم .
- (٥) في الأغاني : « إذا رهبوا » . وفي الديوان : « من فتى حى إذا رهبوا » .
- (٦) الثغر : موضع الخفاة . وفي الديوان والأغاني : « للحرب » .
- (٧) بين هذا البيت وسابقه عشرة أبيات في الديوان . السوابغ : الدروع الواسعة الطويلة . والبيض : السيوف . واليلب : نسوع ترصف فيلبسها الرجل مثل البيضة بدلا منها أو يلبسها تحتها .
- (٨) انقلبوا : رجعوا ، يعنى أصحابه .
- (٩) يروى : « والفتى آباؤه نجب » . والنجيب من الرجال : الكريم الحسيب .

وقال آكل المرارِ الملك (١) :

إِنَّ مَنْ غَرَّهَ النِّسَاءَ بِشَيْءٍ بَعَدَ هِنْدٍ لِجَاهِلٍ مَغْرُورٍ
حُلُوهُ الْعَيْنِ وَاللِّسَانِ ، وَمُرٌّ كُلُّ شَيْءٍ يُجِنُّ مِنْهَا الضَّمِيرُ
كُلُّ أَثْنَى وَإِنْ بَدَّتْ لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحَبِّ ، حُبُّهَا حَيْتَعُورُ (٢)

وقال طَفِيلُ الْعَتَوِيِّ :

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبْتَنَ مَعَا مِنْهَا الْمُرَارُ وَبَعْضُ الْمُرِّ مَأْكُولُ (٣)
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لِابْنِ مَفْعُولٍ (٤)
لَا يَنْتَشِينِ لِرُشْدٍ إِنْ صُرِفْنَ لَهُ وَهَنَّ بَعْدَ مَلَاوِيمٍ مَخَاذِيلُ (٥)

(١) آكل المرار : لقب حجر بن معاوية ، من أجداد امرئ القيس الشاعر ، وهو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور . وثور هذا هو كندة الذي ينسب إليه الكنديون . وإنما لقب حجر آكل المرار لما ذكر أبو عبيد قال : « أخبرني ابن الكلبي أن حجرا إنما سمي آكل المرار أن ابنة كانت له ، سبها ملك من ملوك سليح ، يقال له : ابن هبولة ، فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل آكل المرار - يعني كاشراً عن أنيابه . فسمى بذلك . وقيل إنه كان في نفر من أصحابه في سفر فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا ، وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم » . الشعراء ٦٢ ، واللسان (مرر) ، وشرح شواهد الشافية للبغدادي ٣٩٣ - ٣٩٧ . والمرار : شجر مر إذا أكلته الإبل قلصت عن مشاقرها .

(٢) الحيتعور : المتلون الذي لا يدوم على حال . وأنشده في اللسان (ختعر) برواية : « وإن بدا لك منها » . وكذا في شرح شواهد الشافية .

(٣) الأبيات في ديوان طفيل ٣٤ طبع لندن ١٩٢٧ برواية أبي حاتم عن الأصمعي . والأول والثاني في عيون الأخبار (٤ : ١١٣) والشعراء ٤٢٣ .

(٤) الواجب : اللازم الثابت ، وهو أيضاً الساقط والواقع . وفي عيون الأخبار : « فإنه واقع » . وهذا البيت وسابقه ذكر أبو حاتم في شرح الديوان أنهما لمالك بن كعب ، والد كعب بن مالك الأنصاري .

(٥) هذا البيت من ل فقط . وفي الديوان : « لا ينتشين لرشد إن منين به » وفي الشعراء : « لا ينصرفن لرشد إن دعين له » . ملاويم ، من اللوم ، جمع ملوam ، وهي الكثيرة اللوم . ومخاذيل من الخذل ، وهو ترك النصرة . وفي الشعراء : « ملائيم » تحريف .

وقال علقمة بن عبدة (١) :

فإن تسألوني بالنساء فإنتى
إذَا قَلَّ مَالُ المرءِ أَوْ شَابَ رَأْسُهُ
بصيرٍ بأدواءِ النساءِ طيبٌ (٢)
فليسَ لَهُ مِنْ وَدْهِنِ نصيبٌ (٣)
وشرُّ الشَّبابِ عندهنَّ عَجيبٌ (٤)

٢٧٠

وقال أبو الشعْبِ السَّعْدِيُّ (٥) :

أبعَدَ بنى الزَّهراءِ أرجو بشاشةً
عَطَافَةً زُهْرًا مَضُومًا لسبيلهم
من العيشِ أَوْ أرجو رخاءً من الدَّهرِ
ألهفى على تلكِ العَطَافَةِ الزُّهْرِ (٦)
وشرٌّ فما أنفكُ منهم على ذِكْرِ
رأيتُهُ كُلِّ خيرٍ رأيتُهُ

وقال أبو حُزَايَةَ (٧) ، فى عبد الله بن ناشيرة :

ألا لآفتى بعد ابن ناشرة الفتى
ولا خير إلا قد تولَّى وأدبراً
وكان حصاداً للمنايا ازدرعنه
فهللاً تركن التبت ما كان أخضرأ (٨)

(١) هو علقمة بن عبدة ، بالتحريك ، بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة الجوع ابن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو المعروف بعلقمة الفحل ، شاعر جاهلى مجيد . وقصيدته التى منها هذه الأبيات اختارها المفضل فى المفضليات (٢ : ١٩٠ - ١٩٦) ، وهى فى ديوانه من مجموع خمسة دواوين ١٣١ - ١٣٢ والشعر والشعراء ١٧١ .

١٥

(٢) بالنساء ، أى عن النساء . وفى الكتاب : (فاسأل به خبيراً) ، أى عنه .

(٣) فى المفضليات وما عدل : « إذا شاب رأس المرء أو قل ماله » .

(٤) ثراء المال : كثرته . وشرخ الشباب : أوله .

(٥) ويقال أيضاً « العيسى » ، شروح سقط الزند ٨٧٠ . وعيس ، هو ابن بغيض بن ريث بن

٢٠

عطفان بن سعد بن قيس عيلان .

(٦) العطافاة : جمع عطريف ، وهو السيد الشريف السخى . والزهر : جمع أزهر ، وهو الحسن

الأبيض من الرجال .

(٧) أبو حُزَايَةَ ، بضم الحاء ، هو الوليد بن حنيفة من شعراء الدولة الأموية ، بلوى حضر

وسكن البصرة ، ثم اكتب فى الديوان وضرب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة وعاد إلى

٢٥

البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك . وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان

هجاء . الأغاني (١٩ : ١٥٢ - ١٥٦) .

(٨) ازدرعنه : زرغته .

لَحَا اللهُ قَوْمًا أَسْلَمُوا وَرَفَعُوا عَنَّا جِيحَ أَعْطَتْهَا يَمِينُكَ ضُمْرًا (١)
 أَمَا كَانَ فِيهِمْ فَارِسٌ ذُو حَفِيظَةٍ يرى الموت في بعض المواطنين أَعْدْرًا (٢)
 يَكْرُ كَمَا كَرَّ الْكَلْبِيُّ بَعْدَمَا رأى الموت تحذوه الأَسِنَّةُ أَحْمَرًا
 فَكَّرَ عَلَيْهِ الْوَرْدَ يَدْمَى لَبَائُهُ وما كَرَّ إِلَّا رَهْبَةً أَنْ يُعِيرَا (٣)
 وقال أعرابي (٤) :

رَعَاكَ ضَمَانُ اللهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَهُ أَنْ يُشْقِيكَ أَغْنَى وَأَوْسَعُ (٥)
 يَذْكُرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي أخاف وأرجو والذي أتوقُّعُ

وقال ذُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ (٦) :
 وَقَالُوا: أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ ، وَقَدْ أَرَى مكانَ الأَمْسَى لَكِنْ يُنِيْتُ عَلَى الصَّبْرِ (٧)

١٠ (١) رفع فرسه : سار به دون الحضرة وفوق الموضوع . والعناجيج : جمع عنجوج ، بالضم ، وهو الرائع من الخيل ، أو الجواد . الضمر : جمع ضمائر . أعطتها يمينك ، يقول : أنت منحهم تلك الخيل ، ولكنهم لم يفوا لك ، وأسلموك .

(٢) الحفيظة : المحافظة على العهد ، والمهاماة على الحرم . أعذر ، أى أجاب للعدو .

(٣) يقال كرهه ، فكَّره هو . الورد : اسم فرس . واللبان ، بالفتح : الصدر .

١٥ (٤) أعرابي من هذيل ، كما في الحيوان (٧ : ١٤٨) . والبيتان بدون نسبة في الحماسة (٢) :

(١١١) .

(٥) الضمان : مصدر ضمن الشيء وبه : كفله . وقال المرزوقي - فيما رواه عنه التبريزي في شرح الحماسة : « أشار بقوله ضمان الله إلى ما في القرآن من قوله تعالى : ادعوني أستجب لكم . وقد ضمن الإجابة للداعي . فرعاك ضماناً الله » . يشقيك ، كذا جاءت الرواية هنا ، وفي الحماسة كذلك : « عن يشقيك » . وعن هذه لفة في « أن » ، وهى اللفظة المعروفة بعننة تميم ، كما في قول ذى الرمة :
 ٢٠ أعن توسمت من أسماء منزلة ماء الصباية من عينيك مسجوم

ويحتمل أن يكون بعدها « أن » مقدره . وروى في الحيوان - وهو رواية المرزوقي كما استظهر له التبريزي : « أن يسقيك » ، وهو بتقدير حذف الجار ، أى والله بأن يسقيك ، أى أظهر غنى وأوسع قدرة . هـ : « أروعى وأوسع » .

٢٥ (٦) ترجم في (١ : ١٠٧) . وكان أخوه عبد الله بن الصمة قد غزا غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية ، فظفر بغطفان وساق أموالهم وذلك في يوم يقال له يوم اللوى ، ثم أدركهم غطفان :

عيس وفزارة وأشجع ، فحمل عليه رجل من عيس فقتله . الأغاني (٩ : ٣) .

(٧) الأبيات في الأغاني (٩ : ٣) والحماسة (١ : ٣٤٠) . وفيهما : « مكان البكا » .

- فقلتُ: أَعْبَدَ اللهُ أَبْكَى أُمِّ الذِي عَلَى الْجَدَثِ النَّائِي قَتِيلَ أَبِي بَكْرٍ (١)
 وَعَبَدَ يَغُوثٌ أَوْ نَدِيمِي خَالِدًا وَعَزَّ الْمُصَابُ وَضَعَ قَبْرَ حِذَا قَبْرِ (٢)
 أَبِي الْقَتْلِ إِلَّا آلَ صِمَّةَ لِئَنَّهُمْ أَبُوَا غَيْرَهُ وَالْقَدْرَ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ (٣)
 فَأَمَّا تَرِينَا لَا تَرَأُلْ دَمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ (٤)
 فَإِنَّا لِلْحَمِّ السَّيْفِ ، غَيْرِ نَكِيرَةٍ وَنُلْحِمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بَدَى نُكْرٍ (٥)
 يُعَارَ عَلَيْنَا وَاتِرِينَ فُيَشْتَفَى بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ نُغَيِّرُ عَلَى وَتَرٍ (٦)
 قَسَمْنَا بِذَلِكَ الدَّهْرِ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا فَلَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ (٧)

(١) الجَدَثُ : القبر . ما عدال : « على الحدث الباقي » . وأبو بكر هولاء ، هم بنو أبي بكر بن كلاب ، قتلوا أخاه قيس بن الصمة . الأغاني (٩ : ٢) .

- ١٠ (٢) وعبد يغوث هذا أخوه ، قتلته بنو مرة . وأما خالد أخوه فقتله بنو الحارث بن كعب . الأغاني (٩ : ٢) . ما عدال : « أو يميني خالدا » ، جعله كيدته اليمنى . وفي الأغاني : « أو خللي » ، وبدلها في الحماسة : « تحجل الطير حوله » . الجذاء : الإزاء والمقابل . ما عدال : « إلى قبر » . وعجزه في الأغاني : « وعز مصابا حثو قبر على قبر » . وفي الحماسة : « وعز المصاب حثو قبر على قبر » .
 (٣) القدر ، بسكون الدال ، هو القدر يفتحها ، وهو ما قدره الله . وأنشد للفرزدق :

- ١٥ وما صب رجل في حديد مجاشع مع القدر إلا حاجة لي أريدها
 (٤) الواتر : الذي يدرك الوتر ، أى الثأر . ب ، ج : « دائر » التيمورية : « دائر » محرفان . وفي الأغاني : « يشقى بها » تحريف . يقول : إن ترينا أبدا دماؤنا عند من قتلنا له قتيلا يطلبنا بدمه ، ويسعى بما يطلب من دماؤنا .

- (٥) هم لحم السيف ، أى هم طعامه يعرضون أنفسهم للقتل . غير نكيره ، منصوب على المصدر . قال التبريزي في شرح الحماسة : « وأكثر ما يستعمل نكير بغير هاء . والنكر والنكير كالعذر والعذير . ومثل هذا المصدر يؤكد به الكلام الذى قبله ، ويجرى مجرى حقا وما أشبهه . ويجوز أن تكون الهاء من النكيره للمبالغة » . ولم يذكر « النكيره » أحد من أئمة اللغة سوى صاحب القاموس . ألحمه : أطعمه اللحم . والحين : اسم للزمان المتصل ، فكأنه قال : ونلحمه فيما يتصل من الأوقات ، وليس يريد حيناً من الأحيان . انظر شرح التبريزي .

- ٢٥ (٦) الوتر ، يفتح الواو وكسرهما : الثأر .
 (٧) الشطر ، بالفتح : نصف الشيء . بينا ، أى بيننا وبين أعدائنا .

وقال الآخر (١) :

إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا
حبيب إلى الزوار غشيان بيته
فتى لا يبالى أن يكون بجسمه
حليم إذا ما الجلم زين أهله
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
بيت الندى يا أم عمرو ضجيعه
فلم تُنطق العوراء وهو قريب (٢)
جميل الحيا شب وهو أديب
إذا نال تحلات الكرام شحوب (٣)
مع الحليم في عين العدو مهيب (٤)
قريباً ويدعوه الندى فيجيب
إذا لم يكن في المنقيات حلوب

يقول : إذا كان الجذب ولم يكن للمال لبن فهو وهوب مطعام في هذا الزمن . والمنقيات : المهازيل التي ذهب نقيهن ؛ والنقى : مخ العظام وشحم العين ، وجمعه أنقاء . وناقة منقية ، أى ذات نقى .

وقال الآخر :

ألا ترين وقد قطعتنى عدلاً
إلا يكن ورق يوماً أجود به
ماذا من القوت بين البخل والجود (٥)
للمعتفين فإني كين العود (٦)

(١) الأبيات التالية من قصيدتين متشابهتين متداخلتين يخلط الرواة بين أبياتها ، إحداهما لكعب بن سعد الغنوي ، والأخرى لهريقة بن مسافع العسبي ، انظر الأصمعيات ٩٤ - ٩٦ طبع المعارف و ١٣ - ١٦ لبيسك ، والأمالى (٢ : ١٤٧ - ١٤٨) والحزارة (٤ : ٣٧٣ - ٣٧٤) ومختارات ابن الشجرى . ٢٧

(٢) تراعوه : قابلوه فأروه . وفى شعر ألى ذؤيب :

ألى الله إلا أن يفيدك بعدما تراعيتموني من قريب ومودق

والعوراء : الكلمة القبيحة .

(٣) الحلة ، بفتح الحاء : الخصلة . يقول : لا يبالى شحوب جسمه فى سبيل المكارم .
(٤) فى ل : « فى غير العدو » صوابه من هـ والأصمعيات . يقول : هو مهيب فى عين أعدائه ، مع ما يتحل به من حلم ومسالمة . والبيت وما بعده إلى آخر التفسير من ل ، هـ فقط .
(٥) القوت : البعد ، وفى اللسان : « وبينهما قوت فائت ، كما يقال بون بائن » .
(٦) الورق ، مثلثة الواو ، وككتف وجبل : الدراهم المضروبة . ما عدل : « أجود بها » ، وكلاهما صحيح . المعتفون : الطلاب والسائلون .

وإلى هذا ذهب ابن يسيرٍ حيث يقول :

لا يَعَدُّمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِي (١)
وقال الهذليّ (٢) :

وَهَابُ مَا لَا تَكَادُ النَّفْسُ تُرْسِلُهُ مِنَ التَّلَادِ وَصَوْلٌ غَيْرَ مَنَّانٍ (٣)

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ومن الشّوارد التي لا أرباب لها قوله :

إِنْ يَفْجُرُوا أَوْ يَغْدِرُوا أَوْ يَيْخَلُوا لَا يَحْفَلُوا (٤)

وَعَدُوا عَلَيْكَ مَرَجَلِيَةً سَنَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا (٥)

كَأَبَى بَرَأَقَشَ كُلُّ لَوْ نِ لَوْثُهُ يَتَخَيَّلُ (٦)

ومثله في بعض معانيه :

أَكُولُ لِأَرْزَاقِ الْعِيَالِ إِذَا شَتَا صَبُورٌ عَلَى سُوءِ الثَّنَاءِ وَقَاحٌ (٧)

١٠

(١) انظر ما سبق في ص ١٧٤ . وأنشد هذا البيت في اللسان بدون نسبة ، وهو لمحمد بن يسير كما نص الجاحظ هنا ، وكما في الأغاني (١٢ : ١٢٩) والشعراء ٨٥٥ . والمردود : الرد ، وهو مصدر مثل المحلوف والمعقول بمعنى الخلف والعقل . وفي اللسان والأغاني والشعراء « إما نوالاً وإما حسن مردود » .
(٢) هو أبو المثلّم الهذلي يرقى صخر الغي الهذلي ، وكان بينهما في حياتهما عداوة ومناقضات . ديوان الهذليين (٢ : ٢٣٨ - ٢٤٠) طبع دار الكتب ، وشرح السكري للهذليين ٣٤ ونسخة الشنقيطي ٩٤ والأغاني (٢٠ : ٢١ - ٢٢) .

(٣) ترسله ، أى تطلقه وتنبه ، وذلك لنفاسته . والتلاد : المال القديم . غير منان : لا يكدر عطيته بالمن ، وهو الاعتداد بالإحسان والفخر به . ورواية الديوان :

يعطيك ما لا تكاد النفس ترسله من التلاد وهوب غير منان

(٤) انظر الآيات وروايتها وما قيل فيها في عيون الأخبار (٢ : ٢٩) وديوان المعاني (١ : ١٨٢)
وأمال القالي (٣ : ٨٣) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) والبعال ٣٣٨ . ما عدال : « لم يحفلوا » .

(٥) المرجلون من الترجيل ، وهو تسريح الشعر وتنظيفه . ما عدال : « يقدوا » .
(٦) أبو برأقش ، بفتح الباء : طائر كالعصفور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار ، يتلون في كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب في ذلك ما قال الأزهرى ، أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر ، وأوسطه أحمر ، وأسفله أسود ، فإذا انتفش تغير ألواناً شتى . في ل وبعض المراجع السابقة : « يتبدل » .

(٧) الثناء : ما أخبرت به عن الرجل من قبيح أو حسن . والوقاح : الصلب الوجه القليل الحياء ، والأنثى وقاح أيضاً ، بغير هاء . والبيت في عيون الأخبار (٢ : ٢٩) والبعال ٣٣٨ .

وقال :

وما نَفَى عنكَ قوماً أَنْتَ خائفُهُم كمثلِ وقمِكَ جُهالاً بجُهالِ (١)
 فاقعَسْ إذا حَدَبوا واحْدَبَ إذا قَعَسوا ووازنِ الشرِّ مثقالاً بمتقالِ (٢)
 وقال الراجز (٣) :

وقد تعلَّلت ذَمِيلَ العنسي (٤) بالسَّوِطِ في ديمومةِ كالترسِ (٥)
 إذ عَرَّجَ الليلَ بُروحُ الشَّمسِ (٦)

وقال الراجز :

قد كنتُ إذ حَبِلَ صَباكِ مُدْمَشُ (٧) وإذ أهاضِبُ الشَّبَابِ تَبْعَشُ (٨)

- (١) البيتان في الحيوان (١ : ١٤) ومجالس ثعلب ٤٩١ والروض الأنف (١ : ١٧٠) والمجتنى لابن دريد ص ٨٨ . والوقم : القهر والإذلال والكبح ، والرد بجزي . ثعلب : « فما نفى عنك » .
 ١٠ الروض الأنف : « ولن ينهه » .
- (٢) قعس بقعس ، من باب فرح : نقيض حدب يحذب . والقعس : دخول الظهر وخروج الصدر . قال ثعلب : « أى إذا عملوا شيئاً فزد عليه » . ومثله ما أنشده ابن سيدة في المخصص (٢ : ١٨) :
 فإن حدبوا فاقعس وإن هم تقاعسوا ليتترعوا ماخلف ظهره فاحذب
- (٣) هو دكين الراجز ، أو أبو محمد الفقعسي . وانظر الحيوان (٣ : ٧٤ ، ٣٦٣) . ونسب في
 ١٥ المؤلف ١٠٤ إلى منظور بن حبة الأسدى . انظر زهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان (علل) .
- (٤) وكذا إنشاده في الحيوان . وصواب الرواية : « وقد تعاللت » كما في المراجع السابقة . يقال تعاللت الناقة ، إذا استخرجت ما عندها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل . والعنسي : الناقة الصلبة .
- (٥) الديمومة : الفلاة الواسعة . والترس : ما يمسك به المحارب يتقى الضرب . جعلها كالترس في
 ٢٠ صلابتها . وإذا صلبت الفلاة لم تتضح معالمها .
- (٦) عرج الليل : حبسه . بروح الشمس : ظهورها وخروجها . وكذا جاءت الرواية في المؤلف . وفي سائر المراجع : « بروج » بالجمع ، وهو بمعنى الأولى .
- (٧) مدمش : مدمج ، أبدل الشين من الجيم لمكان الروى . والمدجج : المحكم القتل . والشطر من
 ٢٥ شواهد اللسان (دمج) وهو وتاليه في الحيوان ٣ : ٥٨ .
- (٨) أهاضيب : جمع أهضوبة ، وهى جلبات القطر بعد القطر . تبغش : تدفع قطرها دفعة .

وقال الراجز :

طال عليهن تكاليف السرى والنَّصُّ في حين الهجير والضُّحى (١)
حتى عُجَاهُنَّ فما تحتَّ العُجَى (٢) رواعفٌ يخضبن مبيض الحصى (٣)

سمع ذلك ابن وهيب فرامَ مثله فقال :

٢٧٣

٥ تخضب مَرُوءاً دماً نَجيعاً من فَرَطٍ مائتِ كَبِ الحوامى (٤)

وقال عامرٌ ملاعبُ الأسنَةِ (٥) :

دفعتُكُم عَنِّي ، وما دَفَعُ راحِةٍ بشيءٍ إذا لم تَسْتَعِينِ بالأناهِلِ
يُضَعَضِعُنِي حلمي وكثرةُ جهلِكُم عَلَيَّ ، وإِنِّي لا أصولُ بِجاهِلِ

وقال آخر (٦) :

١٠ لا بَدَّ للِسُودِودِ من أرماج ومن سفِيهِ دائمِ التَّباجِ
ومن عَدِيدِ يَتَقَى بِالرَّاجِ

(١) النص : السير الشديد .

(٢) العجى : جمع عجاية وعجاوة بضم العين فهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم تكون عند رسغ الدابة .

١٥

(٣) رواعف : يسيل منها الدم .

(٤) ما عدال : « يخضب » . والمرو : حجارة بيض براق ، واحدها مروة . نكته الحجارة نكباً : لثته . الحوامى : حروف الخوافر من عن يمين وشمال ، واحدها حامية .

(٥) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فارس قيس ، وسمى ملاعب الأسنَةِ لقول أوس بن حجر فيه :

٢٠

ولاعب أطراف الأسنَةِ عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

وهو عم لبيد الشاعر ، وهو كذلك عم عامر بن الطفيل . وفي العامرين قالوا : « أفرس من ملاعب الأسنَةِ » و « أفرس من عامر » . انظر الأغاني (١٤ : ٩٠) وأمثال الميداني (٢ : ٢٩) . وقالوا : أخذ ملاعب الأسنَةِ أربعين مربعاً فى الجاهلية . والمرباع : ربع الغنيمة يأخذه رئيس القوم لنفسه . انظر بلوغ الأرب (١ : ١٢٧) . توفى ملاعب الأسنَةِ فى نحو سنة ١٠ من الهجرة . الإصابة ٤٤١٥ .

٢٥

(٦) هو أبو سلمى ، أو أبو سلمى . الحيوان (١ : ٣٥١ / ٣ : ٧٩) .

وقال أبو نُحَيْلَةَ لبعض ساداتِ بني سعد :

وإنَّ بقومِ سَوْدُوكِ لَفَاقَةٌ إلى سيِّدٍ لو يظفرون بسَيِّدٍ (١)

وتمثَّل سُفْيَانُ بن عَيْنَةَ وقد جلس على مَرَقِبِ عَالٍ ، وأصحابُ الحديثِ
مدى البصر يكتبون ، بقول الآخر (٢) :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غيرَ مُسَوِّدٍ ومن الشِّقَاءِ تَفَرَّدِي بالسُّوَدِ
وقال الأول (٣) في الأحنف :

وإنَّ من الساداتِ مَنْ لو أطعته دعاكَ إلى نارٍ يفورُ سعيُّها
وقال الآخر :

فأصبحتَ بعد الجِلمِ في الحىِّ ظالماً تَخْمَطُ فيهم ، والمُسَوِّدُ يَظْلُمُ (٤)

وقال رجل من بني الحارث بن كعب ، يقال له سُوَيْدٌ (٥) :

إِنِّي إذا ما الأمرُ بَيْنَ شَكَّةٍ وبدت بصائرُه لمن يتأملُ
وتبرُّاً الضُّعْفَاءِ من إخوانِهِمْ وألحَّ من حَرِّ الصَّمِيمِ الكلكلُ
أدْعُ التي هي أرفقُ الخَلَاتِ لي عند الحفيظةِ للتي هي أجملُ

٢٧٤

وقال الآخر (٦) :

ذهب الذين أحبُّهم قَرَطاً وبقِيَتْ كالمغمورِ في خَلْفِ (٧)
من كلِّ مطويٍّ على حَنَقٍ متضجِّعٍ يُكْفَى ولا يُكْفَى

١٥

(١) سبق البيت في ص ٢١٩ . وهو من أبيات لرجل من خثعم في الحماسة (١ : ٣٣٣ - ٣٣٤) . وقد نسبت في معجم البلدان (البقيع) إلى عمرو بن النعمان البياض .

(٢) هو حارثة بن بدر ، كما سبق ص ٢١٩ .

(٣) هو إياس بن قتادة ، كما مضى في ص ٢١٨ .

(٤) التخطط : الكبر والغضب . والبيت في الحيوان (٣ : ٨١) .

(٥) هو سويد المرائد ، وقد سبقت الأبيات وتفسيرها في ص ٢٤١ .

(٦) هو الأحوص ، كما سبق في (٢ : ١٨٤) .

(٧) فيما مضى : « كالمغمور » .

٢٠

وقال أبو الطَّمْحَانِ الْقَيْنِيُّ (١) :

فكُم فِيهِمْ مِنْ سَيِّدِ وَابِنِ سَيِّدِ وَفِي بَعْقَدِ الْجَارِ حِينَ يُفَارِقُهُ (٢)
يَكَادُ الْعَمَامُ الْغُرَّ يَزْعَبُ إِنْ رَأَى وَجَوْهَ بِنَى لَأْمٍ وَيَنْهَلُ بَارِقَهُ (٣)
وقال طُفَيْلُ الْعَتَوِيُّ :

وكان هُرَيْمٌ مِنْ سَنَانٍ خَلِيفَةَ وَعَمِرُو وَمِنْ أَسْمَاءَ لَمَّا تَغَيَّبُوا (٤)
نُجُومُ سَمَاءٍ كَلَّمَا غَابَ كَوَكِبٌ بَدَا وَانْجَلَّتْ عَنْهُ الدُّجْنَةُ كَوَكِبٌ (٥)
وقال رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ (٦) :

إِنَّا لَمَنْ مَعَشَرَ أَفْتَى أَوَاتِلَهُمْ قَوْلُ الْكُمَاةِ لَهُمْ أَيْنَ الْمُحَامُونَ (٧)
لو كان في الألفِ مِنَّا واحدٌ فدَعَا مَنْ عَاطَفَ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعُونَا

- ١٠ (١) ترجم في (١ : ١٨٧) .
(٢) البيتان في الحيوان (٣ : ٩٣) . والأخير منهما في الشعراء ٣٤٩ وعيون الأخبار (٤ : ٢٥) .
(٣) الغر : البيض . يزعب ، من قولهم زعب السيل الوادي يزعبه زعباً : ملاًه . ل : « يرغب »
تحريف . وفي الحيوان والشعراء وعيون الأخبار : « يرعد » ، وهي أجود . وبنو لأم هم بنو لأم بن عمرو
بن طريف ، من طيء .
١٥ (٤) البيت في ديوان طفيل ١٨ برواية السجستاني عن الأصمعي ، والحيوان (٣ : ٩٤) . من
قصيدة له يرثي بها فرسان قومه . وسنان هذا ، هو سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشبة .
وكان فارساً حسيباً ، قاد ورأس . وحصن : فارس من غنى . وأسماء هو أسماء بن واقد بن وقيد بن رياح
بن يربوع . وأما هرم الذي بقي بعد قتلهم وساد ورأس أيضاً فهو عم سنان ، واسمه هرم بن سنان بن
يربوع . ورواية الديوان : « وحصن ومن أسماء » .
٢٠ (٥) هـ : « كلما انقض » وفي الديوان :
كواكب دجن كلما غاب كوكب بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب
وفي بعض نسخ الحيوان : « بدا ساطعاً في حنندس الليل كوكب » .
(٦) هو بشامة بن حزن النهشلي ، كما في عيون الأخبار (١ : ١٩٠) وشرح التبريزي للحماسة
(١ : ٥٠ بولاق) ، والخزانة (٣ : ٥١٠ - ٥١١) والعيني (٣ : ٣٧٠ - ٣٧١) . ونسب في الشعر
والشعراء ٦١٩ إلى نهشل بن حري النهشلي ، مخالفاً ما في عيون الأخبار . وعزى في الكامل ٦٤ - ٦٥
ليبسك إلى رجل يكتنى أبا مخزوم ، من بني نهشل بن دارم ، فزاد الأخفش أنه هو بشامة بن حزن النهشلي .
والأبيات بنسبتها إلى رجل من بني نهشل في الحيوان (٣ : ٩٥) ، وإلى رجل من بني قيس بن ثعلبة في
الحماسة (١ : ٢٥) .
(٧) هـ : « قيل الكمأة » .

وليس يذهب منا سيّد أبداً إلا اقتلنا غلاماً سيّداً فينا (١)

وقال بعض الحجازيين (٢) :

إذا طمّع يوماً عراني قريته

أكد ثمادى والمياه كثيرة

وأرضى بها من بحر آخر إته

وقال أبو مخجن الثقفي (٦) :

ألم تسَلِ الفوارس من سليم

راؤه فازدروه وهو حرق

فلم يخشوا مصالته عليهم

وتحت الرغوة اللبن الصريح (٩)

٢٧٥

٥

(١) الانتلاء : الانتظام والأخذ عن الأم .

(٢) البيتان الثاني والثالث في مجالس ثعلب ٦٦٤ بدون نسبة ، والثاني كذلك في اللسان (كدد) .

(٣) عراه الضيف : غشيه طالبا معروفه . القرى : طعام الضيف . هـ : « يأس » .

(٤) الكد والاكنتاد : النزع باليد ، يكون ذلك في الجامد والسائل . والثاد : الحفر يكون فيها

الماء القليل ، جمع ثمد . يقول : إنه يرضى بالقليل ويقنع به .

(٥) من بحر آخر ، أى بدل بحر غيرى . والبحر : الماء الكثير ملحا كان أو عذبا .

(٦) في اللسان (فصح) أن القائل نضلة السلمي . وأبو مخجن الثقفي ، هو عبد الله بن حبيب بن

عمرو بن عمير الثقفي . وهو من المخضرمين الذين أدرکوا الجاهلية والإسلام ، مملود في أولى البأس

والنجدة ، وكان يدمن شرب الخمر ، وأقام عليه عمر الحد مراراً . وهو القائل :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمه

ولا تدفني بالفلاة فإنسى

أخاف إذا ما مت ألا أدوقها

ابن سلام ١٠٥ والشعراء ٣٨٧ والأغاني (٢١ : ١٣٧ - ١٤٣) .

(٧) الأبيات لم ترو في ديوان أبي مخجن . ورواها ثعلب في المجالس ٨ - ٩ منسوبة إلى رجل من

بنى سليم . قال : « مر قوم من بنى سليم برجل من مزينة يقال له نضلة ، في إبل له ، فاستسقوه لبنا

فسقاهم ، فلما رأوا أنه ليس في الإبل غيره ازدروه فأرادوا أن يستاقوها ، فجالدهم حتى قتل منهم رجلا ،

وأجل الباقيين عن الإبل ، فقال في ذلك رجل من بنى سليم ... » . وأنشد الأبيات . في مجالس ثعلب وما

عدال : « ألم تسأل فوارس » . المشيخ : الحذر الجاد .

(٨) الحرق ، بكسر الحاء : الفتى الكريم الخليفة ، والطريف في سماحة ونجدة .

(٩) المصالة : مصدر ميمي من صال يصول . والرغوة ، مثلثة الراء .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

فَكَرَّرَ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ صَلْتًا كَمَا عَضَّ الشَّبَا الْفَرَسُ الْجَمُوحُ^(١)
فَأَطْلَقَ غُلَّ صَاحِبِهِ وَأُرْدَى جَرِيحًا مِنْهُمْ وَنَجَا جَرِيحُ^(٢)

وقال بعض اليهود :

سَيِّمْتُ وَأَمْسَيْتُ رَهَنَ الْفِرَا شِي مِنْ حَمَلِ قَوْمٍ وَمِنْ مَعْرَمٍ^(٣)
وَمِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ بَعْدَ التُّهَى وَرُمْتُ الرَّشَادَ فَلَمْ يُفْهَمِ^(٤)
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الْحَلِيمَ وَلَمْ يُتَعَدَّ وَلَمْ يُظْلَمِ^(٥)
وَلَكِنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا السَّفِيهَ هَ حَتَّى تَعَكَّظَ أَهْلَ الدِّمِ^(٦)
فَأَوْدَى السَّفِيهَ بِرَأْيِ الْحَلِيهِ مَ فَاَنْتَشَرَ الْأَمْرَ لَمْ يُبْرَمِ

وقال بعض الشعراء :

وَكُنْتُ جَلِيْسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرِ وَلَا يَشْتَقِي بِقَعْقَاعِ جَلِيْسُ^(٧)
ضَحُوكُ السَّنِّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبُوسٍ^(٨)

وقال الآخر :

وَلَسْتُ بِدُمِّيْجَةٍ فِي الْفِرَا شِي وَجَابِيَةَ يَحْتَمِي أَنْ يُجَبِّيَا^(٩)
وَلَا ذِي قَلَارِمٍ عِنْدَ الْحِيَاضِ إِذَا مَا الشَّرِيبُ أَرَابَ الشَّرِيَا

١٥ (١) الصلت : المنجرد الماضي في الضريبة . شباة كل شيء : حده .

(٢) في المجالس : « قتيلا منهم » .

(٣) الحمل : أن يحمل عن القوم ديانتهم وغرمهم ، وما يجمله هو الجمالة ، كسحابة .

(٤) ل : « فلم أفهم » .

(٥) ما عدال ، هـ : « ولم تتعد ولم تظلم » .

٢٠ (٦) تعكظ القوم تعكظا : تحبسوا لينظروا في أمورهم .

(٧) القعقاع بن شور ، ترجم في (١ : ٤٧) .

(٨) ما عدال : « إن أمروا بخير » . والمطراق : الكثير الإطراق ، وهو السكوت .

(٩) سبق البيتان في (١ : ٥٧ ، ٦٨) . وفي الأصول : « بزيمجة » . وانظر ما مضى من

وقال حَجَلُ بْنُ نَضْلَةَ (١) :

جاء شَقِيقٌ عَارِضاً رُمَحَهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحٌ (٢)
هَلْ أَحَدَتْ الدَّهْرُ لَنَا نَكْبَةً أَمْ هَلْ رَقَتْ أُمَّ شَقِيقٍ سِيْلَاحٌ (٣)
وقال (٤) :

وَيْلٌ أُمَّ لَذَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةً مع الكُثْرِ يُعْطَاهُ الْفَتَى الْمُتَلْفُ النَّدِ (٥)
وقد يَقْصُرُ الْقُلُوبَ الْفَتَى دُونَ هَمِّهِ وقد كَانَ لَوْلَا الْقُلُوبُ طَلَّاعٌ أَنْجِدِ (٦)

(١) في معاهد التنصيص (١ : ٢٧) : « وأما حَجَلُ بْنُ نَضْلَةَ فهو أحد بني عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر » . هـ : « حجل » .

(٢) شقيق : اسم رجل . عارضا رُمحه : واضعاً رُمحه عرضاً مفتخراً بتصريف الرماح ، مدلاً بشجاعته . والبيت من شواهد البلاغة ، يستشهد به البلاغيون لتنزيل غير المنكر للشيء منزلة المنكر له ، إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار .

(٣) رقت ، من الرقية ، وهي العُوذَةُ التي يرقى بها صاحب الآفة . فكأنها رقت سلاحه وأحدثت به ضرباً من السحر لتضعف إصابته أو يبطل أثره . وانظر الأغاني (١٢ : ٤٩) ما عدل : « رقت » . وفي معاهد التنصيص : « رمت » .

(٤) القائل علقمة بن عبدة الفحل . ديوانه ١٣٥ . والبيتان في الحماسة (٢ : ٥٢) بدون نسبة ، ونسبهما التبريزي في شرحها إلى خالد بن علقمة الدارمي ، وكذا جاءت نسبتها في اللسان (قلل) . أما في (نجد) فقد نسباً أيضاً إلى حميد بن أبي شحاذ الضبي ، وهذه هي نسبة الأعلام الشتمري في حماسته . وفي الخزانة (١ : ٥٦٣) نسبتها إلى خالد بن علقمة بن عبدة ، أو عبد الرحمن بن علي بن عبدة ، حفيد علقمة ، وثاني البيتين في إصلاح المنطق ٣٩ ، ٥٦ ، ١٨٨ ، ٤٠٢ ، والمخصص (١٣ : ٦٧) بدون نسبة .

(٥) ويل أم ، من صيغ التعجب السماعية ، المنقولة من الدعاء عليه ، مثل « فإتله الله » فيرى بعضهم أنها « ويل لأم » ثم خفت بحذف اللام الأولى والهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام الثانية ، وبعضهم يذهب أنها « وى لأم » ، ثم حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام . انظر اللسان (ويل) والخزانة (١ : ٥٦٣) . و « وى » في هذا التقدير بمعنى أعجب . الكثر ، بالضم : المال الكثير . وروى : « يعطاها » يعود الضمير على المعيشة . الفتى : السخى الكريم . والمتلف : المفرق للمال . والندى : السخى . وياء الندى خفيفة ، وحكى كراع تثقيلاً ، فوزنها فعل أو فاعل . اللسان (ندى) .

(٦) يقصر : يجبس : وروى : « يعقل » أي يجبس . والقلل ، بالضم : المال القليل : الأنجد : جمع النجد ، وهو ما أشرف من الأرض وارتفع . طلاع أنجد ، أي قادراً على السمو والارتفاع إلى معالي الأمور . وبعد هذا البيت في ديوان علقمة :

وقد أقطع الخرق المخوف به الردى بعنس كجفن الفارسي المسرد
كأن ذراعها على الخل بعد ما وبن ذراعاً ماتح متجرد

وقال الآخر (١):

قَامَتْ تُخَاصِرُنِي بِقِيَّتِهَا خَوْذُ تَأَطَّرَ غَادَةً بِكُرٍ
كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مُبْلِغٍ لَذَّةٌ عُدْرُ

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة ، وهو من قديم الشعر

وصحيحه :

أَلَا إِنَّمَا هَذَا السُّلَالُ الَّذِي تَرَى وَإِذْبَارُ جِسْمِي مِنْ رَدَى الْعَثْرَاتِ (٢)
وَكَمْ مِنْ تَخْلِيلٍ قَدْ تَجَلَّدَتْ بَعْدَهُ تَقَطَّعُ نَفْسِي بَعْدَهُ حَسْرَاتِ (٣)

وقال الطرِّمَاحُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَشَيْئِي أَنْ لَا أَزَالَ مُنَاهِضًا بَغِيرِ ثَرًا أُسْرُو بِهِ وَأَبْوَعُ (٤)
أُمُحْتَرِمِي رَبُّ الْمَتُونِ وَلَمْ أَتَلْ مِنْ الْمَالِ مَا أَعْصَى بِهِ وَأُطِيعُ

وقال الأَضْبَطُ بْنُ قُرَيْعٍ (٥) :

لِكُلِّ هِمٍّ مِنَ الْهَمُومِ سَعَةٌ وَالْمُسْنَى وَالصَّبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
فَصِلْ جِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلْ أَلْ حَبْلٌ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ
وُحِّدْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بَعِيشَهُ نَفْعَهُ (٦)
لَا تُحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ (٧)

٢٧٧

(١) هو الأحوص ، كما سبق في (١ : ١٩٨) .

(٢) البيتان في ص ٢٠٠ من هذا الجزء . السلال ، بالضم : السل . وفيما سبق : « الملل » .

(٣) ما عدل ل : « دونه حسرات » .

(٤) وهذان البيتان سبقا أيضا في ص ٢٠٠ . وفيما سبق : « بغير قوى أنزو بها » ، وهو دليل على

أن الجاحظ يختار المقطوعة الواحدة أحيانا من كتابين مختلفين .

(٥) هو الأضببط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ذكره السجستاني في

المعمرين ٨ . وانظر بعض أخباره في الأغاني (١٦ : ١٥٤ - ١٥٥) وأبياته التالية في المعمرين ، ومجالس

ثعلب ٤٨٠ . والأمالي (١ : ١٠٧) ، والأغاني (١٦ : ١٥٤) . وحماسة ابن الشجرى ١٣٧ والخزاعة (٤ :

٥٨٩) ، والمثل السائر (١ : ٢٦) .

(٦) هذا البيت في ل ، ه فقط .

(٧) ويروى : « لا تهن الفقير » .

قد يجمعُ المالُ غيرَ آكلِهِ . ويأكلُ المالُ غيرُ مَنْ جمَعَهُ
وقال أعرابيٌّ ، ونحر ناقةً في حُطْمَةِ أصابِهم (١) :

- أَكَلْنَا الشَّوَى حَتَّى إِذَا لَمْ نَجِدْ شَوْىً أَشْرْنَا إِلَى خَيْرَاتِهَا بِالْأَصَابِعِ (٢)
وَاللَّسِيفُ أُخْرَى أَنْ تُبَاشِرَ حَدَّهُ مِنَ الْجُوعِ لَا تُثْنِي عَلَيْهِ الْمُضَاجِعُ (٣)
لَعَمْرُكَ مَا سَلَيْتَ نَفْسًا شَجِيحَةً عَنِ الْمَالِ فِي الدُّنْيَا بِمِثْلِ الْمَجَاوِعِ (٤)
- وقدم ناقةً له أخرى إلى شجرة ليكون المحتطب قريباً من المنحر ، فقال :
أَدْنَيْتُهَا مِنْ رَأْسِ عَشَاءٍ عَشِيَّةٍ مُفَصَّلَةَ الْأَفْنَانِ صُهْبِ قُرُوعِهَا (٥)
وَقُلْتُ لَهَا لَمَّا شَدَّدْتُ عِقَالَهَا وَبِالْكَفِّ مُنْهَاءً شَدِيدٌ وَقُوعِهَا (٦)
لَقَدْ غَنَيْتَ نَفْسِي عَلَيْكَ شَجِيحَةً وَلَكِنْ يُسْحَى شَحَّةَ النَّفْسِ جُوعِهَا (٧)
- وقال أسقف نجران (٨) :

- (١) الحطمة ، بفتح الحاء وضمها : السنة الشديدة تحطم كل شيء .
(٢) الشوى : رُدَّالُ المالِ وصغاره . وأنشد هذا البيت في مقاييس اللغة والجمهرة (شوى)
والمخصص (١٤ : ٢٩ / ١٥ : ١٦٦) . وهو وتاليه في اللسان (شوى) .
(٣) في البيت إقواء . يقول : نحر الناقة خير من الجوع الذي يذهب الرقاد . ل : « يباشر حده » ،
وتقرأ بالبناء للمفعول .
(٤) ما عدال ، هـ : « يمثل مجاوع » .
(٥) كذا جاء البيت بالخرم في أوله . العشاء ، وصف لم يرد في المعاجم المتداولة ، وأما العشة ،
بفتح العين ، فهي الشجرة الدقيقة القضبان . ومادة الكلمتين واحدة . مفصلة الأفنان : مفرقة الفروع .
والصهب : جمع أصهب وصهباء ؛ والصهبة : حمرة أو شقرة .
(٦) ممهامة : قد أجدت شفرتها ورققت .
(٧) غنى ، هنا بمعنى أقام . قال الله عز وجل : (كأن لم يغنوا فيها) ؛ أو بمعنى كان ، كما في قول
مهلهل :

غنيت دارنا تامة في الدهر بر وفيها بنو معد حلولا

ما عدال ، هـ : « غنيت » تحريف .

- (٨) الأسقف : رئيس من رؤساء النصارى . وكذا نسب الشعر في الحيوان (٣ : ٨٨) .
ونسب في العقد (٢ : ١٢٢) إلى عابد نجران . وفي معجم المرزباني ٣٣٩ إلى القمقام بن الصاهل ، وهو
تبع الثاني أو الثالث ، ملك حضرموت واليمن . وفي معاهد التنصيص (٢ : ١٢١) والصناعتين ١٩٢ إلى
بعض ملوك اليمن . وانظر خيراً متعلقاً بالشعر في زهر الآداب (٣ : ١٨٣) وأمالى القائل (٣ : ٢٩) .

مَنَعَ الْبَقَاءَ تَصَرَّفَ الشَّمْسُ
وَطَلُوغُهَا بَيضاء صَافِيَةً
وَيَوْمُ نَعْلَمُ مَايَجِيءُ بِهِ
وَقَالَ الْآخِرُ (١) :

- وَهُلْكَ الْفَتَى أَنْ لَا يَرَّاحَ إِلَى النَّدَى
وَمَنْ يَتَّبِعْ مِنِّي الظَّلْعَ يَلْقِنِي
وَأَنْ لَا يَرَى شَيْئاً عَجِيباً فَيَعْجَبَا (٢)
إِذَا مَا رَأَى أَصْلَعَ الرَّاسَ أَشْيِيَا (٣)
وَقَالَ سُوَيْمٌ بِنُ وَثِيلِ الرَّيَاحِيِّ (٤) :
- رَ مَعِيبٌ يَعِيْبُهُ أَحَدُ (٥)
رَ وَبَدَلِي فِيهَا الَّذِي أَجِدُ (٦)

٢٧٨

- ١٠ (١) سبق البيتان كذلك بدون نسبة في ص ٢٤٢ ، وهما لعلي بن الغدير الغنوي ، كما في الأملال (٢ : ١٨١) .
(٢) راح يراح : أخذته أريحية وخفة وفرحة . والندى : الكرم . وانظر خبراً يتعلق بهذا البيت في الأغاني (١٨ : ٤٥) .
(٣) ما عدال ، هـ : « بيتني مني الطلاعة » تحريف .
١٥ (٤) هو سحيم بن وثيل بن أعيمق بن أبي عمرو بن إهاب بن حميري بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن تميم . شاعر مخضرم ، أدرك في الجاهلية أربعين سنة ، وفي الإسلام ستين وهو صاحب القصة المشهورة في المعاقرة . وذلك أن أهل الكوفة أصابهم مجاعة فخرج أكثر الناس إلى البوادي ، فمقر غالب بن صعصعة والد الفرزدق لأهله ناقة صنع منها طعاماً وأهدى منه إلى ناس من تميم ، فأهدى إلى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذي أتى بها ، ونحر لأهله ناقة ، ثم تفاخرا في النحر حتى نحر غالب مائة ناقة ، ولم تكن إبل سحيم حاضرة ، فلما جاءت نحر ثلاثمائة ناقة . وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب ، فمنع الناس من أكلها وقال : « مما أهل به لغير الله » ، فجمعت لحومها على كساسة الكوفة ، فأكلها الكلاب والعقبان والرخم . انظر النقااض ٤١٤ - ٤١٨ والأملال (٣ : ٥٢ - ٥٤) ومعجم البلدان (٥ : ٣٩٥) والخزانة (١ : ٤٦١ - ٤٦٣) . ووثيل يفتح الواو من الوثالة ، وهي الرجاحة . وضبط في الإصابة ٣٦٦٠ وشرح شواهد المعنى ١٥٧ بالتصغير خطأ . انظر الاشتقاق ١٣٨ والخزانة (١ : ١٢٨) .
٢٥ (٥) حدراء : اسم امرأة . والمعيب : العيب ، ومثله المعاب ، كما في اللسان . ما عدل له « معاب » ، وهذه أيضا هي رواية عيون الأخبار (١ : ٢٥٩) .
(٦) معاقرة الخمر : إدمان شربها .

هُوَ الثَّنَاءُ الَّذِي سَمِعْتِ بِهِ لَا سَبْدٌ مُخْلِدى وَلَا لَبْدٌ (١)
 وَيَحْكُ لَوْلَا الخَمُورُ لَمْ أَحْفَلِ العَيْدَ شَنْ وَلَا أَنْ يَضْمَنِي لَحْدُ (٢)
 هِيَ الحَيَاةُ والحَيَاةُ وَاللَّهُوُ لَا أَنْتِ وَلَا ثَرْوَةٌ وَلَا وَلَدُ
 وقال عبدُ راجٍ (٣) :

غَضِبْتُ عَلَيَّ لِأَنْ شَرِبْتُ بِجِزَّةٍ فَلَئِنْ أُبَيِّتَ لِأَشْرَبَنَّ بِخُرُوفٍ (٤)
 وَلَكِنْ نَطَقْتُ لِأَشْرَبَنَّ بِنَعِجَةٍ حَمْرَاءٍ مِنْ آلِ المَذَالِ سَحُوفٍ (٥)

وقال :

نَاحَتْ رُقِيَّةٌ مِنْ شَاةٍ شَرِبْتُ بِهَا وَلَا تَنُوحُ عَلَيَّ مَا يَأْكُلُ الدَّبِيبُ

(١) لا سيد ولا لبد ، أى لا قليل ولا كثير ، قيل أصل السبد ذو الشعر ، واللبد ذو الصوف الذى يتلبد ، يكتى بهما عن المعز والضأن . ١٠

(٢) المعروف « اللحد » بفتح اللام وضمها ، وهو شق فى جانب القبر يوضع فيه الميت . وتحريك حائه لضرورة الشعر .

(٣) اشترى ذلك الأعرابى خمراً بجزء من صوف ، فغضبت عليه ، فقال الشعر متحدياً لها . انظر أمالى القالى (١ : ١٥٠) وشرح شواهد المعنى للسيوطى ٢٠٧ . ورواية الأبيات فهما :

غضبت على لأن شربت بصوف	١٥
ولكن غضبت لأشربن بنعجة	
ولكن غضبت لأشربن بناقة	
ولكن غضبت لأشربن بسابح	
ولكن غضبت لأشربن بواحدى	
ولقد شهدت الخيل تعثر بالقنا	٢٠
ولقد شهدت إذا الخصوم تواكلوا	

وروى السيوطى عن ابن الأثيرى أن امرأته أجابته فقالت :

ما إن عتبت لأن شربت بصوفة	٢٥
فاشرب بكل نفيسة أوتيتها	
وارفع بطرفك عن بنى فإنه	

وروى السيوطى أيضاً أن قاتل الشعر الأول هو ذو الرمة .

(٤) الجزة ، بالكسر : ما يجز من صوف الشاة فى كل سنة . وأورد ابن هشام فى المعنى (فصل

اللام) رواية ابن جنى : « فلأذ » شاهدا على غرابة ذلك فى اللام الموطقة .

(٥) من آل المذال ، أى هى من نسل ذلك الكيش المسمى بالمذال . سحوف : كثيرة

السحائف ، وهى طبقات الشحم . ٣٠

وقال أبو حفص القرظي :

قد تعرّبتُ للشُّقاوةِ حيناً حينَ بُدِّلْتُ بالسَّعادةِ نُوقاً (١)
يومَ فارقتُ بلدتي وقراري وتبدلتُ سوءَ رأيٍ وموقاً (٢)
ليتَ عندي بخيرِ معزايَ عشرٍ طيلساناً من الطرازِ عتيقاً (٣)
وبخمسٍ منهنَّ أيضاً قميصاً سابرياً أُميسُ فيه رقيقاً (٤)
قد هجرتُ التَّيِّدَ مذهُنَّ عندي وتمزَّزْتُ رسلهنَّ مديقاً (٥)
فوجدتُ المديقَ يُوجِعُ بطني ووجدتُ التَّيِّدَ كان صديقا
يَعِدُّ النَّفسَ بالعشيِّ مُناها ويسلُّ الهُمومَ سلاً رقيقاً

٢٧٩

* * *

١٠. وكان فتى طيب (٦) من ولد يقطين لا يصحو ، وكان في أهله روافض يخاصمون في أبي بكر وعمر ، وعثمان وعلي ، وطلحة والزبير ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، فقال :

رُبَّ عَقَارٍ بِادْرَنْجِيَّةٍ اصْطَدَّتْهَا مِنْ بَيْتِ دِهْقَانٍ (٧)

(١) ما عدال ، هـ : « للسعادة » ، تحريف . والثوق : جمع ناقة .

١٥ (٢) الموق ، بالضم : الحمق .

(٣) عشر ، أى بعشر منها . ما عدال : « عشرأ » . الطيلسان : كساء مدور أخضر ، لحمته أو سداؤه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ، معرب من « تالسان » الفارسية . والطراز : الجيد من كل شيء ، وما ينسج من الثياب للسلطان . والعتيق : البالغ النهاية في الجودة .

٢٠ (٤) السابري : الرقيق الذي يستشف ما وراءه .

(٥) التمزز : شرب الشراب قليلا قليلا . والرسل ، بالكسر : اللين . والمديق : الممنوق ، وهو المخلوط بالماء .

(٦) الطيب : الفكه المزاح . انظر ماسبق في ص ١١٥ .

(٧) العقار ، بالضم : الخمر . باذرنجية : نسبة إلى نبت يسمى « باذرنجويه » ، له زهر أحمر

٢٥ عطر ، ذكره داود في تذكرته . والدهقان ، بكسر الدال وضمها : التاجر ، فارسي معرب .

جَنْدَرْتُ أرواحاً وطَيِّبَتْهَا
سَكْنًا وَسَلْنَا لم نَحْضُ في أذى
ولا أوى بَكْرِ ولا طَلْحَةَ
الله يَجْزِيهِمْ بأعمالِهِمْ
وقال المُنْخَلُ اليَشْكْرِيُّ (٣) :

ولقد شربتُ مِنَ المِدا
ولقد شربتُ مِنَ المِدا
ولقد شربتُ الخمرَ بالـ
فإذا سَكِرْتُ فَأَنْسى

مَةِ بالقليلِ وبالكثيرِ (٤)
مَةِ بالصَّغِيرِ وبالكبِيرِ
نَحْيِلِ الإِثابِ وبالذِّكُورِ
رَبُّ الخورنقِ والسَّدِيرِ (٥)

١٠ (١) الجندرة : أصلها جندرة الكتاب ، وهى أن يمر القلم على ما درس منه ، أو أن يعيد وشي الثوب بعد ذهابه . والحان : حانوت الخمر . ولم تذكر المعاجم هذه الكلمة على كثرة ورودها في شعر أوى نواس ، وإنما ذكرت « الحانة » . وقال أبو نواس :

في حلية الحان جان خلفه شهب
مبادر راعه شخص بأنفار
ديوانه ٢٧٨ . وقال :

١٥ نحن في حان تاجر عندنا الله
هو بحلم لم نمتزجه بطيش
ديوانه ٣٠١ . وقال في الحان ، بمعنى الحانى ، وهو الخمار المنسوب إلى الحانة :

إلى بيت حان لا تهر كلابه
على ولا ينكرن طول نوائى
ديوانه ٦٢ .

(٢) السكت : السكوت . والسلت : قبضك على شيء أصابه قدر ولطخ فتسلته عنه سلنا .
٢٠ (٣) المنخل بن مسعود (أو ابن عبيد) بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكري . شاعر جاهلي قديم ، كان يشيب بهند أحت عمرو بن هند ، وكان يتهم أيضاً بامرأة لعمر بن هند ، وكان نديماً للنعمان بن المنذر . وكان النعمان دميماً أبرش قبيحاً ، والمنخل من أجمل العرب ، فكان المنخل يرمى بالمتجرده زوج النعمان . ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل . فقتله النعمان . الشعراء (٣٦٤ - ٣٦٦)
والمؤتلف ١٧٨ والأغاني (٩ : ١٥٨ - ١٥٩ / ٨ : ١٥٢ - ١٦٢) وتاج العروس (٨ : ١٣١) .
٢٥ (٤) هذا البيت من ل ، هـ . والقصيدا بتامها في الأصمعيات ٥٢ - ٥٥ بتحقيقنا مع الأستاذ

الشيخ أحمد شاکر ، والحماصة (١ : ٢٠٢) ، والأغاني (١٨ : ١٥٥ ، ١٥٦) .
(٥) الخورنق : معرب من « خورنكاه » ، تفسيره موضع الأكل أو الشرب . و « خورن » مأخوذ من « خورنذن » مصدر بمعنى الأكل أو الشرب . و « كاه » =

وإذا صَحَوْتُ فَإِنِّي رَبُّ الشَّوْبَةِ والبَعِيرِ
يَارُبُّ يَوْمَ لِمَنْتَ حَلَّ قَدْ لَهَا فِيهِ قَصِيرِ

وقال بعضهم لزائر له ورآه يُومئُ إلى امرأته ، وهو أبو عطاءٍ السندى ^(١) :

كُلُّ هَنِيئاً وما شَرِبْتُ مَرِيئاً ثُمَّ قُمْ صَاغِراً فَقِيئِرُ كَرِيمِ ^(٢)

لا أَحِبُّ النَّدِيمَ يَوْمِضُ بِالْعَيْدِ مِنْ ^(٣) إِذَا مَا خَلَا ^(٤) بَعْرَسِ النَّدِيمِ
وقال الآخر ^(٥) ، وتعرّضت له امرأة صاحبه :

رُبُّ بِيضَاءَ كَالْقَضِيبِ تَنَثَّى قَدْ دَعَتْنِي لَوْصَلِهَا فَأَيْتِ
ليس شَأْنِي تَحْرُجاً غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ نَدْمَانَ زَوْجِهَا فَاسْتَحَيْتُ ^(٦)

وقال الآخر :

فلا والله لا ألقى وشربياً أَتَارِزِعُهُمْ شَرَاباً ما حَيَّيْتُ ^(٧)

١٠

= بمعنى الموضع والمكان ، كان بظهر الحيرة ، بناه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ، بناه له رجل رومي يدعى « سنار » ، ولما أتم بناءه في ستين سنة راق النعمان فقال : ما رأيت مثل هذا البناء قط ! فقال سنار : إنى أعلم موضع آجرة لوزالت لسقط القصر كله . فقال النعمان : أيعرفها أحد غيرك ؟ قال : لا . قال : لا جرم لأدعتها وما يعرفها أحد . ثم أمر فقذف به من أعلى القصر ، فقتل . فقال العرب في ذلك المثل : « جزاء جزاء سنار » . والسدير : قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر قد اتخذه لبعض ملوك العجم ، وهو بهرام جور ، كما في معجم استينجاس ٦٦٤ . وهو بالفارسية « سه دلى » أى ذو ثلاث غرف . « سه » بمعنى ثلاثة . و « دلى » بمعنى غرفة . وفي معجم نفيسى (فرهنك نفيسى) ص ١٨٦٤ : « سيدلى » : خانه أى كه داراى سه أطاق باشد ، أى بناء مكون من ثلاث غرف . والمعجم العربية تفسر « دلى » بأنه الباب ، أو القبة .

٢٠ (١) ترجم في (١ : ٣٨٢) . والبيتان التاليان في الأغاني (١٦ : ٨٤) والكامل ١٣ لبيسك .

(٢) في الأغاني : « وأنت ذميم » . ورواية الجاحظ تطابق رواية المبرد .

(٣) في الأغاني : « يومض بالطرف إذا خلا لعرس النديم » .

(٤) في الكامل وحواشى هـ : « إذا ما انتشى » بدل : « إذا ما خلا » .

(٥) هذه الكلمة من ل فقط .

٢٥ (٦) الندمان ، بالفتح : النديم ، وأصل النديم الصاحب على الشراب .

(٧) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين ، اسم جمع الشارب . ومنزاعة الكأس : معاطاتها . قال

الله تعالى : (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم) ، أى يتعاطون .

ولا والله ما ألقى بليل
أراقب عرسَ جارى ما بقيت
سأترك ما أحاف على منه
مقاتته وأجمله السكوت
أبى لى ذاك آباء كرام
وأجداد بمجدهم ربيت
وقال السُّحيمى :

ما لى وجة فى اللّام ولا يد
ولكنّ وجهى فى الكرام عريض (١)
أهش إذا لاقيتهم وكأنتى
إذا أنا لاقيت اللّام مريض (٢)
وقال ابن كُناسة (٣) :

فى انقباض وحشمة فإذا
لاقيت أهل الوفاء والكرم (٤)
تحليت نفسى على سجيتها
وقلت ما قلت غير محتشم (٥)

* * *

وقال عبد الرحمن بن الحكم (٦) :

وكأس ترى بين الإناء وبينها
قذى العين قد نازعت أم أبان (٧)

٢٨١

(١) بالحرم ، وفيما عدل ، هـ : « ومال » . والبيتان فى عيون الأخبار (٣ : ٢٧) .

(٢) فى عيون الأخبار : « أصح » موضع « أهش » .

(٣) محمد بن كُناسة ، ترجم فى ص ٥٧ من هذا الجزء .

(٤) البيتان من أصوات الأغاني (١٢ : ١٠٥) .

(٥) الأغاني : « أرسلت نفسى » . وروى أبو الفرج أن إسحاق الموصلى قال لابن كُناسة حين

أنشده هذين البيتين : « وددت أنه نقص من عمرى ستان وأنى كنت سبقتك إلى هذين البيتين فقلتما » .

(٦) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، شاعر إسلامى كان يهاجى

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . وهو القائل لمعاوية حين استلحق زياداً :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل المهجان

أنغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان

الأغاني (١٢ : ٦٩ - ٧٣ / ١٣ : ١٤٤ - ١٤٨) .

(٧) الأبيات فى الكامل ٧٣ لبيسك . وفى جمهور النسخ : « بين الأنام وبينها » ، صوابه فى هـ

والكامل . وقد أراد بالكأس الخمر . وقذى العين : مثل فى الصغر والقلة والخفاء . يصف شدة صفاتها .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

تَرَى شَارِبَيْهَا حِينَ يَعْتَقِبَانِهَا يَمِيلَانِ أحياناً وَيَعْتَدِلَانِ (١)
 فما ظَنُّ ذَا الْوَأَشِيِّ بِأَبْيَضِ مَاجِدٍ وَنَدَاءِ خَوْدٍ حِينَ يَلْتَقِيَانِ (٢)
 وقال رَمَاحُ بْنُ مَيَّادَةَ (٣) - وكان الأَصْمَعِيُّ يَقُولُ : نُحْتَمُ الشَّعْرَ بِالرَّمَاحِ .
 وَأَطْنُ النَّابِعَةَ أَحَدَ عَمُومَتِهِ : -

أَلَا رَبُّ حَمَّارٍ طَرَقَتْ بِسُدْفَةٍ مِنَ اللَّيْلِ مُرْتَاداً لَتَدْمَانِي الْخَمْرَ (٤)
 فَأَنْهَلْتُهُ خَمْرًا وَأَخْلِفُ أَنَّهَا طِلَاءٌ حَلَالٌ كَيْ يُحْمَلَنِي الْوِزْرَا (٥)
 وقال آخِرُ (٦) :

ولقد شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى خَلَّتْنِي لَمَّا خَرَجْتُ أَجْرُ فَضَلِّ الْجُمُزِرِ
 قَابُوسَ أَوْ عَمْرَوَ بْنَ هَنْدٍ قَاعِداً يُجَبِّي لَهُ مَا بَيْنَ دَارَةِ قَيْصِرِ (٧)
 فِي فِتْيَةِ بَيْضِ الْوُجُوهِ خَضَارِمٍ عِنْدَ النَّدَامِ عَشِيرُهُمْ لَمْ يَحْسَرَ (٨)

- (١) في الكامل : « حين يعقوبانها » .
 (٢) البدء : الكثيرة لحم الفخذين . والخود ، بالفتح : الفتاة الحسنة الخلق الشابة .
 (٣) ميادة أمه ، وهو الرماح بن أبرد . ترجم في (٢ : ٢٢٤) .
 (٤) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب ، يكون واحداً وجمعاً .
 (٥) الطلاء ، بالكسر : ما يطبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه .
 (٦) نسب الشعر في الكامل ٧٢ إلى أعرابي . وفي حماسة ابن الشجرى ٢٣ إلى أفعى بن جناب .
 (٧) قابوس ، هو قابوس بن المنذر بن عمرو بن المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر بن النعمان ابن امرئ القيس . وأمه هند بنت الحارث ، وعمرو بن هند أخوه . مروج الذهب (٢ : ٩٩) ، والعمدة (٢ : ١٧٩) .
 (٨) الخضارم : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء ، وهو الجواد الكثير العطية ، شبه بالخضرم ، وهو البحر الكثير الماء . والندام : مصدر كالندامة . وبديل هذا البيت في الحماسة :
 ولقد رميت الخيل لما أقبلت بأغر من ولد الشموس مشهر

وقال ابن ميادة :

وَمُعْتَقِي حُرْمِ الْوُقُودِ كَرَامَةً كَدِمِ الدَّبِيحِ تَمَجُّهُ أوداجُهُ (١)
ضَمِنَ الْكُرُومُ لَهُ أوَائِلَ حَمَلِهِ وَعَلَى الدَّنَانِ تَمَامُهُ وَتَنَاجُهُ (٢)

وَأَنشُدُ اللَّائِحَ لِبَعْضِ الرِّوَافِضِ :

إِذَا المُرْجِيُّ سَرَّكَ أَنْ تَرَاهُ يَمُوتُ بِدَائِهِ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ (٣)
فَجَدَّدُ عِنْدَهُ ذِكْرِي عَلَيَّ وَصَلَّ عَلَى النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

* * *

وقال بعضهم في البرامكة (٤) :

٢٨٢ إِذَا ذَكَرَ الشَّرْكَ فِي مَجْلِسِي أَنَارَتْ وَجُوهُ بَنِي بَرْمَكِ
وَإِنْ ثَلَيْتَ عِنْدَهُمْ آيَةً أَتَوْا بِالْأَحَادِيثِ عَن مَرْوَكِ (٥)

وقال آخر :

لعن الله آل برمك إني صرت من أجلهم أبا أسفارٍ

(١) المعتق : الشراب القديم . حرم الوقود : لم يطبخ بالنار .

(٢) يقال ولد تمام وتمام ، بكسر التاء وفتحها ، أى تمام مدة الحمل . والتناج بالفتح : مصدر

تنج الناقة ، إذا ولى نتاجها . ١٥

(٣) المرجى بتشديد الياء : نسبة إلى المرجية ، وهم فرقة يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية ،

كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة . سمو مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي ، أى أخره

عنيهم . وفى اللسان : « والمرجئة يهمز ولا يهمز ، وكلاهما بمعنى التأخير وتقول من الهمز رجل مرجىء

وهم المرجئة ، وفى النسبة مرجئى ... وإذا لم تهمز قلت رجل مرج ومرجئة ومرجئى » .

(٤) فى عيون الأخبار (١ : ٥١) : « وقال الأصمعي فى البرامكة » . والبرمك : اسم لكل من ٢٠

ولى سدانة « النوبهار » ، وهو بيت مقدس ببلخ ، وكان من بلى سدانته تعظمه الملوك وترجع إلى حكمه

وتحمل إليه الأموال . وكان خالد بن برمك جد البرامكة ، من ولد من كان على هذا البيت . مروج

الذهب (٢ : ٢٣٨) .

(٥) ما عدال : « سورة » بدل « آية » . ومروك ، كذا ورد فى جميع النسخ وعيون الأخبار ، وفى

حواشئ هـ : « مروك : اسم رجل من الأعاجم له فى الأعاجم تواليق » . وصوابه : « مزدك » . ومزدك :

صاحب المزدكية ، خرج فى أيام قباذ بن فيروز ، فبدل شريعة زرادشت ، واستحل المحارم ، وسوى بين الناس

فى الأموال والنساء والعبيد ، فكثر أتباعه وعظم شأنه ، وتبعه قباذ نفسه ، ولم يزل كذلك حتى ولى كسرى أنو

شروان قتلته ونكل بأتباعه . مروج الذهب (١ : ٢٦٣ - ٢٦٤) ، والطبرى وابن الأثير . ٢٥

إِنْ يَكُ ذُو الْقَرْيَتَيْنِ قَدْ مَسَحَ الْأَرْضَ ضَ فَائِي مُوَكَّلٍ بِالْعِيَارِ (١)
وقال آخر :

إِنَّ الْفِرَاقَ دَعَانِي إِلَى ابْتِنَاءِ الْمَسَاجِدِ (٢)
وإِنَّ رَأْيِي فِيهَا كَرَأْيِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ

وقال أبو الهول (٣) في جعفر بن يحيى بن خالد :

أَصْبَحْتُ مَحْتِاجاً إِلَى الضَّرْبِ فِي طَلَبِ الْعُرْفِ إِلَى الْكَلْبِ (٤)
إِذَا شَكَا صَبَّ إِلَيْهِ الْهَوَى قَالَ لَهُ : مَالِي وَلِلصَّبِّ (٥)
أَعْنَى فَتَى يُطْعَنُ فِي دِينِهِ يَثِيبُ مَعَهُ خَشَبَ الصَّلْبِ (٦)
قَدْ وَقَّحَ السَّبَّ لَهُ وَجْهَهُ فَصَارَ لَا يَنْحَاشُ لِلسَّبِّ (٧)

وقال رجل شام (٨) :

أُبْعِدَ مَرْوَانَ وَبَعْدَ مَسَلَمَةَ (٩)
وَبَعْدَ إِسْحَاقَ الَّذِي كَانَ لُئِمَةً (١٠)

(١) مسح الأرض مسحاً ومساحة : ذرعها وقاسها . والعيار : مراجعة الميزان والمكيال ، ويلحق بهما مراجعة المساحة .

(٢) البيتان في عيون الأخبار (١ : ٥١) .

(٣) أبو الهول كنيته شهر بها ، واسمه عامر بن الرحمن الحميري ، كان شاعراً مقلاً . قال ابن النديم : له شعر يبلغ خمسين ورقة . وله مدائح في المهدي والهادي والرشيدي والأمين . ابن النديم ٢٣٢ وتاريخ بغداد ٦٦٨٢ .

(٤) الأبيات في الحيوان (١ : ٢٦٠ - ٢٦١) والعمدة (١ : ٤٠) .

(٥) ما عدل : « إذا اشتكى » .

(٦) في العمدة : « يطعن في ديننا » . وكان هذا البيت تطيراً منه على جعفر .

(٧) هذا البيت من ل فقط ، وموضعه في الحيوان بعد البيت الأول .

(٨) ما عدل : « من أهل الشام » .

(٩) هما مروان بن الحكم ، ومسلمة بن عبد الملك .

(١٠) وإسحاق هذا هو إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس . كان من أولى الأقدار

العالية ، ولى هارون المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى محمد الأمين حمص وأرمينية ، ومات ببغداد . تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) . اللمة ، بضم اللام وفتح الميم : النمل والند والشبيه ؛ ويقال أيضاً بتشديد الميم .

صارَ عَلَى الثَّغْرِ فُرَيْخُ الرَّحْمَةِ (١) إِنَّ لَنَا بِفِعْلِ يَحْيَى نِقَمَهُ (٢)
 مُهْلِكَةٌ مُبِيرَةٌ مُنْتَقِمَهُ (٣) أَكْلًا بَنَى بِرَمَكِ أَكْلَ الحُطْمَةِ (٤)
 إِنَّ لِهَذَا الأَكْلِ يَوْمًا تُحْمَهُ أَيَسَّرَ شَيْءٌ فِيهِ حَزُّ العَلَصَمَةِ (٥)

وقال الشاعر (٦) :

٢٨٣

مَارَعَى الدهرُ آلَ بِرَمَكِ لَمَّا إِنَّ رَمَى مُلْكَهُمْ بِأَمْرِ فِطْيَعِ (٧)
 إِنَّ دَهْرًا لَمْ يَرْعَ حَقًّا لِيَحْيَى غَيْرُ رَاعٍ ذِمَامَ آلِ الرَّبِيعِ (٨)

وقال سهل بن هارون في يحيى بن خالد :
 عَدُوُّ تِلَادِ المَالِ فِيمَا يُنُوبُهُ مُنَوِّعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا (٩)
 مُذَلَّلٌ نَفْسٍ قَد أَبَتْ غَيْرَ أَنْ تَرَى مَكَارِهِ مَا تَأْتِي مِنَ الحَقِّ مَعْتَمًا

وقال إسحاق بن حسان (١٠) :

مَنْ مُبْلِعٌ يَحْيَى وَدُونَ لِقَائِهِ زَبْرَاتُ كُلِّ خُنَابِسٍ هَمَامِ (١١)

(١) فريخ : مصغر فرخ . والرحمة : طائر يعده العرب مثلاً في اللؤم والحق . ما عدال ، هـ : « فريخ » تحريف .

(٢) النقمة ، بفتح فكسر : لغة في النقمة بالكسر ، وهما المكافأة بالعقوبة .

(٣) مبيرة : مهلكة . ما عدال ، هـ : « مبيرة » تحريف .

(٤) الحطمة : النار الشديدة تحطم ما تلقى . (٥) الغلصمة : رأس الحلقوم .

(٦) هو أبو حزرة الأعرابي ، أو أبو نواس . انظر مروج الذهب (٣ : ٢٩١) .

(٧) وكذا في مروج الذهب . وفي ل : « فضيح » بالفاء والضاد ، وصحة هذه « فطيح » . وفي

هـ : « بديع » .

(٨) مروج الذهب : « حقا لآل الربيع » .

(٩) التلاد : المال القديم والموروث . ينوبه : يعتره من الحقوق . والبيت في الحيوان (٣ :

٤٦٦) . وهو وتاليه في الحيوان (٥ : ٦٠٤) . وبينهما

فسيان حالاه ، له فضل منعه كما يستحق الفضل إن هو أنعم

(١٠) سبقت ترجمته في (١ : ١١ ، ١١٥) . ما عدال : حسان بن حسان « تحريف ، وأشير

في هـ إلى رواية « إسحاق بن حسان » . والأبيات مع هذه النسبة في تاريخ الطبرى (١٠ : ٦٠) .

(١١) زَبْرَات : جمع زبرة بالفتح ، وهى المرة من زبره زبراً : زجره واتهره الطبرى :

« زَأْرَات » . أسد خنابس : جرى شديد . وأشير في هـ إلى أنها في نسخة : « خلايس » . والهمام من

الهمهمة ، وهو تردد الزبير في الصدر .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

يا راعى السلطان غير مُفْرِطٍ في لِينٍ مُخْتَبِطٍ وطِيبِ شِمَامٍ (١)
يُعِدِي مَسَارِحَهُ وَيُصْنِفِي شِرْبَهُ وَيَبِيْتُ بِالرَّبَوَاتِ وَالْأَعْلَامِ (٢)
حتى تَبْحَجَ ضَارِباً بِجِرَانِهِ وَرَسْتُ مَرَّاسِيهِ بَدَارِ سَلَامٍ (٣)
في كُلِّ نَعْرِ حَارِسٍ مِنْ قَلْبِهِ وَشِعَاعُ طَرْفٍ لَا يُفْتَرُ سَامٍ (٤)

وهذا شبيهه بقول العتّابي في هارون :

إِمَامٌ لَهُ كَفٌّ يَضُمُّ بَنَائِهَا عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعاً مِنَ الْبِرِّي عَوْدُهَا (٥)
وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبِرِّيَّةِ طَرْفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُهَا وَبَعِيدُهَا
وَأَصْمَعُ يَقْظَانٌ ، يَبِيْتُ مُنَاجِيَاً لَهُ فِي الْحَشَا مُسْتَوْدَعَاتٍ يَكِيدُهَا (٦)
سَمِيعٌ إِذَا نَادَاهُ مِنْ قَعْرِ كُرْبِيَّةٍ مُنَادٍ كَفَّتَهُ دَعْوَةٌ لَا يُعِيدُهَا

وقال أيضاً كلثوم بن عمرو العتّابي (٧) :

تَلُومٌ عَلَيَّ تَرْكُ الْغِنَى بِأَهْلِيَّةٍ زَوَى الدَّهْرُ عَنْهَا كُلَّ طَرْفٍ وَتَالِدٍ (٨)

(١) المختبط : مصدر من اختبطه ، سأله بلا وسيلة ولا قرابة ولا معرفة . الطبرى (١٠ : ٦٠) : « معتبطة » . والشمام : مصدر شامت الرجل ، إذا قاربه ودنوت منه . الطبرى : « شمام » .

(٢) ل : « يعدى مسارحه » ، ما عدل : « يعدى » ، صوابها من هـ والطبرى . تعدى : تصير عذية ، أى طيبة بعيدة من الوحوم . يقال صفا الرجل الشيء : أخذ صفوه ، كما فى اللسان .

(٣) هذا ما فى هـ . وفى ل : « تنحنح » ما عدل : « ينحنح » . وفى الطبرى « تنخنخ » . يقال تنخنخ البعير : برك ثم مكن لثفناته من الأرض . والضمير للسلطان ، وهو الحكم . وضرب بجرانه : استقر واستقام . وذلك أن البعير إذا برك واستراح مد جرانه على الأرض ، أى عنقه .

(٤) فى الطبرى : « فكل نعر حارس من قلبه » .

(٥) سبق البيتان الأول والثانى فى ص ٤٠ من هذا الجزء .

(٦) الأصمغ : القلب المتيقظ الذكى . يكيدها : يعالجها .

(٧) الأبيات التالية فى الحيوان (٤ : ٢٦٥) وعيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد (٢ : ١٣٦) وزهر الآداب (٣ : ٣٩) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) والأغانى

(١٢ : ٨ - ٩٨) واللسان (برد) وغرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٧ وديوان المعانى (١ : ١٣) .

(٨) فى الأغانى : وكانت تحته امرأة من باهلة فلامته وقالت : هذا منصور التمرى قد =

رَأَتْ حَوْلَهَا النَّسْوَانَ يَرْفُلْنَ فِي الْكَسَا
يَسْرُكُ أَتَى نَلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرُ
وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْصَنِي
ذَرِينِي تَجْمُنِي مَيْتِي مَطْمَئِنَّةً
فَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ
مُقَلَّدَةٌ أَجْيَادُهَا بِالْقَلَائِدِ (١)
مِنَ الْمُلْكِ أَوْ مَا نَالَ بِحِي بنُ خَالِدِ
مُغْصَّهْمَا بِالْمُرْهَفَاتِ الْبُورَادِ (٢)
وَلَمْ أَتَجَسَّمْ هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ (٣)
بِمُسْتَوْدَعَاتِ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ (٤)

وقال الحسن بن هانئ :

عَجِبْتُ لَهَارُونَ الْإِمَامِ وَمَا الَّذِي
قَفَا خَلْفَ وَجْهِ قَدْ أُطِيلَ كَأَنَّهُ
يُرَوَّى وَيَرْجُو فَيْكَ يَا خِلْقَةَ السُّلُوقِ (٥)
قَفَا مَلِكٍ يَقْضِي الْحَقُوقَ عَلَى بَيْتِي (٦)

= أخذ الأموال فحل نساءه ، وبنى داره ، واشترى ضياعا وأنت هنا كما ترى ! فأنشأ يقول : وهو بهذا
الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة صحبة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان » .
غرر الخصائص . ما عدل : « طوى الدهر » . الطرف : الطارف المستحدث من المال . والتالد : القديم .
(١) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٢) الحيوان : « أَعْصَنِي مَعْصُهُمَا » . المرهفات : السيوف المرققات . والبوارد : التي تثبت في
الضريبة لا تتثنى . وهم يمدحون السيف بذلك . قال طرفة :

أَحَى نَفَقَةَ لَا يَنْشِي عَنْ ضَرِيئَةٍ إِذْ قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِزُهُ قَدْ

(٣) ما عدل : « ولم أتقمم » .

(٤) في الزهر : « فَإِنَّ رَفِيعَاتِ الْمَعَالِي » . الحماسة : « رَفِيعَاتِ الْأُمُور » . العقد : « وَجَدْتُ
لِذَاذَاتِ الْحَيَاةِ » . الأغانى : « رَأَيْتُ رَفِيعَاتِ الْأُمُور » . ديوان المعاني : « وَإِنْ جَسِمَاتِ الْأُمُور » . وهو
مثل من أمثلة تصرف الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وفي محاضرات الراغب (١) :
٢١٣) أن العتابي أخذ قوله هذا من ابن المقفع ، وذلك أنه سئل : لم لا تطلب الأمور العظام ؟ فقال :
رَأَيْتُ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ بِالْمَكَارِهِ ، فَاقْتَصَرْتُ عَلَى الْخَمُولِ ضَنَا بِالْعَافِيَةِ .

(٥) الأبيات في الحيوان (١ : ٢٣٨ ، ٢٦٣) والديوان ١٧٣ والشعراء ٧٩٠ وعيون الأخبار
(١ : ٢٧٣) . يهجو بها جعفر بن يحيى البرمكي . السلق ، بالكسر : الذئب . الديوان : « أيود
ويرجو » . الشعراء : « يرحى ويغى » . والتروية : التفكير والنظر .

(٦) ملك ، كذا وردت في الأصل والشعراء . وفي الديوان والحيوان : « مالك » . ما عدل ،
هـ : « يَقْضِي الْمَهْموم » . البتق : منبعث الماء ، وهو يفتح الباء وكسرها . في الديوان وبعض نسخ
الحيوان : « ثبق » . والشبق : إسراع دمع العين وجريان الماء .

وأَعْظَمُ زَهْواً مِنْ ذَبَابٍ عَلَى جِحْرًا وَأُبْحَلُ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عَرْقٍ (١)
أَرَى جَعْفَرًا يَرِدَادُ بُحْلاً وَدِقَّةً إِذَا زَادَهُ الرَّحْمَنُ فِي سَعَةِ الرِّزْقِ (٢)
وَلَوْ جَاءَ غَيْرُ الْبُحْلِ مِنْ عِنْدِ جَعْفَرٍ لَمَا وَضَعُوهُ النَّاسُ إِلَّا عَلَى الْحُمُقِ (٣)

ولما أنشد ابنُ أبي حَفْصَةَ (٤) الفضلُ بن يحيى بن خالد :

ضَرَبْتَ فَلَا شُلَّتْ يَدُ خَالِدِيَّةٍ رَتَّقَتْ بِهَا الْفَتَقَ الَّذِي بَيْنَ هَاشِمٍ

قال له الفضلُ : قل : « فلا شُلَّتْ يدُ برمكيَّةِ » ؛ فخالد كثير ، وليس

برمكُ إلا واحداً .

وقال سَلَمٌ (٥) في يحيى ، ويحيى يومئذ شابٌ :

وَقَتِي خَلَا مِنْ مَالِهِ وَمِنْ الْمُرُوءَةِ غَيْرُ خَالٍ
وَإِذَا رَأَى لَكَ مَوْعِدًا كَانَ الْفَعَالُ مَعَ الْمَقَالِ (٦)
لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ قَتَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الْخِلَالِ
أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ فَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ

ومن جيِّدٍ ما قيلَ فيهم (٧)

لِلْفَضْلِ يَوْمَ الطَّالِقَانِ ، وَقَبْلَهُ يَوْمَ أَنَاخَ بِهِ عَلَى خَاقَانَ (٨)

(١) ل : « خر » . العرق ، بالفتح : العظم الذي قد أخذ عنه أكثر لحمه .

(٢) الدقة : الحقارة والصرير .

(٣) وضعوه ، جاءت على لغة أكلوني البراغيث

(٤) مروان بن أبي حفصة ، ترجم في (١ : ٦٣) .

(٥) سلم بن عمرو الخاسر ، المترجم في ص ٢٥٢ من هذا الجزء . ومن عجب ما ذكره ابن قتيبة

في عيون الأخبار (٣ : ١٨٨) حيث زعم أن معاوية كان يتمثل بالبيت الأول والرابع من هذه الأبيات .

(٦) الفعّال ، بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٧) القائل هو أبو ندامة الخطيب ، كما في الطبري (١٠ : ٥٥) . وقد أعطاه الفضل بعد إنشادها

مائة ألف درهم ، وخلع عليه ، وتغنى بها إبراهيم الموصلي .

(٨) الطالقان ، بفتح اللام : هم طالقان الرى بين قزوين وأبهر ، من بلاد طبرستان . وكان

الفضل بن يحيى قد ولاه الرشيد كور الجبال ، وطبرستان ، ودينابوند ، وقومس ، وأرمينية =

ما مثلُ يَوْمِيهِ اللَّذِينَ تَوَالِيَا فِي عَزْوَتَيْنِ حَوَاهِمَا يَوْمَانِ
عَصَمَتْ حُكُومَتُهُ جَمَاعَةَ هَاشِمٍ مِنْ أَنْ يُجْرَدَ بَيْنَهَا سَيْفَانِ
تِلْكَ الْحُكُومَةُ لَا الَّتِي عَنْ لَبْسِهَا عَظَمَ النَّأْيُ وَتَفَرَّقَ الْحُكَمَانِ (١)

وقال الحسن بن هانئ ، في جعفر بن يحيى :

ذَاكَ الْوَزِيرُ الَّذِي طَالَتْ عِلَاوَتُهُ كَأَنَّهُ نَاطِرٌ فِي السَّيْفِ بِالطَّوْلِ (٢)

ذكروا أن جعفر بن يحيى كان أول من عَرَضَ الْجُرْبَانَاتَ (٣) لطول عنقه .

* * *

وقال معدان الأعمى ، وهو أبو السريِّ الشُّمَيْطِيُّ (٤) :

يَوْمٌ تُشْفَى النُّفُوسُ مِنْ يَعْصِرِ اللَّؤْمِ مِ وَيُثْنَى بِسَامَةِ الرَّحَالِ
وَعِدِيَّ وَتَيْمِهَا وَتَقْيِفٍ وَأُمِّيَّ وَتَغْلِبِ وَهِلَالِ
لَا حَرُورًا وَلَا التَّوَابُتِ تَنْجُو لَا وَلَا صَحْبُ وَاصِلِ الْغَزَالِ (٥)
غَيْرَ كَفْتِي وَمَنْ يَلُودُ بِكَفْتِي فَهُمُ رَهْطُ الْأَعْوَرِ الدَّجَالِ (٦)

= وأذربيجان ، وذلك في سنة ١٧٦ . والفضل هذا هو ابن يحيى بن خالد ، أخو جعفر بن يحيى ورضيع هارون الرشيد . ولما غضب الرشيد على البرامكة وقتل جعفرًا خلد الفضل في الحبس مع أبيه يحيى ، فلم يزالا محبوسين حتى ماتا في حبسهما ، مات الفضل قبل موت الرشيد بشهور سنة ١٩٢ . ومما يؤثر عنه أن الزوار كان يسمون في عصره « السؤال » فقال الفضل ، لكرمه : سموهم الزوار . فلزمهم هذا الاسم . تاريخ بغداد ٦٧٨٢ . وخاقان . جاء في القاموس : « اسم لكل ملك حَفَنَهُ التُّرُكُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَى مَلِكُوهُ وَرَأْسُوهُ » .

(١) النَّأْيُ : الفساد والأمر العظيم يقع بين القوم .

(٢) الْعِلَاوَةُ : أعلى الرأس ، أو أعلى العنق .

(٣) الْجُرْبَانُ ، بضم الجيم والراء ، وبكسرهما : جيب القميص ، أو لبنته ، وهي رقعة تعمل موضع الجيب . معرب من الفارسية : « كريان » . اللسان والقاموس والمغرب ٩٩ ومعجم استينجاس ١٠٨٦ .

(٤) مَا عَدَالَ : « السميطي » تحريف . وقد مضت ترجمه معدان في (١ : ٢٣) حيث سبقت

الآيات الثلاثة الأولى من هذه المقطوعة ؛ والبيت الخامس والسادس في مقاتل الطالبين ٤١٩ .

(٥) النَّوَابِتُ : جمع نابتة ، وهم أصحاب المذاهب الناشئة . ما عدال : « ولا النوايت » .

(٦) هُوَ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ ؛ سَمِيَ مَسِيحًا لِأَنَّهُ مَسْمُوحُ الْعَيْنِ ، وَسَمِيَ الدَّجَالُ لِتَمَيُّوهِ عَلَى النَّاسِ =

وَبَنُو الشَّيْخِ وَالْقَتِيلُ بَفَجَّ بَعْدَ يَحْيَى وَمُوتِمِ الْأَشْبَالِ (١)

سَنَّ ظُلْمَ الْإِمَامِ فِي الْقَوْمِ بِشَرِّ إِنَّ ظُلْمَ الْإِمَامِ ذُو عُقَالِ (٢)

وقال الكميت :

آمَتْ نِسَاءُ بَنِي أُمِّيَّةٍ مِنْهُمْ وَبَنُوهُمْ بِمَضِيعَةِ أَيْتَامِ (٣)

= وتليسه وترينه الباطل . وأنشدو :

• إذا المسيح يقتل المسيحا •

- هو عيسى بن مريم يقتل الدجال بنيزكه ، وهو ربح قصير . اللسان (مسح ، دجل) .
- (١) فحج : واد بمكة ، قتل به الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، خرج يدعو إلى نفسه في ذي القعدة ١٦٩ ، وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة بالمدينة ، وخرج إلى مكة ، فلما كان بفخ لقيته جيوش بني العباس ، وعليهم العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فالتقوا يوم التروية من سنة ١٦٩ ، فقتل هو وجماعة من عسكره وأهل بيته وذلك في أيام موسى الهادي . معجم البلدان (فحج) والطبري (١٠ : ٢٤ - ٣٢) والبداية والنهاية (١٠ : ٤٠) والمعارف ١٦٦ والفخرى ١٧١ ومقاتل الطالبين ٤٣١ ، ويحيى هذا هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان قد خرج في أيام هشام بن عبد الملك ، ثم الوليد بن يزيد . وقتله عيسى مولى عيسى بن سليمان العنزي سنة ١٢٥ . الطبري (٨ : ٢٩٩ - ٣٠١) والمعارف ٩٥ وابن الأثير (٥ : ١٠٧ - ١٠٨) ومقاتل الطالبين ١٥٢ - ١٥٨ . وموتم الأشبال ، هو عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان قد خرج عليه لبوة معها أشبالها ، منصرفه من باخرى ، وجعلت تحمل على الناس فنزل عيسى وأخذ سيفه وترسه ثم نزل إليها فقتلها . مقاتل الطالبين ٤١٩ . مات عيسى في أيام المهدي .
- (٢) في مقاتل الطالبين : « زيد » بدل « بشر » ، وهو الصواب ، فإن القصيدة كما قال أبو الفرج يعيب فيها معدان الشميطي - وهو من شعراء الإمامية - من خرج من الزيدية . كما أن الصواب أن يكون هذا البيت سابقا للبيت الذي قبله ، كما في مقاتل الطالبين . والإمام الذي يعنيه هو الإمام الذي يقول به الشميطية ، أتباع يحيى بن شميظ ، وهم إحدى فرق الإمامية . قالوا : إن الإمام جعفر بن محمد الصادق قال : « إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم » . وقد قال له والده : « إن ولد لك ولد فسميته باسمي فهو الإمام » . فالإمام الذي يؤمنون به ، هو محمد بن جعفر الصادق . الملل والنحل (٢ : ٣) ومفاتيح العلوم ٢٢ . وأما « زيد » الذي هو الصواب في « بشر » فهو إمام الزيدية ، وهو زيد بن علي بن الحسين ، وأتباعه يسوقون الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام ، ولم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم . وجعفر الصادق هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الأصغر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر . الملل (١ : ٢٠٧) والمواقف ٦٢٨ والفرق بين الفرق ١٦ والاعتقادات للرازي ٥٢ وابن التديم ٢٥٣ ومفاتيح العلوم ٢١ .
- (٣) الأبيات في الأغاني (١٥ : ٥٨) ومروج الذهب (٣ : ٢٩٥) منسوبة إلى أبي العباس الأعمى . آمت : صارت أيامي ، مات عنها أزواجها .

نَامَتْ جُدُودُهُمْ وَأَسْقَطَ نَجْمُهُمْ وَالنَّجْمُ يَسْقُطُ وَالْجُدُودُ تَنَامُ (١)
تَخَلَّتِ الْمَتَابِرَ وَالْأَسِيرَةَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِمْ حَتَّى الْمَمَاتِ سَلَامٌ (٢)

وقال خليفة ، أبو خلف بن خليفة (٣) :

أَعْقَبِي آلَ هَاشِمٍ يَا أُمِّيَا جَعَلَ اللَّهُ بَيْتَ مَالِكٍ قِيَا (٤)
أَنْ عَصَى اللَّهَ آلَ مَرْوَانَ وَالْعَا صَبِي لَقَدْ كَانَ لِلرَّسُولِ عَصِيَا

وقال الرَّاعِي فِي بَنِي أُمِيَّةَ :

بَنِي أُمِيَّةَ إِنَّ اللَّهَ مُلْحِقُكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ بَعَثَانَ بْنِ عَفَانَ

وقال خلف بن خليفة :

لَوْ تَصَفَّحْتَ أَوْلِيَاءَ عَلِيٍّ لَمْ تَجِدْ فِي جَمِيعِهِمْ بَاهِلِيَا

وقال كَعْبُ الْأَشْجَرِيِّ (٥) لعمر بن عبد العزيز :

إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ مَا يَلِيكَ فَإِنَّمَا عُمَالُ أَرْضِكَ بِالْبِلَادِ ذِيَابُ
لَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّذِي تَدْعُو لَهُ حَتَّى تُجَلِّدَ بِالسُّيُوفِ رِقَابُ (٦)
بِأَكْفٍ مُنْصَلِّتِينَ أَهْلَ بَصَائِرٍ فِي وَقْعِهِنَّ مَزَاجِرٌ وَعِقَابُ (٧)

(١) الجد ، بالفتح : الحظ . في الأغاني : ومروج الذهب : « نيام » وما هنا صوابه .

(٢) الأُسْرَةُ : جمع سرير ، يعنى سرير الملك وعرشه .

(٣) سبقت ترجمة خلف بن خليفة في (١ : ٥٠) . ونسب الشعر في اللسان (٢ : ١٠٩) إلى

سديف . شاعر بني العباس . وفيه : « ياميا » تحريف .

(٤) يقول : انزل عن الخلافة حتى يركبها بنو هاشم فتكون العقبة لهم ، أى النوبة . انظر اللسان

(عقب ١٠٩) . فيا : مسهل فينا . والفىء : الغنيمة .

(٥) كعب بن معدان الأشجري ، ترجم في (١ : ٣٢١) .

(٦) ما عدال ، هـ : « حتى يجلد » . وتجلد : تضرب ، وأصل الجلد والتجليد ضرب الجلد .

(٧) المنصلت : الماضى في الأمر . البصائر : جمع بصيرة ، وهى العلم ، واليقين ، والنار ، وكل

ما يلبس من السلاح كالترس والدرع . والمعنى يحتمل كلا منها . الضمير في « وقعهن » للسيف .

هَلَّا قُرَيْشٌ ذُكِّرَتْ بِبُغُورِهَا حَزْمٌ وَأَخْلَامٌ هُنَاكَ رِغَابٌ (١)
لَوْلَا قُرَيْشٌ نَصَرَهَا وَدِفَاعُهَا أَلْفِيَتْ مُنْقَطِعاً بِي الْأَسْبَابِ

فلما سمع هذا الشعر قال : لمن هذا ؟ قالوا : لرجل من أزد عمان ، يقال له كعب الأشقرى ! قال : ما كنت أظنُّ أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر .

قال أبو اليقظان (٢) : وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر

فقال :

إِنَّ الْبِدِينَ بَعَثَتْ فِي أَقْطَارِهَا نَبَذُوا كِتَابَكَ وَاسْتُجِلَّ الْمَحْرَمُ
طَلَسُ الثِّيَابِ عَلَى مَنَابِرِ أَرْضِنَا كُلُّ يَجُورٍ وَكُلُّهُمْ يَتَظَلَّمُ (٣)
وَأَرَدْتُ أَنْ يَلِيَ الْأَمَانَةَ مِنْهُمْ عَدَلٌ ، وَهِيَاةَ الْأَمِينِ الْمُسْلِمِ

١٠

* * *

وكان زيد بن علي كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر (٤) :

شَرَّدَهُ الْخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مِنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ
مُنْحَرِقُ الْخَفَيْنِ يَشْكُو الْوَجَى تَنَكُّبُهُ أَطْرَافُ مَرَوْ حِدَادِ
قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ وَالْمَوْتِ حَتَمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

وقال عبد الله بن كثير السهمي (٥) ، وكان يتشيع ، لولادة كانت نالته .

١٥

(١) ما عدال : « ذكروا » ، ل : « بشعورها » بدل : « بنغورها » ، والوجه ما أثبت الأحلام :

العقول . رغاب : جمع رغب ، وهو الواسع .

(٢) أبو اليقظان ، هو سحيم بن حفص ، المترجم في (١ : ٤١) .

(٣) طلس : جمع أطلس . والطلسة : غيرة إلى سواد ، يعنى قدارة الثياب ، وهو كناية عن عدم

٢٠

العفة ، كما أن طهارة الثوب ونقاءه كناية عن العفة . تظلمه حقه : ظلمه إياه .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، كما في حواشي الجزء الأول ص ٣١١ ، حيث

سبقت الأبيات وتفسيرها . يقولها حين لقي ما لقي من الطلب والحرب ، وما كان من مصرع طفل له

هوى من يد مرضعته على الجبل فقطع . الطبرى (٩ : ١٩١) .

(٥) هو عبد الله بن كثير بن المطلب بن أوى وداعة السهمي ، من بني سهم بن عمرو بن

٢٥

هصيص . وهو من ثقات المحدثين ، توفى سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب . والذى في الحيوان (٣ : ١٩٤) :

« وقال كثير أو غيره من بني سهم » . وفي معجم المرزبانى ٣٤٨ أن الشعر التالى لكثير بن كثير

السهمي ، قاله حين كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسبب على .

وسمع عمّال خالد بن عبد الله القسريّ يلعنون عليّاً والحسينَ على المنابر :

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا وَحَسِينًا مِنْ سُوقَةِ وَإِمَامِ
أَيْسَبُ الْمُطَيِّبُونَ جُدُودًا وَالكَرَامُ الْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَامِ (١)
يَأْمَنُ الظُّبْيُ وَالْحَمَامُ ، وَلَا يَأْمَنُ آلُ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ (٢)
طَبَّتْ بَيْتًا وَطَابَ أَهْلُكَ أَهْلًا أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ وَالْإِسْلَامِ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كَلَّمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامٍ
وَقَالَ حِينَ عَابُوهُ بِذَلِكَ الرَّأْيِ :

إِنَّ امْرَأً أُمَسْتُ مَعَايَهُ حُبَّ النَّبِيِّ لَعِيرُ ذِي ذَنْبٍ
وَبَنِي أَبِي حَسَنٍ وَوَالِدِهِمْ مَنْ طَابَ فِي الْأَرْحَامِ وَالصُّلْبِ
أَيُّعُدُّ ذَنْبًا أَنْ أَحَبَّهُمْ بَلْ حُبُّهُمْ كَفَّارَةُ الذَّنْبِ

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ ذَابٍ اللَّيْثِيُّ :

اللَّهُ يَعْلَمُ فِي عَلِيٍّ عِلْمَهُ وَكَذَلِكَ عَلِمَ اللَّهُ فِي عَثْمَانَ

وَقَالَ السَّيِّدُ الْجَمِيرِيُّ (٣) :

إِنِّي امْرُؤٌ جَمِيرِيٌّ غَيْرُ مُؤْتَشِبٍ جَدِّي رُعَيْنٌ وَأَحْوَالِي ذَوْوُ يَزِينَ (٤)
ثُمَّ الْوَلَاءُ الَّذِي أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْهَادِي أَبِي الْحَسَنِ (٥)

(١) المطيبون : المطهرون . في معجم المرزباني : « أتسب المطيبين » ، بالخطاب .

(٢) المقام : الحرم جميعه ، أو هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت ، وفيه

أثر قدمه كما يروون ، وهو أسود وأكبر من الحجر الأسود .

(٣) مضت ترجمته في (٢ : ١٦٨) .

(٤) في القاموس : « هو مؤتشب ، بالفتح ، أي غير صريح في نسبه » . رعين ، هو ذو رعين ،

ملك من ملوك اليمن . ورعين : حصن له . وذو يزن أراد أبناء ذي يزن . وذو يزن : والد سيف بن ذي

يزن ، وكان سيف أحد ملوك اليمن ، وهو الذي استنقذ اليمن من حكم الحبشة وطغيانهم ، بمعاونة كسرى

أنوشروان ، واستخدم سيف بعض الحبشة فخلوا به يوماً وهو في متصيد له فقتلوه .

(٥) يعني علي بن أبي طالب ، أبا الحسن والحسين .

وقال ابن أذينة^(١) :

سَمِينُ قُرَيْشٍ مَانِعٌ مِنْكَ لِحْمَهُ وَعَثُ قُرَيْشٍ حَيْثُ كَانَ سَمِينُ

وقال ابن الرقيات^(٢)

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا^(٣)
وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ الْمَلُوكِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ^(٤)

وقال عروة بن أذينة :

إِذَا قُرَيْشٌ تَوَلَّى خَيْرٌ صَالِحِهَا فَاسْتَيْفَنَ بَأْنَ لَا خَيْرَ فِي أَحَدٍ
رَهْطُ النَّبِيِّ وَأَوْلَى النَّاسِ مَنْزَلَةً بِكُلِّ خَيْرٍ وَأَثَرَى النَّاسِ فِي الْعَدِيدِ

٢٨٩

وقال حسبان بن ثابت ، يرثى أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه^(٥) :

١٠ (١) هو عروة بن يحيى ، وأذينة لقب لأبيه . شاعر مقدم من أهل المدينة ، وبعد في الفقهاء والمحدثين أيضا ، لكن غلب عليه الشعر . وترجمته مستفيضة في الأغاني (٢١ : ١٠٥ - ١١١) والشراء ٥٦٠ . والمؤتلف ٥٤ واللائء ٢٣٦ . وترجمته ابن خلكان عرضا في أثناء ترجمة سكينه بنت الحسين .
(٢) سبق تحقيق اسمه وترجمته في (٢ : ٢٧٨) .

(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ٧٠ . والبيتان من أصوات الأغاني (٤ : ١٥٩) . ويروى أبو الفرج أن هذا البيت كان سببا في إنقاذه من موت محقق قضى به عليه عبد الملك بن مروان ، إذ قيل له : إن قتله لغضبك عليه أكدته فيما مدحك به . قال : فهو آمن . وأن هذا البيت أيضا كاد يودي بقينة مغنية في حضرة الرشيد ، لولا أن تداركت أمرها فأعادته فغنت :

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يجهلون أن غضبوا
وأنتهم معدن النفاق فما تفسد إلا عليهم العرب

٢٠ (٤) معدن الملوك : أى أصولهم . ومعدن كل شيء : المكان الذى يكون فيه أصله ومبدؤه ، نحو معدن الذهب والفضة والجوهر .

(٥) كذا يقول الجاحظ ، وهو ظاهر ما ينطق به الشعر ، إذ أنه في أسلوب الرثاء والحديث في أمر مضى . لكن صاحب جهمرة أشعار العرب ١٣ يذكر أن الشعر مدح لأبي بكر في حياته ، ويرفع الحديث إلى عبد الله بن مسعود ، قال : « بلغ النبي ﷺ أن قوما نالوا أبا بكر بألستهم ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، ليس أحد منكم آمن على في ذات يده ونفسه من أبى بكر ، كلكم قال لى كذبت وقال لى أبو بكر صدقت ، فلو كنت متخذنا خليلا لآتخذت أبا بكر خليلا . ثم التفت إلى حسان فقال : هات ما قلت فى وفى أبى بكر ، فقال حسان ... » . وأنشد الأبيات ، وأنشد بعد البيت الأخير =

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًّا مِنْ أُخِي ثِقَّةٍ فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا (١)
 الثَّالِي الثَّانِيَ الْحَمُودَ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا
 وَثَانِيَ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُتَنِيْفِ وَقَدْ طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَدَ الْجَبَلَا
 وَكَانَ حِبًّا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعِدْ لَهُ رَجُلَا (٢)

وقال بعض بني أسد :

لَمَّا تَخَيَّرَ رَبِّي فَارْتَضَى رَجُلَا مِنْ خَلْقِهِ كَانَ مِنَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ (٣)
 لَنَا الْمَسَاجِدُ تَبَيَّنَهَا وَتَعَمَّرَهَا وَفِي الْمَنَابِرِ قِعْدَانٌ لَنَا ذُلُّ

وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، في شأن السقيفة (٤) :

قَدْ اخْتَصَمَ الْأَقْوَامَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَسَائِلُ قُرَيْشًا حِينَ جَدَّ اخْتِصَامُهَا

- ١٠ = خير البرية أتقأها وأرفأها بعد النبي وأوفأها بما حملا
 فقال رسول الله : صدقت يا حسان ، دعوا لي صاحبي . قالها ثلاثا . وانظر ديوان حسان ٢٩٩ .
 (١) في الجمهرة ، « من أخ ثقة » . وفي الديوان : « من أخى ثقة » . يقول : إذا تذكرت
 ما يحزنك من تجبى من تتق به وتركن إليه ، فاذا ذكر أخاك أبا بكر ، فإنه ينسبك بكرم فعالة ما لقيته من
 عقوق غيره .
- ١٥ (٢) الحب ، بالكسر : الحبيب . وغير بكلمة « كان » هنا ، مريداً بها على الدوام ، بمعنى لم يزل ،
 كما في قول الله تعالى : « وكان الله سميعاً بصيراً » . لم يعدل به : لم يجعله عدلاً له ومساوياً .
 (٣) منا ، أى من مضر . والأسديون هم بنو أسد بن خزيمية بن مدركة بن اليباس بن مضر ،
 يجتمعون مع رسول الله ﷺ في خزيمية بن مدركة .
- (٤) انظر ما مضى في الكلام على السقيفة في ص ٢٩٦ . ويزيد هذا هو يزيد بن الحكم بن عثمان
 بن أبي العاص الثقفى . وقيل إن « عثمان » عمه لا جده . وهو أحد شعراء الدولة الأموية . مر به الفرزدق
 وهو ينشد في أحد المجالس شعراً فقال : من هذا الذى ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ وكان الحجاج قد
 ولاه كورة فارس ودفع إليه العهد ، فلما دخل ليودعه قال : أنشدنى بعض شعرك - وإنما أراد أن ينشده
 مديحاً له - فأنشده قصيدته التى يفخر فيها بآبائه :

وأى الذى سلب ابن كسرى راية بيضاء تحفق كالمقاب الطائر

- ٢٥ فغضب الحجاج وارتجع منه العهد ، وخرج يزيد عنه مغضباً إلى سليمان بن عبد الملك فأقصفه ،
 وأجرى له عشرين ألفاً مادام حياً . الأغاني (١١ : ٩٦ - ١٠٠) ، والشعراء وخزانة الأدب (١) :

أَلَمْ تَكُنْ مِنْ دُونِ الْحَلِيقَةِ أُمَّةً
 هَدَى اللَّهُ بِالصِّدِّيقِ ضَلَّالَ أُمَّةٍ
 وَكَانَتْ صَفِيَّةَ (٢) فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ :

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ
 إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضِ وَأَبْلَهَا
 وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

صَلَّى صُهَيْبٌ ثَلَاثًا ثُمَّ أُسْلِمَهَا
 إِلَى ابْنِ عَفَّانَ مُلْكًا غَيْرَ مَقْصُورٍ (٥)

(١) يعنى أبا بكر الصديق ، وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن مرة بن كعب بن لؤى .

(٢) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمه رسول الله ﷺ ، ووالدة الزبير بن العوام . وذكر ابن حجر فى الإصابة أن صفية قالت هذه المراثية حين قبض الرسول . وروى أن لها مراثية أخرى فى سيرة ابن إسحاق ، منها :

لَفَقَدَ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ
 فَيَاعِينَ جُودَى بِالدموعِ السَّوَاجِمِ

ومراثية أخرى فيها :

١٥ إن يوماً أتى عليك ليوم
 كورت شمسهُ وكان مضياً

وكانت صفية وأخواتها : برة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، كلهن شواعر ، روى لهن ابن هشام فى السيرة ١٠٨ - ١١١ . على أن هذه المراثية البائية رويت فى اللسان (هبت) منسوبة إلى فاطمة رضى الله عنها أيضاً .

(٣) الهنبة : واحدة الهناب ، وهى الأمور الشدائد المختلفة . ب : « وهنسة » . ج : « وهنشة » ،

٢٠ صوابهما فى ل ، هـ والتميمورية . والشاهد : الحاضر .

(٤) اختل القوم : احتاجوا وافترقوا . والسغب : شدة الجوع . ورواية اللسان : « فاشهدهم

ولا تغب » ، وفيه الإقواء وضعف المعنى .

(٥) صهيب هذا ، هو صهيب بن سنان ، أحد الصحابة ، والذين كانوا يلازمون رسول الله فى

مشاهده وغزواته وسراياه ، وهو المعروف بصهيب الرومى . وكان عمر قد أوصى قبل موته أن يصلى عليه

٢٥ صهيب ، وأن يصلى بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام . وتوفى سنة ٣٨ وهو ابن سبعين . الإصابة

٢٩٠. ولاية من أرى حفص لثائهم كانوا إخلاء مهدي ومخبور (١)

وقال مرزود بن ضرار (٢) يرثي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه :
 عليك السلام من إمام وباركك يد الله في ذاك الأديم الممرك (٣)
 قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق في أممها لم تفتق (٤)
 وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفى سبنتي أزرع العين مطرق (٥)

قال : وسمعوا في تلك الليلة هاتفاً يقول :

لينك على الإسلام من كان باكياً فقد أوشكوا هلكاً وما قدم العهد
 وأذبرت الدنيا وأدبر خيرها وقد ملها من كان يؤقن بالوعد

وعن أبي الجحاف ، عن مسلم البطين :

إننا نعاقب لا أبالك عصبه علقوا الفرى وبروا من الصديق (٦)
 وبروا سفاهاً من وزير نبيهم ثبا لمن يبرأ من الفاروق (٧)

(١) البيتان مما لم يرو في ديوان الفرزدق . المخبور : المكرم إكراماً مبالغاً فيه . وفي الكتاب : (أنتم وأزواجكم تخبرون) . ل : « ومخبور » .

(٢) ترجم في (١ : ٣٧٤) .

(٣) الأبيات تروى للشماخ ، كما في الحماسة (١ : ٤٥٢ - ٤٥٤) وزهر الآداب (٤ : ١٠٧) ، وتروى أيضاً لجزء بن ضرار . قال التبريزي : « وقال أبو رياش : الذي عندي أنه لمزرد أخيه . وقال أبو محمد الأعرابي : هو لجزء بن ضرار أخيه » . وفي الأغاني (٨ : ٩٨) أن هذا الشعر للجن ، قالته قبل أن يقتل عمر بثلاث ، فكان ذلك نعيماً له قبل أن يقتل . الحماسة : « جزى الله خيراً من أمير » . والأغاني : « عليك سلام من أمير » .

(٤) البوائق : جمع بائقة ، وهي الداهية والبلية . وفي الحماسة : « بوائج » ، وهي رواية للسان (بوج) . والبوائج : البوائق .

(٥) السبنتي : النمر ، عنى به أبا لؤلؤة المجوسي قاتل عمر . أزرع العين ، أى من أعداء العرب ، والعرب تكنى عن أعدائهم بزرق العيون ؛ لأنه صفة لون عيون الروم والعجم . المطرق : المسترخى العين خلقة ، والإطراق صفة من صفات الأفاعى .

(٦) الفرى : جمع فرية ، وهي الكذبة . وبروا ، يقال برأ يبرأ من المرض ، ويرى يبرأ أيضاً . وقد سهل الهزمة وعامل الفعل معاملة المعتل .

(٧) السفاه ، كسحاب : السفه وخفة الحلم .

إِنِّي عَلَى رِزْمِ الْعُدَاةِ لِقَائِلٌ دِنًا بِيَدَيْنِ الصَّادِقِ الْمَصْلُوقِ

وقال الكميت :

فَقُلْ لِبْنِي أُمِيَّةَ حَيْثُ حَلُّوا وَإِنْ حِفَّتَ الْمُهَنْدُ وَالْقَطِيعَا (١)
أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَعْتُمُوهُ وَأَشْبَعَ مَنْ بَجَوْرِكُمْ أُجَيْعَا
بِمَرْضِي السِّيَاسَةِ هَاشِمِيَّ يَكُونُ حَيًّا لِأُمَّتِهِ رَيْعَا (٢)

وقال حرب بن المنذر بن الجارود ، وكان يتفتى ويتشيع ، في كلمة له :
فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا كَفَافٌ يُقِيمُنِي وَأَتْوَابُ كَثَّانٍ أُرْوَرُ بِهَا قَبْرِي (٣)
وَحُبِّي ذَوِي قُرْبَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَمَا سَأَلْنَا إِلَّا الْمَوَدَّةَ مِنْ أُجْرٍ (٤)

٢٩١

١٠ (١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . والقطيع : السوط يقطع من جلد سير ويعمل منه ، يقطعون أربعة سيور ثم يفتلون ويتركونها حتى تيبس .
(٢) حيا ، أى بمنزلة الحيا ، وهو المطر تحيا به الأرض .
(٣) الكفاف ، كسحاب : القوت على قدر النفقة ، لا فضل فيه ولا نقص .
(٤) يقال سأله يسأله ، وساله يسأله ، وساله يسأله ، كلها بمعنى : وهو إشارة إلى قول الله تعالى :
(قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) .

وجه التدبير في الكتاب إذا طال

أن يداوى مؤلفه نشاط القارئ له ، ويسوقه إلى حظّه بالاحتياط له . فمن ذلك أن يُخرجه من شيء إلى شيء ، ومن باب إلى باب ، بعد أن لا يخرجه من ذلك الفنّ ، ومن جمهور ذلك العلم ^(١) .

وقد يجب أن نذكر بعض ما انتهى إلينا من كلام خُلفائنا من وُلد العباس ، ولو أن دولتهم عجميّة خُراسانيّة ^(٢) ، ودولة بني مروان عربيّة أعرابيّة وفي أجناد شاميّة .

والعرب أوعى لما تسمع ، وأحفظ لما تأتي ^(٣) ، ولها الأشعار التي تقيّد عليها مآثرها ، وتخلّد لها محاسنها . وجرت من ذلك في إسلامها على مثل عاداتها في جاهليّتها ، فبنت بذلك لبني مروان شرفاً كثيراً ومجداً كبيراً ، وتدبيراً لا يُحصى .

ولو أن أهل خُراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم في أهل الشام ، وتدبير ملوكهم ، وسياسة كبرائهم ، وما جرى في ذلك من فوائد الكلام ^(٤) وشريف المعاني ، كان فيما قال المنصور وما فعل في أيامه ، وأسّس لمن بعده ما يفي بجماعة ملوك بني مروان .

ولقد تتبّع أبو عُبيدة النحويّ ، وأبو الحسن المدائنيّ ، وهشام بن الكلبيّ ، والهيثم بن عدّيّ ، أخباراً قد اختلفت ، وأحاديث قد تقطّعت ، فلم يدركوا إلا قليلاً من كثير ، ومزجوا من خالص .

(١) ل : « جمهرة ذلك العلم » .

(٢) العجم : خلاف العرب . ما عدل : « أعجمية » . والأعجم : من في لسانه عجمة

لا يفصح بالعربية . هـ : « ولولا أن دولتهم » .

(٣) لعلها : « تأثير » ، أي تروى .

(٤) ل ، هـ : « فوائد الكلام » .

وعلى كل حال فإننا إذاصرنا إلى بقية ما رواه العباس بن محمد ، وعبد الملك ابن صالح ، والعباس بن موسى ، وإسحاق بن عيسى ^(١) ، وإسحاق بن سليمان ^(٢) ، وأيوب بن جعفر ^(٣) ، وما رواه إبراهيم بن السندي عن السندي ^(٤) ، وعن صالح صاحب المصلى ، عن مشيخة بنى هاشم ومواليهم - عرفت بتلك البقية كثرة ما فات ، وبذلك الصحيح أين موضع الفساد مما صتعه .
 الهيثم بن عدى ، وتكلفه هشام بن الكلبي . ٢٩٢

* * *

وسنذكر جملاً مما انتهى إلينا من كلام المنصور ومن شأن المأمون وغيرهما وإن كنا قد ذكرنا من ذلك طرفاً ؛ ونقصيد من ذلك إلى التخفيف والتقليل ، فإنه يأتي من وراء الحاجة ، ويُعرف بجملته مراد البقية ^(٥) .

قال : وكان المنصورُ داهياً أريباً ، مصيباً في رأيه سديداً ، وكان مقدماً في علم الكلام ، ومكثراً من كتاب الآثار ^(٦) . ولكلامه كتاب يدور في أيدي الوراقين معروفٌ عندهم . ولما هم بقتل أبي مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه ، فأرق في ذلك ليلته ، فلما أصبح دعا بإسحاق بن مسلم العقيلي ،

١٥ (١) مضت ترجمة هؤلاء جميعاً في ص ١١٨ من هذا الجزء .

(٢) هو إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو يعقوب الهاشمي ، كان من أولى الأقدار العالية . ولى هارون الرشيد المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى محمد الأمين حمص وأرمينية . ومات ببغداد . تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ، ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) .

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقريش والدولة ، وبرجال الدعوة . وكان في أول أمره على مذهب أبي ثمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم بن سيار النظام . انظر ماضى في (١ : ٩١) .

(٤) ترجمة إبراهيم بن السندي في (١ : ١٤١) . وأبوه السندي بن شاهك ، بفتح الهاء ، كان ذا منزلة غالبية عند الأمين وأبيه هارون . التنبيه والإشراف ٣٠٢ والجيشياري ٢٣٦ - ٢٣٧ والمعارف ١٦٩ .

(٥) ل ، هـ : « البقية » .

فقال له : حَدَّثَنِي حَدِيثَ الْمَلِكِ الَّذِي أَخْبَرْتَنِي عَنْهُ بِحَرَآنِ (١) . قال : أَخْبَرَنِي
أبَى عَنِ الْحُضَيْنِ بْنِ الْمُنْدَرِ (٢) أَنَّ مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ فَارِسَ - يُقَالُ لَهُ سَابُورُ الْأَكْبَرِ -
كَانَ لَهُ وَزِيرٌ نَاصِحٌ قَدْ اقْتَبَسَ أَدْبَابًا مِنْ آدَابِ الْمُلُوكِ ، وَشَابَ ذَلِكَ بِفَهْمٍ فِي
الدِّينِ ، فَوَجَّهَهُ سَابُورٌ دَاعِيَةً إِلَى أَهْلِ خُرَاسَانَ ، وَكَانُوا قَوْمًا عَمَجَمًا (٣) يَعْظُمُونَ
الدُّنْيَا جِهَالَةً بِالَّذِينَ ، وَيُحِلُّونَ بِالَّذِينَ اسْتِكَانَةَ لِقُوتِ الدُّنْيَا ، وَذُلًّا لِحَبَابَتِهَا ،
فَجَمَعَهُمْ عَلَى دَعْوَةٍ مِنَ الْهَوَى يَكِيدُ بِهِ مَطَالِبَ الدُّنْيَا (٤) ، وَاعْتَرَّ بِقَتْلِ مَلُوكِهِمْ
لَهُمْ وَتَحْوُلِهِمْ إِيَّاهُمْ (٥) - وَكَانَ يُقَالُ : « لِكُلِّ ضَعِيفٍ صَوْلَةٌ ، وَلِكُلِّ ذَلِيلٍ دَوْلَةٌ »
- فَلَمَّا تَلَاخَمَتْ أَعْضَاءُ الْأُمُورِ الَّتِي لَقَّحَ ، اسْتَحَالَتْ حَرْبًا عَوَانًا (٦) شَالَتْ
أَسَافِلُهَا بِأَعَالِيهَا ، فَانْتَقَلَ الْعِزُّ إِلَى أُرْدَلِهِمْ (٧) ، وَالنَّبَاهَةُ إِلَى أَمْلِهِمْ ، فَأَشْرَبُوا لَهُ
حُبًّا مَعَ تَخْفُضٍ مِنَ الدُّنْيَا افْتَتِحَ بِدَعْوَةٍ مِنَ الدِّينِ ، فَلَمَّا اسْتَوْسَقَتْ لَهُ الْبِلَادُ (٨)
بَلَغَ سَابُورَ أَمْرَهُمْ وَمَأْخَالَ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِمْ ، وَلَمْ يَأْمَنْ زَوَالَ الْقُلُوبِ وَعَدْرَاتِ
الْوُزَرَاءِ ، فَاحْتَالَ فِي قَطْعِ رَجَائِهِمْ عَنْ قُلُوبِهِمْ ؛ وَكَانَ يُقَالُ :

وَمَا قَطَعَ الرَّجَاءُ بِمِثْلِ يَأْسٍ تُبَادِهِ الْقُلُوبُ عَلَى اغْتِرَارِ (٩)

فَصَمَّمَ عَلَى قَتْلِهِ عِنْدَ وُرُودِهِ عَلَيْهِ بِرُؤْسَاءِ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَفَرَسَانِهِمْ ، فَقَتَلَهُ ،
فَبَغْتَهُمْ بِحَدِيثٍ ، فَلَمْ يُرْعَهُمْ إِلَّا وَرَأْسَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، فَوَقَفَ بِهِمْ بَيْنَ الْعُرْبَةِ وَنَأْيِ

(١) حران : مدينة من جزيرة أقور ، بينهما وبين الرها يوم ، وبين الرقة يومان .

(٢) ترجم في (٢ : ١٦٩) . ما عدل : « الحصين » ، تحريف .

(٣) ل : « عجبا » ، بالباء .

(٤) يكيد ، هنا ، بمعنى يمالج - كاد الأمر يكيد : عاجله .

(٥) التحويل ، أراد به اتخاذهم حولا ، أى عبيدا وخداما . وكلمة « هم » من هـ . ما عدل هـ :

« وتحوله إياهم » .

(٦) العوان . التي حورب فيها مرة بعد مرة . وأصل العوان : الثيب من النساء .

(٧) أى أضعفهم وأحقرهم .

(٨) استوسقت : اجتمعت . وفي حديث النجاشي : « واستوسق عليه أمر الحبشة » : اجتمعوا

على طاعته . ما عدل ، هـ : « استوسقت » ، تحريف .

(٩) المباذة : المفاجأة والمباغطة .

الرَّجْعَةَ ، وَتَخْطِفُ الْأَعْدَاءَ ، وَتَفْرُقُ الْجَمَاعَةَ ، وَالْيَأْسِي مِنْ صَاحِبِهِمْ ، فَرَأَوْا أَنْ يَسْتَمُوا الدَّعْوَةَ بِطَاعَةِ سَابُورَ ، وَيَتَعَوَّضُوهُ مِنَ الْفُرْقَةِ ، فَادْعَنُوا لَهُ بِالْمُلْكِ وَالطَّاعَةِ ، وَتَبَادَرُوهُ بِمَوَاضِعِ النَّصِيحَةِ ، فَمَلَكَهُمْ حَتَّى مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ .

فَأَطْرَقَ الْمَنْصُورَ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تَفَرَّغُ الْعَصَا وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَا (١)

وَأَمْرَ إِسْحَاقَ بِالْخُرُوجِ وَدَعَا بِأَبِي مُسْلِمٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ دَاخِلًا قَالَ :

قَدْ اكْتَسَفْتَكَ خَلَّاتٌ ثَلَاثٌ جَلَبْنَ عَلَيْكَ مَحْذُورَ الْجِمَامِ
بِخِلَافِكَ ، وَامْتِنَانُكَ تَرْتِمِينِي ، وَقَوْدُكَ لِلْجِمَاهِيرِ الْعِظَامِ

ثُمَّ وَثَبَ إِلَيْهِ وَوَثَبَ مَعَهُ بَعْضُ حَشَمِيهِ بِالسُّيُوفِ عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ

وَوَثَبَ ، فَبَدَرَهُ الْمَنْصُورُ فَضْرِبَهُ ضَرْبَةً طَوَّحَهُ مِنْهَا (٢) ، ثُمَّ قَالَ :

اشْرَبْتُ بِكَأْسِ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا أَمْرًا فِي الْحَلْقِ مِنَ الْعَلَقِمِ (٣)
زَعَمْتُ أَنَّ الدِّينَ لَا يُقْتَضَى كَذَبَتْ فَاسْتَوَفَّ أَبَا مُجْرِمٍ

ثُمَّ أَمَرَ فَحُزَّ رَأْسُهُ وَبِعِثَ بِهِ إِلَى أَهْلِ خِرَاسَانَ وَهُمْ بِيَابِهِ ، فَجَالُوا حَوْلَهُ سَاعَةً ثُمَّ رَدَّ مِنْ شِغْبِهِمْ انْقِطَاعُهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ ، وَإِحَاطَةُ الْأَعْدَاءِ بِهِمْ ، فَذَلُّوا وَسَلَّمُوا لَهُ .

١٥

(١) البيت للمتلص في ديوانه ص ١ نسخة الشنقيطي . وذو الحلم ، هو عمرو بن حمزة الدؤسي ، قضى في العرب ثلاثمائة سنة - كما زعموا - فكبر فألزمه السابع من ولده فكان معه ، فكان الشيخ إذا غفل كانت آية ما بينه وبينه أن يقرع له العصا حتى يعاوده عقله . وقيل ذو الحلم : عامر بن الظرب العلواني ، أو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، أو ربيعة بن مخاشن الملقب أيضاً بذي الأعواد ، أو سعد بن مالك . المعمرين للسجستاني ٤٥ والأغاني (٣ : ٤ / ٣١ / ١٢٨ : ١٣٤) . وانظر ما سبق في ص ٣٨ .

(٢) طوحه : أهلكه ، أو ألقاه . ل : طرده منها .

(٣) العلقم : شجر الخنظل ، أو ثمرته ، أو شحمة ثمرته . والبيتان في الطبرى (٩ : ١٦٧) عند ذكر مقتل أبي مسلم ، وكذا في مروج الذهب (٣ : ٣٠٤) . الطبرى : « سقيت كأساً » . وهذا البيت مؤخر فيهما عن تاليه .

٢٥

فكان إسحاق إذا رأى المنصورَ قال :

وما أخذو لك الأمثالَ إلا لَتَحْذُوا إنْ حَدَوْتَ على مِثَالِ (١)

وكان المنصور إذا رآه قال :

٢٩٤ وَخَلَفَهَا سَابُورُ لِلنَّاسِ يُقْتَدَى بِأَمْثَالِهَا فِي الْمُعْضِلَاتِ الْعِظَائِمِ

وكان المهديُّ يحبُّ القِيانَ وَسَمَاعَ الْغِنَاءِ ، وكان معجباً بجاريةٍ يقال لها « جوهَر » ، وكان اشتراها من مروانَ الشَّامِيَّ ، فدخل عليه ذات يوم مروان الشَّامِيُّ وجوهراً تغنيهِ ، فقال مروان :

أَنْتِ يَا جَوْهَرُ عِنْدِي جَوْهَرَةٌ فِي بِيَاضِ الدَّرَّةِ الْمُشْتَهَرَةِ (٢)

فإذا غَنَّتْ فَنَارٌ ضُرْمَتْ قَدَحَتْ فِي كُلِّ قَلْبٍ شَرَّةً (٣)

فأتهمه المهديُّ ، وأمر به فدَعَّ في عنقه إلى أن أخرج (٤) . ثم قال

لجوهَر : أطربيني . فأنشأت تقول (٥) :

وَأَنْتِ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَّ لِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ

وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضاً أُرْمَى وَأَنْتِ سَلِيمٌ

فَلَوْ أَنَّ قَوْلَا يَكِلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَأَ بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ كُلُّومٌ (٦)

(١) هذا الشيء بالشيء : قدره وقطعه على مثاله . ما عدل ، هـ : وما ضربوا .

(٢) يقال شهره فاشتهر ، واشتهره فاشتهر ، فهو مشتهر ومشتهر . وبهما روى قوله :

أحب هبوط الوادين وإنني لمشتهر بالواديين غريب

(٣) ما عدل : « قدفت في كل قلب » .

(٤) ما عدل : « إلى أن أخرج » . دعه دعا : دفعه دفعا عنيقا في جفوة .

(٥) الأبيات التالية رواها في الحيوان (٣ : ٥٥) منسوبة لإحدى المجهولات تحبب بها عاشقها

عن شعر قاله فيها . والمعروف أنها لامرأة من قوم ابن الدمينية ، يقال لها أميمة ، كان هويها وهاج بها مدة ،

فلما وصلته تمنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعابها طويلا ، وكان بينهما مجاورة شعرية .

انظر ديوان ابن الدمينية ٣٦ - ٣٧ والأغاني (١٥ : ١٤٨) والحماسة (٢ : ١٤٦) ومعاهد التنصيص

(١ : ٥٨) .

(٦) الكلوم : جمع كلم ، بالفتح ، وهو الجرح .

فقال المهديّ :

أَلَا يَا جَوْهَرَ الْقَلْبِ لَقَدْ زِدْتِ عَلَى الْجَوْهَرِ
وَقَدْ أَكْمَلَكِ اللَّهُ بِحُسْنِ الدَّلِّ وَالْمَنْظَرِ (١)
إِذَا مَا صَلَّتِ ، يَا أَحْسَدَ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ ، بِالْمِرْهَرِ (٢)
وَعَنْتِي فَفَاحَ الْبَيْتِ سَتْ مِنْ رِيحِكَ بِالْعَنْبَرِ (٣)
فَلَا وَاللَّهِ مَا الْمَهْدِيُّ أَوْلَسِي مِنْكَ بِالْمِنْبَرِ
فَإِنْ شِئْتِ فَعِي كَفِّ لِكِ خَلْعُ ابْنِ أَبِي جَعْفَرِ (٤)

* * *

قال الهيثم : أنشدت هارون وهو وليّ عهد أيام موسى ، بيتين لحمزة بن بيض (٥) في سليمان بن عبد الملك (٦) :

جَارَ الْخِلَافَةِ وَالِدَاكَ كِلَاهُمَا مِنْ بَيْنِ سَخَطَةِ سَاخِطٍ أَوْ طَائِعِ
أَبْوَاكَ ثُمَّ أَحْوَكُ أَصْبَحَ ثَالِثًا وَعَلَى جَبِينِكَ نُورٌ مُلْكٍ سَاطِعٌ (٧)

٢٩٥

قال : يا يحيى ، اكتب لي هذين البيتين .

* * *

١٥ (١) الدل ، بالفتح : حسن الحديث والهيئة .

(٢) المزهرة ، بالكسر : العود الذي يضرب به .

(٣) ما عدال : « من ريقك » .

(٤) ابن أبي جعفر ، هو المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور .

(٥) سبقت ترجمته و ضبط اسمه في (١ : ٢٦٩) .

٢٠ (٦) في الأغاني (١٥ : ١٨) عن الهيثم بن عدى قال : « أخبرني مخلد بن حمزة بن بيض قال :

قدم أبي علي يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأدخله عليه فأنشده قوله ... » وأنشد البيتين التاليين ، وبعدهما :

سرت خوف بنى المهلب بعد ما نظروا إليك بسم موت ناقع

ليس الذي ولاك ربك منهم عند الإله وعندهم بالضائع

٢٥

فأمر له بمخمسين ألفاً . ولم يرد في روايته إنشاده هارون هذا الشعر .

(٧) كذا بالإقواء . ورواية الأغاني : « نور ملك الرابع » .

ولما مدح ابن هرمة (١) أبا جعفر المنصور ، أمر له بألفى درهم ، فاستقلها ، وبلغ ذلك أبا جعفر فقال : أما يرضى أئى حقت دمة وقد استوجب إراقته ، ووفرت ماله وقد استحق تلفه ، وأقررتة وقد استأهل الطرد ، وقررتة وقد استجزى البعد (٢) ؟ أليس هو القائل فى بنى أمية :

إذا قيل من عند رب الزمان لمعتر فخير ومحتاجها (٣)
ومن يعجل الخيل يوم الوغى بالجامها قبل إسراجها
أشارت نساء بنى مالك إليك به قبل أزواجها

قال ابن هرمة : فإننى قد قلت فىك أحسن من هذا ! قال : هاته ! قال : قلت :

إذا قلت أئى فتى تعلمون أهش إلى الطعن بالذابل (٤)
وأضرب للقرن يوم الوغى وأطعم فى الزمن المايل
أشارت إليك أكف الورى إشارة عرقى إلى سايل

قال المنصور : أما هذا الشعر فمسترق ، وأما نحن فلا نكافئ إلا بالتى هى

أحسن .

* * *

ولما احتال أبو الأزهر المهلب لعبد الحميد بن ريعى بن خالد بن معدان ، وأسلمه حميد (٥) إلى المنصور قال : لا عذر فأعذر ، وقد أحاط بئى الذئب وأنت أولى بما ترى ! قال : لست أقتل أحداً من آل قحطية ، بل أهب مسيئهم لحسينهم ، وغادرهم لوقيهم ! قال : إن لم يكن فى مصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ، ولست أرضى أن أكون طليق شفيح ، وعتيق ابن عم ! قال : اسكت مقبوحاً

(١) إبراهيم بن هرمة ، ترجم فى (١ : ١١١) .

(٢) كذا فى ل . وفيما عدل : « استحى » بإمال الحاء والراء ، وكلاهما لم ينص عليه فى

المعاجم ، وهما بمعنى « استحق » .

(٣) المعتز : المتعرض للمعروف من غير أن يسأل .

(٤) أى القنا الذابل ، وهى الرماح الدقيقة اللاصقة الليط ، أى القشر .

(٥) حميد بن قحطية ، المترجم فى (٢ : ٢٥٧) .

٢٩٦ مشقوقاً^(١) ، واخرج فإنك أتوك جاهل ، أنت عتيقهم وطلیقهم ما حییت .

* * *

- ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله^(٢) ، وصار إلى المنصور ، أمر الربيع بخلع سواده^(٣) والوقوف به على رأس البغية^(٤) في المقصورة يوم الجمعة ثم قال : قل لهم : يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفت ما كان من إحساني إليه ، وحسن بلائي عنده ، وقديم نعمتي عليه ، والذي حاول من الفتنة ، ورام من البغي ، وأراد من شق العصا ومعاونة الأعداء ، وإراقة الدماء ، وإنه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب ، وعظيم العذاب . وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه ، ورب نعمائه السابقة^(٥) عنده ، لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ، وما يؤمله من الخير العاجل والآجل ، عند العفو عن ظلم ، والصفح عن أساء . وقد وهب أمير المؤمنين مسيئكم لمُحسِنِكُمْ ، وغادركم لوفيقكم^(٦) .

* * *

- وقال سهل بن هارون يوماً ، وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن يرغبوا فيه ، وقد يُرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض

(١) المشقوق : المعد المطرود ، وكذلك المشقوق .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، خرج على المنصور وظهر بالبصرة مستهل رمضان سنة ١٤٥ فغلب عليها وعلى الأهواز وواسط وكسكر ، وعظمت جموعه ، وسار يريد الكوفة ، فوجه إليه المنصور عيسى بن موسى في العساكر فالتقوا بباهجى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة في ذى القعدة ، فقتل إبراهيم في جمع كثيف ممن كان معه ، وهزم الباقون ، وبعقب قتله هو وقتل أخيه محمد بن عبد الله من قبل ، لقب أبو جعفر بالمنصور . انظر كتب التواريخ في خلافة المنصور ، وفي حوادث سنة ١٤٥ .

(٣) كان السواد شعار العباسيين ، وقد بدأ التسويد في سنة ١٢٩ أى قبل قيام الدولة العباسية بثلاث سنوات . انظر الطبرى (٩ : ٨٢) .

(٤) ما عدل : « رؤوس البغية » . (٥) هـ : « السابعة » .

(٦) ما عدل : « مسيئهم لمحسنهم وغادركم لوفيقهم » .

الخلال ! قال المأمون : قد يسمّى بعض الشيء علماً وليس بعلم ، فإن كنت هذا أردت فوجهه الذي ذكرناه . ولو قلت : العلم لا يُدرك غوره ، ولا يُسبر قعره ، ولا تُبلغ غايته ، ولا يستقصى أصنافه ، ولا يضبط آخره ، فالأمر على ما قلت . فإذا كان الأمر كذلك فابدءوا بالأهمّ فالأهمّ ، وابدءوا بالفرض قبل الفضل ، فإذا فعلتُم ذلك كان عدلاً ، وقولاً صديقاً . وقد قال بعض العلماء : اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى إلى نفسك وأخف على قلبك ، فإن نفاذك فيه على حسب شهوتك له ، وسهولته عليك . وقال أيضاً بعض الحكماء ^(١) : لست أطلب العلم طمعاً في بلوغ غايته ، والوقوف على نهايته . ولكن التماس ما لا يسع جهله ، ولا يحسن بالعاقل إغفاله . وقال آخرون : عِلْمُ الملوك : النَّسبُ والخير وجمال الفقه . وِعِلْمُ الثُّجَّارِ : ٢٩٧ الحساب والكتاب . وعلم أصحاب الحرب : درس كُتُبِ المغازي وكتب السير . ١٠

فأما أن تسمّى الشيء علماً وتنبى عنه من غير أن يكون يشغل عما هو أنفع منه ، بل تنبى نهياً جزمياً ، وتأمراً أمراً حتماً ! والعلم بصر ، وخلافه عمى ، والاستبانة للشرّ ناهية عنه ، والاستبانة للخير آمرة به .

* * *

ولما قرأ المأمون كُتُبِي في الإمامة فوجدها على ما أمر به ، وصرتُ إليه وقد كان أمر اليزيدي ^(٢) بالنظر فيها ليخبره عنها ، قال لي : قد كان بعض من يُرتضى عقله ويصدق خبره ^(٣) خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة ، ١٥

(١) ما عدال : هـ : « العلماء » .

(٢) هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدي ، وذلك أنه صحب يزيد بن منصور الحميري خال المهدي ، مؤدياً لولده فنسب إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدياً للمأمون ، كما جعل الكسائي مؤدياً للأمين ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ، وعنه : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وإسحاق الموصلي . وكان أحد أكابر القراء ، يقرئ هو والكسائي الناس في بغداد في مسجد واحد . توفي بخراسان سنة ٢٠٢ . إرشاد الأريب (٢٠ : ٣٠) وبغية الوعاة ٤١٤ وتاريخ بغداد ٧٤٦٥ . ٢٠

(٣) ما عدال ، هـ : « من ترتضى عقله ونصدق خبره » .

فقلنا له : قد ترى الصِّفَّةَ على العِيَانِ ، فلما رأيتها رأيتُ العِيَانَ قد أُرِي على الصِّفَّةِ ، فلما فَلَيْتَهَا أَرَى الفَلْيُ على العِيَانِ كما أَرَى العِيَانَ على الصِّفَّةِ .
وهذا كتابٌ لا يحتاج إلى حضور صاحبه ، ولا يفتقر إلى المحتجِّين عنه ،
قد جَمَعَ استقصاءَ المعاني ، واستيفاءَ جميعِ الحقوق ، مع اللفظِ البَجَزَلِ ، والمخرجِ
السَّهْلِ ، فهو سوقيٌّ ملوكيٌّ ، وعامِّيٌّ خاصِّيٌّ .

* * *

ولما دخل عليه المرتدُّ الخراسانيُّ وقد كان حملة معه من خُرَاسَانَ حتَّى وافى به العراقُ ، قال له المأمونُ :

لأنَّ أَسْتَحْيِيكَ بِحَقِّ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَكَ بِحَقِّ ، ولأنَّ أَقْبَلَكَ بِالْبِرَاءَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْفَعَكَ بِالْتِهْمَةِ ، قد كنتَ مسلماً بعد أن كنتَ نصرانيًّا ،
وكنتَ فيها أُنْتَخَ (١) وأيامك أطول ، فاستوحشتَ ممَّا كنتَ به آنسًا ثم لم تلبثَ أن رجعتَ عَنَّا نافرًا ، فخبَّرنا عن الشَّيءِ الذي أَوْحَشَكَ مِنَ الشَّيءِ الذي صارَ آنسَ لك من إلفِكَ القديمِ ، وأنسكَ الأوَّلِ . فإن وجدتَ عندنا دواءً دائك تعالجتَ به ، والمريضُ من الأطباءِ يحتاج إلى المشاورة . وإن أخطأكَ الشُّفاءُ ونا
عن دائك الدواء ، كنتَ قد أعذرتَ ولم ترجعْ على نفسك بلائمةً ، فإن قتلناك
قتلناك بحكم الشريعة . أو ترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة ، وتعلم
أنك لم تقصُرَ في اجتهاد ، ولم تفرطَ في الدخولِ في بابِ الحزمِ .

قال المرتدُّ : أَوْحَشَى كَثْرَةُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِيكُمْ !

قال المأمونُ : لنا اختلافان : أحدهما كالاختلافِ في الأذانِ وتكبيرِ الجنازاتِ ،

(١) في الأصول : « أتيج » ، ولا وجه له . ويقال تنخ بالمكان تنوخا ، أي أقام وثبت . وفي حديث عبد الله بن سلام « أنه آمن ومن معه من يهود فتنخوا على الإسلام » أي ثبتوا وأقاموا ورسخوا . وانظر الخبر في المقدم (٢ : ٣٨٤) .

والاختلاف في التشهد وصلاة الأعياد وتكبير الشريق ، ووجوه القراءات واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك . وليس هذا باختلاف ، إنما هو تخيير وتوسعة ، وتخفيف من المحنة . فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يؤثم ، ومن أذن مثنى وأقام فردى لم يحوب^(١) ، لا يتعايرون ولا يتعايرون ، أنت ترى ذلك عيانا وتشهد عليه بتاتا^(٢) .

والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الحديث عن نبينا ، مع إجماعنا على أصل التنزيل ، واتفاقنا على عين الخبر . فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب ، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقا على تأويله ، كما يكون متفقا على تنزيهه ، ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف في شيء من التأويلات . وينبغي لك أن لا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها .

ولو شاء الله أن يُنزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثته رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل ، ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا دُفع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة . وذهبت المسابقة والمنافسة^(٣) ، ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بتى الله الدنيا .

قال المرتد : أشهد أن الله واحد لا ند له ولا ولد ، وأن المسيح عبده ، وأن محمداً صادقاً ، وأنت أمير المؤمنين حقاً !

فأقبل المأمون على أصحابه فقال : فرؤا عليه عرضه^(٤) ، ولا تبرؤوه في يومه

(١) لم يحوب ، من الحوب ، بالضم ، وهو الإثم . وهذا الفعل مما لم يذكر في المعاجم .

(٢) بتاتا ، أى قطعاً . ما عدل ، هـ : « تبياناً » .

(٣) ل : « السابقة والمنافسة » .

(٤) فرؤا ، من الوفر . يقال : وفره عرضه ووفره له : لم يشتمه .

رثما يَعتقُ إسلامه ؛ كى لا يقولُ عدوّه إنّه أسلمَ رغبة . ولا تُنسوا بعدُ نصيكم من برّه وتأنيسه وتُصرتّه ، والعائدة عليه .

* * *

حدثنا أحمد بن أبى دواد قال : قال لى المأمون :

- ٥ لا يستطيع الناسُ أن يُنصِفوا الملوكَ من وزرائهم ، ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوكِ وحُماهم وكُفاتهم ، وبين صنائعهم وِبطانتهم . وذلك أنهم يرون ظاهرَ حرمةٍ وخدمةٍ ، واجتهادٍ ونصيحةٍ ، ويرون إيقاعَ الملوكِ بهم ظاهراً ، حتى لا يزالُ الرَّجل يقولُ : ما أوقعَ به إلا رغبةً فى ماله ، أو رغبةً فى بعض ما لا تجود النفس به ^(١) ، ولعل الحسدَ والملافة ^(٢) وشهوةَ الاستبدال ، اشتركتْ فى ذلك .
- ١٠ وهناك حياناتٌ فى صُلبِ المُلكِ ، أو فى بعضِ الحُرَمِ ، فلا يستطيع الملكُ أن يكشفَ للعامةَ موضعَ العورةِ فى المُلكِ ، ولا أن يحتجَّ لتلك العقوبة بما يستحقُّ ذلك الذنبَ ، ولا يستطيع الملكُ تركَ عقابه ، لما فى ذلك من الفساد ، على علمه بأنَّ عُذرَه غيرَ مبسوطٍ للعامةِ ، ولا معروفٍ عند أكثرِ الخاصةِ .

* * *

- ١٥ ونزل رجلٌ من أهل العسكر ^(٣) ، فعَدَا ^(٤) بين يدي المأمون ، وشكا إليه مَظْلَمَتَه ^(٥) ، فأشار بيده : أنْ حَسْبُكَ ! فقال له بعضُ مَنْ كان يقربُ من المأمون :

(١) ما عدل : « النفوس به » .

(٢) ما عدل : « والملافة » .

(٣) هى عسكر المهدي ، وهى الرصافة ، كما فى معجم البلدان ، لأنه عسكر بها حين شخص لى

(٤) هـ : « فعدا » .

(٥) المظلمة ، بفتح الميم وكسر اللام : ما يظلمه الإنسان من حق .

يقول لك أمير المؤمنين : اركب . قال المأمون : لا يقال لمثل هذا : اركب ، إنما يقال له : انصرف !

وحدثني إبراهيم بن السندي^(١) قال : بينا الحسن اللؤلؤي^(٢) يحدث المأمون ليلاً وهو بالرقّة ، وهو يومئذ وليّ عهد ، وأطال الحسن الحديث حتى نَعَسَ المأمون ، فقال الحسن : نَعَسَتْ أَيُّهَا الأمير ! ففتح عَيْنَيْهِ وقال : سوقتُ وربُّ الكعبة ! يا غلام تُخَذ بيده .

[آخر الجزء الثالث من ترجمة محققه ، وبقيت من ترجمة المصنف بقية جعلت في الجزء الرابع مع الفهارس العامة للكتاب]

(١) سبقت ترجمته في (١ : ١٤١) .

(٢) هو الحسن بن زياد اللؤلؤي ، ترجم في (٢ : ٣٣٠) .

فهرس الأوب

كتاب العصا	٥
ومن جممل القول فى العصا وما يجوز فىها من المنافع والمرافق	٤٩
رجع الكلام إلى القول فى العصا	١١٣
كتاب الزهد	١٢٥
ومن نساك البصرة وزهادهم	١٩٣
زُهاد الكوفة	١٩٣
أخلاط من شعر ونوادر وأحاديث	٢٠٣
رسالة إبراهيم بن سَيّابة إلى يحيى بن خالد بن برمك	٢١٥
ذكر ما قالوا فى المهالبة	٢٣٢
ذكر حروف من الأدب من حديث بنى مروان وغيرهم	٢٤٠
ومما يكتب فى باب العصا	٢٤٢
ومما يضم إلى العصا	٢٤٣
ومن خطباء الخوارج	٢٦٤
كلام فى الأدب	٢٦٧
صدر من دعاء الصالحين والسلف المتقدمين ومن دعاء الأعراب	٢٦٨
دعاء الغنوى فى حبسه	٢٨٧
ومن دعائه فى الحبس	٢٨٧
القول فى إنطاق الله عز وجل إسماعيل بن إبراهيم بالعربية المبينة	٢٩٠
كانت العادة فى كتب الحيوان ..	٣٠٢
وجه التدبير فى الكتاب إذا طال	٣٦٦